

الخطب النيرات في الثمرات والعقوبات



تأليف

الدكتور : نجيب الجيلاني
الشيخ : ثروت أبوالمجد

دار البوذية
للنشر والتوزيع
الرياض - مصر

الخطب النيرات في الثمرات والعقوبات

تأليف

الشيخ/ ثروت أبو المجد الدكتور/ نجيب الجيلاني



دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٦١٩٤ / ٢٠٢٥م

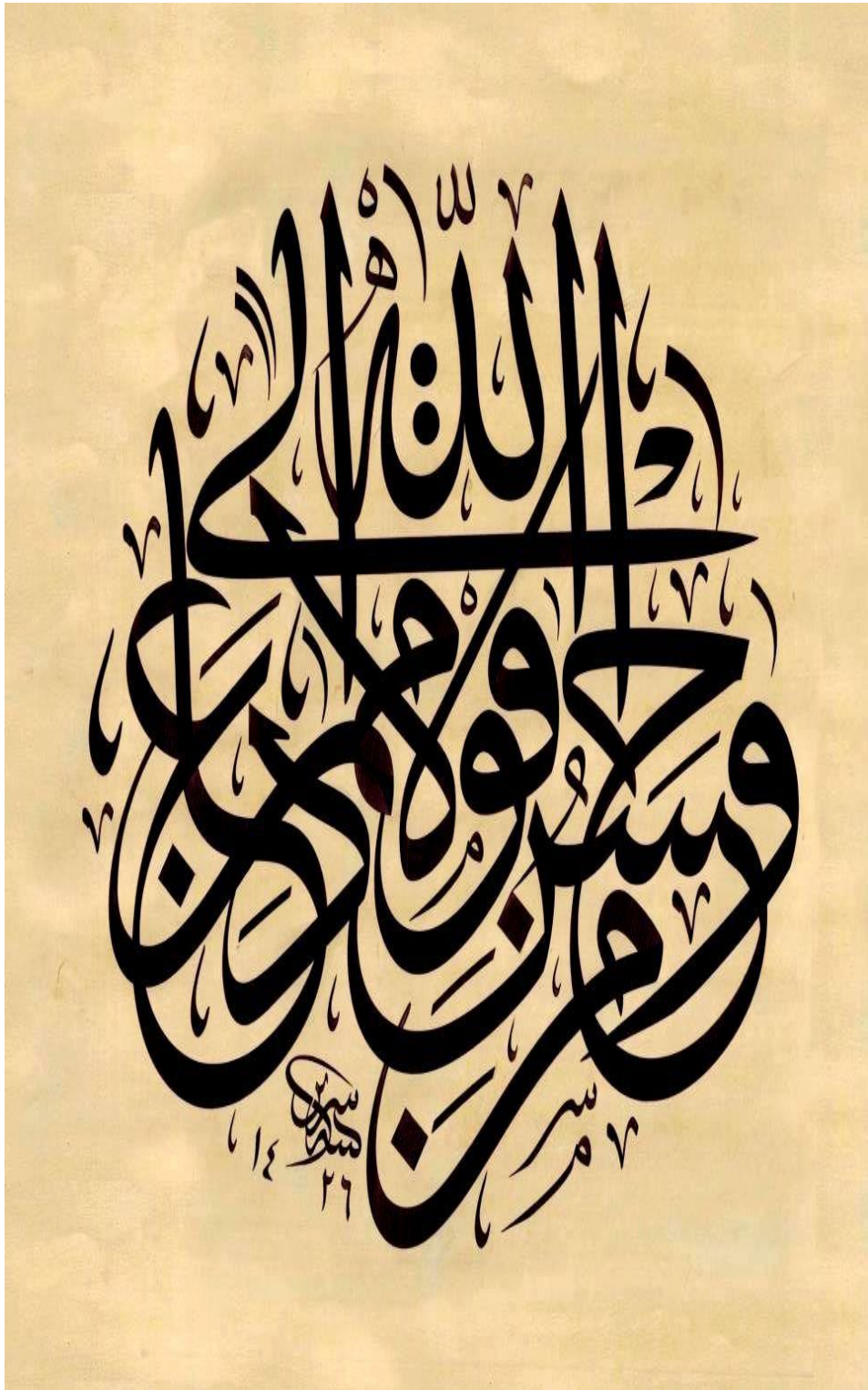
الترقيم الدولي

978-633-303-043-3

دار المؤلف

للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر





الإهداء

نهدي هذا الكتاب للأحبة من الأئمة والخطباء
من حصلوا العلم وأخلصوا في نشره بصبر وإباء
وداوموا على تبليغه بحكمة ومحجة بيضاء
نقية صحيحة على الكتاب والسنة الفراء

المؤلفان

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

جاءت فكرة هذا الكتاب لتُعالج قضية مهمة في حياة الأمة، ولتَهتم بالخطيب
وجمهوره على حدٍ سواء، وذلك لأنَّ مُعالجة قضية الثمرات الدالة على
(التَّغْيِبِ)، والعقوبات الدالة على (التَّهْيِبِ)، محور اهتمام لدى الجميع،
فجاء هذا العنوان: **(الخطب النِّيرات في الثمرات والعقوبات)** ليعالج
هذه وتلك، هادفين تذكير المُقَصِّرِينَ، وتنبيه الغافلين، وتنشيط الخطباء
والوعاظ والمُريِّين^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال القرطبي: إِنَّمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ، بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليكون من بابِ قرنِ (التَّغْيِبِ بالتَّهْيِبِ)،
كما قال تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
الْأَلِيمُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالرَّبُّ فِيهِ تَرْهِيْبٌ،
وَالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ تَرْغِيْبٌ، وفي الحديث: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ
الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ
مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ»^(٢).^(٣)

(١) كانت بداية العمل في تبييض هذه الخطب يوم الأحد ٢٥/١٢/٢٠٢٢ م.

(٢) مسلم (٢٧٥٥)، وفي البخاري بنحوه برقم (٦٤٦٩).

(٣) محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير (١/٢٢).

وَكَثِيرًا مَا يَقْرُنُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، فَتَارَةً يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَصِفَةِ الْجَنَّةِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهَا لَدَيْهِ، وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ بِالرَّهْبَةِ وَذِكْرِ النَّارِ وَأَنْكَالِهَا وَعَذَابِهَا وَالْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَتَارَةً بِهِذَا وَبِهَذَا لِيَنْجَعَ فِي كُلِّ بَحْسِهِ^(٢).

ومنهج هذه الخطب الاختصار غير المُخل، والابتعاد عن التَّطْوِيل والإسهاب المُمل، لأنَّ المكتبة الإسلامية قد ضجَّت من كثرة المصنفات الحديثة التي تدور حول الخطب المنبرية، لكن هذه الدارسة تميّزت عمّا سبقها بعدة أمور:

١. ذكر الآيات المباشرة الدالة على الموضوع مع تفسير مبسط لما قد يحتاج إلى تفسير.

٢. ذكر الأحاديث المتعلقة بنفس الموضوع، مع توضيح وتبيين معاني بعض الألفاظ الغامضة.

٣. ذكر الأقوال المأثورة التي تخدم الموضوع.

٤. تقوية الموضوع في بعض الأحيان ببعض القصص الموضحة له.

٥. وأحياناً تُذكر العقوبات مباشرة بأدلتها حسب ما تقضيه الحاجة العلمية.

٦. الإشارة إلى المصادر والمراجع باختصار وعدم ذكر تفاصيلها كاملة

خشية الإطالة^(٣).

(١) [الرَّعْد: ٦].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٣٨٥).

(٣) وتجدر الإشارة إلى أننا استعنا بالله أولاً، ثم بكتاب: صهيب عبد الجبار: الجامع الصحيح



هذا كله في إطار مختصر يُتيح للخطيب الحصول على الخلاصات، والزبد والأساسيات، التي تعالج الثمرات، أو تحذر من العقوبات، تاركين له حرية الشرح والزيادة والإطناب إن أراد ذلك، فالزمان والوقت لا يتسعان للحشو الكثير، والخطبة لا تتحمل الزيادة التي درج عليها البعض.

وقد جاءت هذه الخطب في باين ليسهل على الخطيب الوصول لما يريد في سهولة ويسر؛ **الباب الأول: الثمرات والفضائل، والباب الثاني: العقوبات. وأخيراً.. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ويوفقنا**

للسنن والمسانيد، تاريخ النشر: ١٥ - ٨ - ٢٠١٤م، [والكتاب غير مطبوع] ومنشور على الشبكة: في الرجوع لبعض الأحاديث الدالة على المراد في هذه الدراسة، وهذه بعض الرموز التي قد ترد في ثنايا الدراسة، والتي وردت في الكتاب المشار إليه: مفاتيح الرموز: (خ) (صحيح البخاري)، (م) (صحيح مسلم)، (ت) (الجامع الصحيح للترمذي)، (س) (السنن الصغرى للنسائي)، (د) (سنن أبي داود)، (ج) (سنن ابن ماجه)، (حم) (مسند الإمام أحمد)، (ط) (موطأ مالك)، (مي) (سنن الدارمي)، (خم) (رواه البخاري معلقاً)، (تنخ) (البخاري في التاريخ الكبير)، (خد) (الأدب المفرد للبخاري)، (الشمائيل) (الشمائيل المحمدية للترمذي)، (طح) (شرح معاني الآثار للطحاوي)، (مش) (مشكل الآثار للطحاوي)، (بغ) (البغوي في شرح السنة)، (خط) (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي)، (ابن سعد) (الطبقات الكبرى لابن سعد)، (ابن منيع) (مسند ابن منيع)، (الحكيم) (نوادير الأصول للحكيم الترمذي)، (الضياء) (الأحاديث المختارة للضياء المقدسي)، (فر) (مسند الفردوس للدليمي)، (عد) (الكامل لابن عدي)، (طل) (مسند الطيالسي)، (بز) (مسند البزار)، (ك) (مستدرك الحاكم)، (خز) (صحيح ابن خزيمة)، (هق) (سنن البيهقي الكبرى)، (هب) (شعب الإيمان للبيهقي)، (حب) (صحيح ابن حبان)، (طب) (معجم الطبراني الكبير)، (طس) (معجم الطبراني الأوسط)، (طص) (معجم الطبراني الصغير)، (ش) (مصنف ابن أبي شيبة)، (عب) (مصنف عبد الرزاق)، (صم) (السنة لابن أبي عاصم)، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، مسند الشاميين للطبراني، (حل) (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني)، (ن) (السنن الكبرى للنسائي)، (التمهيد) (لابن عبد البر، بحر الفوائد المشهور: (بمعاني الأخبار) للكلاباذي.



لَاتَّبَاعِ سَنَةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَيُؤَلَّفُ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَيُحَسِّنَ خَتَامَنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ
لَنَا مَا وَقَعَ مِنْ خَطَاٍ عَنْ عَمْدٍ أَوْ سَهْوٍ، وَيَنْفَعَ بِهِ كَاتِبَهُ وَقَارِئَهُ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ
عَلَيْهِ،،،

وكتبه المؤلفان

دكتور/ **نجيب الجيلاني** الشيخ/ **ثروت أبوالمجد**

وكان الفراغ منه يوم الجمعة ٢٩ ذو الحجة ١٤٤٥هـ / ٥ يوليو ٢٠٢٤م

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



(
:



١. ثمرات وفضائل الصيام

١. الفوز بمدح الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١). وذهب جمع من المفسرين وهم: أبو هريرة وابن عباس وابن مسعود وعائشة وابن جبير ومجاهد والحسن والضحاك وعطاء؛ بأن المراد بالسائحين: الصائمون^(٢). عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سِيَاحَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ: الصَّيَامُ^(٣). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ السَّيَاحَةَ: هُمُ الصَّائِمُونَ^(٤). عَنْ الضَّحَّاكِ، قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ «السَّائِحُونَ» فَإِنَّهُ الصَّائِمُونَ. قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: إِذَا تَرَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنِّسَاءَ فَهُوَ السَّائِحُ^(٥).

٢. إمكانية نوال التقوى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦).

٣. لا شيء يُعَادِلُهُ من العبادات الأخرى: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ» أَوْ قَالَ: «لَا مِثْلَ لَهُ»^(٧).

(١) [التوبة: ١١٢].

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٠)، وتفسير الطبري (١٢/ ١٣).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢/ ١٥).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢/ ١٣).

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢/ ١٥).

(٦) [البقرة: ١٨٣].

(٧) أحمد (٢٢٢٢٠)، ابن حبان (٣٤٢٦)، والنسائي (٢٢٢٣)، صحيح الجامع (٤٠٤٤).



وَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لَا يَكَادُ يَرَى فِي بَيْتِهِ الدُّخَانَ بِالنَّهَارِ، فَإِذَا رُئِيَ الدُّخَانُ بِالنَّهَارِ عَرَفُوا أَنَّ ضَيْفًا اعْتَرَاهُمْ مِمَّا كَانَ يَصُومُ هُوَ وَأَهْلُهُ.

٤. **شرف إضافته لله:** تشريفًا لقدره وتعظيمًا لفخره بخلاف غيره من العبادات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(١).

٥. **الفرح في الدنيا والآخرة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»^(٢).

٦. **إخفاء مقدار ثوابه عند الله:** قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله: وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، أَنِّي أَنْفَرْتُ بِعِلْمِ مِقْدَارِ ثَوَابِهِ، وَتَضَعِيفِ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ فَقَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ كُشِفَتْ مَقَادِيرُ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ، وَأَنَّهَا تُضَاعَفُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ عَلَيْهِ بَغِيرَ تَقْدِيرٍ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا السِّيَاقِ الرَّوَايَةُ الْأُخْرَى؛ يَعْنِي رِوَايَةَ الْمُوْطَّأِ، وَكَذَلِكَ رِوَايَةُ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ حَيْثُ قَالَ: كُلُّ عَمَلٍ بَنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، أَيُّ أَجْزِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِمِقْدَارِهِ^(٣).

٧. **الصَّوْمُ كَفَّارَةٌ لِلْخَطِيئَاتِ:** عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، قَالَ: سَمِعْتُ حَذِيفَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْفِتْنَةِ، قُلْتُ أَنَا كَمَا قَالَ: قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: «فِتْنَةٌ

(١) البخاري (١٨٩٤).

(٢) البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤/١٠٨).

الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ»...^(١). قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «فتنة الرجل»، أي ضلاله ومعصيته، أو ما يُعرض له من الشرِّ ويدخل عليه من المكروه. «في أهله» مما يُعرض له معهم من نحو همٍّ وحزنٍ، أو شغله بهم عن كثير من الخير وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم. «وماله» بأن يأخذه من غير حله ويصرفه في غير حله، ووجهه: أو بأن يشغله لفرط محبته له عن كثير من الخيرات. (و) فتنته في «نفسه» بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك. (و) فتنته في (ولده) بفرط محبته والشغل به عن المطلوبات الشرعية. (و) في (جاره) بنحو حسدٍ وفخرٍ ومزاحمةٍ في حقٍ وإهمالٍ في تعهدٍ. ونبه بالأربع على ما سواها «يكفرها» أي الفتنة المتصلة بما ذكر (الصَّيَامَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّدَقَةَ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ) لَأَنَّ الحسنات يُذهبن السيئات، ونبه به على ما عداها فنبه بالصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ على العبادة الفعلية، وبالصَّدَقَةَ على المالية، وبالأمر والنهي على القولية، وهي أصول المكفرات، والمراد الصَّغَائِرُ فقط. ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَمَا بَعْدَهَا يُكْفِرُ الْمَذْكُورَاتِ كُلَّهَا لَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا! وخص الرجل لَأَنَّهُ غَالِبًا صَاحِبُ الْحَكَمِ فِي دَارِهِ وَأَهْلِهِ، وَإِلَّا فَالنِّسَاءُ شِقَاقُ الرِّجَالِ فِي الْحَكَمِ^(٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣).

(١) البخاري (٥٢٥)، ومسلم (١٤٤).

(٢) المناوي: فيض القدير (٤/٤٢٣).

(٣) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).



٨. **الصَّوْمُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الصَّوْمُ جَنَّةٌ**»^(١)، وَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا فَلَا يَرُفْثُ، وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ أَحَدٌ شَتَمَهُ - أَوْ فَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَهُ - فَلْيَقُلْ: **إِنِّي صَائِمٌ**»^(٢). وفي لفظ: عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَعَا بِلَبَنٍ، فَقُلْتُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الصَّوْمُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كَجَنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ**»^(٣) «وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»^(٤). قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة وحفظ الجوارح، وفي الآخرة من النار^(٥). وقال: «**الصَّوْمُ جَنَّةٌ**» من عذاب الله فليس للنار عليه سبيل، كما لا سبيل لها على مواضع الوضوء، لأنَّ الصَّوْمَ يغمر البدن كله، فهو جنة لجميعه برحمة الله من النار. قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: وحسبك بهذا فضلاً للصائم.

٩. **الصَّوْمُ يُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ**: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»^(٦). وفي رواية: «**مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ**»^(٧).

-
- (١) (الْجَنَّةُ): الْوَقَايَةُ. «الصَّوْمُ جَنَّةٌ»، أَي: مَانِعٌ مِنَ الْمَعَاصِي، بِكَسْرِ الْقُوَّةِ وَالشَّهْوَةِ. وَقَالَ فِي النَّهَائَةِ: «الصَّوْمُ جَنَّةٌ»، أَي: يَتَّبَعُ صَاحِبُهُ مَا يُؤْذِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ. تحفة الأحوذى (٢/ ١٤٨).
- (٢) البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).
- (٣) (س) (٢٢٣١)، (حم) (١٥٨٣٩)، (ت) (٧٦٤)، صحيح الجامع: (٣٨٧٩).
- (٤) (حم) (٩٢١٧)، (هب) (٣٥٧١)، انظر صحيح الجامع: (٣٨٨٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (٩٨٠).
- (٥) المناوي: فيض القدير (٤/ ٢٤٢).
- (٦) البخاري (٢٨٤٠).
- (٧) (س) (٢٢٥٤)، انظر صحيح الجامع: (٦٣٣٠)، والصحيحة: (٢٥٦٥).

وفي رواية: «جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

١٠. الصَّوْمُ غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ: عَنْ عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ الْجَمْعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّوْمُ فِي الشَّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ»^(٢). قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: المؤمن يَقْدِرُ فِي الشَّتَاءِ عَلَى صِيَامِ نَهَارِهِ، مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا كَلْفَةٍ تَحْصُلُ لَهُ، مِنْ جُوعٍ وَلَا عَطَشٍ؛ فَإِنَّ نَهَارَهُ قَصِيرٌ بَارِدٌ، فَلَا يَحْسُ فِيهِ بِمَشَقَّةِ الصِّيَامِ. وَمَعْنَى كَوْنِهَا غَنِيمَةً بَارِدَةً: أَنَّهَا غَنِيمَةٌ حَصَلَتْ بِغَيْرِ قِتَالٍ، وَلَا تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ، فَصَاحِبُهَا يَحْزُوزُ هَذِهِ الْغَنِيمَةَ عَفْوًا صَفْوًا، بِغَيْرِ كَلْفَةٍ^(٣).

١١. الصَّائِمُونَ لَهُمْ بَابٌ يَخْصُهُمْ: عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٤). قال عز الدين بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَا تَخْصِيصُ دَخُولِهِمْ الْجَنَّةَ بِبَابِ الرِّيَّانِ، فَإِنَّهُمْ مُيزُوا بِذَلِكَ الْبَابِ لَتَمِيزِ عِبَادَتِهِمْ وَشَرَفِهَا^(٥). قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ الرِّيَّانِ: وَقَعَتِ الْمُنَاسَبَةُ فِيهِ بَيْنَ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيِّ وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِحَالِ الصَّائِمِينَ^(٦). الرِّيَّانُ: مَسْمَى يَبْعَثُ عَلَى الرَّاحَةِ. انْظُرْ يَا أَخِي كَيْفَ قَابَلَ اللَّهُ ظَمَأَهُمْ وَعَطَشَهُمْ بِبَابٍ مَسْمَاهُ يَبْعَثُ عَلَى الرَّاحَةِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْدَّخْلِ وَرِيَّهِ؟!

(١) (ت) (١٦٢٤)، (طس) (٣٥٧٤)، صحيح الجامع: (٦٣٣٣)، الصحيحة: (٥٦٣).

(٢) (حم) (١٨٩٧٩)، (ش) (٩٧٤١)، (ت) (٧٩٧)، صحيح الجامع (٣٨٦٨).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٢٦).

(٤) البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٥) فوائد الصوم، لعز الدين بن عبد السلام.

(٦) فتح الباري لابن حجر (٤/ ١١١).



١٢. نوال شفاعة الصيام: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ، مَنْعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(١).

١٣. للصائم دعوة لا تُرد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٢).

١٤. طيب رائحة أفواه الصائمين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الصَّيَامُ جَنَّةٌ فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(٣).

١٥. الفوز بغرفٍ مميزة في الجنة: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَبَطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»^(٤)، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ»^(٥)، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ»^(٦).

(١) (حم) (٦٦٢٦)، (ك) (٢٠٣٦)، انظر صحيح الجامع: (٣٨٨٢).

(٢) شعب الإيمان (٣٣٢٣)، صحيح الجامع: (٣٠٣٠).

(٣) البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٤) لِكُونِهَا شَفَافَةً لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا. تحفة الأحوذى (٢٢٦/٥).

(٥) أَيُّ: لِمَنْ لَهُ خُلِقَ حَسَنٌ مَعَ الْأَنَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، فَيَكُونُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، الْمُؤَصِّفِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾. تحفة (٢٢٦/٥).

(٦) أَيُّ: لِلْعِبَالِ وَالْفُقَرَاءِ، وَالْأَضْيَافِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. تحفة الأحوذى (٢٢٦/٥).

وَأَدَامَ الصَّيَّامَ^(١)، وَصَلَّى اللَّهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامًا^(٢).

١٦. التَّعُودُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»^(٣).

١٧. التَّخْلُصُ مِنَ الْغُلِّ وَالْحَقْدِ وَالْوَسَاوِسِ: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ^(٤)؟ صَوْمٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»^(٥). وَفِي رَوَايَةٍ: «صَوْمٌ شَهْرٍ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ»^(٦). قَوْلُهُ: وَحَرَ صَدْرُهُ: أَيُّ الْغُلِّ وَالْحَقْدِ وَالْوَسَاوِسِ.

١٨. التَّحَصُّنُ بِحِصْنِ الْمُؤْمِنِينَ: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَهُوَ حِصْنٌ مِنْ حِصُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلُّ عَمَلٍ لِصَاحِبِهِ، وَالصَّيَّامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٧). يَعْنِي: وَقَايَةً وَحِصْنًا حَصِينًا مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ.

(١) أَي: أَكْثَرَ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، بِحَيْثُ تَابَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يَقْطَعُهَا رَأْسًا، قَالَهُ ابْنُ الْمَلِكِ. وَقِيلَ: أَقْلُهُ أَنْ يَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. تَحْفَةُ الْأَحْوذِي (٥/٢٢٦).

(٢) (ت) (٢٥٢٦)، (١٩٨٤)، (حم) (١٣٣٧)، انظر صحيح الجامع: (٢١٢٣).

(٣) البخاري (١٨٩٤)، مسلم (١١٥١)، واللفظ لمسلم.

(٤) (وَحَرَ الصَّدْرُ): مَا يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْكُدُورَاتِ وَالْقَسْوَةِ، وَقِيلَ: الْحَقْدُ وَالْغَيْظُ، وَقِيلَ: أَشَدُّ الْغَضَبِ، كَذَا فِي النَّهَائَةِ. شرح سنن النسائي (٣/٤٤٤).

(٥) (س) (٢٣٨٥)، (عب) (٧٨٦٧)، انظر صحيح الجامع: (٢٦٠٨)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٠٣٦).

(٦) (حم) (٢٠٧٥٧)، (ش) (٣٦٦٣٥)، انظر صحيح الجامع: (٣٨٠٤).

(٧) المعجم الكبير للطبراني (٧٦٠٨)، انظر صحيح الجامع: (٣٨٨١).



١٩. الفوز بحسن الخاتمة: عَنْ حَذِيفَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُتِمَ لَهُ بِصِيَامٍ يَوْمٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). أَخِي: مَنْ تَرَكَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا طَعَامًا وَشَرَابًا وَشَهْوَةً مَدَّةَ سِيرَةٍ؛ عَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْهُ طَعَامًا وَشَرَابًا لَا يَنْفَدُ، وَأَزْوَاجًا لَا يَمْتَنُ أَبَدًا. مَهْوَرُ الْحُورِ الْعَيْنِ: طَوْلُ التَّهَجُّدِ وَكَثْرَةُ الصَّيَامِ^(٢).

٢٠. نوال العتق من النيران: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرِ^(٣) عَتَقَاءَ^(٤) وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ^(٥)»^(٦).

من أقوال العلماء في الباب:

* للصيام فوائد صحية كثيرة، منها: يُساعد ذلك على التخلص من السموم من خلال الكبد والكلية وباقي أعضاء الجسم المسؤولة عن التخلص من السموم. بعض الدراسات قد أكدت أَنَّ الصَّيَامَ يُساعد على شفاء بعض الأمراض من الالتهابات والحساسية كالتهاب المفاصل، والصدفية. الصَّيَامُ يُساعد على خفض مستويات السكر في الدَّم. فيُساعد على تعزيز المحتوى الغذائي للجسم من الفيتامينات والمعادن. أيضًا فيتامين A و E هي عناصر ممتازة لمضادات الأكسدة، وهي تُساعد على تقوية جهاز المناعة أيضًا^(٧).

(١) مسند البزار = البحر الزخار (٢٨٥٤)، صحيح الجامع: (٦٢٢٤).

(٢) بتصرف من: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٥٩).

(٣) أَي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ كُلِّ وَقْتِ فِطْرٍ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَهُوَ تَمَامُ الْغُرُوبِ. فَيُضُّ الْقَدِيرُ (٦٠٦/٢).

(٤) أَي: عَتَقَاءُ مِنْ دُخُولِ نَارِ جَهَنَّمَ. فَيُضُّ الْقَدِيرُ (٦٠٦/٢).

(٥) أَي: فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ. فَيُضُّ الْقَدِيرُ (٦٠٦/٢).

(٦) (ج٥) (١٦٤٣)، (حم) (٢٢٢٥٦)، انظر صحيح الجامع: (٢١٧٠).

(٧) ماجد بن خنجر البنكاني: فوائد وثمرات الصيام، موقع صيد الفوائد: <http://www.saaaid.net/Doat/majed-eslam/25.htm>

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^(١).
 قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين. قال يعقوب بن يوسف الحنفي: بلغنا أن
 الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد
 قلصت شفاهكم عن الأشرية، وغارت أعينكم وخفقت بطونكم؛ كونوا اليوم في
 نعيمكم، وتعاطوا الكأس فيما بينكم. وقال الحسن: تقول الحوراء لولي الله
 وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف
 بعيد ما بين الطرفين، وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش، فباهى بك
 الملائكة، وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه
 من أجلي، رغبة فيما عندي، أشهدوا أنني قد غفرت له؛ فغفر لك يومئذ
 وزوجنيك^(٢).

* قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: يَأْيُهَا النَّاسُ إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ شَفِيقٌ، صَلُّوا فِي
 ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَوْحِشَةِ الْقُبُورِ، وَصُومُوا الدُّنْيَا لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ، وَتَصَدَّقُوا مَخَافَةَ
 يَوْمِ عَسِيرٍ، يَأْيُهَا النَّاسُ إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ شَفِيقٌ^(٣).

* يقول الإمام الكمال بن الهمام - أحد فقهاء الحنفية - في فوائد الصوم:
 الصَّوْمُ .. سُكُونُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَكَسْرُ سَوَرَتِهَا فِي الْفُضُولِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِجَمِيعِ
 الْجَوَارِحِ مِنَ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالْأُذُنِ وَالْفَرْجِ، فَإِنَّ بِهِ تَضَعُفُ حَرَكَتِهَا فِي
 مُحْسُوسَاتِهَا، وَلِذَا قِيلَ: إِذَا جَاعَتِ النَّفْسُ شَبِعَتْ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ وَإِذَا شَبِعَتْ

(١) [الْحَاقَّةُ: ٢٤].

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/٤٩٦).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/٢٧٦).



جَاعَتْ كُلُّهَا^(١).

* عن بعض السلف قال: بلغنا أنه يُوضع للصوم مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب، فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطروا، وقاموا ونمتهم^(٢).

* كان بن عبد البر يقول: كَفَى بِقَوْلِهِ: «الصَّوْمُ لِي» فَضْلاً لِلصَّيَامِ، عَلَى سَائِرِ الْعِبَادَاتِ^(٣).

* وَقِيلَ لِلْأَخْنَفِ: إِنَّكَ كَبِيرٌ، وَالصَّوْمُ يُضْعِفُكَ؟! قَالَ: إِنِّي أَعِدُّهُ لِسَفَرٍ طَوِيلٍ^(٤).

* قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ، عَنِ الْكَذِبِ، وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً^(٥).

* وَقَالَ الْبَيْضاوي رحمته الله: لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنَ شَرْعِيَّةِ الصَّوْمِ نَفْسُ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ؛ بَلْ مَا يَتَّبَعُهُ مِنْ كَسْرِ الشَّهَوَاتِ، وَتَطْوِيعِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ نَظَرَ الْقَبُولِ^(٦).



(١) فتح القدير (٤/٢٦٧).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٥٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤/١٠٨).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/٩١).

(٥) البيهقي: شعب الإيمان (٥/٢٤٧).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٤/١١٧).

٢. ثمرات وفضائل ليلة القدر

١. إنزال القرآن الكريم فيها: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١). عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ اللَّهُ يُحَدِّثُ لَنَبِيِّهِ مَا يَشَاءُ، وَلَا يَجِيءُ الْمُشْرِكُونَ بِمِثْلِ يُخَاصِمُونَ بِهِ إِلَّا جَاءَهُمُ اللَّهُ بِجَوَابِهِ^(٢).

٢. أنها ليلة مباركة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^(٣). أَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاهُ بِهَذَا الْكِتَابِ، أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ^(٤).

٣. أنها خير من ألف شهر: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٥). قَالَ: عَمَلُهَا وَصِيَامُهَا وَقِيَامُهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ^(٦). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»^(٧).

(١) [القدر: ١].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٥٠٢).

(٣) [الدخان: ٣].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢١/ ٥).

(٥) [القدر: ٣].

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٥٤٥).

(٧) (ج٢) (١٦٤٤)، وله شاهد عن أبي هريرة في (س) (٢١٠٦)، و (حم) (٧١٤٨)، صحيح الجامع: (٢٢٤٧).



٤. ليلة تنزل فيها الملائكة: قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(١). أَي: يَكْثُرُ تَنْزُلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكثَرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ مَعَ تَنْزُلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَنْزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بِحَلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقِ تَعْظِيمِهَا^(٢).

٥. ليلة تُقَدَّرُ فيها الآجال والأرزاق: قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٣). يُقْضَى فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ رِزْقٍ أَوْ مُصِيبَةٍ، ثُمَّ يُقَدَّمُ مَا يَشَاءُ، وَيُؤَخَّرُ مَا يَشَاءُ، فَأَمَّا كِتَابُ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يُغَيَّرُ. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مِنْ كِتَابٍ سِوَى أَمِّ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يُغَيَّرُ مِنْهُ شَيْءٌ^(٤). قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، يُقْضَى فِيهَا أَمْرُ السَّنَةِ كُلُّهَا مِنْ يَمُوتُ، وَمَنْ يُولَدُ، وَمَنْ يُعَزَّزُ، وَمَنْ يُذَلُّ، وَسَائِرُ أُمُورِ السَّنَةِ^(٥).

٦. أَنَّهَا سَلَامٌ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٦). سَلَامٌ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَتِهَا^(٧). عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ^(٨). عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: هِيَ سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ

(١) [القدر: ٤].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨ / ٤٤٤).

(٣) [الدخان: ٤].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٣ / ٥٦٢).

(٥) تفسير الطبري (٧ / ٢١).

(٦) [الدخان: ٥].

(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤ / ٥٤٨).

(٨) البيهقي: شعب الإيمان (٣٤٢٤).

فِيهَا سُوءًا وَلَا يُحْدِثُ فِيهَا أَدَى^(١).

٧. مغفرة الذنوب لمن قامها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢). أي إيمانًا بثواب الله واحتسابًا، أي طلب الأجر من الله والبعد عن الرياء والسمعة.

٨. استجابة الدعاء: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي»^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال العلامة السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فالعمل الذي يقع فيها، خيرٌ من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول؛ حيث من تبارك وتعالى على هذه الأمة الضَّعِيفَةُ الْقُوَّةَ وَالْقُوَى، بَلِيلَةٍ يكون العمل فيها يُقَابَلُ وَيُزِيدُ على ألف شهر، أي: عمر رجل معمرًا عمرًا طويلاً نيفًا وثمانين سنة^(٤).

* قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرُهَا مِنَ اللَّيَالِي^(٥).

* قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٦)؛ ليلة الحكم.

(١) شعب الإيمان (٣٤٢٥).

(٢) البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) (ت) (٣٥١٣)، (ج) (٣٨٥٠)، (حم) (٢٥٤٢٣)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٤٤٢٣).

(٤) تفسير السَّعْدِيِّ = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣١).

(٥) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٠١).

(٦) [القدر: ١].



* قال الإمام ابن الجوزي رحمته الله: في تسميتها بذلك خمسة أقوال؛ **أحدها**: **القدر**: العظمة، **الثاني**: من الضيق؛ أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون، **الثالث**: أن **القدر**: **الحكم**، **الرابع**: لأن من لم يكن له قدر، صار بمراعاتها ذا قدر، **الخامس**: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر.

* قال **الضحّاك** رحمته الله: لا يُقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا **السلامة**، وقال: لا يحل لكوكب أن يُرجم به فيها حتى تصبح.

* قال الإمام **السّمعاني** رحمته الله: ﴿**سَلَامٌ هِيَ**﴾^(١)؛ أي: سلامة، والمعنى: أنه لا يُعمل فيها داء ولا سحر، ولا شيء من عمل الشياطين والكهنة.

* قال **عطاء** رحمته الله: ﴿**سَلَامٌ**﴾^(٢): يُريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته.

* قال **مجاهد** رحمته الله في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ هِيَ**...﴾^(٣): سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، أو يعمل فيها أذى.

* قال **الشّعبي** رحمته الله: هو تسليم الملائكة ليلة **القدر** على أهل المساجد، من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

* قال **الكلبي** رحمته الله: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة، سلّموا عليه من ربه، حتى مطلع الفجر.

* قال **الفراء** رحمته الله: لا يُقدر الله في ليلة **القدر** إلا **السّعادة** و**النّعم**، ويُقدر في غيرها **البلايا** و**النقم**.

* قال الإمام **البغوي** رحمته الله: ليلة **القدر** **سلامٌ** وخيرٌ كلها، ليس فيها شر.

(١) [القدر: ٥].

(٢) [القدر: ٥].

(٣) [القدر: ٥].

* قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: ليلة القدر... يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة؛ لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع نزول البركة والرحمة، كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم.

* قال ابن تيمية رحمته الله: وبعضهم يعين لها ليلة من العشر الأواخر، والصحيح: أنها في العشر الأواخر تتنقل.

* قال ابن حجر رحمته الله: وأرجحها كلها: أنها في وتر من العشر الأخير، وأنها تتنقل كما يفهم من أحاديث هذا الباب.

* وقال ابن باز رحمته الله: وهذا هو الصواب؛ أنها تتنقل في العشر.

* قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: إن شهر رمضان شهر وجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر. وقال: يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر؛ فإنها تحسب بالعمري... فالمبادرة المبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقي من الشهر؛ فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر.



٣. ثمرات وفضائل الزواج

١. نوال النعمة من الله: وحسبك أن النبي ﷺ يبين لنا أن الزواج نعمة عظيمة حقيق بأن تشكر، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَاسُ وَتَرْبَع؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(١).

٢. امتداد لما بعد الموت: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

٣. سبب في رفع الدرجات في الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟» فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَكَ لَكَ»^(٣).

٤. فيه تحصين للفرج: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٤). وفي رواية مسلم: «فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ

(١) مسلم (٢٩٦٨). فل ترخيم فلان.

(٢) مسلم (١٦٣١). (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله) قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف.

(٣) (حم) (١٠٦١٨)، (ج) (٣٦٦٠)، صحيح الجامع: (١٦١٧)، الصحيحة: (١٥٩٨).

(٤) البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

لَهُ وَجَاءٌ».

٥. طريق إلى السَّكَن والاستقرار: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: فَلَا أُلْفَةَ بَيْنَ زَوْجَيْنِ أَعْظَمَ مِمَّا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ السَّاحِرَ رُبَّمَا تَوَصَّلَ بِكَيْدِهِ إِلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ^(٢). وقال: ثُمَّ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بَنَى آدَمَ أَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَهُمْ مِنْ جَنْسِهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَوَدَّةً: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ، وَرَحْمَةً: وَهِيَ الرَّأْفَةُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُمْسِكُ الْمَرْأَةَ إِمَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهَا، أَوْ لِرَحْمَةٍ بِهَا، بَأَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْهُ وَلَدٌ، أَوْ مُحْتَاجَةً إِلَيْهِ فِي الْإِنْفَاقِ، أَوْ لِلْأُلْفَةِ بَيْنَهُمَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٣).

٦. بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بَضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَّاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»^(٤).

(١) [الروم: ٢١].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٥٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٣٠٩).

(٤) مسلم (١٠٠٦).



٧. إصابة سنن الأنبياء والمرسلين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(١). قال الطبري: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ إِلَى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ أُمَّتِكَ فَجَعَلْنَاهُمْ بَشَرًا مِثْلَكَ، لَهُمْ أَزْوَاجٌ يَنْكِحُونَ، وَذُرِّيَّةٌ أَنْسَلُوهُمْ، وَلَمْ نَجْعَلْهُمْ مَلَائِكَةً لَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْكِحُونَ^(٢). وفي الصحيحين: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٣).

(١) [الرعد: ٣٨].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٣/٥٥٨).

(٣) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١). (رهط) قيل: هم علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص. وعثمان بن مظعون رضي الله عنه. (تقالوها) عدوها قليلة. (ذنبه) ذنبه ﷺ على حسب مقامه وما يعتبر ذنباً في حقه ليس هو من جنس الذنوب حقيقة ولو فعله غيره لا يسمى ذنباً. كفعله خلاف الأولى ونحو ذلك. (أبدًا) دائماً دون انقطاع. (الدهر) أي أوصل الصيام يوماً بعد يوم. (لأخشاكم لله واتقاكم له) أكثركم خوفاً منه وأشدكم تقوى. (أرقد) أنام. (رغب عن سنتي) مال عن طريقي وأعرض عنها. (فليس مني) أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرهاً لها أو عن عدم اعتقادها. أن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت.

٨. **الأجر على النفقة:** عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»^(١). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»^(٢).

٩. **إعانة الله للمتزوج:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»^(٣). (الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لَاعِلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. (وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ) أَيِ الَّذِي نِيَّتَهُ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ. (وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ) أَيِ الْمَتَزَوِّجِ بِقَصْدِ عِفَّةٍ فَرَجَهُ عَنِ الزَّوْنِ وَاللَّوْاطِ، خَصَّ الثَّلَاثَةَ لِأَنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الشَّاقَةِ، وَاشْتَقَّهَا الثَّلَاثُ^(٤). لِأَنَّهُ قَمَعَ الشَّهْوَةَ الْجَبَلِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي النَّفْسِ، وَهِيَ مُقْتَضَى الْبَهِيمِيَّةِ النَّازِلَةِ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ، فَإِذَا اسْتَعَفَّ وَتَدَارَكَهُ عَوْنُ إِلَهِي تَرَقَّى إِلَى مَنْزِلَةِ الْمَلَائِكَةِ فِي أَعْلَى عَالَمِينَ^(٥).

١٠. **سبب للغنى وكثرة الرزق:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

(١) البخاري (٥٦)، مسلم (١٦٢٨). (في في امرأتك) في فم امرأتك أي تثاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام وغيره، أو المراد ما تطعمه زوجتك بيدك مؤانسة وحسن معاشرة.

(٢) مسلم (٩٩٥).

(٣) (ت) (١٦٥٥)، (س) (٣١٢٠)، (ج) (٢٥١٨)، (حم) (٧٤١٠)، انظر صحيح صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٧٤).

(٥) فيض القدير - ط العلمية (٣/٤١٨).



عَلِيمٌ (١). عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: أَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ النِّكَاحِ يُنْجِزَ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: التَّمَسُّوا الرِّزْقَ بِالنِّكَاحِ.

١١. **يُؤْجَرُ عَلَى إِيْتَانِ أَهْلِهِ فِي الْحَلَالِ**: عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَيْءٌ قَالَ: «أَجَلٌ، مَرَّتْ بِي فُلَانَةٌ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ، فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصْبَبْتُهَا، فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، فَإِنَّهُ مِنْ أَمْثَلِ أَعْمَالِكُمْ إِيْتَانُ الْحَلَالِ» (٢). قَالَ الْعِرَاقِيُّ: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي وَقَعَ فِي قَلْبِهِ بِرُؤْيَيْهَا إِنَّمَا هُوَ الْمِيلُ إِلَى جِنْسِ النِّسَاءِ لَا إِلَى شَخْصِهَا بَعِينِهَا، وَلِهَذَا عَالَجَهُ بِمُبَاشَرَةِ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ﷺ (٣). قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُبَاحَاتِ تَصِيرُ طَاعَاتٍ بِالنِّيَّاتِ الصَّادِقَاتِ، فَالْجَمَاعُ يَكُونُ عِبَادَةً إِذَا تَوَيَّ بِهٍ قَضَاءَ حَقِّ الزَّوْجَةِ وَمُعَاشَرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، أَوْ طَلَبَ وَلَدٍ صَالِحٍ، أَوْ إِعْفَافَ نَفْسِهِ، أَوْ إِعْفَافِ الزَّوْجَةِ وَمَنْعَهُمَا جَمِيعًا مِنَ النَّظَرِ إِلَى حَرَامٍ، أَوْ الْفِكْرِ فِيهِ، أَوْ الْهَمِّ بِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّالِحَةِ (٤).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَحْيَى بْنُ عِيسَى بْنُ حَسَنَ بْنِ إِدْرِيسَ، أَبُو الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيُّ، الْوَاعِظُ، الزَّاهِدُ [ت: ٥٥٢ هـ]... وَكَانَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بَنِيَّةً. وَكَانَ مِنْ جِيَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَرُزِقَ أَوْلَادًا صَالِحِينَ فَسَمَّاهُمْ أَبَا بَكْرٍ، وَعَمْرُ،

(١) [النور: ٣٢].

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٨٠٢٧)، الصحيحة (٢٣٥).

(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢١٦/١٥).

(٥) شرح النووي على مسلم (٩٢/٧).

وعثمان، وعلي. وكان أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر مُستجاب الدعوة ..
وكان هو وزوجته يصومان النهار ويقومان الليل، وختما أولادهما القرآن^(١).

* قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا
وَذُرِيَّةً﴾^(٢)، قال الإمام القرطبي رحمه الله: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ
وَالْحُضِّ عَلَيْهِ، وَتَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ، وَهُوَ تَرْكُ النِّكَاحِ، وَهَذِهِ سُنَّةُ الْمُرْسَلِينَ كَمَا
نَصَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ، وَالسُّنَّةُ وَارِدَةٌ بِمَعْنَاهَا^(٣).

* قال الإمام الغزالي رحمه الله: النكاح سبب دفع غائلة الشهوة، فإن الشهوة إذا
غلبت، ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش.

* قال العلامة ابن القيم رحمه الله: اختار لنبيه محمد ﷺ: أفضل الأشياء فلم
يختر له ترك النكاح؛ بل زوجه بتسع فما فوقهن، ولا هدى فوق هديته.

* ولو لم يكن فيه إلا سرور النبي ﷺ يوم المباهاة بأمنته. ولو لم يكن فيه إلا
أنه بصدد أنه لا ينقطع عمله بموته. ولو لم يكن فيه إلا أنه يخرج من صلبه من
يشهد لله بالوحدانية ورسوله بالرسالة. ولو لم يكن فيه إلا غض بصره،
وإحصان فرجه عن التفاته إلى ما حرم الله. ولو لم يكن فيه إلا تحصين امرأة
يعفها الله به، ويثيبه على قضاء وطره ووطرها، فهو في لذاته وصحائف حسناته
تتزايد. ولو لم يكن فيه إلا ما يثاب عليه من نفقته على امرأته وكسوتها ومسكنها
ورفع اللقمة إلى فيها. ولو يكن فيه إلا تكثير الإسلام وأهله وغيظ أعداء
الإسلام. ولو لم يكن فيه إلا تعرضه لبنات إذا صبر عليهن وأحسن إليهن كن له

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ت بشار (٥٩/١٢).

(٢) [الرعد: ٣٨].

(٣) تفسير القرطبي (٩/٣٢٧).



سترًا من النار. ولو لم يكن فيه إلا أَنَّهُ إِذَا قَدَّمَ لَهُ فَرَطِينَ لَمْ يَبْلُغَا الْحِنْتَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ
بِهِمَا الْجَنَّةَ. ولو لم يكن فيه إلا استجلابه عون الله له، فَإِنَّ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ:
«ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ^(١) الَّذِي يُرِيدُ
الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»^(٢).



(١) الْمُكَاتِبُ: عَبْدٌ عَلَّقَ سَيِّدُهُ عِتْقَهُ عَلَى إِعْطَائِهِ كَذَا مِنْ الْمَالِ. تحفة (٨/ ٤٦٠).

(٢) (ت) ١٦٥٥، (س) ٣١٢٠، (ج) ٢٥١٨، (حم) ٧٤١٠، انظر صحيح الترغيب والترهيب:
١٣٠٨، ١٩١٧، المشكاة: ٣٠٨٩.

٤. ثمرات اختيار الزوجة الصالحة

١. نوال السَّكن والمودة والرحمة: الأصل في الزواج أنه من أعظم الأسباب الجالبة للسَّعادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ﴾^(١).
تأمل: سكن + مودة + رحمة.

٢. تحصيل السرور: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»^(٢). فقلوه ﷺ: من تسرك إذا أبصرت: كناية عن جمال الخلقة ونظافة الملبس، وكمال الزينة. أي: أفصلهن، وأكثرهن بركة للزوج؟ هي التي تعجبه إذا نظر إليها؛ لحسنها عنده، وما هي عليه من زينة ونظافة، وقيل: لدوام اشتغالها بالطاعات، «وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ»، أي: إذا أمرها بمعروف ليس فيه معصية، أطاعته، وسعت في تلبية حاجته، «وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»، أي: لا تفعل الفاحشة، أو تنفق ماله فيما لا يحب، أو ما لا يحل الإنفاق فيه، وكل ذلك مما يكره الزوج، وقيل: ذِكْرُ الضَّمِيرِ فِي الْمَالِ عَائِدًا عَلَى الزَّوْجَةِ، والمعنى: ماله الذي بيدها. وفي الحديث: الحثُّ في الزواج على طلب ذات الدين.

(١) [الروم: ٢١].

(٢) رواه أحمد والنسائي والحاكم، انظر صحيح الجامع رقم (٣٢٩٨)، والصحيحة رقم (١٨٣٨).



٣. **أنها من خير متاع الدنيا:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ^(١)، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ^(٢)»^(٣).

٤. **من أفضل ما يحصله المرء في حياته:** عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبْرَتَهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا^(٤)». «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ» وَهِيَ ارْتِكَابُ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابُ الزَّوَاجِرِ. «خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ» أَي: فِيمَا لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ، إِذْ وَرَدَ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ عَلَى مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ. «وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ» أَي: جَعَلَتْهُ مَسْرُورًا بِحُسْنِ صُورَتِهَا وَسِيرَتِهَا وَلُطْفِ مُعَاشَرَتِهِ وَمُبَاشَرَتِهِ. «وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا» أَي: فِي أَمْرِ هِيَ تَكْرَهُ فِعْلَهُ وَتَرَكَّهُ وَهُوَ يُرِيدُهُ. «أَبْرَتَهُ» أَي: جَعَلَتْهُ بَارًّا، أَوْ قَسَمَهُ مَبْرُورًا بِالْمُوَافَقَةِ وَتَرْكِ الْمُخَالَفَةِ إِثَارًا لِمَرْضَاتِهِ. «وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ» أَي: بِالْأَمَانَةِ^(٥).

(١) قال الطيبي: المتاع من التمتع بالشيء، وهو الانتفاع به، وكل ما ينتفع به من عروض الدنيا متاع. فيض القدير (٧٣٢/٣).

(٢) المراد بالصالحة: النقية المصلحة لحال زوجها في بيته، المطيعة لأمره. فيض القدير (٧٣٣/٣).

(٣) مسلم (١٤٦٧).

(٤) (جدة) (١٨٥٧)، (طس) (٢١١٥)، انظر السلسلة الضعيفة: (٤٤٢١)، انظر حديث رقم: (٤٩٩٩) في ضعيف الجامع، لكن ثبت معناه في حديث خير النساء السابق.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٠٤٩/٥).

٥. من أفضل الأموال التي يكتسبها الإنسان: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾^(١) قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَتْ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَتَخَذَهُ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تَعِينُهُ عَلَى إِيْمَانِهِ»^(٢). أَيُّ عَلَى دِينِهِ بِأَنْ تَذْكُرَهُ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَتَمْنَعَهُ مِنَ الزُّنَى وَسَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ^(٣).

٦. سَبَبٌ لِلسَّعَادَةِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكِنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»^(٤).

٧. يَسْتَكْمِلُ بِهَا شَطْرَ دِينِهِ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَزَوَّجَ الْعَبْدُ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الدِّينِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي»^(٥). وَذَلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْبَلَاءِ الْفَادِحِ فِي الدِّينِ؛ شَهْوَةُ الْبَطْنِ وَشَهْوَةُ الْفَرْجِ، وَبِالْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ تَحْصُلُ الْعِفَّةُ عَنِ الزَّانَا، وَهُوَ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ، فَيَبْقَى الشَّطْرُ الثَّانِي؛ وَهُوَ شَهْوَةُ الْبَطْنِ، فَأَوْصَاهُ بِالتَّقْوَى فِيهِ لِتَكْمُلَ دِيَانَتُهُ، وَتَحْصُلَ اسْتِقَامَتُهُ^(٦).

(١) [التوبة: ٣٤].

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٣٠٩٤)، صحيح الجامع (٥٣٥٥)، الصحيحة (٢١٧٦).

(٣) تحفة الأحوذى (٨ / ٣٩٠).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (١٤٤٥)، الصحيحة (١٨٠٣)، صحيح الجامع (٣٦٢٩).

(٥) انظر صحيح الجامع رقم (٤٣٠)، (٦١٤٨).

(٦) المناوي: فيض القدير (٦ / ١٣٧).



٨. **حث وترغيب النبي ﷺ فيها:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**»^(١).

وفي لفظ: «**فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»^(٢). قال ابن عرفة: أراد تربت يداك إن لم تفعل ما أمرتك به. قال ابن الأنباري: معناه الله درك إذا ما استعملت ما أمرتك به واتعظت بعظتي^(٣).

٩. **أنها تسعى لإرضاء زوجها إذا غضب:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**كُلُّ وَلَوْدٍ وَدُودٍ، إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ - أَيْ: زَوْجُهَا - قَالَتْ: هَذِهِ يَدَيَّ فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغَمَضٍ حَتَّى تَرْضَى**»^(٤).

من أقوال العلماء في الباب:

*** قال بعضهم:**

سعادة المرء في خمس إذا اجتمعت صلاح جيرانه والبر في ولده
وزوجة حسنة أخلاقها وكذا خل وفي ورزق المرء في بلده

(١) البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦). (تنكح) تتزوج ويرغب فيها. (لأربع) لأجل خصال أربع مجتمعة أو منفردة. (لحسبها) هو ما يعده الناس من مفاخر الآباء وشرفهم. (فاظفر) من الظفر وهو غاية البغية ونهاية المطلوب. (تربت يداك) هو في الأصل دعاء. معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب والحث على الشيء وهذا هو المراد هنا.

(٢) مسلم (٧١٥).

(٣) المعلم بفوائد مسلم (١/٣٧٣).

(٤) (طص) (١١٨)، (ن) (٩١٣٩)، (الضياء) (٤٢٤)، (هب) (٨٧٣)، المعجم الأوسط (١٧٤٣)، الصحيحة (٣٣٨٠)، صحيح الجامع (٢٦٠٤).

* كان ابن مسعود رضي الله عنه: لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام، لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزباً^(١).

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: التمسوا الغنى في النكاح^(٢).

* قال أبو بكر رضي الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى^(٣).

* سعادة العيش في سبعة أشياء: الزوجة الصالحة، والولد البار، والأخ المساعد، والخادم العاقل، والعافية السابغة، والقوت الكافي، والأمن الشامل.

* قال العلامة الذهبي رحمته الله: كانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد^(٤)، فأبى عليه^(٥)، فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربته مائة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرّة ماء وألبسه جبة صوف ... عن ابن أبي وداعة -يعني: كثيراً- قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب^(٦)، ففقدني أياماً فلما جئته، قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي^(٧)، فاشتغلت بها. فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها. ثم قال: هل استحدثت امرأة؟^(٨) فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم ثم تحمّد،

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٢٥١).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٤٨).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/ ٤٨).

(٤) أمير المؤمنين الخليفة عبد الملك بن مروان، لابنه وولي عهده الوليد بن عبد الملك.

(٥) رفض سعيد بن المسيب.

(٦) لمجلس علم أعلم منه.

(٧) أي توفيت زوجتي.

(٨) تزوجت بأخرى.



وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَزَوَّجَنِي^(١) عَلَى دِرْهَمَيْنِ أَوْ قَالَ: ثَلَاثَةِ فُقُمَتٍ، وَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ مِنَ الْفَرَحِ، فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ فِيْمَنْ أَسْتَدِينُ. فَصَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ، وَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، وَكُنْتُ وَحْدِي صَائِمًا فَقَدَّمْتُ عَشَائِي أَفْطَرُ، وَكَانَ خُبْرًا وَزَيْتًا فَإِذَا بَابِي يُقْرَعُ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: سَعِيدٌ. فَأَفَكَّرْتُ فِي كُلِّ مَنْ اسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا ابْنَ الْمُسَيَّبِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ^(٢)، فَخَرَجْتُ، فَإِذَا سَعِيدٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ^(٣). فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِلَّا أُرْسَلْتَ إِلَيَّ فَاتِيكَ؟ قَالَ: لَا أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى، إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا عَزَبًا فَتَزَوَّجْتَ فَكِرِهْتُ أَنْ تَبِيتَ اللَّيْلَةَ وَحْدَكَ وَهَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَإِذَا هِيَ^(٤) قَائِمَةٌ مِنْ خَلْفِهِ فِي طَوْلِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا، فَدَفَعَهَا فِي الْبَابِ وَرَدَّ الْبَابَ. فَسَقَطَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيَاءِ، فَاسْتَوَثَقْتُ مِنَ الْبَابِ ثُمَّ وَضَعْتُ الْقَصْعَةَ^(٥) فِي ظِلِّ السَّرَاجِ لِكِي لَا تَرَاهُ^(٦)، ثُمَّ صَعِدْتُ السَّطْحَ فَرَمَيْتُ الْجِيرَانَ^(٧) فَجَاؤُونِي، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ فَأَخْبَرْتَهُمْ، وَنَزَلُوا إِلَيْهَا، وَبَلَغَ أُمِّي فَجَاءَتْ، وَقَالَتْ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ مَسَسْتَهَا قَبْلَ أَنْ أُصْلِحَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَأَقَمْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ دَخَلْتُ بِهَا، فَإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، وَأَحْفَظِ النَّاسِ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَعْلَمِهِمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْرَفِهِمْ بِحَقِّ زَوْجٍ. فَمَكَّثْتُ شَهْرًا لَا آتِي سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي

(١) ابنته.

(٢) أي يكون في المسجد في ذلك الوقت.

(٣) تراجع عن زواج ابنته لي.

(٤) أي العروس ابنة سعيد بن المسيب.

(٥) الطعام.

(٦) حتى لا ترى أن طعامي هو الزيت.

(٧) استدعيهم.

حَلَقْتَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، وَلَمْ يَكَلِّمْني حتى تقَوَّضَ المجلس. فلَمَّا لَمْ يَبْقَ غَيْرِي، قَالَ: مَا حَالُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ؟ قُلْتُ: خَيْرٌ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ، وَيَكْرَهُ الْعَدُوُّ. قَالَ: إِنَّ رَأْبَكَ شَيْءٌ فَالْعَصَا فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَوَجَّهَ إِلَيَّ بَعْشَرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ^(١).

وفاء زوجة: يقول الشيخ الحويني رحمته الله: أنه زار أحد أصدقائه فوجده كثيرًا حزينًا فلما سأله عن سبب حزنه؟ بكى الرجل بكاءً عظيمًا ثم قال: يا شيخ زوجتي مريضة، وأنا أألزمها منذ أيام. يقول الشيخ أبو أسحاق الحويني: أستغربتُ منه هذا البكاء العظيم، فلما أنتبه الرجل قال: يا شيخ هل تستغرب أنني أبكي على زوجتي هذا البكاء؟! فلو عرفت عنها ما أعرف لعذرتني، ولم تلمني فاسمع مني يا شيخ؛ يقول الرجل: أنه رجل فقير الحال في وظيفة متواضعة بالكاد يسد حاجته، وقد شاء الله أن يفتحه أحد الأشخاص لما رأى أمانته وصلاحه بأن يزوجه إبتته، لما رأى من صلاحه وتقواه، وكان أبو الزوجة غنيًّا من الأغنياء، فتم الزواج، وكانت نعم الزوجة الصالحة، جعلت حياته جنة في الأرض بكل ماتعني الكلمة.

إلى أن جائي والدها يومًا وقال لي: اتق الله يا فلان، وأشتر لزوجتك بعض الخبز والجبن والفلافل والبقول ولا تُكثِر عليها اللحم، فقد ملت من أكل الدهن واللحم والفاكهة!! يقول الرجل: فتحتُ فمي ولم أدري ما أجاب، فلم أفهم ماذا قال؟ وماذا يقصد؟ حتى قابلت زوجتي وسألتها: فكانت المفاجأة التي حرَّكت الأرض من تحت أقدامي!!

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٣٢-١٣٣).



لقد كانت زوجته كلما تذهب إلى أهلها ويقدمون لها اللحم والطبخ الدسم والفاكهة، كانت تقول: لا أريده، فقد مللته، ولا تأكل شيئاً منه، وتقول: إن زوجها لا يحرمها من شيءٍ منه، بل إنه أكثر عليها منه حتى ملّت من اللحم والفاكهة، لكنها تشتهي الجبنة الحامضة، والفلفل وماشبهها، فهو لا يحضره لها!! بينما الحقيقة أنها في بيت زوجها لم تكن ترى اللحم إلا في الشهر والشهرين مرة، وكان أغلب أكلها من الجبنة الحامضة والفلفل والبقول فلم يكن الرجل يملك ما يسد جوعه، ولا جوع زوجته، لكن الزوجة الصالحة أرادت أن ترفع زوجها عند أهلها، وتجعله كبيراً في أعينهم.

كانت تتحمل الجوع والحرمان ولا ترضى أن يُعيره أحد بفقره وحاجته، بل كانت تصبره وتشد من أزره وتذكره بموعد الله له إن صبر، ولم يمنعها أنها كانت الغنية الثرية التي حُرمت متعة الدنيا، بل كانت نعم الزوجة الصالحة الصابرة. فقال الرجل للشيخ أبو إسحاق الحويني: هل علمت الآن ما سبب بكائي وخوفي عليها يا شيخ؟! وهذا الموقف أحد مواقفها فقط فلو حدثتك عنها وعن صلاحها وصيامها وقيامها وتقواها وحسن خلقها معي ومع الناس ما أوفيتها حقها، فاطرق الشيخ أبو إسحاق رأسه وأنصرف وهو يدعوا لها من كل قلبه، فوالله إنها لنعم الزوجة فلا إله إلا الله.



٥. ثمرات قضاء حوائج المسلمين

١. نوال محبة الله تعالى: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ، أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَآنَ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا»^(١).

٢. نوال تشریف الله تعالى للعبد: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ قَوْمًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقَرِّهَا فِيهِمْ مَا بَدَّلُوها، فَإِذَا مَنَعُوها، نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»^(٢).

٣. سبب في تثبيت القدم على الصراط: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عَلَى حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»^(٣).

٤. تثبيت النعم: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، إِلَّا جَعَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَإِنْ

(١) (طص) (٨٦١)، (فر) (٢/١/١٨)، الصَّحِيحَةُ: (٩٠٦)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرهيبِ: (٢٦٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٢٤/١)، رقم (٥)، (طس) (٥١٦٢)، (حل) (١١٥/٦)، والخطيب (٤٥٩/٩)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٢١٦٤)، الصَّحِيحَةُ: (١٦٩٢)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرهيبِ: (٢٦١٧).

(٣) (طص) (٨٦١)، (فر) (٢/١/١٨)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٩٠٦)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرهيبِ: (٢٦٢٣).



تَبَرَّمَ^(١) بِهِمْ، فَقَدْ عَرَضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ^(٢).

٥. من باب الصدقات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣).

٦. الجزاء فيها من جنس العمل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). وفي رواية لمسلم: «.. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ..»^(٥).

٧. من أخلاق النبي الكريم ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ... فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ...»^(٦). فهذه الأمور سببٌ في عدم الخزي. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي

(١) أي: تَضَجَّرَ.

(٢) (هب) (٧٦٦٠)، (طس) (٧٥٢٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٦١٨).

(٣) البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٤) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٥) مسلم (٢٦٩٩).

(٦) البخاري (٣).

أَوْفَى ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْثُرُ الذِّكْرَ، وَيَقُلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ^(١) فَيَقْضِي لَهُمَا حَاجَتَهُمَا^(٢). وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُزَوِّرُهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ^(٣). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا، حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا^(٤).

٨. شرف الانتساب إلى النبي ﷺ: عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»^(٥).

٩. وسيلة إلى حسن الخاتمة: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ نَقِي مَصَارِعِ السَّوِّءِ، وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ

(١) (مي) (٧٤)، (س) (١٤١٤).

(٢) (مي) (٧٤)، (س) (١٤١٤)، (حب) (٦٤٢٣)، صحيح الجامع: (٥٠٠٥)، المشكاة: (٥٨٣٣).

(٣) (ك) (٣٧٣٥)، (هب) (٩٢٤٦)، صحيح الجامع: (٤٨٧٧)، الصحيحة: (٢١١٢).

(٤) (ج) (٤١٧٧)، (حم) (١١٩٦٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥) البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠). (أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام، أصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة. (في إناء واحد) أي اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض. (بالسوية) متساوين. (فهم مني وأنا منهم) طريقي وطريقتهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله ﷻ ولذلك لا أتخلى عنهم.



فِي الْآخِرَةِ^(١) وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ^(٢).

١٠. النَّجَاةُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيماً لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعَسِّرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْفَسْ عَنْ مُعَسِّرٍ، أَوْ يَضَعُ عَنْهُ»^(٣).

١١. نَوَالِ إِعْجَابِ اللَّهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلْ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: ضَيِّفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا تَدْخِرِيهِ شَيْئاً^(٤)، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ^(٥)، وَتَعَالَى فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا^(٦) اللَّيْلَةَ،

(١) أي: من بذل معروفه للناس في الدنيا، آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة. فيض القدير (٧٧٢/٣).

(٢) (طس) (٦٠٨٦)، صحيح الجامع: (٣٧٩٥)، (٣٧٩٦)، الصحيحة: (١٩٠٨)، صحيح الترغيب والترهيب: (٨٨٨)، (٨٩٠).

(٣) مسلم (١٥٦٣). (كرب) جمع كربة وهي الغم الذي يأخذ بالنفس. (فلينفس) أي يمد ويؤخر المطالبة، وقيل معناه يفرج عنه.

(٤) أي: لا تمسكي عن الضيف شيئاً من الطعام.

(٥) أي: اجعلي الصبية ينامون؛ حتى لا يأكلوا شيئاً من الطعام.

(٦) أي: نجمعها؛ لأن الجوع يطوي جلد بطن الإنسان.

فَفَعَلْتُ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ^(٢) ^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صَبِيَّةً صِغَارًا، وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا ^(٤) وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ ^(٥) وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الصَّبُعُ ^(٦) وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءَ الْغِفَارِيِّ، وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ ^(٧)، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ ^(٨) كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ ^(٩) مَلَأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاولَهَا بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ، فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى

(١) أي: صلى الرجل الصبح مع رسول الله ﷺ.

(٢) [الحشر: ٩].

(٣) البخاري (٤٨٨٩)، مسلم (٢٠٥٤).

(٤) الكراع: مَا دُونَ الْكَعْبِ مِنَ الشَّاةِ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَا يَكْفُونَ أَنْفُسَهُمْ مُعَالَجَةً مَا يَأْكُلُونَهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا كُرَاعَ لَهُمْ فَيَنْضِجُونَهُ. فتح الباري (٤٨٦/١١).

(٥) (لَيْسَ لَهُمْ ضَرْعٌ) أي: لَيْسَ لَهُمْ مَا يَحْلِبُونَهُ. وَ (وَلَا زَرْعٌ) أي: لَيْسَ لَهُمْ نَبَاتٌ. فتح الباري (٤٨٦/١١).

(٦) أي: السَّنةُ الْمُجْدِبَةُ، وَمَعْنَى تَأْكُلُهُمْ أي: تُهْلِكُهُمْ. فتح الباري (٤٨٦/١١).

(٧) أي انتسب إلى شخص معروف.

(٨) أي: قَوِي الظَّهْرِ مُعَدٌّ لِلْحَاجَةِ. فتح الباري (٤٨٦/١١).

(٩) الْغِرَارَةُ: الْجَوَالِقُ، وَالْجَوَالِقُ: وعاء من الأوعية معروف. لسان العرب (١١/٥).



يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ بِخَيْرٍ^(١) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَتْ لَهَا، قَالَ عُمَرُ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ^(٢) وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصِرًا حِصْنًا^(٣) زَمَانًا، فَافْتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ^(٤) سَهْمَانَهُمَا^(٥) فِيهِ^(٦).

* عَنْ أُمِّ ذَرَّةَ قَالَتْ: بَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَائِشَةَ بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ^(٧) يَكُونُ مِائَةَ أَلْفٍ فَدَعَتْ بِطَبْقٍ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صَائِمَةٌ، فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ فِي النَّاسِ، قَالَ فَلَمَّا أَمَسَتْ قَالَتْ: يَا جَارِيَةَ هَاتِي فِطْرِي، فَقَالَتْ أُمُّ ذَرَّةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا اسْتَطَعْتَ فِيمَا أَنْفَقْتَ أَنْ تَشْتَرِي بِدِرْهِمٍ لَحْمًا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: لَا تُعَنِّفْنِي، لَوْ كُنْتُ أَذْكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ^(٨).

* كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ يَتَعَهَّدُ عَجُوزًا كَبِيرَةً عَمِيَاءَ فِي بَعْضِ حَوَاشِي الْمَدِينَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْقِي لَهَا وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا، فَكَانَ إِذَا جَاءَهَا وَجَدَ غَيْرَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا، فَأُصْلِحَ مَا أَرَادَتْ، فَجَاءَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ؛ كَيْلَا يُسْبِقَ إِلَيْهَا، فَرَصَدَهُ عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه الَّذِي يَأْتِيهَا، وَهُوَ يَوْمئِذٍ خَلِيفَةُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ هُوَ لِعُمَرِيِّ^(٩).

(١) أَيُّ: بِالرَّزْقِ. فَتَحَ الْبَارِي (١١/٤٨٦).

(٢) ثَكَلْتُكَ أَيُّ فَقَدْتُكَ، وَأَصْلُهُ الدُّعَاءُ بِالْمَوْتِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي التَّعَجُّبِ.

(٣) قِيلَ أَحَدُ حَصُونِ خَيْبَرَ.

(٤) أَيُّ: نَسْتَرْجِعُ، يَقُولُ هَذَا الْمَالُ أَخَذْتَهُ فَيَتَّ. فَتَحَ الْبَارِي (١١/٤٨٦).

(٥) جَمَعَ سَهْمٌ وَهُوَ النَّصِيبُ، أَيُّ هُمَا فَتَحَاهُ وَنَحْنُ الْآنَ نَنْتَفِعُ بِثَمَرَةِ جَهْدِهِمَا.

(٦) (خ) ٣٩٢٨.

(٧) كَيْسٌ مِنَ الْقِمَاشِ.

(٨) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ط الْعِلْمِيَّة (٨/٥٣).

(٩) السِّيَوطِيُّ: تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ (ص: ٦٤ - ٦٥).

* قال الأوزاعي: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه خَرَجَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ اللَّيْلِ فَرَأَهُ طَلْحَةَ، فَذَهَبَ عُمَرُ، فَدَخَلَ بَيْتًا، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلْحَةَ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَإِذَا بِعَجُوزٍ عَمِيَاءَ مُقْعَدَةٍ^(١)، فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ يَأْتِيكَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، يَأْتِينِي بِمَا يُصْلِحُنِي، وَيُخْرِجُ عَنِّي الْأَذَى، فَقَالَ طَلْحَةُ: تَكِلْتِكَ أُمُّكَ يَا طَلْحَةُ أَعَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَّبِعُ؟!^(٢).

* قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَاسْتَعَانَ بِهِ فِي حَاجَةٍ، فَوَجَدَهُ مُعْتَكِفًا، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى الْحَسَنِ فَاسْتَعَانَ بِهِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، وَقَالَ: لَقَضَاءُ حَاجَةٍ أَخٍ لِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اعْتِكَافِ شَهْرٍ^(٣).

* قَالَ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ الْخَطِيبِ رحمته الله: لَمَّا حَضَرَتْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْوَفَاةَ، قَالَ لَبْنِيهِ: يَا بَنِي، أَيَكُم يَقْبَلُ وَصِيَّتِي؟ فَقَالَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ: أَنَا، قَالَ سَعِيدُ: إِنَّ فِيهَا قَضَاءَ دِينِي، قَالَ: وَمَا دِينُكَ يَا أَبَتُ؟ قَالَ: ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ: يَا أَبَتُ فِيمَ أَخَذْتَهَا؟ قَالَ: يَا بَنِي فِي كَرِيمٍ سَدَدَتْ خَلَّتَهُ^(٤)، وَرَجُلٌ جَاءَنِي فِي حَاجَةٍ وَقَدْ رَأَيْتُ السَّوَاءَ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْحَيَاءِ، فَبَدَأْتُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهَا^(٥).

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ^(٦) رحمته الله: أَيُّهَا النَّاسُ؛ اعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعَمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوهَا فَتَحُولَ نِقَمًا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ

(١) مشلولة.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٤٨).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/٤٢).

(٤) أي فقره.

(٥) ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٤٧).

(٦) ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



مَا أَفَادَ ذُخْرًا، وَأَوْرَثَ ذِكْرًا، وَأَوْجَبَ أَجْرًا، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا لَرَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَيُفُوقُ الْعَالَمِينَ^(١).

* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا سَأَلَنِي أَحَدٌ حَاجَةً إِلَّا قُمْتُ لَهُ بِنَفْسِي، فَإِنْ تَمَّ وَإِلَّا قُمْتُ لَهُ بِمَالِي، فَإِنْ تَمَّ وَإِلَّا اسْتَعَنَّا لَهُ بِالْإِخْوَانِ^(٣)، فَإِنْ تَمَّ، وَإِلَّا اسْتَعَنَّا لَهُ بِالسُّلْطَانِ^(٤).^(٥)

* قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ وَجُوهًا مِنْ خَلْقِهِ، خَلَقَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ عِبَادِهِ، يَرُونَ الْجُودَ مُجَدَّدًا، وَالْإِفْضَالَ مَغْنَمًا، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ^(٦).

* قَالَ فَيْضُ بْنُ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ عِنْدَ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ حَاجَةً، فَأَلَحَّ بِالسُّؤَالِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تُؤْذِ الشَّيْخَ، فَقَالَ لِي الْفَضِيلُ: اسْكُتْ يَا فَيْضُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَتَحَوَّلَ، أَلَا تَحْمَدُ رَبَّكَ أَنْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا تُسْأَلُ^(٧)، وَلَمْ يَجْعَلَكَ مَوْضِعًا تُسْأَلُ^(٨)؟!^(٩).

(١) شعب الإيمان (١٠/١٣٦)، رقم (٧٢٨٤).

(٢) شَيْخُ الْبُخَارِيِّ.

(٣) أَيُّ بِأَصْدَقَائِهِ.

(٤) الْحَاكِمُ.

(٥) ابْنُ مَفْلَحٍ الْحَنْبَلِيُّ: الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَنْحُ الْمَرْعِيَّةُ (٢/١٨٠).

(٦) جَارُ اللَّهِ الزَّمْخَشَرِيُّ: رِبْعُ الْأَبْرَارِ وَنُصُوصُ الْأَخْيَارِ (٤/٣٥٧).

(٧) أَيُّ: يَطْلُبُ النَّاسُ مِنْكَ الْمُسَاعَدَةَ.

(٨) أَيُّ: تَطْلُبُ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ غَيْرِكَ.

(٩) أَسَامَةُ بْنُ مَنْقُذٍ: لِبَابِ الْأَلْبَابِ (١/٣١٧).

* قَالَ كَلْثُومُ بْنُ جَوْشَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْتَعَانَ رَجُلٌ بِالْحَسَنِ فِي حَاجَةٍ فَخَرَجَ مَعَهُ وَقَالَ: إِنِّي اسْتَعَنْتُ بِابْنِ سِيرِينَ وَفَرَّقِدِ فَقَالَا: حَتَّى نَشْهَدَ الْجَنَازَةَ، ثُمَّ نَخْرُجُ مَعَكَ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُمَا لَوْ مَشِيَا مَعَكَ لَكَانَ خَيْرًا^(١).

* قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعَثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مُحَمَّدَ بْنَ نُوحٍ، وَحَمِيدًا الطَّوِيلَ فِي حَاجَةٍ لِأَخٍ لَهُ، وَقَالَ: مَرُّوا بِثَابِتِ الْبَنَانِيِّ، فَأَشْخَصَانِهِ مَعَكُمْ، فَاتَّبَا ثَابِتًا، فَقَالَ لَهُمْ ثَابِتٌ: إِنِّي مُعْتَكِفٌ، فَرَجَعَ حَمِيدٌ إِلَى الْحَسَنِ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَالَ ثَابِتٌ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: يَا أَعْمَشُ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ مَشِيكَ فِي حَاجَةٍ أَخِيكَ الْمُسْلِمَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ بَعْدَ حَاجَةٍ، فَقَامَ وَذَهَبَ مَعَهُمْ، وَتَرَكَ الْإِعْتِكَافَ^(٢).

* اسْتَعَانَ رَجُلٌ بِثَابِتِ الْبَنَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْقَاضِي فِي حَاجَةٍ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِمَسْجِدٍ إِلَّا نَزَلَ فَصَلَّى حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَاضِي، فَكَلَّمَهُ فِي حَاجَةِ الرَّجُلِ فَقَضَاهَا، فَأَقْبَلَ ثَابِتٌ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ شَقَّ عَلَيْكَ مَا رَأَيْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً إِلَّا طَلَبْتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَاجَتِكَ»^(٣).

* قَالَ أَبُو حَفْصِ الْأَبَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ لِي عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَبْرَةَ حَاجَةٌ، فَقَضَاهَا، فَأَتَيْتُهُ أَشْكُرُهُ، فَقَالَ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَشْكُرُنِي؟ قُلْتُ: قَضَيْتَ لِي حَاجَةً، فَقَالَ: اذْهَبْ، إِذَا سَأَلْتَ صَدِيقَكَ حَاجَةً يَقْدُرُ عَلَى قَضَائِهَا فَلَمْ يَبْذُلْ نَفْسَهُ وَمَالَهُ، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا، وَعَدَّهُ فِي الْمَوْتَى^(٤).

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية (١٢٥ / ٧).

(٢) البر والصلة لابن الجوزي (ص: ٢٤٧).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ / ٣٢١).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٤ / ٣٠٧).



* قال قيس بن الربيع رحمه الله: كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين، وأقواتهم وكسوتهم، وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: أنفقوا في حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله، فإنني ما أعطيتكم من مالي شيئاً، ولكن من فضل الله علي فيكم، وهذه أرباح بضائعكم، فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي، فما في رزق الله حول لغيره^(١).

* قال ابن الجوزي رحمه الله: كان هارون الرقي رحمه الله قد عاهد الله أن لا يسأله أحد كتاب شفاعته إلا فعل، فجاءه رجل فأخبره أن ابنه قد أسر بالروم، وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه، فقال له: ويحك ومن أين يعرفني، وإذا سأل عني؟ قيل: هو مسلم، فكيف يقضي حقي؟ فقال له السائل: أذكر العهد مع الله تعالى، فكتب له إلى ملك الروم، فلما قرأ الكتاب قال من هذا الذي قد شفع إلينا؟ قيل: هذا رجل قد عاهد الله لا يسأل كتاب شفاعته إلا كتبه إلى أي من كان. فقال ملك الروم: هذا حقيق بالإسعاف، أطلقوا أسيره، واكتبوا جواب كتابه، وقولوا له: أكتب بكل حاجة تعرض، فإننا نشفعك فيها^(٢).



(١) تاريخ بغداد ت بشار (٤٩٣ / ١٥).

(٢) ابن مفلح الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١٨٠ / ٢).

٦. ثمرات العفو عن الناس

١. **أنه من صفات الله تعالى:** قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^(١). يَقُولُ: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ لِلْعُذْرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ، فَيَنْفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ فِي تَرْكِهِمُ الْهَجْرَةَ، إِذْ لَمْ يَتْرَكُوها اخْتِيَارًا وَلَا إِثَارًا مِنْهُمْ لِدَارِ الْكُفْرِ عَلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ لِلْعَجْزِ الَّذِي هُمْ فِيهِ عَنِ النُّقْلَةِ عَنْهَا. وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَفُوًّا، يَعْنِي ذَا صَفْحٍ بِفَضْلِهِ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادَةٍ بِتَرْكِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا، غَفُورًا سَاتِرًا عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ بِعَفْوِهِ لَهُمْ عَنْهَا^(٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾^(٣). يَقُولُ: أَوْ تَصَفَّحُوا لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ عَنْ إِسَاءَتِهِ، فَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذْنَتْ لَكُمْ أَنْ تَجْهَرُوا لَهُ بِهِ.. فَاعْفُوا أَنْتُمْ أَيْضًا أَيُّهَا النَّاسُ عَمَّنْ أَتَى إِلَيْكُمْ ظُلْمًا، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ وَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ، كَمَا يَعْفُو عَنْكُمْ رَبُّكُمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى عِقَابِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَتَخَافُونَ أَمْرَهُ^(٤).

٢. **وصية الله لرسوله ﷺ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥). قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجَبْرِيلَ: «مَا هَذَا؟»، قَالَ: «لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ»، قَالَ: فَاتَاهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ

(١) [النساء: ٩٩].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٧/ ٣٨٠).

(٣) [النساء: ١٤٩].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٧/ ٦٣٣).

(٥) [الأعراف: ١٩٩].



عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ»^(١).

٣. لا يعلم ثوابه إلا الله وحده: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢). من عفا عن الجاني، وأصلح ما بينه وبين الله؛ أصلح الله ما بينه وبين الناس. «فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»: فالذى للعبد من الله وعلى الله، وعند الله خير مما يعمل به باختياره^(٣).

٤. العفو سبب للعز: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»^(٤). وجهان: أحدهما أنه على ظاهره، وأن من عُرِفَ بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وكرامته. والثاني: المراد أجره في الآخرة، وعزه هناك^(٥).

٥. وصية رسول الله ﷺ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ؟، فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ؟^(٦) فَقَالَ: «فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(٧). المراد هنا أن تعفو عن كل ما يقع منه زاد على السبعين أو نقص^(٨).

٦. العفو من أخلاق الرسول الكريم ﷺ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: غَزَوْنَا

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٠٥).

(٢) [الشورى: ٤٠].

(٣) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/ ٣٥٧).

(٤) (م) ٦٩ - (٢٥٨٨)، (ت) (٢٠٢٩)، (حم) (٨٩٩٦).

(٥) شرح المشكاة للطبي المسمي: الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٥٤٠).

(٦) (ت) (١٩٤٩)، (د) (٥١٦٤).

(٧) (د) (٥١٦٤)، (ت) (١٩٤٩)، (حم) (٥٦٣٥)، انظر الصحيح: (٤٨٨).

(٨) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩/ ٤٥٦).

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتُهُ الْقَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَتَزَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلَاتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا» قَالَ: وَلَمْ يَعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١).

٧. من صفات الصحابة الأخيار: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَطِيْبَا، فَتَشَهَّدَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسٍ أَبْنُوا»^(٢) أَهْلِي، وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبْنُوهُمْ بِمَنْ^(٣) وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ نَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ ثَابِتٍ مِنْ رَهْطِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَالَ: كَذَبْتَ أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ الْأَوْسِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَرٌّ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَا عَلِمْتُ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، وَمَعِيَ أُمُّ مِسْطَحٍ فَعَثَرْتُ، وَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ: أَيُّ أُمِّ تَسْبِيْنِ ابْنِكَ؟ وَسَكَتَتْ ثُمَّ عَثَرَتِ الثَّانِيَةَ، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّ أُمِّ أَتَسْبِيْنِ ابْنِكَ؟ فَسَكَتَتْ ثُمَّ عَثَرَتِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ فَانْتَهَرْتُهَا، فَقَالَتْ:

(١) البخاري (٤١٣٩).

(٢) اتهموا أهلي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩١ / ١٩).

(٣) يريد صفوان. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٦٨ / ٧).



وَاللَّهُ مَا أَسْبَهُ إِلَّا فِيكَ، فَقُلْتُ فِي أَيِّ شَأْنِي؟ قَالَتْ: فَبَقَرْتُ لِي الْحَدِيثَ، فَقُلْتُ: وَقَدْ كَانَ هَذَا، قَالَتْ: نَعَمْ، وَاللَّهُ فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي كَأَنَّ الَّذِي خَرَجْتُ لَهُ لَا أَجِدُ مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَوَعَيْتُ، فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرْسِلْنِي إِلَى بَيْتِ أَبِي، فَأَرْسَلَ مَعِيَ الْغُلَامَ فَدَخَلْتُ الدَّارَ، فَوَجَدْتُ أُمَّ رُومَانَ فِي السُّفْلِ، وَأَبَا بَكْرٍ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَقَالَتْ أُمِّي: مَا جَاءَ بِكَ يَا بَنِيَّةُ؟ فَأَخْبَرْتُهَا وَذَكَرْتُ لَهَا الْحَدِيثَ، وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مِثْلَ مَا بَلَغَ مِنِّي، فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ، خَفَفِي عَلَيْكَ الشَّانَ فَإِنَّهُ وَاللَّهُ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا حَسَدْنَهَا، وَقِيلَ فِيهَا: وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا بَلَغَ مِنِّي، قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: نَعَمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَعْبَرْتُ وَبَكَيْتُ، فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتِي، وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَتَزَلَّ فَقَالَ لِأُمِّي: مَا شَأْنُهَا؟ قَالَتْ: بَلَغَهَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ شَأْنِهَا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَيُّ بَنِيَّةٍ إِلَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِكَ فَرَجَعْتُ، وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي فَسَأَلَ عَنِّي خَادِمَتِي، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ، فَتَأْكُلُ خَمِيرَهَا - أَوْ عَجِينَهَا - وَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَصْدَقِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا كَشَفْتُ كَنْفَ أَنْثَى قَطُّ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَتِلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، فَلَمْ يَزَالَا حَتَّى دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ اكْتَنَفَنِي أَبَوَايَ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتَ قَارَفْتَ سُوءًا أَوْ ظَلَمْتَ فَتُوبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ

التَّوْبَةُ مِنْ عِبَادِهِ» قَالَتْ: وَقَدْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَهِيَ جَالِسَةٌ بِالْبَابِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا، فَوْعَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَالتَفْتُ إِلَى أَبِي، فَقُلْتُ لَهُ: أَجِبْهُ، قَالَ: فَمَاذَا أَقُولُ؟ فَالتَفْتُ إِلَى أُمِّي، فَقُلْتُ: أَجِيبْهُ، فَقَالَتْ: أَقُولُ مَاذَا؟ فَلَمَّا لَمْ يُجِيبْهُ تَشَهَّدْتُ فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُ إِنِّي لَصَادِقَةٌ، مَا ذَاكَ بِنَافِعِي عِنْدَكُمْ، لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِهِ وَأَشْرَبْتُهُ قُلُوبُكُمْ، وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ لَتَقُولُنَّ قَدْ بَاءَتْ بِهِ عَلَى نَفْسِهَا، وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَجْدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، وَالتَّمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١)، وَأَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَاعَتِهِ فَسَكَنَّا فَرَفَعَ عَنْهُ، وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ، وَهُوَ يَمْسَحُ جَبِينَهُ، وَيَقُولُ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكَ»، قَالَتْ: وَكُنْتُ أَشَدَّ مَا كُنْتُ غَضَبًا، فَقَالَ لِي أَبُو آي: قَوْمِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُهُ وَلَا أَحْمَدُكُمْ، وَلَكِنْ أَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، لَقَدْ سَمِعْتُمُوهُ فَمَا أَنْكَرْتُمُوهُ وَلَا غَيَّرْتُمُوهُ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: أَمَّا زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِدِينِهَا، فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا أُخْتُهَا حَمْنَةُ فَهَلَكَتْ فِيْمَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِسْطَحٌ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ، هُوَ وَحَمْنَةُ قَالَتْ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يَنْفَعُ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - يَعْنِي أَبُو بَكْرٍ - ﴿وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾^(٢): يَعْنِي

(١) [يوسف: ١٨].

(٢) [النور: ٢٢].



مِسْطَحًا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لَهُ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ^(٢).

٨. من أدعية رسول الله الكريمة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٣). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ قُوَّتِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٤)^(٥).

٩. العفو الجزاء فيه من جنس العمل: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ

(١) [النور: ٢٢].

(٢) البخاري (٤٧٥٧). (شأني) حالي وأمري وهو افتراء الزنا عليها. (أبنوا) اتهموا بفعلته سوء. (فبقرت) فتحت وكشفت. (كأنني الذي خرجت له..). معنى الجملة إني دهشت بحيث أصبحت لا أعرف لأي أمر خرجت من البيت. (وعكت) مرضت بحمي. (الغلام) عبد مملوك صغير. (لم يبلغ منها) الاهتمام ولم تتأثر به. (استعبرت) جرت دمعتي من عيني. (انتهرها) بالغ في زجرها. (بعض أصحابه) الحاضرين. (أسقطوا لها به) صرحوا لها بالأمر. (تبر الذهب) القطعة الخالصة منه. (قارفت) فعلت وارتبكت. (باءت به) أقرت به.

(٣) مسلم (٤٨٦).

(٤) قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي: الْخُسْفَ.

(٥) (خد) (١٢٠٠)، (د) (٥٠٧٤)، (جة) (٣٨٧١)، (حم) (٤٧٨٥)، انظر صَحِيحَ الْجَامِعِ:

(١٢٧٤)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٦٥٩).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنِيرِ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُلْ لَأَقْمَاعِ الْقَوْلِ^(١) وَيُلْ لِلْمُصْرِينَ^(٢) الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٣)»^(٤).

١٠. وصية النبي ﷺ لعائشة في ليلة القدر: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ^(٥) تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي^(٦)».

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُلُّ النَّاسِ مِنِّي فِي حِلٍّ^(٧).

* عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْعَفْوُ^(٨).

* قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ^(٩):

(١) الأقماع جمع قمع، وهو: الإناء الذي يجعل في رأس الظرف ليُملاً بالمائع، شبه استماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها، فكأنه يمر عليها مُجتازاً كما يمر الشراب في القمع. فيض القدير (١/٦٠٧).

(٢) أي: على الذنوب، العازمين على المداومة عليها. فيض القدير (١/٦٠٧).

(٣) أي: يعلمون أن من تاب، تاب الله عليه ثم لا يستغفرون. فتح (١/١٦٣).

(٤) (خد) (٣٨٠)، (حم) (٦٥٤١)، صحيح الجامع: (٨٩٧)، الصحيحة: (٤٨٢)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٢٥٧).

(٥) قال الألباني في الصحيحة (٧/١٠١١ - ١٠١٢): تنبيه: وقع في سنن الترمذي بعد قوله: (عفو) زيادة (كريم)، ولا أصل لها في شيء من المصادر المتقدمة. أ.هـ.

(٦) (ت) (٣٥١٣)، (ج) (٣٨٥٠)، (حم) (٢٥٤٢٣).

(٧) الآداب الشرعية، ابن مفلح (١/٩٣).

(٨) الآداب الشرعية، ابن مفلح (١/٩٣).

(٩) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري (٢/٢١)، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص: ٢١٧).



قالوا سكتَ وقد خوصمتَ قلت لهم إن الجوابَ لبابِ الشرِّ مفتاحُ
والصَّمتُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ وفيه أيضًا لصونِ العرضِ إصلاحُ
أما ترى الأسدَ وهي صامتةٌ والكلبُ يحسِّي لعمري وهو نباحُ
* وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فحلم، حتَّى إذا قدر انتقم، ولكنَّ
الحليم من ظلم فحلم حتَّى إذا قدر عفا^(١).

* عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أنه قال: بلغنا أنَّ الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي:
من كان له عند الله شيءٌ فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من
عفوهم عن الناس^(٢).

* جلس ابن مسعود في السَّوق يبتاع طعاماً فابتاع، ثمَّ طلب الدَّراهم وكانت
في عمامته فوجدها قد حلَّت، فقال: لقد جلستُ وإنَّها لمعي، فجعلوا يدعون
على من أخذها ويقولون: اللهمَّ اقطع يد السَّارق الذي أخذها، اللهمَّ افعل به
كذا، فقال عبد الله: «اللهمَّ إن كان حمله على أخذها حاجةً، فباركْ له فيها، وإنَّ
كان حَمَلَتْهُ جَرَاءَةٌ عَلَى الذَّنْبِ، فَاجْعَلْهُ آخِرَ ذُنُوبِهِ»^(٣).

* روى الإمام أحمد في «الزهد» عن العلاء بن المُسيَّب قال: سُرِقَ لِلرَّبِيعِ
فَرَسٌ فَقَالَ أَهْلُ مَجْلِسِهِ: ادْعُ اللَّهَ ﷻ عَلَيْهِ فَقَالَ: بَلْ أَدْعُو اللَّهَ ﷻ لَهُ: «اللَّهُمَّ إِنِّ
كَانَ غَنِيًّا فَأَقْبِلْ بِقَلْبِهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنِهِ»^(٤).



(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/ ٣٢٠).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (٤/ ٣١٩).

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٢٠).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٦٨).

٧. ثمرات كلمة التوحيد

١. نوال أفضل أنواع الذكر: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(١). وفي رواية: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الشُّكْرِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٢).

٢. نوال أفضل الحسنات: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟، قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ»^(٣). قَالَ الطَّبِيبِيُّ: ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَعَلَ التَّهْلِيلَ أَفْضَلَ الذِّكْرِ، لِأَنَّ لِلتَّهْلِيلِ تَأْثِيرًا فِي تَطْهِيرِ الْبَاطِنِ عَنِ الْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي هِيَ مَعْبُودَاتٌ فِي بَاطِنِ الذَّاكِرِ^(٤).

٣. نوال وصية الأنبياء: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، أَمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ، أَمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهِمَةً^(٥) لَقَصَمْتُهُنَّ^(٦) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنْ

(١) (ت) (٣٣٨٣)، (ج) (٣٨٠٠)، (ن) (١٠٦٦٧)، (ح) (٨٤٦)، انظر صحيح الجامع:

(١١٠٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٥٢٦).

(٢) الخرائطي في فضيلة الشكر (٢/٢)، انظر الصحيحة: (١٤٩٧).

(٣) (حم) (٢١٥٢٦)، انظر الصحيحة: (١٣٧٣).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/١٥٩٨).

(٥) مبهم (أي: مغلقة).

(٦) القصم: كسر الشيء وإبانه.



الشُّرْكُ وَالْكِبَرُ»^(١).

٤. **ترديد أحب الكلام إلى الله تعالى:** عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»^(٢).

٥. **نوال جنة من النار:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا جَنَّاتِكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنَ النَّارِ»، قُلْنَا: مَا جَنَّاتُ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهِنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَاتٍ، وَمُعَقَّبَاتٍ، وَمُجَنَّبَاتٍ، وَهِنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٣). «يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَاتٍ» جمع مقدمة الجماعة أي متقدمة أمام الجيش. «وَمُجَنَّبَاتٍ» وهي التي تكون في الميمنة والميسرة فكأنهن جيش من جهات قائلهن تسترنه عن النار وفي الفردوس سميت معقبات؛ لأنها عادت مرة بعد أخرى وكل من عمل عملاً ثم عاد إليه فقد عقب، وقيل: المعقب لكل شيء خلف يعقب ما قبله^(٤).

٦. **نوال خير مما طلعت عليه الشمس:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٥). عبارة في غاية الإيجاز والبلاغة شاملة للأكوان وما

(١) (خد) (٥٤٨)، (حم) (٦٥٨٣)، (ك) (١٥٤)، انظر الصَّحِيحَةُ: (١٣٤)، صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَد: (٤٢٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) مسلم (٢١٣٧).

(٣) (ش) (٢٩٧٢٩)، (ن) (١٠٦٨٤)، (ك) (١٩٨٥)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٣٢١٤).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٥/٤٦٩).

(٥) (م) ٣٢ - (٢٦٩٥)، (ت) (٣٥٩٧)، (ش) (٢٩٤١٢)، (حب) (٨٣٤).

فيها، أي أجرها أحب إلي من الدنيا وجميع ما فيها، أو نفس التلفظ بها أثلج لصدري وأروح لخاطري من ملك ذلك، أو أحب إلي من أجر الإنفاق في سبيل الله لذلك، وأخذ منه أن الذكر أفضل من الصدقة^(١).

٧. نوال الباقيات الصالحات: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ»^(٢). وفي رواية: عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ هُنَّ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ»^(٣).

٨. تصعد إلى السماء حتي تصل إلى الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَيَّ الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ»^(٤).

٩. سبب في ثقل الميزان: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥) فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجْلًا، كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: هَلْ ظَلَمْتُكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: فَهَلْ لَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: فَهَلْ لَكَ

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٦/٩).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٥/١٦٦)، انظر الصحيحة: (٣٢٦٤).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٨٣٥٣).

(٤) (ت) (٣٥٩٠)، (ن) (١٠٦٦٩)، (بز) (٩٧٦٢)، وحسنه الألباني في كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ص

(٦٠)، صحيح الجامع (٥٦٤٨).

(٥) (حم) (٦٩٩٤)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.



حَسَنَةً؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِلَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ لَهُ اللَّهُ ﷻ: احْضُرْ وَزَنَكَ^(١) فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِلَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: فَإِنَّكَ لَا تُظَلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِلَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِلَاقَةُ، وَلَا يَنْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(٢). وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخِ بَخِ^(٣) خَمْسُ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ^(٤) يَتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»^(٥).

١٠. سَبَبٌ فِي شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(٦).

(١) أَي: احْضُرْ وَزَنَ عَمَلِكَ، لِيُظْهَرَ لَكَ إِنْتِفَاءُ الظُّلْمِ، وَظُهُورُ الْعَدْلِ، وَتَحَقُّقُ الْفَضْلِ. تحفة الأحوذى (٤٣٨/٦).

(٢) (ت) (٢٦٣٩)، صحيح الجامع (٨٠٩٥)، الصحيحة: (١٣٥).

(٣) بَخِ: كلمة تدلُّ على الاستحسان.

(٤) (حم) (١٥٧٠٠)، (حب) (٨٣٣)، وقال الأرنؤوط في (حب): إسناده صحيح.

(٥) (حب) (٨٣٣)، (حم) (١٨١٠١)، (ن) (٩٩٩٥)، (ك) (١٨٨٥)، انظر صحيح الجامع:

(٢٨١٧)، الصحيحة: (١٢٠٤).

(٦) البخاري (٩٩).

١١. سبب في جلب الحسنات وتكفير السيئات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»^(١).

١٢. سبب للخروج من النار: عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ، وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ بُرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ، وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ»^(٢).

١٣. نوال أفضل الأعمال وأكثرها تضييعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةِ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٣). وفي رواية: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٤).

(١) السنن الكبرى للنسائي (١٠٦٠٨)، صحيح الجامع (١٧١٨).

(٢) البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٣) البخاري (٣٢٩٣)، (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٤) البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).



١٤. نوال حسن الخاتمة: عَنْ كَثِيرِ بْنِ مَرَّةٍ قَالَ: قَالَ لَنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ: قَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كُنْتُ أَكْتُمُكُمْوهُ^(١) لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْوهُ إِلَّا أَنْ تَتَكَلَّمُوا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ^(٢): «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(٣) وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٤).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال ابن رَجَبٍ رحمه الله: قال طائفةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ سَبَبٌ مُقْتَضٍ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَلِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، لَكِنْ لَهُ شُرُوطٌ، وَهِيَ الْإِتْيَانُ بِالْفَرَائِضِ، وَمَوَانِعُ، وَهِيَ إِيْتَانُ الْكِبَائِرِ. قَالَ الْحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ: إِنَّ لِي إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ شُرُوطًا، فَإِيَّاكَ وَقَذْفَ الْمُحْصَنَةِ. وَرَوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْعُمُودُ، فَأَيْنَ الطَّنْبُ؟ يَعْنِي: أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ عُمُودُ الْفُسْطَاطِ، وَلَكِنْ لَا يَثْبُتُ الْفُسْطَاطُ بِدُونِ أَطْنَابِهِ، وَهِيَ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ. وَقِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَادَى حَقَّهَا وَفَرَضَهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَقِيلَ لَوْهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ، فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ... فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَحْقِيقُ مَعْنَى قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ إِصْرَارٌ عَلَى مَحَبَّةٍ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، وَلَا عَلَى إِرَادَةٍ مَا لَا

(١) (حم) (٢٢٠٨٧)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) (حم) (٢٢١١٣)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ بِقَوْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ كَلِمَتَا الشَّهَادَةِ، فَلَا يَرِدُ إِشْكَالُ تَرْكِ ذِكْرِ الرِّسَالَةِ. قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ: قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَقَبٌ جَرَى عَلَى النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ شَرْعًا. عون المعبود (٧/ ١٠٠).

(٤) (حم) (٢٢٠٨٧)، (د) (٣١١٦)، حسنه الألباني في الإرواء: (٦٨٧).

يُرِيدُهُ اللهُ، ومتى كان في القلب شيءٌ من ذلك، كان ذلك نقصاً في التوحيد، وهو نوعٌ من الشرك الخفي؛ ولهذا قال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(١)، قال: لا تُحِبُّوا غيري^(٢).

* قال الحسنُ للفرزدق: مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟ قَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ ثَمَانِينَ سَنَةً. فَقَالَ الْحَسَنُ: نِعَمَ الْعُدَّةِ^(٣).

* قال عياض رَحِمَهُ اللهُ: كُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَشَهِدَ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ^(٤).

* قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِذَا صَدَقَتْ طَهَّرَتْ الْقَلْبَ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وَبَقِيَ فِي الْقَلْبِ أَثَرُ سِوَى اللَّهِ فَمِنْ قِلَّةِ الصَّدَقِ فِي قَوْلِهَا؛ مَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يُحِبَّ سِوَاهُ، وَلَمْ يَرْجُ سِوَاهُ، وَلَمْ يَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ آثَارِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ الْمَحِبَّ مُطَالِبٌ بِالْعِصْمَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُطَالِبٌ كُلَّمَا زَلَّ أَنْ يَتَلَفَى تِلْكَ الْوَصْمَةَ^(٥).

* قال أبو الحسنِ السَّنْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَوَفَّقَهُ لَهَا، لَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ، بَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ابْتَدَاءً مَعَ الْأَبْرَارِ^(٦).

(١) [الأنعام: ١٥١].

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (١/ ٥٢٢ - ٥٢٥).

(٣) المناوي: فيض القدير (٣/ ١٦٣).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٥٥).

(٥) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص: ٤٤).

(٦) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٤١٩).



* قال ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ هُوَ الْإِكْسِيرُ الْأَعْظَمُ، فَلَوْ وُضِعَ مِنْهُ ذَرَّةٌ عَلَى جِبَالِ الذَّنُوبِ وَالْخَطَايَا لَقَلْبَهَا حَسَنَاتٌ^(١).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ؛ قَوِيَ إِيمَانُهُ وَطُمَأْنِينَتُهُ وَتَوَكُّلُهُ وَيَقِينُهُ^(٢). وَلِهَذَا كَانَتْ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مَعَ قَلَّةِ حُرُوفِهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ فِيهَا التَّوْحِيدَ فَعَلِمَ أَنَّ آيَاتِ التَّوْحِيدِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا^(٣).

* قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فَأَصْلُ مَا تَزَكَّوْا بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَرْوَاحُ؛ هُوَ التَّوْحِيدُ^(٤).

* قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الدُّعَاءُ إِلَى التَّوْحِيدِ؛ ... فَلَمَّا أَطْمَأَنَّتِ النَّفُوسُ عَلَى ذَلِكَ؛ أُنْزِلَتْ الْأَحْكَامُ^(٥).



(١) أسباب المغفرة (ص: ٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٢٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٠ / ١٧).

(٤) ابن القيم: إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (٤٩ / ١).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٤٠ / ٩).

٨. ثمرات وفضائل سكنى المدينة

١. الإيمان يرجع إليها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرُزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»^(١). أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض كما تنضم الحية في جحرها^(٢).

٢. محفوظة من الطَّاعُونَ والدَّجَال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ، وَلَا الدَّجَالُ»^(٣).

٣. إصابة دعوة النبي ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدَّنَا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَهً مَعَ بَرَكَهٍ»، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ^(٤). وإنما ناوله الصَّغِيرَ فيما رأى للمناسبة بينهما من أن هذا قريب العهد بالوجود وهذا أيضًا؛ ولأنَّ أنفُسَ الصِّبْيَانِ تتوق إلى باكورة الشَّيْءِ أكثر من غيرهم^(٥).

٤. شفاعة النبي ﷺ لساكنها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا»، وَقَالَ: «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا

(١) البخاري (١٨٧٦). (ليأرز) لينضم أهله ويجمعون. (حجرها) مسكنها الذي تأمن فيه وتستقر.

(٢) المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٢١).

(٣) البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩). (أنقاب) جمع نقب مداخلها والطرق المؤدية إليها. (الطَّاعُونَ) الوباء الذي يكثر بسببه الموت.

(٤) مسلم (١٣٧٣).

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٨٧).



يَعْلَمُونَ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وفي رواية: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأَوَائِهَا، كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٥. نوال فضل الصلاة في المسجد النبوي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»^(٣).

٦. نوال أجر عمرة بالصلاة في مسجد قباء: روى الإمام أحمد في مسنده من حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ يَعْني مَسْجِدَ قُبَاءَ فَيُصَلِّي فِيهِ، كَانَ كَعَدْلِ عُمْرَةٍ»^(٤). وفي رواية: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ».

٧. الروضة في المسجد بقعة من الجنة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(٥).

(١) مسلم (١٣٦٣). (لأوائها) قال أهل اللغة اللأواء الشدة والجوع. (وجهدها) والجهد هو المشقة. (شفيعاً أو شهيداً) أو بمعنى الواو، أو للتقسيم؛ أي شفيعاً لقوم وشهيداً لآخرين.

(٢) مسلم (١٣٧٧).

(٣) البخاري (١١٩٠).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٥٩٨١)، وقال محققوه: صحيح بشواهده، (ج٢) ١٤١٢، (س) ٦٩٩، صحيح الجامع: ٦١٥٤، صحيح الترغيب والترهيب: ١١٨١.

(٥) البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠). (بיתי) مسكني وهو مكان قبره الآن ﷺ. (روضة) بقعة مقدسة من الأرض توصل من لازم الطاعة فيها إلى الجنة شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى إذاء المسلمين أو التضيق عليهم كما يفعله الكثيرون من الحجاج والزوار الآن، حيث إنهم يمشون طوال النهار أو فترة طويلة في الروضة الشريفة فيضيقون على الناس، ويكونون سبباً في إذاثهم مادياً

قال ابن حجر رحمته الله: قوله «**رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**» أي كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِي نَزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُصُولِ السَّعَادَةِ بِمَا يَحْصُلُ مِنْ مُلَازِمَةِ حَلَقِ الذِّكْرِ لَا سِيَّمَا فِي عَهْدِهِ عليه السلام فَيَكُونُ تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاةٍ، أَوْ الْمَعْنَى؛ أَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَكُونُ مَجَازًا، أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ رَوْضَةٌ حَقِيقَةٌ بَأَن يَنْتَقِلَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ بَعَيْنُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنَّةِ^(١).

٨. **تمر المدينة فيه شفاء ووقاية**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمْ وَلَا سِحْرٌ»^(٢). وفي رواية: «مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْ^(٣) الْمَدِينَةِ»^(٤).

٩. **المدينة لها حرم**: شَرَّفَ اللَّهُ ﷻ الْمَدِينَةَ وجعلها مُحَرَّمَةً، وَفَضَّلَهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَقَدْ وَرَدَتْ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ فِي فَضْلِهَا، وَحَرَمَتِهَا، وَمَكَانَتِهَا، مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ، وَالِدَعَاءِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَقَدْ جَاءَ دَلِيلُ حَرَمَتِهَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ، حَرَامًا مَا بَيْنَ مَازِمَيْهَا^(٥) أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ

ومعنويًا، ويُفوتون عليهم خيرًا سَعَوْا إِلَيْهِ وَقَصَدُوهُ.

(١) فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٠٠).

(٢) البخاري (٥٤٤٥)، ومسلم (٢٠٤٧).

(٣) اللَّابَتَانِ: هُمَا الْحَرَّتَانِ، وَالْمَدِينَةُ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ، وَ (الْحَرَّةُ): الْأَرْضُ الْمُلبَسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ. النَّوَوِيُّ (٤/ ٩٨).

(٤) (م) ١٥٤ - (٢٠٤٧)، (حم) (١٥٢٨).

(٥) (الْمَازِمُ) هُوَ الْجَبَلُ، وَقِيلَ: الْمُضِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَنَحْوِهِ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ هُنَا، وَمَعْنَاهُ: مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا. شرح النووي (٥/ ٣٩).



لِقِتَالٍ، وَلَا تُخَبِّطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ»^(١).

١٠. من أراد أهلها بسوءٍ أهلكه الله: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ؛ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»^(٢)، وفي رواية: «أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ»^(٣).

١١. مسجدها تُشَدُّ إليه الرِّحال: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٤). قَالَ السُّبْكِيُّ الْكَبِيرُ: لَيْسَ فِي الْأَرْضِ بُقْعَةٌ لَهَا فَضْلٌ لِدَاتِهَا حَتَّى تُشَدَّ الرِّحَالُ إِلَيْهَا غَيْرَ الْبِلَادِ الثَّلَاثَةِ، وَمُرَادِي بِالْفَضْلِ: مَا شَهِدَ الشَّرْعُ بِاعْتِبَارِهِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ حُكْمًا شَرْعِيًّا، وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ، فَلَا تُشَدُّ إِلَيْهَا لِدَاتِهَا، بَلْ لِزِيَارَةٍ، أَوْ جِهَادٍ أَوْ عِلْمٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْدُوبَاتِ أَوْ الْمَبَاحَاتِ، قَالَ: وَقَدْ اتَّبَسَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ، فزَعَمَ أَنَّ شَدَّ الرِّحَالِ إِلَى الزِّيَارَةِ لِمَنْ فِي غَيْرِ الثَّلَاثَةِ دَاخِلٌ فِي الْمَنْعِ، وَهُوَ خَطَأٌ، لِأَنَّ الْأَسْتِثْنَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ: لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ، أَوْ إِلَى مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، إِلَّا إِلَى الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَشَدَّ الرِّحَالِ إِلَى زِيَارَةٍ، أَوْ طَلَبِ عِلْمٍ لَيْسَ إِلَى الْمَكَانِ، بَلْ إِلَى مَنْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ مَنْ نَذَرَ إِيَّانَ أَحَدٍ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَزِمَهُ ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ

(٦) مسلم (١٣٧٤).

(١) (م) ٤٩٤ - (١٣٨٧)، (خ) ١٧٧٨.

(٢) (م) ٤٦٠ - (١٣٦٣).

(٣) (خ) ١١٣٢، (م) ١٣٩٧.

وَالشَّافِعِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ. وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: يَجِبُ إِلَى الْحَرَمَيْنِ، وَأَمَّا الْأَقْصَى فَلَا، وَاسْتَأْنَسَ بِحَدِيثِ جَابِرٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ مَكَّةَ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ: «صَلِّ هَاهُنَا»^(١).^(٢)

١٢. حراسة المدينة بالملائكة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ»^(٣) إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ يَحْرُسُونَهَا»^(٤) «فَلَا يَقْرُبُهَا الدَّجَالُ، وَلَا الطَّاعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٥). وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبٌ»^(٦) الْمَسِيحُ الدَّجَالُ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»^(٧).^(٨)

١٣. مسجدُها أُسس على التقوى: الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ هُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

(١) (د) ٣٣٠٥، (حم) ١٤٩٦١، (ش) ١٢٤٣٩، (ك) ٧٨٣٩، وصححه الألباني في الإرواء: ٢٥٩٧.

(٢) فتح الباري (٤ / ١٩٠).

(٣) النُّقَبُ: الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَالْمَرَادُ: طُرُقُ الْمَدِينَةِ وَحُدُودُهَا.

(٤) (خ) ١٧٨٢، (م) ٤٨٥ - (١٣٧٩)، (حم) ١٠٢٧٠.

(٥) (خ) ٧٠٣٥، (م) ١٣٧٩، (ت) ٢٢٤٢.

(٦) الرُّعْبُ: هُوَ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ، فَلَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ فِيهَا بِسَبَبِ نَزُولِهِ قُرْبَهَا شَيْءٌ مِنْهُ. فتح الباري (٢٠ / ١٣٥).

(٧) قَالَ الْقَاضِي ابْنُ الْعَرَبِيِّ: صَلَّى قَوْمٌ فَرَوَوْهُ «الْمَسِيحُ» بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، لِيُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ بِزَعْمِهِمْ، وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمَا بِقَوْلِهِ فِي الدَّجَالِ «مَسِيحُ الضَّلَالَةِ»، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ عِيسَى مَسِيحُ الْهُدَى، فَأَرَادَ هَؤُلَاءِ تَعْظِيمَ عِيسَى، فَحَرَفُوا الْحَدِيثَ. فتح الباري (٢٠ / ١٣٦).

(٨) (خ) ٦٧٠٧، (حم) ٢٠٤٩٣.



التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ»^(١)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»^(٢).

١٤. نوال شفاعة النبي بالموت بالمدينة والدفن بالبقيع^(٣): عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»^(٤). عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ^(٥).

من أقوال العلماء في الباب:

* المدينة المنورة: هي مدينة الرسول ﷺ طيبة الطيبة، مكان نزول الوحي، ومهبط جبريل عليه السلام على أفضل المرسلين، وهي نبع الإيمان، وموطن أصحاب الإيمان، ومكان التقاء المهاجرين والأنصار، وهي عاصمة المسلمين الأولى، وفيها فرض الجهاد، ومنها شِعْ نور الهداية، وإليها هاجر رسول الرحمة، وفيها عاش آخر حياته ﷺ وبها مات، وفيها دُفن، ومنها يُبعث، وفيها قبره صلوات الله عليه، وهي المدينة المباركة التي شرفها الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة

(١) [التوبة: ١٠٨].

(٢) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (٣٠٩٩)، والنسائي في «المجتبى» (٣٦/٢)، وفي «الكبرى» (٧٧٦).

(٣) البقيع هي: مَقْبَرَةُ الْمُسْلِمِينَ بالمدينة بجوار مسجد النبي ﷺ.

(٤) (ت) ٣٩١٧، (حم) ٥٤٣٧، (ج) ٣١١٢، صحيح الجامع: ٦٠١٥، الصحيح: ٢٩٢٨.

(٥) (خ) ١٧٩١، (ط) ٩٨٩.



المكرمة^(١).

* قال بعض أهل العلم: لعظيم شأن المدينة النبوية؛ كثرت أسماءها وصفاتها؛ ومنها: المدينة، وطيبة، وطابة، والدرع الحصينة، وأرض الهجرة، والدار، ودار الإيمان، ودار الهجرة، ودار السنة، ودار السلامة، وقبة الإسلام.



(٦) من مقال: فضائل المدينة المنورة، ل: سناء الدويكات ٢٨ أبريل ٢٠١٩م، من موقع (موضوع).

٩. ثمرات وفضائل المسجد الأقصى

١. في أرضٍ مباركة: قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١). تقتزن نبوة النبي أو إرسال الرسول عادة بمعجزة: وهي الأمر الخارق للعادة، لإثبات النبي أو الرسول صدقه أمام قومه، وأنه نزل عليه الوحي من ربه، ومن المعروف أن الله تعالى أيد نبينا محمداً ﷺ بمعجزاتٍ مثل معجزات الأنبياء قبله، وقد ينفرد بمعجزة لا يُماثله فيها نبيٌّ سابق، مثل انشقاق القمر، والإسراء والمعراج. وكان حادث الإسراء قبل الهجرة بعامٍ أو بعام ونصف، وكان ذلك في رجب، والنبي ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً، والمتحقق أن ذلك كان بعد شقِّ الصحيفة: وثيقة مقاطعة قبائل قريش لبني هاشم وبني المطلب. وافتتح الله تعالى سورة الإسراء بخبره المَوْجِزِ^(٢).

٢. تُشَدُّ إِلَيْهِ الرَّحَالُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٣).

٣. ثاني مسجد وُضِعَ فِي الْأَرْضِ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) [الإسراء: ١].

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٣٢١).

(٣) البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

أَيُّ مَسْجِدٍ وَضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكْتَكِ الصَّلَاةُ فَصَلِّي، وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ»^(١).

٤. الصَّلَاةُ فِيهِ بِمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ صَلَاةً: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَذَاكُرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلِنِعَمِ الْمُصَلِّي، وَلْيُوشِكَنَّ أَنْ لَا يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطْنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا - أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢).

٥. الصَّلَاةُ فِيهِ سَبَبٌ فِي تَكْفِيرِ الْخَطَايَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٣).

٦. الْإِهْلَالُ مِنْهُ لِلْمَنَاسِكِ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَهَلَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِعُمْرَةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤).

٧. النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ بَفَتْحِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... اْعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةُ دِينَارٍ فَيُظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ

(١) البخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٨٥٥٣). (هب) (٤١٤٥)، وصححه الألباني في تمام المنة (ص ٢٩٤)، وصحيح الترغيب والترهيب: (١١٧٩).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٦٦٤٤)، ابن ماجه (١٤٠٨)، وقال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

(٤) أبو يعلي (٧٠٠٩)، صحيح ابن حبان (٣٧٠١)، حم (٢٦٥٥٨)، وقال عنه المنذري في الترغيب: (٦٨/٢)، رقم (١٧٠٧) بإسناد صحيح.



ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(١).

٨. نبي الله عيسى ينزل هناك: عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رَحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرَ الدَّجَالِ أَخَوْفَنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَأَمْرُو حَاجِبِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَائِفَةٌ، كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجُ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاقْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَنُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَتِهِ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتِهِ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فْتَنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمَجَلِّينَ

(١) البخاري (٣١٧٦). (اعدد ستًا) من العلامات. (بين يدي الساعة) قدام قيامها ومن أشراطها القريبة منها. (موتان) موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه. (كقعاص الغنم) داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. (استفاضة المال) كثرته وزيادته عن الحد المعتاد. (فتنة) تقاتل واضطراب في الأحوال. (هدنة) صلح. (بني الأصفر) هم الروم. (غاية) راية سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وإذا مشت مشى.

لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ،
فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ
فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةِ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ،
بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ
تَحَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي
حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابُ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ،
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ
لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرَّرُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةٍ طَبَرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ
فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ، حَتَّى يَكُونَ
رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى
وَأَصْحَابَهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ
مَوْضِعَ شِبْرِ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ،
فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ
مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ
لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتَكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ،
وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ



مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارَجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(١).

٩. أهله قائمون على الحق ويقاتلون عليه: قَالَ: مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، فَقَامَ مَالِكُ بْنُ يَخَامِرٍ السَّكْسَكِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، يَقُولُ: «وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ» فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَرَفَعَ صَوْتَهُ هَذَا مَالِكُ، يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا، يَقُولُ: «وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ»^(٢).

١٠. هو أرض المحشر: عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتَنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ! قَالَ: «أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، اتُّوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ» قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ»^(٣). والمراد أنه يكون الحشر إليه في قرب القيامة^(٤).

(١) مسلم (٢٩٣٧).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٦٩٣٢). وفي روايات تقوي بمجموعها في المسند رقم (٢٢٣٢٠)،

تحديد المكان في «بيت المقدس».

(٣) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (١٤٠٧)، وصحيح الجامع (٣٧٢٦).

(٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/٤٢٩).

١١. شرف واستحباب الدفن فيها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبٍّ، ثُمَّ مَازَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكُثْبِ الْأَحْمَرِ»^(١). «صكه» لطمه على وجهه فأصاب عينه وفقأها. «متن» ظهر. «يدنيه» يقربه. «رمية بحجر» أي بحيث لو رمى رام حجر من الموضع لوصل إلى بيت المقدس. «ثم» هناك. «الكثيب» الرمل المجتمع. وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله لهذا الحديث بقوله: بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا. قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: وَأَمَّا سُؤَالُهُ الْإِدْنَاءَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَلَشَرَفُهَا وَفَضِيلَةُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَدْفُونِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِدْنَاءَ، وَلَمْ يَسْأَلْ نَفْسَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَبْرُهُ مَشْهُورًا عِنْدَهُمْ فَيَفْتِنَ بِهِ النَّاسَ، وَفِي هَذَا اسْتِحْبَابُ الدَّفْنِ فِي الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ وَالْمَوَاطِنِ الْمُبَارَكَةِ، وَالْقُرْبُ مِنْ مَدَافِنِ الصَّالِحِينَ^(٢).

١٢. من صلى فيه خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا فَرَّغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليه السلام مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ»^(٣).

(١) البخاري (١٣٣٩)، مسلم (٢٣٧٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠٣/٨).

(٣) (جدة) ١٤٠٨.



«خَلَا لَا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللَّهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ»^(١) «فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَ اللَّهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٢) «وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ»^(٣) «أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٤) «وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّلَاثَةَ»^(٥). والمراد: التَّوْفِيقُ لِلصَّوَابِ فِي الاجْتِهَادِ وَفَضْلِ الْخُصُومَاتِ بَيْنَ النَّاسِ. **والثاني:** طَلَبَ مُلْكًا لَا يَكُونُ مِثْلَهُ لغيرِهِ مِنَ الْبَشَرِ بَعْدَهُ، وَلَعَلَّ مُرَادَهُ: أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُلْكُ لِعَظَمَتِهِ مُعْجَزَةً لَهُ؛ فَيَكُونُ سَبَبًا لِلْإِيمَانِ وَالْهُدَايَةِ، وَلَكُونَهُ مُلْكًا أَرَادَ أَنْ تَكُونَ مُعْجَزَتُهُ مَا يُنَاسِبُ حَالَهُ، أَوْ كَأَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ مَنَعَ الْخَلْقِ مِنْ سُؤَالِ وَطَلَبِ هَذَا الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ؛ حَتَّى لَا يَتَعَلَّقَ بِهِ أَمَلٌ أَحَدٌ، وَلَمْ يَسْأَلْ مَنَعَ الْإِجَابَةِ. وَقِيلَ: طَلَبَ ذَلِكَ لِيَكُونَ مَحَلُّهُ وَكَرَامَتُهُ مِنَ اللَّهِ ظَاهِرًا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُمْ تَنَافُسٌ فِي الْمَحَلِّ عِنْدَهُ؛ فَكُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَحَلِّهِ عِنْدَهُ، فَلَوْ أُعْطِيَ أَحَدٌ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ذَهَبَتِ الْخُصُوصِيَّةُ، فَسَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الرِّيحَ تَحْمِلُهُ بِعَسْكَرِهِ وَجُنُودِهِ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ، وَسَخَّرَ لَهُ الشَّيَاطِينَ يَجْعَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ، وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ، وَسَخَّرَ لَهُ آخَرِينَ مُتَمَرِّدِينَ، يَقْرُنُهُمْ فِي السَّلَاسِلِ وَقِيُودِ الْحَدِيدِ؛ تَعْذِيبًا لَهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا عَنْ تَمَرُّدِهِمْ. **والثالث:** وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ، أَي: الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، لَا يُرِيدُ

(١) (س) ٦٩٣.

(٢) (حم) ٦٦٤٤، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) (جة) ١٤٠٨.

(٤) (س) ٦٩٣.

(٥) (جة) ١٤٠٨، (حم) ٦٦٤٤، صحيح الجامع: ٢٠٩٠، صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٨.

إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، أَي: لَا يَقْصِدُهُ إِلَّا لِلصَّلَاةِ، إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، أَي: يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذُنُوبِهِ وَيُطَهَّرُ مِنْهَا لَا يَشُوبُهُ مِنْهَا شَيْءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةُ»، أَي: أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لِسُلَيْمَانَ فِي طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ قَصَدَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى بِالصَّلَاةِ، كَمَا اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا.

من أقوال العلماء في الباب:

* قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ سَمَاءٌ مَبَارَكًا؛ لِأَنَّهُ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَهْبِطُ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِ، وَمِنْهُ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

* قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الَّذِي جَعَلْنَا حَوْلَهُ الْبَرَكَةَ لِسُكَّانِهِ، فِي مَعَاشِهِمْ، وَأَقْوَاتِهِمْ، وَحُرُوثِهِمْ، وَغُرُوسِهِمْ.

* قَالَ الْإِمَامُ الْعَزْزُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بَارَكْنَا﴾ بِالثَّمَارِ وَمَجْرَى الْأَنْهَارِ، أَوْ بِمَنْ جُعِلَ حَوْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

* قَالَ الْإِمَامُ السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ يَعْنِي: بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ.

* قَالَ الْإِمَامُ الشُّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَارَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِبَرَكَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

* قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ عَاشُور: وَكَوْنُ الْبَرَكَةِ حَوْلَهُ؛ كُنَايَةٌ عَنْ حَصُولِ الْبَرَكَةِ فِيهِ بِالْأَوَّلَى؛ لِأَنَّهَا إِذَا حَصَلَتْ حَوْلَهُ فَقَدْ تَجَاوَزَتْ مَا فِيهِ.

* قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ بَرَكَتِهِ: تَفْضِيلُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ، سِوَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ يُطْلَبُ شِدُّ الرَّحَالِ إِلَيْهِ لِلْعِبَادَةِ، وَالصَّلَاةِ فِيهِ، وَأَنَّ اللَّهَ اخْتَصَّه مُحَلًّا لَكَثِيرٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ.



* قال الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر: المسجد الأقصى مسجد عظيم مبارك، له مكانة عالية في نفوس المؤمنين، ومنزلة رفيعة في قلوبهم، فهو مسجد قد خُصَّ في الكتاب والسنة بميزات كثيرة، وخصائص عديدة، وفضائل جمّة، تدل على رفيع مكانته، وعظيم قدره.

* قال ابن شوذب رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾^(١)، قال: فلسطين.



١٠. ثمرات وفضائل ذكر الله تعالى

١. ذكر الله لمن ذكره: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١). قال سعيد بن جبیر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: معنى الآية اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة. قال القاضي أبو محمد: أي اذكروني عند كل أموركم فيحملكم خوفي على الطاعة فأذكركم حينئذ بالثواب، وقال الربيع والسدي: المعنى اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه^(٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٣).

٢. نوال المغفرة والأجر العظيم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤). قال مجاهد: لا يكون العبد من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا^(٥).

(١) [البقرة: ١٥٢].

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٢٦).

(٤) البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥).

(٥) [الأحزاب: ٣٥].

(٦) الباب في علوم الكتاب (١٥ / ٥٥٠).



٣. شرف تنفيذ أمر الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي، ولا تنيا في ذكري﴾^(١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَضَعُفًا، أَي فِي أَمْرِ الرِّسَالَةِ، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَقِيلَ: تَفْتَرَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٢). صلاة الصبح والعصر، والأصيل ما بين العصر والليل، أو الأصيل الظهر والعصر والمغرب والعشاء^(٣).

٤. نوال النجاة من المهالك: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٤). فيه أربعة أوجه: أحدها: من القائلين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. الثاني: من المصلين. الثالث: من العابدين. الرابع: من التائبين. وقيل: تاب في الرخاء فنجاه الله من البلاء^(٥).

٥. التحصن من الشيطان: عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُنْطَى بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فِيمَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا أَمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَمْتَلَأَ الْمَسْجِدَ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ

(١) تفسير القرطبي (١١/١٩٨).

(٢) [طه: ٤٢].

(٣) [الأحزاب: ٤١-٤٣].

(٤) تفسير العز بن عبد السلام (٢/٥٨٢).

(٥) [الصفافات: ١٤٣، ١٤٤].

(٦) تفسير الماوردي - النكت والعيون (٥/٦٧).

أَعْمَلْ بِهِنَّ، وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوْلَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنْ مَثَلٌ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصٍ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَأَمْرُكُمْ بِالصَّيَامِ، فَإِنْ مَثَلٌ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنْ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمْرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنْ مَثَلٌ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَقَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنْ مَثَلٌ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُخْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»^(١).

٦. نَوَالِ السَّبْقِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»^(٢).

(١) (ت) (٢٨٦٣)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (١٧٢٤)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٥٥٢).

(٢) مُسْلِمٌ (٢٦٧٦).



٧. نوال الحياة الحقيقية: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(١). معنى الحديث: أن الذي يَذْكُرُ الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره، وشرح له صدره، فكان كالحي بسبب ذكر الله تعالى والمداومة عليه، بخلاف من لا يَذْكُرُ الله تعالى، فهو كالميت الذي لا وجود له، فهو حيٌّ ببدنه ميتٌ بقلبه.

٨. سببٌ في النجاة من عذاب الله: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٢). وفي لفظ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٣).

٩. الذكر غراس الجنة: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٤).

(١) البخاري (٦٤٠٧)، مسلم (٧٧٩). معنى الحديث: أن الذي يَذْكُرُ الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له صدره، فكان كالحي بسبب ذكر الله تعالى والمداومة عليه، بخلاف من لا يَذْكُرُ الله تعالى، فهو كالميت الذي لا وجود له. فهو حيٌّ ببدنه ميتٌ بقلبه. وهذا مثلٌ ينبغي للإنسان أن يعتبر به وأن يَعْلَمَ أَنَّهُ كلما غَفَلَ عن ذكرِ الله ﷻ، فَإِنَّهُ يقسو قلبه وربما يموت قلبه والعياذ بالله.

(٢) مسند أحمد (٢٢٠٧٩)، صحيح الجامع (٥٦٤٤).

(٣) (ت) (٣٣٧٧)، (ج) (٣٧٩٠)، (حم) (٢١٧٥٠)، صحيح الجامع: (٥٦٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٤٩٣).

(٤) سنن الترمذي ت شاكر (٣٤٦٢)، الصحيحة (١٠٥).

١٠. سبب في حط الخطايا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

١١. الذكر أفضل من الدنيا وما فيها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٢).

١٢. نوال البراءة من النفاق: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

١٣. معية الله تعالى للذاكرين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»^(٤).

١٤. الذكر من خير الأعمال: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(٥).

(١) البخاري (٦٤٠٥)، مسلم (٢٦٩١)، (٢٦٩٢).

(٢) مسلم (٢٦٩٥).

(٣) [النساء: ١٤٢].

(٤) (ج٢) (٣٧٩٢)، (حم) (١٠٩٨١)، انظر صحيح الجامع: (١٩٠٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٤٩٠).

(٥) (ت) (٣٣٧٧)، (ج٢) (٣٧٩٠)، (حم) (٢١٧٥٠)، صحيح الجامع: (٢٦٢٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٤٩٣).



١٥. سببٌ للفلاح في الدنيا والآخرة: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

١٦. سببٌ في الرحمة وحضور الملائكة: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٣).

١٧. ذكره الله تعالى بديلاً عن أعمالٍ أخرى: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَيَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبْنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيَكْثِرْ ذِكْرُ اللَّهِ»^(٤).

١٨. أفضل من مائة بدنة وفرس وعتق مائة رقبة: عَنِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ»^(٥)، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ

(١) [الجمعة: ١٠].

(٢) [الأنفال: ٤٥].

(٣) مسلم (٢٧٠٠).

(٤) (طب) (١١١٢١)، (هب) (٩٠٨)، (خد) (٢٧٥)، موقوفاً، انظر صحيح الترغيب والترهيب:

(١٤٩٦)، صحيح الأدب المفرد: (٢٠٩)، الصحيحة (٢٧١٤)، صحيح الجامع (٦٣٧٧).

(٥) البدنة: هي ناقة أو بقرة، ولا تقع البدنة على الشاة. وقال بعض الأئمة البدنة هي الإبل خاصة،

ويُدل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِعَظَمِ بَدْنِهَا، وَإِنَّمَا أُلْحِقَتْ الْبَقَرَةُ

بِالْإِبِلِ بِالسَّنَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «تُجْزَى الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةِ» وَالْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ. عون المعبود (٦/٢٦٦).

قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةِ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةِ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَحِثْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ^(١). وَعَنْ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنها قَالَتْ: مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدُنْتُ، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ، قَالَ: «سَبِّحِ اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ رَقَبَةٍ تُعْتِقُهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي اللَّهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ فَرَسٍ مُسَرَّجَةٍ مُلَحَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَبِّرِي اللَّهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللَّهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ»، قَالَ ابْنُ خَلْفٍ: أَحْسِبُهُ قَالَ: «تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمٌ لِأَحَدٍ مِثْلَ عَمَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتَ بِهِ»^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ أَلَسْنَتْهُمْ رَطْبَةً بِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ يَدْخُلُ أَحَدُهُمُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ^(٣).

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: النَّوْمُ عِنْدَ الذِّكْرِ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِنْ شِئْتُمْ فَجَرَّبُوا، إِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مَضْجَعَهُ وَارَادَ أَنْ يَنَامَ، فَلْيَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ^(٤).

(١) (ن) (١٠٦٥٧)، (مسند الشاميين) (٥١٦)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٦٥٨).

(٢) (حم) (٢٦٩٥٦)، (جة) (٣٨١٠)، (ن) (١٠٦١٣)، (هب) (٦١٢)، انظر الصحيحة:

(١٣١٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٥٥٣).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٢١٩).

(٤) (خد) (١٢٠٨)، انظر صحيح الأدب المفرد: (٩٢٢).



* قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ أَعْظَمَكُمْ اللَّيْلُ أَنْ تَسَاهَرُوهُ، وَبَخِلْتُمْ بِالْمَالِ أَنْ تُنْفِقُوهُ، وَعَجَزْتُمْ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ تُقَاتِلُوهُ، فَعَلَيْكُمْ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَبَلِي ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ^(١).

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ﴾ قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِثٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسُوسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ^(٢).^(٣)

* قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ يَنْحَسِرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّةً بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا^(٤).

* قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا تَنَعَّمَ الْمُتَنَعِّمُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٥).
* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا عَلَيْهِ كُلُّهَا، وَيَأْتِي بِسَيِّئَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا مِنْ كَثَرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ^(٦).

* قَالَ مُجَاهِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا بَيْتَ إِلَّا طَاهِرًا ذَاكِرًا مُسْتَغْفِرًا فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْأَرْوَاحَ تُبْعَثُ عَلَى مَا قُبِضَتْ عَلَيْهِ^(٧).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٦٧).

(٢) أي: انقبض الشيطان وتأخر.

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٥٤٠). (ش) (٣٤٧٧٤)، (عب) (٣٧٥٠)، (ك) (٣٩٩١)،

(هب) (٦٧٦)، وصححه الألباني في هداية الرواة: (٢٢٢١).

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٧٤).

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٣٢١)، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٥٨).

(٦) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ١٦١).

(٧) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (١/ ٢٦٣).

* قال الربيع بن خثيم رحمته الله: أَقَلُّ الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ تِسْعٍ: تَكْبِيرٍ، وَتَهْلِيلٍ، وَتَسْبِيحٍ، وَتَحْمِيدٍ، وَسُؤَالِكَ الْخَيْرِ، وَتَعَوُّذِكَ مِنَ الشَّرِّ، وَأَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقِرَاءَتِكَ الْقُرْآنِ^(١).

* قال ابن القيم رحمته الله: وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ وَأَنْفَعُهُ مَا وَاطَّأ فِيهِ الْقَلْبُ اللِّسَانَ، وَكَانَ مِنَ الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ وَشَهِدَ [تَفَكَّرَ] الذَّاكِرُ مَعَانِيَهُ وَمَقَاصِدَهُ^(٢).

* قال أحد الصالحين: مَا أَعْلَمَ مَعْصِيَةً أَقْبَحَ مِنْ تَرْكِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

* قال العلماء: مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ ثِقَلُ الذِّكْرِ عَلَى اللِّسَانِ، فَتَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَخْفُ الذِّكْرُ عَلَى لِسَانِكَ.

* قال لقمان رحمته الله: إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَالْغَفْلَةِ كَمَثَلِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ^(٣).

* قال ابن تيمية رحمته الله: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ، قَالُوا: وَمَا هِيَ يَا إِمَامَ؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرُهُ^(٤).



(١) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/٥٥٣).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٢).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/٣٨).

(٤) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٤٥٢).

١١. فضائل الأمة المحمدية

١. نوال شطر أهل الجنة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَا رَجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءٍ فِي ثَوْرِ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءٍ فِي ثَوْرِ أَبْيَضٍ»^(١).

٢. نوال الرحمة: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا: الْفِتْنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ»^(٢). أي عذابهم في الآخرة ليس كعذاب الكفار كما أن الغالب في حقهم المغفرة.

٣. شهداء الله في الأرض: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^(٣).

(١) البخاري (٦٥٢٨)، مسلم (٢٢١).

(٢) (د) (٤٢٧٨)، (ك) (٨٣٧٢)، (يع) (٧٢٧٧)، (طس) (٤٠٥٥)، انظر صحيح الجامع: (١٣٩٦)، (١٧٣٨)، الصحيحة: (٩٥٩).

(٣) البخاري (١٣٦٧)، مسلم (٩٤٩). (فأثنوا عليه خيرًا) وصفوها بفعل الخير. (فأثنوا عليها شرًا) وصفوها بفعل الشر. (شهداء الله في الأرض) أي يقبل قولكم في حق من تشهدون له أو عليه.

وفي رواية: «الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ»^(١). وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»^(٢).

٤. الله تعالى تجاوز عنها حديث النفس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمَ»^(٣).

٥. الله تعالى رفع عنها الخطأ والنسيان والإكراه والوسواس: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٤). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمَ»^(٥). (تجاوز) عفا ولم يؤخذ. (ما وسوست به صدورها) ما يخطر بالبال من شر.

٦. هي خير الأمم عند الله: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٦).

(١) (س) (١٩٣٣)، (ن) (٢٠٦٠)، (طب) (٢٢/٧)، (٦٢٥٩) انظر صحيح الجامع: (١٤٩٠)،

(٦٧٢٨)، أحكام الجنائز (ص: ٤٤).

(٢) (ك) (١٣٩٧)، (هب) (٨٨٧٦).

(٣) البخاري (٥٢٦٩).

(٤) (ج) (٢٠٤٣)، (حب) (٧٢١٩)، وصححه الألباني في الإرواء: (٨٢).

(٥) البخاري (٢٥٢٨).

(٦) [آل عمران: ١١٠].



قَالَ: «إِنَّكُمْ تَتَمُونُ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(١).^(٢)

٧. أَمْنَا لَا تَجْتَمِعُ أَبَدًا عَلَى ضَلَالَةٍ: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَى ضَلَالَةٍ»^(٣).^(٤)

٨. الله تعالى حفظها من الهلاك والاستئصال: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْ إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا، وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا»^(٥)، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ^(٦)، وَإِنِّي سَأَلْتُ

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا حَارَزَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللَّهِ. تحفة الأحوذى (٧ / ٣٢١).

(٢) (ت) (٣٠٠١)، (ج) (٤٢٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦٤).

(٣) (الضلالة) أَي: الْكُفْرُ، أَوْ الْفُسْقُ، أَوْ الْخَطَأُ فِي الْإِجْتِهَادِ، وَهَذَا قَبْلَ مَجِيءِ الرِّيحِ. حاشية السندي على ابن ماجه (٧ / ٣٢٠). وفي الحديث أَنَّ إِجْمَاعَ أُمَّتِهِ ﷺ حُجَّةٌ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِهِمْ. عون (٩ / ٢٩٣). وَإِنَّمَا حَمَلَ الْأُمَّةَ عَلَى أُمَّةٍ الْإِجَابَةِ لِمَا وَرَدَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى الْكُفَّارِ، فَالْحَدِيثُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ إِجْتِمَاعَ الْمُسْلِمِينَ حَقٌّ، وَالْمُرَادُ: إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ، وَلَا عِبْرَةَ بِإِجْمَاعِ الْعَوَامِّ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ عَنْ عِلْمٍ. تحفة الأحوذى (٥ / ٤٥٨). قال أحد الدعاة: هذه الأمة إن لم يجمعها الحق، فرّقها الباطل.

(٤) (ج) (٣٥٩٠)، (ت) (٢١٦٧)، انظر صحيح الجامع: (١٧٨٦)، الصحيح: (١٣٣١).

(٥) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مُلْكَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَكُونُ مُعْظَمُ امْتِدَادِهِ فِي جِهَتَيْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَهَكَذَا وَقَعَ، وَأَمَّا فِي جِهَتَيْ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، فَقَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. النووي (٩ / ٢٦٨).

(٦) قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بِالْكَنْزَيْنِ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَالْمُرَادُ: كَنْزِي كَسْرَى وَقَيْصَرُ مَلِكِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ. النووي (٩ / ٢٦٨).

رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةً، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ^(١) فَيَسْتَبِيحَ^(٢) بِيَضَّتِهِمْ^(٣) حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ: مَنْ بِأَقْطَارِهَا، أَلَا وَإِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيَّامَةَ الْمُضِلِّينَ^(٤)، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٥)...»^(٦).

٩. يدخل طائفة منهم الجنة بغير حساب: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفْقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفْقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسَ فِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ

(١) أَي: الْكَفَّارُ.

(٢) أَي: يَسْتَأْصِلُ.

(٣) أَي: جَمَاعَتُهُمْ وَأَصْلُهُمْ، وَالْبَيْضَةُ أَيْضًا: الْعِزُّ وَالْمُلْكُ. النووي (٢٦٨/٩). وَقَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النِّهَايَةِ: أَي: مُجْتَمَعُهُمْ وَمَوْضِعُ سُلْطَانِهِمْ، وَمُسْتَقَرُّ دَعْوَتِهِمْ، وَبَيْضَةُ الدَّارِ: وَسْطُهَا وَمُعْظَمُهَا، أَرَادَ: عَدُوًّا يَسْتَأْصِلُهُمْ وَيَهْلِكُهُمْ جَمِيعُهُمْ، قِيلَ: أَرَادَ إِذَا أَهْلَكَ أَصْلَ الْبَيْضَةِ، كَانَ هَلَاكُ كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ طَعْمٍ أَوْ فَرْخٍ، وَإِذَا لَمْ يَهْلِكْ أَصْلُ الْبَيْضَةِ، سَلِمَ بَعْضُ فِرَاحِهَا. تحفة الأحوذى (٥/٤٦٨).

(٤) أَي: الدَّاعِينَ إِلَى الْبِدْعِ، وَالْفَسَقِ، وَالْفُجُورِ.

(٥) فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَلَدٍ، يَكُونُ فِي بَلَدٍ آخَرَ، وَقَدْ ابْتَدِئَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ وَهَلَمَّ جَرًّا، لَا يَخْلُو عَنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ، وَالْحَدِيثُ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾. عون المعبود (٩/٢٩٢).

(٦) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢٤٥٢)، وبنحوه في الجملة رواه مسلم في الصحيح رقم (٢٨٨٩).



يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(١).

١٠. هذه الأمة كلها في الجنة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَبَعْضُهَا فِي النَّارِ، وَبَعْضُهَا فِي الْجَنَّةِ، إِلَّا أُمَّتِي فَإِنَّهَا كُلُّهَا فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

١١. خيريتها وفضلتها لا تنقطع بأولها: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ، أَمْ آخِرُهُ»^(٣).

١٢. فيهم من يقول ويقوم بالحق إلى قيام الساعة: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(٤).

(١) البخاري (٥٧٠٥)، مسلم (٢٢٠).

(٢) الخطيب (٣٧٦/٩)، (طس) (١٨٣٧)، (طص) (٦٤٨)، صحيح الجامع: (٥٦٩٣).

(٣) (ت) (٢٨٦٩)، (حم) (١٢٣٤٩)، (حب) (٧٢٢٦)، المشكاة: (٦٢٧٧)، الصحيحة: (٢٢٨٦).

(٤) مسلم (١٩٢٠)، البخاري (٧٣١١). (طائفة) قال البخاري هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ؟ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: «إِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ

١٣. ثمانون صفًا لها في الجنة: عَنْ بَرِيدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةً صَفًّا، ثَمَانُونَ صَفًّا مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ»^(١).

١٤. أول الأمم دخولًا الجنة: ومن هذه الفضائل والكرامات أن أُمَّتَنَا أول من يُحَاسَب يوم القيامة، وأول من يجوز على الصراط، وأول الأمم دخولًا الجنة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيِّدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِيَانَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»^(٢). أَيِ الْآخِرُونَ زَمَانًا الْأَوَّلُونَ مَنْزِلَةً، وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ وَجُودُهَا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؛ فَهِيَ سَابِقَةٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، بِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ يُحْشَرُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ^(٣).

السنة والجماعة، ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث. قال الإمام النووي: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

(١) (ت) (٢٥٤٦)، (ج) (٤٢٨٩)، (حم) (٢٢٩٩٠)، (حب) (٧٤٥٩)، وصححه الألباني في المشكاة: (٥٦٤٤)، وهداية الرواة: (٥٥٦٩).

(٢) البخاري (٨٧٦)، مسلم (٨٥٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/٣٥٤).



١٥. خصها الله تعالى بفضائل متعددة: فمن رحمة الله بالأمة أن رخص لها أن تتيمم بالتراب، إذا لم تجد الماء، أو عجزت عن استعماله، وأن يصلي العبد في أي مكان أدركته فيه الصلاة، بخلاف من كانوا قبلنا، فإنما أبيضحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة؛ كالبيع والصوامع؛ فعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَإِيمًا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ»^(١). (أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ) حان عليه وقتها في مكان ما. (وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ) العظمى، أو غيرها مما اختص به. وَعَنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُضِّلَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ لَهَا الْأَرْضُ^(٢) كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ^(٣)،^(٤) وَجُعِلَتْ صُفُوفُهَا عَلَى صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَأُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي»^(٥).

١٦. تأتي الأمة يوم القيامة ولهم علامة يعرفون بها دون الناس: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ نَعِيمِ الْمُجَمِّرِ، قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ،

(١) البخاري (٤٣٨)، مسلم (٥٢١).

(٢) (حم) (٢٣٢٩٩)، (م) ٤ - (٥٢٢).

(٣) فيه دليل على مشروعية الوضوء في الأمم السابقة، ويؤيده قوله ﷺ: «هذا وضوئي، ووضوء الأنبياء من قبلي».

(٤) (م) ٤ - (٥٢٢)، (حم) (٢٣٢٩٩).

(٥) (حم) (٢٣٢٩٩)، (م) ٤ - (٥٢٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

فَتَوَضَّأَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١). فيردون الحوض، وهم غرٌّ؛ أي: بيض الوجوه، مُحَجَّلُونَ؛ أي: بيض الأيدي والأرجل من آثار ماء الوضوء؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرُدُّ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرُدُّونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيَصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيَجِئُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ؟»^(٢). (وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ) بمعنى أطرده وأمنع.

١٧. اختص الله الأمة بقبض رسولها قبلها: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا»^(٣) وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةً أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا، حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ»^(٤).

(١) البخاري (١٣٦)، مسلم (٢٤٦). (غرًّا محجلين) أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ثم استعملت في الشهرة وطيب الذكر. ومحجلين من التحجيل وهو بياض يكون في قوائم الفرس. والمعنى أن النور يسطع من وجوههم وأيديهم وأرجلهم يوم القيامة، وهذا من خصائص هذه الأمة التي جعلها الله ﷻ شهداء على الناس.

(٢) مسلم (٢٤٧).

(٣) (الفرط) بمعنى الفارط، وهو المتقدم إلى الماء لِيَهَيَّئَ السَّقْيَ، قال الطيبي: يريد أنه شفيع يتقدم. فيض القدير (٢/ ٢٦٠).

(٤) (م) ٢٤ - (٢٢٨٨).



١٨. **الخير في الأمة المحمدية:** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ، أَمْ آخِرُهُ»^(١).

١٩. **رأفة الله بهذه الأمة في سهولة التوبة:** وكانت الأمم من قبلنا توبتهم بخلاف توبتنا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢)، أمّا هذه الأمة توبتها ليست بالقتل، كما كان الأمر في أمة موسى.

٢٠. **تفضيل الأمة بالخيار في القصاص:** من خصائص هذه الأمة، الخيار في القصاص، أو الدية، أو العفو؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَدِ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣)، بخلاف بني إسرائيل، قيل: إن اليهود لم يكن عندهم إلا القصاص، والنصارى لم يكن عندهم إلا العفو.

٢١. **تفضيل الأمة بيوم الجمعة والتأمين والقبلة والسلام:** عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ حَسَدٌ»^(٤) «وَأِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى

(١) (ت) ٢٨٦٩، (حم) ١٢٣٤٩، (حب) ٧٢٢٦، المشكاة: ٦٢٧٧، الصَّحِيحَة: ٢٢٨٦.

(٢) [البقرة: ٥٤].

(٣) [البقرة: ١٧٨]. (كتب) فرض وشرع. (القصاص) معاقبة الجاني المتعمد بمثل جنايته. (عفي) أي إذا عفا المجني عليه أو أولياؤه عن القصاص وقبلوا الدية. (فاتباع بالمعروف) يطالب ولي المقتول بالدية دون إساءة أو تعنيف ولا يأخذ أكثر من حقه. (أداء إليه) يعطي القاتل الدية للولي بدون مماطلة أو إضرار. (ذلك) أي تشريع الدية بدل القصاص عند العفو. (اعتدى) تجاوز حد الشرع بأن قتل القاتل بعد العفو أو أخذ الدية أو قتل غيره من أفراد عشيرته.

(٤) (خز) ٥٧٤، انظر صَحِيح التَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةِ: ٥١٥.



شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقُبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ^(١)»^(٢) «وَعَلَى السَّلَامِ»^(٣).

٢٢. تفضيل الأمة بخواتيم سورة البقرة: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجُعِلَتْ صُفُوفُهَا عَلَى صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَأُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، مَنْ كُنَزَ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي»^(٤).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال الإمام السَّعْدِيُّ رحمته الله: يمدح تعالى هذه الأمة، ويُخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردِّهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس^(٥).

* عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٦)، يَقُولُ: «أَنْتُمْ

(١) فيه دليل على أنَّ التَّأْمِينَ في الجماعة يكون بصوتٍ، وإلا فمَنْ أَيْنَ علم به اليهود حتى يحسدوهم عليه؟.

(٢) (حم) ٢٥٠٧٣، (خز) ٥٧٤، (ج) ٨٥٦، انظر الصَّحِيحَةَ تحت حديث: ٦٩١، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) (خز) ٥٧٤، (خد) ٩٨٨، (ج) ٨٥٦، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: ٥٦١٣، صفة الصلاة ص ١٠١.

(٤) (م) ٤ - (٥٢٢)، (حم) ٢٣٢٩٩، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٤٣).

(٦) [آل عمران: ١١٠].



خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ»^(١).

* قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: ففضيلتهم بكونوتهم من أمته دون أمم الأنبياء قبله^(٢).

* قال القشيري رَحِمَهُ اللهُ: لما كان المصطفى صلوات الله عليه أشرف الأنبياء كانت أمته - عليه السلام - خير الأمم. ولما كانوا خير الأمم كانوا أشرف الأمم، ولما كانوا أشرف الأمم كانوا أشوق الأمم، فلما كانوا أشوق الأمم كانت أعمارهم أقصر الأعمار، وخلقهم آخر الخلائق لئلا يطول مكثهم تحت الأرض. وما حصلت خيريتهم بكثرة صلواتهم وعبادتهم، ولكن بزيادة إقبالهم وتخصيصه إياهم^(٣).

* قال الثعالبي رَحِمَهُ اللهُ: وهذه الخيرية التي حصَّ الله بها هذه الأمة، إنما يأخذ بحظِّه منها مَنْ عَمِلَ بهذه الشروط مِنَ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله^(٤).

* قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ: وهم خير أمة أخرجت للناس؛ أعلى همة، وأقوى عزيمة، وأشد شكيمة، وأصلب عوداً، وأثبت عموداً، وأربط جأشاً، وأذكر لله، وأرغب فيما عنده، وأزهد فيما أعرض عنه منهم^(٥).



(١) تفسير مجاهد (ص: ٢٥٧).

(٢) تفسير الإمام الشافعي (١/ ٤٩١).

(٣) لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٢٦٩).

(٤) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٩٢).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٩٠).

١٢. ثمرات وفضائل القناعة

١. نوال الفلاح بشهادة النبي ﷺ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١). هو: تحصيل المطلوب، والنجاة من المرهوب، بمعنى: الظفر بالمطالب، والخلاص من الأمور المخوفة، وهذه بغية كل إنسان، أن يحصل له مطلوبه، وأن ينجو مما يكره ويخاف ويحاذر. وذكر النبي ﷺ ثلاث خصال علق بها الفلاح، من أسلم فإن الإسلام تحصل به السعادة في الدنيا والآخرة.. والأمر الثاني: رُزِقَ كَفَافًا، بأن: يجوع يومًا، ويشبع يومًا، أو يجد ما يدفع ضروراته وحاجاته. ورُزِقَ كَفَافًا من غير زيادة تصل به إلى حد أهل الترف، فإذا حصل للإنسان هذا استغنى عن المخلوقين؛ لأن الحاجة إليهم مذلة، ثم إن الإنسان إذا كان لا يجد شيئًا يأكله، ولا يُطعم عياله، فإن هذا الجوع والفقر يُقلقه ويشغل فكره، فإذا حصل للإنسان الكفاية فهذا لا شك أنه هو المطلوب، أما الزيادة فإنها مشغلة من جهة، ينشغل بهذا القدر الزائد، أين يصرفه، وماذا يفعل به.

٢. القناعة سبيل إلى الرضا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنَعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ»^(٢)، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسَنَ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَ الضَّحِكِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^(٣)^(١). أي: اتَّصِفْ وَتَحَلَّى بِخُلُقِ

(١) مسلم (١٠٥٤).

(٢) فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الشُّكْرِ الرِّضَا بِمَا تيسَّرَ.

(٣) إذا كانت كثرة الضحك تُمِيت القلب، فإن كثرة الخوف والبكاء من خشية الله تُحيي القلب.



الورع، والورع: هو اجتناب الشبهات؛ خوفاً من الوقوع في المحرمات، «تكن من أعبد الناس»، لأنه يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض، «وارض بما قسم الله لك»، أي: بما أعطاك الله من رزق، ولا تأسف على ما فاتك، من الدنيا، فالكون يسير بحكمته سبحانه، «تكن من أغنى الناس»، أي: يملأ الله قلبك، ويديك غنى؛ لأن من رضي بما قسم له، ولم يطمع فيما في أيدي الناس استغنى عنهم، والغنى غنى النفس، «وأحب للناس ما تحب لنفسك» أي: تمن لهم حصول الخير، واجتناب الشر، كما تتمناه لنفسك وأهلك، فهذا علامة على رقي الإيمان في قلبك، وكذلك فيما تكره، «وإياك وكثرة الضحك»، أي: الضحك المبالغ فيه، والذي يكثر منه صاحبه؛ فيتسبب في غفلته عن الاستعداد للموت والأهوال التي هو قادم عليها؛ «فإن كثرة الضحك تُميت القلب»، أي: فهي تُميته إن كان حياً، ويزيد أسوداداً إن كان ميتاً، وموت القلب هو خلوّه عن ذكر الله، وإنارته بحبه وتعظيمه وخوفه ورجائه.

٣. القناعة طريق إلى الغنى: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(١). حب المال وطلبه والحرص عليه: طبيعة في النفوس، والنفس تواقّة لا تشبع مهما جمعت من مال، والإسلام دعا إلى القناعة وحث عليها، والقناعة هي الرضا بما قسم الله، وعدم التطلع لما

(١) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (٤٢١٧)، (حم) (٨٠٨١)، صحيح الجامع (٤٥٨٠)، الصحيحة: (٩٣٠).

(٢) البخاري (٦٤٤٦)، مسلم (١٠٥١). (الغنى) الحقيقي الذي يملأ نفس الإنسان ويكفه عن حاجة غيره. (كثرة العرض) حطام الدنيا من الأمتعة ونحوها أو ما يصيبه الإنسان من حظوظ الدنيا.

في أيدي الآخرين. وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ المعنى الحقيقي للغنى الواجب على الإنسان الاجتهاد في تحصيله، والذي يرفع درجاته في الدنيا والآخرة، فيخبر ﷺ أن الغنى ليس كما يظن الناس في كثرة المال، ولا في كثرة العرض، وهو: كل ما ينتفع به من متاع الدنيا من أي شيء كان؛ لأن كثيراً ممن وسع عليه في المال لا يقنع بما أُوتِيَ، فهو يجتهد في الزيادة ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير من شدة حرصه؛ ولكن الغنى الحقيقي المعتبر الممدوح غنى النفس بما أُوتيت وقناعتها ورضاها به، وعدم حرصها على الزيادة والإلحاح في الطلب؛ لأنها إذا استغنت كفت عن المطامع، فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح، أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس بحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال؛ لدناءة همته وبخله، ويكثر دأبه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل، وهو مع ذلك كأنه فقير من المال؛ لكونه لم يستغن بما أُعطي فكأنه ليس بغني، ولو لم يكن في ذلك إلا عدم رضاه بما قضاه الله، لكفاه.

٤. القناعة خير من حطام الدنيا: عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسَمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى، وَلَا أَبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسَمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفَقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمَسِكًا مَا لَا تَلْفًا»^(١). خزائن الله سبحانه لا تنفد، وقد حث عباده على الإنفاق وبذل الخير في وجوه البر، وعدم الإحصاء

(١) مسند أحمد (٢١٧٦٩)، صحيح الجامع (٥٦٥٣)، الصحيحة: (٩٤٥).



والمحاسبة لِمَا أَنْفَقُوا، ووعدهم بالإِخْلَافِ بِالْخَيْرِ، وَالْجَزَاءِ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ.

٥. القناعة طريق إلى ولاية الله تعالى: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنْ أَغْبَطَ أَوْلِيَايَ عِنْدِي لَمْؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ^(١) ذُو حِظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السَّرِّ، وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ»، ثُمَّ نَقَرَ بِإِصْبَعِهِ فَقَالَ: «عُجِّلْتُ مِنْيَّةُ قَلْتُ بَوَاكِيهِ قَلَّ تَرَاثُهُ^(٢)». «عُجِّلْتُ مِنْيَّةُ»: أَيُّ مَا أَطْلَعَ عَلَى مَرَضِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، وَهَذَا شَأْنٌ غَيْرُ الْمَتَعَارِفِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّهُ وَإِنْ مَرَضَ كَثِيرًا قَلَّ مَنْ يَعْلَمُ بِمَرَضِهِ. «وَقَلَّ تَرَاثُهُ»: أَيُّ مَا تَرَكَهُ مِيرَاثًا لَوَرَثَتِهِ. «وَقَلْتُ بَوَاكِيهِ»: أَيُّ مَنْ يَبْكِي عَلَيْهِ إِذَا مَاتَ مِنَ النَّاسِ.

٦. القناعة دعا بها النبي ﷺ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ^(٣)». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا^(٤)». قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ أَكْفِهِمْ مِنَ الْقُوتِ بِمَا لَا يَرْهَقُهُمْ إِلَى ذُلِّ الْمَسْأَلَةِ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ فَضُولٌ تَبْعَثُ عَلَى التَّرَفِّهِ وَالتَّبَسُّطِ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ حُجَّةٌ

(١) خفيف الحاذ، أي: خفيف الحال قليل المال، أو خفيف الظهر من العيال، أو القليل الحظ من الدنيا.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٢٣٤٧)، وحسنه محقق جامع الأصول.

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم (١٨٧٨)، وانظر السلسلة الضعيفة (٦٠٤٢).

(٤) البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥). (قوتًا) ما يسد حاجتهم من طعام وشراب ولباس ونحو ذلك.

لِمَنْ فَضَّلَ الْكَفَافَ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَآلِهِ بِأَفْضَلِ الْأَحْوَالِ^(١). قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: الْقُوَّةُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ الثَّقَلِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْإِقْتِصَارِ عَلَى الْقُوَّةِ مِنْهَا وَالِدُّعَاءِ بِذَلِكَ^(٢).

٧. الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ أَوْ الْجَنَّةُ لِأَهْلِ الْقَنَاعَةِ: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ هَدَى إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ»^(٣). إِرْشَادُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ إِلَى أَنْ طَلَبَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْكَفَافِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي طَلَبِهِ؛ لِأَنَّ الْمَحْمُودَ مِنَ الرِّزْقِ مَا حَصَلَتْ بِهِ الْقُوَّةُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَكُونُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ حَازَ الْفَلَاحَ وَفَازَ بِهِ، مَنْ أَسْلَمَ إِسْلَامًا صَحِيحًا؛ لِأَنَّهُ خَلَصَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَرِزْقُ الْكِفَايَةِ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، وَمَا يَكْفِي عَنْ الْحَاجَاتِ وَيُدْفَعُ الضَّرُورَاتِ وَالْفَاقَاتِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: الرِّزْقُ الْحَلَالُ؛ لِأَنَّهُ لَا فَلَاحَ مَعَ رِزْقٍ حَرَامٍ، وَقَوْلُهُ: «وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»، أَي: رَزَقَهُ اللَّهُ الْقَنَاعَةَ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَفَافِ، فَلَمْ تَطْمَحْ نَفْسُهُ لَطَلَبِ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ لِمَنْ أَسْلَمَ لِلَّهِ، وَرَضِيَ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ. وَفِيهِ: فَضْلُ الْقَنَاعَةِ وَأَنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

٨. الْقَنَاعَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ^(٤) مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامٌ

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٢٧٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (٧ / ١٤٦).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٢٣٤٩)، الصَّحِيحَةُ (١٥٠٦)، صَحِيحُ الْجَامِعِ (٣٩٣١).

(٤) السَّرْبُ: الْجَمَاعَةُ، وَالْمَعْنَى فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ. تحفة الأحمدي (٦ / ١٣١).



يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(١) لَهُ الدُّنْيَا^(٢) بِحَذَائِيرِهَا^(٣).

٩. القناعة من النعيم: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَكَفَى وَالصَّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ»^(٤). أي: لا بأس بالغنى إذا كان يُصاحبه التقوى؛ لأنَّ الغنى بغير تقوى هلكة؛ يجمعه من غير حقه، ويمنعه من حقه، ويضعه في غير حقه، فلا بأس لِمَنْ جمع بين طلب الرزق والعمل للأخرة. «وَالصَّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى»، أي: إن استغناء الإنسان بصحته أفضل من استغنائه بالمال، «وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النِّعَمِ»، أي: انشراح الصدر المقتضي للشكر، والصبر الذي يستوي عند المتحلي به الغنى والفقر، وفيه من الرضى والقناعة، فإنَّ الإنسان ينعم بذلك عمن أكثر ممن له من الغنى ولا يقدر على التمتع به.

١٠. القنوع أغنى العباد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةٌ، وَالسَّابِغَةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا، قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَتَقَى؟، قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى؟، قَالَ: الَّذِي يَتَّبِعُ الْهُدَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟، قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟، قَالَ: عَالِمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟، قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: الَّذِي يَرْضَى بِمَا يُؤْتَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ

(١) حِيزَتْ: جُمِعَتْ.

(٢) (خد) (٣٠٠)، (ت) (٢٣٤٦)، (ج) (٤١٤١)، صحيح الأدب المفرد: (٢٣٠).

(٣) صحيح الجامع: (٦٠٤٢)، الصَّحِيحَةُ: (٢٣١٨).

(٤) (حم) (٢٣٢٧٦)، (خد) (٣٠١)، صحيح الجامع: (٧١٨٢)، الصَّحِيحَةُ: (١٧٤).

أَفْقَرُ؟ قَالَ: صَاحِبُ مَنْقُوصٍ ^(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرِ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ، وَتَقَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا، جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ» ^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ لُقْمَانُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، قَدْ غَرِقَ فِيهَا نَاسٌ كَثِيرٌ، فَلَتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ، وَحَشَوَهَا إِيمَانًا بِاللَّهِ ﷻ، وَشِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، لَعَلَّكَ نَاجٍ، وَلَا أَرَاكَ نَاجِيًا ^(٣).

* قَالَ ابْنُ السَّمَّاءِ، قَالَ: أَوْصَانِي أَخِي دَاوُدَ، بِوَصِيَّةٍ: انْظُرْ أَنْ لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ، وَأَنْ لَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَاسْتَحْ فِي قُرْبِهِ مِنْكَ، وَقُدِّرْهُ عَلَيْكَ ^(٤).
* فِي الْحَكَمِ: مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرْزُقَكَ اللَّهُ مَا يَكْفِيكَ وَيَمْنَعُكَ مَا يَطْغِيكَ ^(٥).

* قَالَ الْمَاورِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْقَنَاعَةُ قَدْ تَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ. فَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَقْنَعَ بِالْبُلُغَةِ مِنْ دُنْيَاهُ، وَيَصْرِفَ نَفْسَهُ عَنِ التَّعَرُّضِ لِمَا سِوَاهُ. وَهَذَا أَعْلَى مَنَازِلِ الْقَنَاعَةِ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ تَنْتَهِيَ بِهِ الْقَنَاعَةُ إِلَى الْكِفَايَةِ، وَيَحْذِفَ الْفُضُولَ وَالزِّيَادَةَ. وَهَذِهِ أَوْسَطُ حَالِ الْمُقْتَنِعِ. وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ تَنْتَهِيَ بِهِ الْقَنَاعَةُ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى مَا سَنَحَ فَلَا يَكْرَهُ مَا أَتَاهُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا، وَلَا يَطْلُبُ مَا تَعَذَّرَ وَإِنْ كَانَ

(١) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ: «صَاحِبُ مَنْقُوصٍ»، يُرِيدُ بِهِ: مَنْقُوصٌ حَالَتُهُ، يَسْتَقِلُّ مَا أُوتِيَ، وَيَطْلُبُ الْفُضْلَ.

(٢) (حب) (٦٢١٧)، وَقَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَانْظُرِ الصَّحِيحَةَ: (٣٣٥٠).

(٣) الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ١٩٠)، (٥٣٧).

(٤) أَبُو نَعِيمٍ: حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ (٧/ ٣٥٨).

(٥) الْمَنَاوِي: فَيْضُ الْقَدِيرِ (٤/ ٢٧٦).



يَسِيرًا. وَهَذِهِ الْحَالُ أَذْنَى مَنَازِلِ أَهْلِ الْقَنَاعَةِ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ. أَمَّا الرَّغْبَةُ؛ فَلِأَنَّهُ لَا يَكْرَهُ الزِّيَادَةَ عَلَى الْكِفَايَةِ إِذَا سَنَحَتْ. وَأَمَّا الرَّهْبَةُ؛ فَلِأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ الْمُتَعَذِّرَ عَنْ نَقْصَانِ الْمَادَّةِ إِذَا تَعَذَّرَتْ^(١).

* قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ بِنَصِيحَةٍ لَهُ فِي دِينِهِ، وَنَظَرَ لَهُ فِي صَلَاحِ دُنْيَاهُ، فَقَدْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ، وَأَدَّى وَاجِبَ حَقِّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ فَأَقْبِلُوهَا، وَمَوْعِظَةٌ مُنْجِيَةٌ مِنَ الْعَوَاقِبِ فَالزَّمُوهَا، فَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ، وَلَنْ يَعْدُوَ الْمَرْءُ مَا قُسِمَ لَهُ، فَاجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ فِي الْقَنُوعِ سَعَةً وَبُلْغَةً، وَكَفًّا عَنْ كَلْفَةٍ، لَا يَحِلُّ الْمَوْتُ فِي أَعْنَاقِكُمْ، وَجِهَتُهُ أَيَّامُكُمْ، وَمَا تَرَوْنَ ذَاهِبًا، وَمَا مَضَى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، أَمَا رَأَيْتُمْ حَالَاتِ الْمُنِيبِ وَهُوَ يُشْرِفُ وَيَعْدُ فَرَاغَهُ، وَقَدْ ذَاقَ الْمَوْتَ وَعَائِلَهُمْ تَعْجِيلَ إِخْرَاجِ أَهْلِهِ إِيَّاهُ مِنْ دَارِهِ إِلَى قَبْرِهِ، وَسُرْعَةَ انْصِرَافِهِمْ إِلَى مَسْكَنِهِ، وَجَهَّهُ مَفْقُودٌ، وَذِكْرُهُ مَنْسِيٌّ، وَبَابُهُ عَنْ قَلِيلٍ مَهْجُورٌ، كَأَنْ لَمْ يُخَالِطْ إِخْوَانَ الْحِفَاطِ، وَلَمْ يَعْمَرَ الدِّيَارَ، فَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَخْفَى فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ فِي الْمَوَازِينِ^(٢).



(١) ابن أبي الدنيا: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٢٦ - ٢٢٧).

(٢) القناعة والتعفف (ص: ٦٤).

١٣. ثمرات وفضائل الإصلاح بين الناس

١. **أمرٌ رغب فيه القرآن:** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١). أَي: بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ، وَمِنْ قَرَابِينَ إِخْوَتِكُمْ فَالْمَعْنَى: بَيْنَ جَمَاعَتِهِمْ إِذَا فَسَدَ مَا بَيْنَهُمْ^(٢). فَسَمَاهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَقْتَلُوا وَأَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ إِخْوَةً فِي الدِّينِ. وَقَدْ وَلِيَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قِتَالَ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ مَا رَوَى وَسَمَاهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَحْكَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَلِكَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ^(٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥). فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَلَا تَجْعَلُوهُ عِلَّةً لِإِيمَانِكُمْ، وَذَلِكَ إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ الشَّيْءَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ: عَلَيَّ يَمِينٌ بِاللَّهِ أَلَّا أَفْعَلَ ذَلِكَ، أَوْ قَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ أَنْ لَا أَفْعَلَهُ. فَيَعْتَلِّ فِي تَرْكِهِ فِعْلَ الْخَيْرِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ^(٦).

٢. **وعد الله تعالى صاحبه بالأجر العظيم:** قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ

(١) [الحجرات: ١٠].

(٢) شعب الإيمان (١٣/ ٤٢٥).

(٣) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٥٤٣).

(٤) [النساء: ١٢٨].

(٥) [البقرة: ٢٢٤].

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤/ ٥).



نَجَوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا^(١). وَهُوَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنِينَ أَوْ الْمُخْتَصِمِينَ بِمَا أَبَاحَ اللَّهُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمَا لِيَتَرَاجَعَا إِلَى مَا فِيهِ الْأُلْفَةُ وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى مَا أذنَ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ... فَسَوْفَ نَعْطِيهِ جَزَاءً لِمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ عَظِيمًا، وَلَا حَدَّ لِمَبْلَغِ مَا سَمَى اللَّهُ عَظِيمًا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ^(٢).

٣. من هدي رسول الله ﷺ: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نَصْلِحْ بَيْنَهُمْ»^(٣).

٤. يُعَدُّ مِنْ بَابِ الصَّدَقَاتِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٤). بل من أفضل الصَّدَقَاتِ وفيه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»^(٥).

٥. أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) [النساء: ١١٤].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٧/ ٤٨١).

(٣) البخاري (٢٦٩٣).

(٤) البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٥) وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص: ١٣٥)، رقم (٣٣٥)، والبزار كما في كشف الأستار (٢/ ٤٤٠)، رقم (٢٠٥٩)، والقضاعي (٢/ ٢٤٤)، رقم (١٢٨٠). قال المنذري (٣/ ٣٢١): رواه الطبراني والبزار، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وحديثه هذا حسن، قلت: انظر الصحيح: (٢٦٣٩)، وقد تراجع الألباني عن تضعيفه في ضعيف الجامع حديث رقم: (١٠١٢).

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»^(١).

٦. نوال أجر التجارة الربحية: عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «تَسْعَى فِي صَلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتَقَارَبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»^(٢). وفي لفظ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا، وَتَفَاسَدُوا»^(٣).

٧. النبي ﷺ نفى عنه الكذب مع صدوره منه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»^(٤). من نمي الحديث إذا رفعه وبلغه، على وجه الإصلاح وطلب الخير.

٨. الصِّلح بين الناس شعار الأنبياء: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٥). أي ما أريد إلا الإصلاح لكم، وما توفيقِي إلا بالله: أي وما توفيقِي للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله عليّ، وإليه أُنِيب: أي ارجع في أمري كله^(٦).

(١) (ت) (٢٥٠٩)، (خد) (٣٩١)، (د) (٤٩١٩)، (حم) (٢٧٥٤٨)، انظر صحيح الجامع:

(٢٥٩٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٨١٤).

(٢) مسند البزار (٦٦٣٣)، صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥)، (٢٨١٨)، (حسن لغيره).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٣٩٢٢).

(٤) البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٥) [هود: ٨٨].

(٦) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٧٢).



٩. **الله يُصلح بين المؤمنين:** ومن عظيم بركة الرب وعفوه ورحمته أنه يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَائِيَاهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَنِيَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: يَا رَبِّ فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي» قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: «ارْفَعْ بَصْرَكَ فَانْظُرْ فِي الْجَنَانِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا أَوْ لِأَيِّ صَدِيقٍ هَذَا أَوْ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أُعْطِيَ الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١).

١٠. **نوال شرف تنفيذ أمر النبي ﷺ:** عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: «أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ»^(٢)،

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٨٧١٨). وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وذكره المنذري في الترغيب (٣/٣٠٩) وأشار إلى تصحيح الحاكم وقال: أخرجه البيهقي.

(٢) يعقلون معاقلهم: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، والمعاقل الديات جمع معقلة. انظر: النهاية (٣/٢٧٩).

وَأَنْ يَفْدُوا عَانِيَهُمْ^(١) بِالْمَعْرُوفِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَهَبْتُ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ قَوْمٍ، قَالَ: أَدْرَكَتَ دَرَجَةَ الْمُجَاهِدِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾^(٣).

* قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ عِتَقَ رَقَبَةٍ^(٤).

* قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ أَرَادَ فَضْلَ الْعَابِدِينَ، فَلْيُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يُوقِعْ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ^(٥).

* قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا خُطُوَةٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ خُطُوَةٍ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَمَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ^(٦).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالْصُّلْحُ الْجَائِزُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِيهِ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَرِضَا الْخَصْمَيْنِ؛ فَهَذَا أَعْدَلُ الصُّلْحِ وَأَحَقُّهُ، وَهُوَ يُعْتَمَدُ الْعِلْمُ وَالْعَدْلُ؛ فَيَكُونُ الْمُصْلِحُ عَالِمًا بِالْوُقَائِعِ، عَارِفًا بِالْوَاجِبِ، قَاصِدًا لِلْعَدْلِ، فَدَرَجَةُ

(١) العاني الذليل والأسير.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٤٤٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (١١/ ١٢٥، ح ٦٩٠٤): إسناده صحيح.

(٣) [النساء: ١١٤].

(٤) شرح الأربعين النووية - اللهيمد (ص: ٧٧).

(٥) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٥٢١).

(٦) تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٥).



هَذَا أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ^(١).

* عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَمْشِ مِيَالًا، وَعُدْ مَرِيضًا، وَأَمْشِ مِيلَيْنِ وَزُرْ أَخَا فِي اللَّهِ، وَأَمْشِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ، وَأَصْلِحْ بَيْنَ اثْنَيْنِ^(٢).

* جَرَى بَيْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَخِيهِ الْحُسَيْنِ كَلَامٌ، حَتَّى تَهَاجَرَا، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الْحَسَنِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ هَجْرِ أَخِيهِ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، فَأَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ، فَلَمَّا جَلَسَ الْحَسَنُ، قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: إِنَّ الَّذِي مَنَعَنِي مِنْ ابْتِدَائِكَ وَالْقِيَامِ إِلَيْكَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ مِنِّي، فَكِرِهْتُ أَنْ أَنَازِعَكَ مَا أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ^(٣).

* من فوائد الصَّلاح:

١. تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية.
٢. الإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو والمغفرة.
٣. اكتساب الحسنات ورفع الدرجات.
٤. تستقيم حياة المجتمع، ويتفرغ للعمل المثمر.
٥. سعادة القلوب، وراحة النفوس من الشحناء والغل والحقد.



(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ت مشهور (٢/ ٢٠٥).

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٥٢٢).

(٣) مساوي الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٥٠).

١٤. ثمرات وفضائل حسن الخلق

١. أمر الله تعالى به: قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(١). يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ: ادْفَعْ يَا مُحَمَّدُ بِالْخَلَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَذَلِكَ الْإِغْضَاءُ وَالصَّفْحُ عَنْ جَهْلَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّبْرُ عَلَى أَذَاهُمْ، وَذَلِكَ أَمْرُهُ إِيَّاهُ قَبْلَ أَمْرِهِ بِحَرْبِهِمْ. وَعَنَى بِالسَّيِّئَةِ: أَذَى الْمُشْرِكِينَ إِيَّاهُ، وَتَكْذِيبُهُمْ لَهُ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يَقُولُ لَهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: اصْبِرْ عَلَى مَا تَلْقَى مِنْهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ^(٢).

٢. أمر النبي ﷺ به أمته: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي فَقَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٣). وفي لفظ: «اسْتَقِمْ وَلْيَحْسُنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ»^(٤).

٣. هو الهدف من البعثة المحمدية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٥).

(١) [المؤمنون: ٩٦].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٧/ ١٠٤).

(٣) (ت) (١٩٨٧)، (حم) (٢١٥٢٦)، انظر صحيح الجامع: (٩٧)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٢٦٥٥).

(٤) رواه (طل)، (ك)، (هب)، عن عبدالله بن عمرو، وانظر صحيح الجامع (٩٥١)، الصحيحة (١٢٢٧).

(٥) (خد) (٢٧٣)، (حم) (٨٩٣٩) (هق) (٢٠٥٧٢)، صحيح الجامع: (٢٨٣٣)، صحيح الأدب المفرد: (٢٠٧).



وفي رواية: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

٤. كان من دعاء النبي ﷺ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

٥. الله تعالى يُحِبُّ الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالي الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(٣). أي: رديئها وحقيقتها والتوافه التي تنبئ عن الخسّة والدناءة، وعدم المروءة، مثل: الإصرار على الذنوب، والغيبة والنميمة، وتدخل المرء فيما لا يعنيه. والاهتمام بالملبس، والمأكّل، والمشرب، وحسن المظهر في حدود الشرع ليس من سفساف الأمور، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك أكبرهم المسلم، أو يصل به إلى حدّ الترف والإسراف، أو يكون على حساب دينه وأخلاقه. وفي الحديث: إثبات صفة الحبّ لله سبحانه وصفة الكره كذلك.

(١) (هق) (٢٠٥٧٢)، (ك) (٤٢٢١)، انظر الصّحيحة: (٤٥).

(٢) مسلم (٧٧١).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٥٩٢٨)، صحيح الجامع (١٨٨٩).

وفيه: الحث على الاتِّصافِ بالجمالِ المادِّي والمعنويِّ.

٦. صاحبها من أحبَّ النَّاسِ إلى الله: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(١).

٧. صاحبها مقربٌ ومحَبٌّ إلى النبي ﷺ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ»^(٢) وَالْمُتَشَدِّقُونَ^(٣)، فَتَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٤).

٨. سببٌ في دخول الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ، وَالْفَرْجُ»^(٥).

٩. نوال درجة القائم الصائم: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٦).

(١) صحيح ابن حبان (٤٨٦)، «الصحيح» (٤٣٢)، «غاية المرام» (٢٩٢)، صحيح «أبي داود» (١٧٥٩).

(٢) الثَّرَثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ تَكْلُفًا.

(٣) الْمُتَشَدِّقُونَ: الْمُتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ، مِنْ غَيْرِ احتِيَاظٍ وَاحتِرَازٍ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْمُتَشَدِّقِ الْمُسْتَهْزِئَ بِالنَّاسِ، يُلَوِي شِدْقَهُ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ، وَالشَّدَقُ: جَانِبُ الْفَمِّ. تحفة الأحوذى (٥/ ٢٧٢).

(٤) (ت) (٢٠١٨)، (خد) (١٣٠٨)، (حم) (١٧٧٦٧)، صحيح الجامع: (١٥٣٥)، الصحيحة: (٧٩١).

(٥) (ت) (٢٠٠٤)، (جة) (٤٢٤٦)، (حم) (٩٠٨٥)، انظر الصحيحة: (٩٧٧)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٧٢٣).

(٦) (د) (٤٧٩٨)، (حب) (٤٨٠)، (حم) (٢٥٥٧٨)، (خد) (٢٨٤)، المشكاة: (٥٠٨٢).



وفي رواية: «دَرَجَةُ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ»^(١). وفي رواية: «دَرَجَةُ السَّاهِرِ بِاللَّيْلِ، الظَّامِ بِالْهَوَاجِرِ».

١٠. سَبَبٌ فِي ثَقُلِ الْمِيزَانِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»^(٢).

١١. حَسَنُ الْخُلُقِ فِيهِ جَمَاعُ الْخَيْرِ: عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(٣).

١٢. نَوَالِ الْخَيْرِيَّةِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٤). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا»^(٥). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٦).

(١) (حم) (٢٤٦٣٩)، انظر صحيح الجامع: (١٦٢٠)، الصحيح: (٧٩٤) (٧٩٥).

(٢) صحيح ابن حبان (٤٨١)، صحيح الجامع: (١٣٤)، الصحيح: (٨٧٦).

(٣) مسلم (٢٥٥٣).

(٤) (حم) (٩٢٢٤)، (حب) (٤٨٤)، صحيح الجامع: (٣٢٦٣)، الصحيح: (١٢٩٨).

(٥) (حم) (٦٧٣٥)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٢٦٥٠)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط:

إسناده حسن.

(٦) البخاري (٥٦٨٨)، (٣٣٦٦)، مسلم (٢٣٢١).

١٣. سبب في زيادة الأعمار وعمار الديار: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(١).

١٤. سبب في نوال بيت في الجنة: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ^(٢) بَيْتٍ فِي رَبِضِ الْجَنَّةِ^(٣) لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ^(٤) وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِجًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(٥).

١٥. نوال الكمال: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ النَّاسِ إِيْمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»^(٦).

١٦. يحرم صاحبه على النار: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ»^(٧).

(١) (حم) (٢٥٢٩٨)، الصَّحِيحَةُ: (٥١٩)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبَةِ: (٢٥٢٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) أَي: ضَامِنٌ وَكَفِيلٌ. عون المعبود (١٠/٣٢٢).

(٣) أَي: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا، تَشْبِيهَا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْمُدُنِ، وَتَحْتَ الْفَلَاحِ. عون المعبود (١٠/٣٢٢).

(٤) أَي: الْجِدَالِ.

(٥) (د) (٤٨٠٠)، (ت) (١٩٩٣)، (ج) (٥١)، انظر صحيح الجامع: (١٤٦٤)، الصَّحِيحَةُ: (٢٧٣)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبَةِ: (١٣٩).

(٦) (طص) (٦٠٥)، انظر صحيح الجامع: (١٢٣١)، الصَّحِيحَةُ: (٧٥١).

(٧) سنن الترمذي ت شاكر (٢٤٨٨)، الصَّحِيحَةُ: (٩٣٨).



١٧. نوال محبة الناس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَا تَعْدُونَ الْكَرَمَ؟ - وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ الْكَرَمَ - فَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ، مَا تَعْدُونَ الْحَسَبَ؟، أَفْضَلُكُمْ حَسَبًا أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا^(٢).

* كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله ماشياً في الطريق فقابلته يهودي معه كلب، فقال اليهودي: يا إبراهيم أيهما أطهر لحيتك أم ذنب الكلب؟ - يُريد أن يستفزه ويغضبه! - لكن إبراهيم بهدوء ووثوق المؤمن ردَّ عليه قائلاً: إن كانت لحيتي في النار لذنب كلبك أطهر منها، وإن كانت في الجنة لهي أطهر من ذنب كلبك. فقال اليهودي على الفور: أشهد أن لا إله إلا الله وإشهاد أن محمداً رسول الله. وزاد بعضهم أن اليهودي قال: أشهد أن هذا كلام الأنبياء أو كلمة نحوها.

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال^(٣).

* قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَغْضَبَ وَلَا تَحْتَدَّ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ^(٤).

(١) (بز) (٨٥٤٤)، (ك) (٤٢٧)، (ش) (٢٥٣٣٣)، (يع) (٦٥٥٠)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٢٦٦١).

(٢) (خد) (٨٩٩)، انظر صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ: (٦٩٤).

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦٩/٤).

(٤) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (٤٥٧/١).

* قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ^(١).

* قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: جَمَعَ بَعْضُهُمْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ، فَقَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ، قَلِيلَ الْأَذَى، كَثِيرَ الصَّلَاحِ، صَدُوقَ اللِّسَانِ، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْعَمَلِ، قَلِيلَ الزَّلَلِ، قَلِيلَ الْفُضُولِ، بَرًّا، وَصُولًا، صَبُورًا، شُكُورًا، رَضِيًّا، حَلِيمًا، رَفِيقًا، عَفِيفًا شَفِيقًا، لَا لَعَنًا، وَلَا سَابًّا، وَلَا نَمَامًا، وَلَا مُغْتَابًا، وَلَا عَجُولًا، وَلَا حَقُودًا، وَلَا بَخِيلًا، وَلَا حَسُودًا، بَشَاشًا، هَشَّاشًا، يَحِبُّ فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ، وَيَرْضَى فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ، فَهَذَا هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ.

* قَالَ الشَّيْخُ سَعْدُ الشُّثْرِي: فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْخُلُقَ الْحَسَنَ بَعْدَ مِنَ الْأُمُورِ **أُولَئِهَا**: تَرَكَ أَذِيَةَ الْآخَرِينَ، **وِثَانِهَا**: إِصْالَ الْإِحْسَانِ عَلَى الْآخَرِينَ، **وِثَالِهَا**: الصَّبْرَ عَلَى مَا يَحْصُلُ مِنَ الْآخَرِينَ مِنْ أُمُورٍ مَكْرُوهَةٍ، **وِرَابِعُهَا**: مُلَاقَاةَ النَّاسِ بِوَجْهِ طَلِيقٍ وَلِسَانٍ طَيِّبٍ.

* قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا أَمَلٌ ثَوْبِي مَا وَسَعَنِي، وَلَا أَمَلٌ زَوْجَتِي مَا أَحْسَنْتَ عِشْرَتِي، وَلَا أَمَلٌ دَابَّتِي مَا حَمَلْتَنِي، إِنَّ الْمَلَالَ مِنْ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ^(٢). بِمَعْنَى أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَصْبِرُ عَلَى شَيْءٍ، يَصْحَبُ هَذَا مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ ثُمَّ يُدِيرُ ظَهْرَهُ، وَلَا يَعْرِفُ مَا هُوَ السَّبَبُ.

* كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: ... وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ وَالْقَلَقَ وَالضَّجَرَ^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (٧٨ / ١٥).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨٣ / ٤٦)، الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥٧ / ٣).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧١ / ٣٢).



* قال ميمون بن مهران: جاء رجلٌ إلى سلمان رضي الله عنه، فقال: يا أبا عبد الله، أوصني. قال: لا تكلم، قال: ما يستطيع من عاش في الناس ألا يتكلم! قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت، قال: زدني. قال: لا تغضب، قال: أمرتني ألا أغضب، وإنه ليغشاني ما لا أملك! قال: فإن غضبت فاملِكْ لسانك ويدك^(١).



(١) رواه ابن أبي الدنيا في: الصمت (٦١٠)، وابن عساكر في: تاريخ دمشق (٤٤٣/٢١).

١٥. ثمرات وفضائل محبة الله للعبد

١. نوال مغفرة الذنوب: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). فجعل المحبة في اتباعه، وجعل جزاء اتباعه محبته لعباده، وهي أعلى الكرامة^(٢). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ؛ فَأَبْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ^(٣).

٢. حفظ الله تعالى جوارح العبد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(٤).

٣. نوال حب الملائكة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ

(١) [آلِ عِمْرَانَ: ٣١].

(٢) تفسير التستري (ص: ٧٩).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢ / ٣٢).

(٤) البخاري (٦٥٠٢).



فِي الْأَرْضِ»^(١).

٤. وَضَعَ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ: ففي الحديث السابق قال رسول الله ﷺ: «... ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، ويقرره أيما تقرير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢). عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قَالَ: حُبًّا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَحَبَّةٌ فِي النَّاسِ فِي الدُّنْيَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ، يَعْنِي: إِلَى خَلْقِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: الْوُدُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا، وَالرِّزْقُ الْحَسَنُ، وَاللِّسَانُ الصَّادِقُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: .. هَرِمَ بَنَ حَيَّانَ كَانَ يَقُولُ: مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بَقْلِبِهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَرْزُقَهُ مَوَدَّتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ. عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا عَبْدَنَ اللَّهُ عِبَادَةً أَذْكَرَ بِهَا، فَكَانَ لَا يَرَى فِي حِينَ صَلَاةٍ إِلَّا قَائِمًا يُصَلِّي، وَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَآخِرَ خَارِجٍ، فَكَانَ لَا يُعْظَمُ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ عَلَى قَوْمٍ إِلَّا قَالُوا: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: لَا أَرَانِي أَذْكَرَ إِلَّا بِشَرٍّ، لَا أَجْعَلَنَّ عَمَلِي كُلَّهُ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَلَبَ نِيَّتَهُ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، فَكَانَ يَمُرُّ بَعْدَ بِالْقَوْمِ، فَيَقُولُونَ: رَحِمَ اللَّهُ فَلَانًا الْآنَ، وَتَلَا الْحَسَنُ: الْآيَةَ^(٣).

٥. سَبَبٌ لَجَلْبِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى: عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ فَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِجَبْرِيلَ: إِنَّ فُلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ

(١) البخاري (٣٢٠٩)، (٦٠٤٠)، (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) [مريم: ٩٦].

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٢٦٩).

يُرِضِنِي أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: رَحِمَهُ اللهُ عَلَى فُلَانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ حَتَّى يَقُولَهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ»^(١).

٦. الحماية من فتن الدنيا وشهواتها: عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا، كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءِ»^(٢). وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، تَخَافُونَ عَلَيْهِ»^(٣).

٧. توضع له المحبة في قلوب الخلق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ»، قَالَ: «فَيَنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾»^(٤)^(٥).

٨. الابتلاء في الدين والدنيا: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢٤٠١).

(٢) (ت) (٢٠٣٦)، (ش) (٣٥٧٠٥)، (حب) (٦٦٩)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٣١٨٠)، صحيح الجامع (٢٨٢).

(٣) (حم) (٢٣٦٧١)، (هب) (١٠٤٥٠)، انظر صحيح الجامع: (١٨١٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣١٧٩).

(٤) [مريم: ٩٦].

(٥) سنن الترمذي ت شاكر (٣١٦١)، انظر صحيح الجامع: (٢٨٤).



الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»^(١). مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ وَيَخْتَبِرُهُمْ؛ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنَ الْمُطِيعَ الرَّاضِيَ مِنَ الْعَاصِي السَّاخِطِ، وَالْبَلَاءُ يَكُونُ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا»، أَي: إِذَا قَضَى وَقَدَّرَ رَحْمَتَهُ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، «عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا»، فَابْتَلَاهُ بِمَا يَسُوؤُهُ؛ إِمَّا فِي مَالِهِ، أَوْ نَفْسِهِ، أَوْ أَهْلِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِبْتِلَاءَ يَكْفُرُ السَّيِّئَاتِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَقْوَى عَلَى عَذَابِ الْآخِرَةِ؛ فَذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يُوَافِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ، قَدْ طَهَّرَتْهُ الْمَصَائِبُ وَالْبَلَايَا.

٩. أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَسْتَدْرِجُهُ: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ»^(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

١٠. جَعَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الرَّفَقِ: عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفَقَ»^(٤).

١١. سَبَبٌ فِي اسْتِقْرَارِ الْإِيمَانِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ

(١) (ت) (٢٣٩٦)، (ج) (٤٠٣١)، (حم) (٢٣٦٧٢)، صحيح الجامع: (٢٨٥)، الصحيحة: (١٤٦).

(٢) أي: حَتَّى يَأْتِيَ الْعَبْدُ بِذَنْبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. تحفة الأحوذى (٦/ ١٨٥).

(٣) (ت) (٢٣٩٦)، (حب) (٢٩١١)، (حم) (١٦٨٥٢)، صحيح الجامع: (٣٠٨)، الصحيحة: (١٢٢٠).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٢٤٤٢٧)، صحيح الجامع: (٣٠٣)، (١٧٠٤)، الصحيحة: (١٢١٩)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦٩).

الإِيمَانُ»^(١). وفي لفظ: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»^(٢).

١٢. الحماية من النار: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ صَبِيٌّ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ الْقَوْمَ خَشِيتُ أَنْ يُوطَأَ ابْنُهَا، فَسَعَتْ وَحَمَلَتْهُ، وَقَالَتْ: ابْنِي ابْنِي، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُلْقِي ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، وَلَا يُلْقِي اللَّهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»^(٣).

١٣. التوفيق للعمل الصالح قبل الموت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ» قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؟، قَالَ: «يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ»^(٤).

١٤. الفوز بمحبة الله تعالى للعبد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ»^(٥).

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٩٥)، الصَّحِيحَةُ: (٢٧١٤).

(٢) (خد) (٢٧٥)، الصَّحِيحَةُ: (٢٧١٤).

(٣) (ك) (١٩٤)، (حم) (١٢٠٣٧)، (١٣٤٦٧)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٧٠٩٥)، الصَّحِيحَةُ: (٢٤٠٧)، وقال شعيب الأرنؤوط في: إسناده صحيح.

(٤) صحيح ابن حبان (٣٤٢)، الصحيحة (١١١٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٨).

(٥) مسلم (٢٥٦٧). (فأرصد) أي أقعده يرقبه (على مدرجته) المدرجة هي الطريق سُمِّيَتْ بذلك



وفي الحديث القدسي، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»^(١). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللهِ، إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللهِ، أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَلْهَمَهُ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ فَلَمْ يُصِرَّ عَلَى الذُّنُوبِ^(٣)، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ فَرَحَّمَتْهُ أَقْرَبُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ اللهُ فَرَحَّمَتْهُ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِنْهُ^(٤).

* قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: فَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ، رَزَقَهُ مَحَبَّتَهُ وَطَاعَتَهُ وَالِاسْتِغْفَالَ بِذِكْرِهِ وَخِدْمَتِهِ، فَأَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ الْقُرْبَ مِنْهُ، وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ، وَالْحِظْوَةَ عِنْدَهُ^(٥).

* قال العلامة عبد الله الجبرين رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا يُحِبُّ النَّاسَ، مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَالْإِيمَانِ، فَهَذَا عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّهُ، وَأَحَبَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ.

لأنَّ النَّاسَ يدرجون عليها، أي يمضون ويمشون، (تربها) أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٣٢٨)، وصححه أيضًا الشيخ الألباني «صحيح الجامع الصغير» رقم (٤٣٢٠)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج شرح السنة (١٣/٥٠).

(٢) (خد) (٥٤٤)، (حب) (٥٦٦)، صحيح الجامع: (٥٥٩٤)، الصحيح: (٤٥٠).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١١/٢٥٦)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - ط الفضيلة (ص: ٢٥٩).

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٥/٢٧).

(٥) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/٣٣٧).

* قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ: إذا أحبَّ الله عبداً يسرَّ له الأسباب، وهَوَّنَ عليه كلَّ عسير، ووَفَّقَهُ لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد، وإذا أحبَّ الله عبده قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزَّلَل (١).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فَمَنْ عَرَفَ الله وَقَلْبُهُ سَلِيمٌ أَحَبَّهُ؛ وَكَلَّمَا ازْدَادَ لَهُ مَعْرِفَةٌ ازْدَادَ حُبُّهُ لَهُ؛ وَكَلَّمَا ازْدَادَ حُبُّهُ لَهُ ازْدَادَ ذِكْرُهُ لَهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ (٢).

* قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: محبة الله رَجُلٌ للعبد هي غاية ما يتمناه الإنسان، وأكمل مراتب الإنسان.

* قال العلامة السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ: محبة الله للعبد، هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه (٣).



(١) تفسير السَّعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٥).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٥٣٨/٧)، الإيمان الأوسط - ط طيبة (ص: ٨٤).

(٣) تفسير السَّعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٥).

١٦. ثمرات وفضائل الخشوع

١. مدحهم الله بالفلاح: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١). عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «هُوَ سُكُونُ الْمَرْءِ فِي صَلَاتِهِ»، قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ الْحَسَنُ: «خَائِفُونَ»^(٢). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاكِنُونَ لَا يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِ سَجُودِهِمْ^(٣). أَوْ: مَخْبِتُونَ مَتَوَاضِعُونَ لَا يَلْتَفِتُونَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الصَّلَاةِ^(٤).

٢. شعار الأنبياء والصالحين: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٥). قِيلَ رَغَبًا فِي ثَوَابِنَا، وَرَهَبًا مِنْ عِقَابِنَا. وَقِيلَ: رَغَبًا فِي فَضْلِنَا، وَرَهَبًا مِنْ عَذْلِنَا. وَقِيلَ رَغَبًا فِي وَصَالِنَا، وَرَهَبًا مِنْ فِرَاقِنَا. وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ رَغَبًا فِيْنَا، وَرَهَبًا مِنَّا^(٦). عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «مُتَوَاضِعِينَ»^(٧). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ أَنْ يَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ فِي الصَّلَاةِ، يُؤْمِي بِبَصَرِهِ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْخُشُوعُ هُوَ الْخَوْفُ اللَّازِمُ فِي الْقَلْبِ، وَعَنِ الْحَسَنِ

(١) [المؤمنون: ١، ٢].

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤١٢).

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٧٤٣).

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٢٨٤).

(٥) [الأنبياء: ٩٠].

(٦) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٤٠).

(٧) تفسير مجاهد (ص: ٤٧٤).

قَالَ: ذَلَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى^(١). أَي وَكَانُوا لَنَا مُتَوَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِنَا وَدَعَائِنَا. وَخِلَاصَةً مَا سَلَفَ: إِنَّهُمْ نَالُوا مِنْ اللَّهِ مَا نَالُوا، لَا تَصَافَهُمْ بِتِلْكَ الْخِلَالِ الْحَمِيدَةِ^(٢).

٣. **بَابُ إِلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣). قَالَ بَعْضُهُمْ: الْخَاشِعُ: الْمُتَوَاضِعُ. وَأَصْلُ الْخُشُوعِ: هُوَ الْخَوْفُ الْإِلَازِمُ فِي الْقَلْبِ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ: يَخَافُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ حَالٍ، لَا يَخَافُونَ غَيْرَهُ، وَيَرْجُونَ اللَّهَ، وَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ؛ هَكَذَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ: يَكُونُ حَقِيقَةُ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ مِنْهُ^(٤). فَهَذِهِ عَشْرُ صِفَاتٍ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْقَنُوتُ، وَهُوَ الْعِبُودِيَّةُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّدَقُ، وَالصَّبْرُ، وَالْخُشُوعُ، وَهُوَ التَّوَاضُّعُ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، وَالتَّصَدَّقُ، وَالصِّيَامُ فَرْضًا وَنَفْلًا، وَحِفْظُ الْفُرُوجِ عَنِ الْحَرَامِ، وَالْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، مِنْ جَمْعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَشْرِ فَلْيَنْتَظِرْ جَزَاءَهُ الْأَوْفَى، وَلْيَنْتَظِرْ مَنْزِلَتَهُ الْعَظِيمَى^(٥).

(١) تفسير السمعاني (٣/٤٠٦).

(٢) تفسير المراغي (١٧/٦٦).

(٣) [الأحزاب: ٣٥].

(٤) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٨/٣٨٦).

(٥) التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة (ص: ١٣٣).



٤. يُخَفِّفُ أَمْرَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسْلِمِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١). أي ثقيلة إلا على ذوى القلوب المفتحة للخير، المتقبلة له، أما ذوو القلوب القاسية المتحجرة، التي لا تنضح بخير، فأمرها ثقيل عليهم، لا يأتونها- إن أتوها- إلا في تكاسل، وفطور، أو في تكره وتبرم^(٢). وإن الصَّلَاةَ لشاقة صعبة الاحتمال إلا على المخبتين لله الخائفين من شديد عقابه^(٣).

٥. الْخُشُوعُ فِي خِصَالٍ أُخْرَى يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»^(٤).

٦. دَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ ... إِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي»^(٥).

٧. أَجْرُ الصَّلَاةِ عَلَى قَدْرِ الْخُشُوعِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَمَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(٦).

(١) [البقرة: ٤٥].

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ٨٠).

(٣) تفسير المراغي (١/ ١٠٦).

(٤) مسلم (٢٢٨).

(٥) مسلم (٧٧١).

(٦) (د) (٧٩٦)، (حم) (١٨٨٩٩)، (ن) (٦١١)، (هق) (٣٣٤٢)، صحيح الجامع (١٦٢٦).

٨. النبي ﷺ استعاذ من حرمان الخشوع: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(١).

٩. النبي ﷺ كان يرى الخشوع في أصحابه أو عدمه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ قِبَلَتِي هَا هُنَا، وَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلَا خُشُوعُكُمْ، وَإِنِّي لَأَرَاكُمْ وَرَاءَ ظَهْرِي»^(٢). وكانت رؤيته من وراء الظهر معجزةً منه^(٣). وفيه النهي عن نقصان الركوع والسجود، وجواز الحلف لتأكيد القصة وتحققها^(٤).

١٠. الخشوع لله تعالى يورث هداية الله تعالى وتبتيته: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥). قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تخشع، وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بسبب إيمانهم، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

(١) مسلم (٢٧٢٢).

(٢) البخاري (٧٤١)، مسلم (٤٢٤).

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري (٢/٣٣٤).

(٤) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (٤/٨٥).

(٥) [الحج: ٥٤].



الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده.

١١. الخاشعون لله مبشرون بكل خير في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾^(١). قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: الخبت: المطمئن من الأرض... ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢). وقال ابن منظور رحمه الله: الخبت ما اطمأن من الأرض واتسع. وفسره ثعلب بأنه التواضع. وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم يتصبروا. وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع، والسكون إلى الله عز وجل، تضميناً لمعنى الطمأنينة، والإنابة والسكون إلى الله^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال حذيفة رضي الله عنه: إياكم وخشوع النفاق، فقل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع، ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً طأطأ رقبتَه في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب، ورأت عائشة رضي الله عنها شاباً يمشون ويتمارون في مشيتهم، فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نساك، فقالت: كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطمع أشبع،

(١) [الحج: ٣٤].

(٢) [هود: ٢٣].

(٣) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٦/٢).

وَكَانَ هُوَ النَّاسِكَ حَقًّا، وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ: كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ مِنَ الْخُشُوعِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ، وَقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعَ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةَ، وَرَبُّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِمْ خَاشِعًا، وَقَالَ سَهْلٌ: مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ^(١).

* قَالَ الضَّحَّاكُ: الْخُشُوعُ الرَّهْبَةُ لِلَّهِ^(٢).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: الْخُشُوعُ، يَتَضَمَّنُ مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: التَّوَاضُّعُ وَالذُّلُّ. **وَالثَّانِي**: السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْبَيْنِ الْقَلْبِ الْمُنَافِي لِلْقَسْوَةِ؛ فَخُشُوعُ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ عِبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ وَطَّمَأْنِينَتَهُ أَيْضًا، وَلِهَذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ يَتَضَمَّنُ هَذَا وَهَذَا: التَّوَاضُّعَ وَالسُّكُونَ^(٣).



(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥١٧).

(٢) ابن تيمية: القواعد النورانية (ص: ٧٥).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨).

١٧. ثمرات وفضائل يوم الجمعة

١. تسمية سورة في القرآن به: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَحْرُمُ الْبَيْعُ حِينَئِذٍ» وَقَالَ عَطَاءٌ: «تَحْرُمُ الصَّنَاعَاتُ كُلُّهَا» وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ: «إِذَا أَدَّنَ الْمُؤَذِّنُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ مُسَافِرٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ»^(٢).

٢. الله تعالى أقسم بهذا اليوم المبارك: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(٣). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»^(٤)، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ^(٥)، وَالشَّاهِدُ^(٦) يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْهُ»^(٧). هذا اليوم شاهد علينا بما أودعناه فيه من الأعمال الصالحة أو غيرها، قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْأَكْثَرُونَ: أَنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ^(٨).

(١) [الْجُمُعَةُ: ٩]. (فاسعوا) من السعي وهو الإسراع في المشي ويطلق على العمل والمراد هنا المبادرة إلى الصَّلَاة.

(٢) صحيح البخاري (٧/٢).

(٣) [البروج: ٢-٣].

(٤) لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِهِ النَّاسَ. تحفة الأحوذى (٢١٩/٨).

(٥) أَيُّ: أَنَّ النَّاسَ يَشْهَدُونَهُ، أَيُّ: يَحْضُرُونَهُ وَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ. تحفة (٢١٩/٨).

(٦) أَيُّ: يَشْهَدُ لِمَنْ حَضَرَ صَلَاتَهُ. تحفة الأحوذى (٢١٩/٨).

(٧) (ت) (٣٣٣٩)، (حم) (٧٩٥٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة تحت حديث: (١٥٠٢)، وهداية الرواة: (١٣١١)، صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٨) تفسير البغوي - طيبة (٣٧٨/٨).

٣. خير الأيام وأفضلها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»^(١). وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ»^(٢) وَفِيهِ النَّفْخَةُ^(٣) فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ^(٤)؟، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٥).

٤. الخطوة إلى الجمعة بطاعة سنة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ^(٦) وَبَكَرَ^(٧) وَابْتَكَرَ^(٨) وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلُغْ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(٩).

(١) مسلم (٨٥٤).

(٢) أَيُّ: الصَّيْحَةُ، وَالْمُرَادُ بِهَا الصَّوْتُ الْهَائِلُ الَّذِي يَمُوتُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَوْلِهِ وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى.

(٣) أَيُّ: النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ.

(٤) أَيُّ: قَدْ بَلَيْتَ.

(٥) (د) (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٩٦٢)، وانظر الصحيحة رقم

(١٥٢٧)، (س) (١٣٧٤).

(٦) أَرَادَ بِقَوْلِهِ (اغْتَسَلَ) أَيُّ: غَسَلَ سَائِرَ بَدَنِهِ. تحفة الأحوذى (٣٢ / ٢).

(٧) أَيُّ: رَاحَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ.

(٨) (بَكَرَ) أَتَى الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا، وَكُلُّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ بَكَرَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا (ابْتَكَرَ) فَمَعْنَاهُ: أَذْرَكَ أَوَّلَ الْخُطْبَةِ، وَأَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ بَاكُورَتُهُ، وَابْتَكَرَ الرَّجُلُ: إِذَا أَكَلَ بَاكُورَةَ الْفَوَاكِهِ. وَقِيلَ: كَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ، وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. تحفة الأحوذى (٣٢ / ٢).

(٩) (ت) (٤٩٦)، (س) (١٣٨١)، (د) (٣٤٥)، (ج) (١٠٨٧)، انظر صحيح الجامع: (٦٤٠٥)،

صحيح الترغيب والترهيب: (٦٩٠).



٥. فيه ساعة إجابة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(١).

٦. السَّعي إلى الجمعة سبب في البعد عن النَّار: قَالَ عُبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ، أَدْرَكَنِي أَبُو عَبْسٍ وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٢).

٧. الجمعة سبب في النور والإضاءة لأهلها في القيامة: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ زُهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلُهَا يَحْفُونَ بِهَا»^(٣) كَالْعُرُوسِ تَهْدِي إِلَى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلَجِ بَيَاضًا وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ^(٤) يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ، لَا يُطْرِقُونَ^(٥) تَعَجُّبًا حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يَخَالِطُهُمْ أَحَدٌ، إِلَّا الْمُؤَذِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ»^(٦).

(١) البخاري (٩٣٥)، مسلم (٨٥٢). (ساعة) فترة زمنية قصيرة. (يوافقها) يصادفها بدعائه وعبادته.

(٢) البخاري (٩٠٧). (اغبرت) أصابها الغبار. (سبيل الله) طاعة الله تعالى ومنها حضور صلاة الجمعة.

(٣) حَفَّ بِهِ: استدار حوله.

(٤) الكافور: نبات طيب الرائحة.

(٥) أَي: لا يصرفون أبصارهم.

(٦) (ك) (١٠٢٧)، (خز) (١٧٣٠)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (١٨٧٢)، الصَّحِيحَةُ: (٧٠٦)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٦٩٨)، وقال ابن خزيمة: إِنْ صَحَّ هَذَا الْخَبَرُ، فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ شَيْئًا. وقال الحافظ المنذري: إسناده حسن، وفي متنه غرابة.

٨. يوم عيد للمسلمين: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طَيِّبٌ فَلْيَمَسْ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ»^(١).

٩. أعظم من العيدين: عَنْ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيَّاحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا هُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(٢).

١٠. صلاة فجر الجمعة له منزلة خاصة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ، صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ»^(٣).

١١. سبب في مغفرة الذنوب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تَغْشَ الْكِبَائِرُ»^(٤).

١٢. قراءة سورة الكهف في يومها سبب في النور: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»^(٥).

(١) (جدة) (١٠٩٨)، (طس) (٧٣٥٥)، انظر صحيح الجامع: (٢٢٥٨)، صحيح الترغيب والترهيب: (٧٠٧).

(٢) (جدة) (١٠٨٤)، انظر صحيح الجامع: (٢٢٧٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (٦٩٥).

(٣) (هب) (٢٩٠٩)، انظر صحيح الجامع: (١١١٩)، والصحيح: (١٥٦٦).

(٤) مسلم (٢٣٣). (ما لم تغش الكبائر) أي ما لم تقصد.

(٥) (ك) (٣٣٩٢)، (هق) (٥٧٩٢)، صحيح الجامع: (٦٤٧٠)، صحيح الترغيب والترهيب: =



وفي رواية: قَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ»^(١).

١٣. تُسْقَطُ صَلَاةُ الْعِيدِ عَلَى قَوْلِ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٢): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اجْتَمَعَ عِيدَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ثُمَّ قَالَ: «قَدْ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيَ الْجُمُعَةَ فَلْيَأْتِهَا، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَخَلَّفَ فَلْيَتَخَلَّفْ»^(٣). وفي رواية: «فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّا مُجَمِّعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٤). عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ قَالَ: شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَصَلَّى قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ هَذَا يَوْمٌ قَدْ اجْتَمَعَ لَكُمْ فِيهِ عِيدَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْتَظِرَ الْجُمُعَةَ مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِي فَلْيَنْتَظِرْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ فَقَدْ أَذِنْتُ لَهُ»^(٥).

١٤. فضيلة الموت ليلة ويوم الجمعة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»^(٦)^(٧).

(٧٣٦).

(١) (مي) (٣٤٠٧)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦٤٧١)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبَةِ: (٧٣٦).

(٢) ابن قدامة: المغني (٣/٢٤٢)، النووي: المجموع (٤/٣٥٩).

(٣) (جة) (١٣١٢)، (عب) (٥٧٢٨).

(٤) (جة) (١٣١١)، (د) (١٠٧٣)، (ك) (١٠٦٤).

(٥) (خ) (٥٢٥١)، (ط) (٤٢٩)، (حب) (٣٦٠٠)، (هق) (٦٠٨٥).

(٦) (فِتْنَةُ الْقَبْرِ) أَي: عَذَابُهُ وَسُؤَالُهُ. تحفة الأحوذى (٣/١٣٨).

(٧) (ت) (١٠٧٤)، (حم) (٦٥٨٢)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبَةِ: (٣٥٦٢)، المشكاة: (١٣٦٧)،

أحكام الجنائز ص (ص: ٣٥).

١٥. نوال زيادة المغفرة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَدَنَا، وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(١). قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: هُمَا شَيْئَانِ مُتَمَايزَانِ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ، فَلَا سِتْمَاعَ الْإِصْغَاءِ، وَالْإِنْصَاتِ السَّكُوتِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾. قُلْتُ: الْإِنْصَاتُ هُوَ السَّكُوتُ مَعَ الْإِصْغَاءِ لَا السَّكُوتُ الْمَحْضُ^(٢).

١٦. أَنَّهُ يَوْمُ الْمَزِيدِ: يَوْمٌ يَتَجَلَّى اللَّهُ ﻋَﻠَيْهِ السَّلَام فِيهِ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَزِيَارَتِهِمْ لَهُ، فَيَكُونُ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُمْ أَقْرَبُهُمْ مِنَ الْإِمَامِ، وَأَسْبَقَتْهُمْ إِلَى الزِّيَارَةِ أَسْبَقَتْهُمْ إِلَى الْجُمُعَةِ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ ﻋَﻠَيْهِ السَّلَام: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٣)، قَالَ: «يَتَجَلَّى لَهُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ»^(٤).

١٧. فَضْلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِيهِ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يَوْمٍ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، وَشَهِدَ جَنَازَةً، وَصَامَ يَوْمًا، وَرَاحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً»^(٥). وَالْمُرَادُ: أَنْ صِيَامَهُ وَافَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَدُونِ قَصْدٍ.

١٨. أَنَّهُ يَوْمُ تَقْوَمُ فِيهِ السَّاعَةُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ

(١) (م) ٢٧ - (٨٥٧)، (ت) (٤٩٨)، (د) (١٠٥٠).

(٢) تحفة الأحوذى (٨/٣).

(٣) [ق: ٣٥].

(٤) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٣٩٥).

(٥) (حب) (٢٧٧١)، (يع) (١٠٤٤)، صحيح الجامع: (٣٢٥٢)، الصحيحة (١٠٢٣)، صحيح

الترغيب (٦٨٦).



مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(١).

١٩. أَنَّهُ يَوْمُ تَكْفَرُ فِيهِ السَّيِّئَاتُ: عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى»^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَادَاهُ عُمَرُ: أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ؟ قَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ، فَلَمْ أَتَقَلِّبْ إِلَى أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ التَّأْذِينَ، فَلَمْ أَزِدْ أَنْ تَوَضَّأْتُ، فَقَالَ: وَالْوُضُوءُ أَيْضًا، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ^(٣).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ تَعْظِيمُ هَذَا الْيَوْمِ وَتَشْرِيفُهُ، وَتَخْصِيصُهُ بِعِبَادَاتٍ يَخْتَصُّ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ... وَاسْتِحْبَابُ كَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ وَفِي لَيْلَتِهِ.. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدُ الْأَنْامِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ

(١) مسلم (٨٥٤).

(٢) البخاري (٨٨٣). (ما استطاع من طهر) ما أمكنه من تنظيف كقص الظفر والشارب وحلق العانة وغير ذلك. (يمس من طيب بيته) يتطيب من طيب زوجته. (ما كتب له) ما قدر له من فرض أو نفل.

(٣) البخاري (٨٧٨)، ومسلم (٨٤٥). (أية ساعة هذه) من ساعات الفضيلة والتبكير فهو إنكار لتأخره حتى صعد الخطيب المنبر. (انقلب) أرجع. (والوضوء أيضًا) أي واقتصرت على الوضوء وتركت الغسل المندوب فجمعت تقصيرًا إلى تقصير. (يأمر) يطلب ويندب.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا نَالَتُهُ عَلَى يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ لِأُمَّتِهِ بِهِ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَعْظَمَ كَرَامَةً تَحْصُلُ لَهُمْ، فَإِنَّمَا تَحْصُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ فِيهِ بَعْثُهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ فِيهِ يُسْعِفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِطَلَبَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ، وَلَا يَرُدُّ سَائِلَهُمْ، وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ، فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ ﷺ أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ^(١).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ، وَيَوْمُ النَّحْرِ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْعَامِ^(٢).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ رَبُّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، وَفِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ^(٣).



(١) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٣٦٣: ٣٦٤).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/٤٧٧).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/١٠٤).

١٨. ثمرات الخوف من الله

١. نوال فضل الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ، وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(١). أي أنهم إذا سمعوا كلام الله في كتبه المنزلة، وتدبروا حججه البالغة، خشعت قلوبهم، واهتزت جوارحهم، فخروا على أذقانهم ساجدين لعظمة الله، باكين من خوف الله، قال ابن كثير: فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هنا، اقتداء بهم، واتباعاً لهم^(٢).

٢. شرف تحصيل العلم: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا، إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا، إِنَّ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(٣). ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يُتْلَى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً، يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته، واستكانة له^(٤).

(١) [مريم: ٥٨].

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٣٨).

(٣) [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٥٧٩).

٣. وعد الله أهله بالجنان: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(١).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٢).

٤. دافع إلى الحرص على قبول العمل: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ وَهَبٍ
الْهَمْدَانِيِّ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:
﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾^(٣) قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ
الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ
وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ»^(٤) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ
لَهَا سَابِقُونَ»^(٥).

٥. يبعث على الإخلاص وعدم طلب المقابل الدنيوي: قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ
بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ
مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(٦). القمطير: أشد ما يكون من الأيام في
البلاء^(٦).

٦. نوال ظل الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ
فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ

(١) [الرَّحْمَنِ: ٤٦].

(٢) [النَّازِعَاتِ: ٤٠ - ٤١].

(٣) [المؤمنون: ٦٠].

(٤) (ت) (٣١٧٥)، (ج) (٤١٩٨)، الصَّحِيحَةُ (١٦٢)، وهداية الرواة: (٥٢٨٠).

(٥) [الْإِنْسَانِ: ٧ - ١٠].

(٦) شرح السنة للبغوي (١٣٩ / ١٥).



مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

٧. سَبَبٌ فِي النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبْكِي أَحَدٌ مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ فَتَطْعَمَهُ النَّارُ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»^(٢)، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٤).

٨. سَبَبٌ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتَ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ - أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»^(٥).

(١) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْلِيلِ بِالْمُحَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾. تحفة الأحوذى (٣٠٦/٤).

(٣) (س) (٣١٠٧)، (ت) (١٦٣٣)، (حم) (١٠٥٦٧)، صحيح الجامع: (٧٧٧٨)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٢٦٩).

(٤) (ت) (١٦٣٩)، (ك) (٢٤٣١)، (يع) (٤٣٤٦)، صحيح الجامع: (٤١١٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٢٢).

(٥) البخاري (٧٥٠٨)، ومسلم (٢٧٥٦)، واللفظ لمسلم.

٩. خوف الدنيا يرفع خوف الآخرة: عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمَّنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).
١٠. يقود إلى الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ^(٢)، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ^(٣)، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ^(٤)»^(٥).

من أقوال العلماء في الباب:

- * قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمته الله: الْمُؤْمِنُ مَنْ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقُ مَنْ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا^(٦).
- * قَالَ أَبُو حَفْصٍ: الْخَوْفُ سَوَاطِئُ اللَّهِ، يَقُومُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وَقَالَ: الْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، بِهِ يُبْصَرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفَتْهُ هَرَبَتْ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبَتْ إِلَيْهِ^(٧).

(١) ابن المبارك في الزهد (١/ ٥٠)، رقم (١٥٧)، (هب) (٧٧٧)، (حب) (٦٤٠)، انظر صحيح الجامع: (٤٣٣٢)، الصحيحة: (٧٤٢)، (٢٦٦٦).

(٢) (من خاف) أي: البَيَاتَ وَالْإِغَارَةَ مِنَ الْعَدُوِّ وَقَتَ السَّحْرِ. (أذْلَجَ) أي: سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ. تحفة الأحوذ (٢٤٢/٦).

(٣) أي: وَصَلَ إِلَى الْمَطْلَبِ. قَالَ الطَّبِيُّ: هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ النَّبِيُّ ﷺ لِسَالِكِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى طَرِيقِهِ، وَالنَّفْسَ وَأَمَانِيَهُ الْكَاذِبَةَ أَعْوَانَهُ، فَإِنْ تَقَطَّطَ فِي مَسِيرِهِ، وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي عَمَلِهِ، أَمِنَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، وَمِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ بِأَعْوَانِهِ. تحفة (٢٤٢/٦).

(٤) قَالَ الطَّبِيُّ: أُرْشِدَ إِلَى أَنَّ سُلُوكَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ صَعْبٌ، وَتَحْصِيلُ الْآخِرَةِ مُتَعَسِّرٌ، لَا يَحْصُلُ بِأَدْنَى سَعْيٍ، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ». تحفة الأحوذ (٢٤٢/٦).

(٥) (ت) (٢٤٥٠)، صحيح الجامع: (٦٢٢٢)، الصحيحة: (٩٥٤)، (٢٣٣٥).

(٦) تفسير البغوي (٣/ ٣٦٨).

(٧) ابن القيم: مدارج السالكين (١/ ٥٠٩).



* قال أبو سليمان الدارني رحمته الله: أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ^(١)، وقال: مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ ^(٢).

* عَنْ يُونُسَ بْنِ أَسْبَاطٍ رحمته الله، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي وَكِيعٍ: رَبَّمَا عَرَضَ لِي فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَدْخُلُنِي الرَّعْبُ؟ فَقَالَ لِي: يَا يُونُسُ مَنْ خَافَ اللَّهَ خَافَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ، قَالَ يُونُسُ: فَمَا خِفْتُ شَيْئًا بَعْدَ قَوْلِهِ ^(٣).

* قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ رحمته الله: أَرْبَعَةٌ لِلْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ حَكَمٌ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ: أَوَّلُهَا مَنْ خَافَ اللَّهَ أَمَّنَهُ اللَّهُ ^(٤).

* قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ رحمته الله: إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا، وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا ^(٥).

* قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمته الله: إِنَّمَا يَهَابُكَ الْخَلْقُ عَلَى قَدْرِ هَيْبَتِكَ لِلَّهِ ^(٦)، وقال: مَنْ خَافَ اللَّهَ دَلَّهُ الْخَوْفُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ ^(٧).

* قَالَ سَعِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ رحمته الله: خَوْفُكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ أَذْهَبَ عَنْ قَلْبِكَ خَوْفَكَ مِنَ اللَّهِ.

(١) البيهقي: شعب الإيمان (٢/ ٢٦٤).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٠٩).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٤٠).

(٤) وَمَنْ رَجَاهُ بَلَغَ بِهِ رَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْحَسَنَاتِ قَبْلَ مِنْهُ وَأَثَابَهُ لِلْوَاحِدَةِ عَشْرًا، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ قَبْلَهُ وَلَمْ يَكِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ وَتَوَلَّى أَمْرَهُ. أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ١٩٥).

(٥) البيهقي: شعب الإيمان للبيهقي - العلمية (١/ ٥١٣).

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٠).

(٧) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٧٦).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدُّ الْخَوْفِ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ. فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ: فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ^(١).

* قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَكِيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ، وَمَنْ خَافَ اللَّهَ هَرَبَ إِلَيْهِ^(٢).

* قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ إِلَّا وَيَلْحَقُهَا حَسْتَانِ، خَوْفُ الْعِقَابِ، وَرَجَاءُ الْعَفْوِ^(٣).

* قِيلَ لِيَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ آمَنَ الْخَلْقَ غَدًا؟ فَقَالَ: أَشَدَّهُمْ خَوْفًا الْيَوْمَ^(٤).

* قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَاللَّهِ لَأَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُخَوِّفُونَكَ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْأَمْنُ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُؤْمِنُونَكَ حَتَّى يَلْحَقَكَ الْخَوْفُ^(٥).

* قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي فَرْعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْتَبَهَوْا لَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ، أَوْضَحَ الدَّلَائِلَ عَلَى مَا كَانَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَجَلِ وَالْإِشْفَاقِ وَالْخَوْفِ لِرَبِّهِمْ^(٦).

* كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الضَّرِيرُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: عَلَامَةُ السَّعَادَةِ: خَوْفُ الشَّقَاوَةِ^(٧).

(١) ابن القيم: مدارج السالكين (٢/ ٣٧١).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٦٥).

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٧٦).

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٧٧).

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٥٠).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٢١٠).

(٧) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٧٧).



* عَنْ ابْنِ عَوْنٍ: أَنَّهُ نَادَتْهُ أُمُّهُ فَأَجَابَهَا فَعَلَا صَوْتَهَا، فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ^(١).
 * فَالْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَالْهَيْبَةُ لِلْمُحِبِّينَ،
 وَالْإِجْلَالُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ^(٢).
 * قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْكِيَ فَلَيْبِكَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلَيْتَبَاكَ.
 يَعْنِي التَّضَرُّعُ^(٣).

* قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله: مَنْ خَافَ اللَّهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ^(٤).
 * قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: وَلَنْ يَخَافَ الرَّجُلُ غَيْرَ اللَّهِ إِلَّا لِمَرَضٍ
 فِي قَلْبِهِ، كَمَا ذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا شَكََا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ خَوْفَهُ مِنْ بَعْضِ الْوَلَاةِ
 فَقَالَ: لَوْ صَحَحْتَ لَمْ تَخَفْ أَحَدًا. أَيُّ: خَوْفُكَ مِنْ أَجْلِ زَوَالِ الصَّحَّةِ مِنْ
 قَلْبِكَ^(٥).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مَا حَجَزَكَ عَنْ
 مَحَارِمِ اللَّهِ^(٦).



(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٣٩).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين (١/ ٥٠٨).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٢/ ٢٤٠).

(٤) ابن القيم: بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥).

(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٤٩)، العقود الدرية (١/ ٢٠٣)، النبوات (١/ ٥٣).

(٦) المستدرک علی مجموع الفتاوى (١/ ١٤٧)، مدارج السالكين (١/ ٥١١).

١٩. ثمرات وفضائل الصَّالح

١. وصفٌ للأنبياء: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣). يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ نَسْلِهِ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فَكُلُّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَتَوَلَّوْنَهُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ، وَقِيلَ: هُوَ أَنَّهُ رَأَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، أَيْ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِثْلَ آدَمَ وَنُوحَ^(٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥).
فأي: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته، وبكونه نبياً من الصَّالِحِينَ^(٦).

(١) [البقرة: ١٣٠].

(٢) [النحل: ١٢٢].

(٣) [العنكبوت: ٢٧].

(٤) تفسير البغوي (٣/ ٥٥٥).

(٥) [آل عمران: ٣٩].

(٦) تفسير السعدي (ص: ١٣٠).



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١). أَي: يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ فِي مَهْدِهِ وَكَهْلِهِ^(٢).

٢. الصَّلَاحُ مِنْ دَعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥). وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ قَدْرًا مِنَ الصَّلَاحِ لَوْ انْتَقَصَ لَانْتَفَتِ النَّبُوءَةُ، ثُمَّ بَعْدَ اشْتِرَاكِهِمْ فِي ذَلِكَ الْقَدْرِ تَفَاوُتُ دَرَجَاتِهِمْ فِي الزِّيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ الْقَدْرِ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ نَصِيبًا مِنَ الصَّلَاحِ كَانَ أَعْلَى قَدْرًا. وَقَالَ الْمَاتَرِيدِيُّ: الصَّلَاحُ يَتَحَقَّقُ فِي كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ^(٦).

٣. اللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُمْ فِي الدَّارَيْنِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٧). يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ: إِنَّ وَلِيِّيَ نَصِيرِي وَمُعِينِي وَظَهِيرِي عَلَيْكُمْ

(١) [آلِ عِمْرَانَ: ٤٦].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥ / ٢٢١).

(٣) [الشعراء: ٨٣].

(٤) [يُوسُفَ: ١٠١].

(٥) [النمل: ١٩].

(٦) البحر المحيط في التفسير (٣ / ١٣٤).

(٧) [الأعراف: ١٩٦].

اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ بِالْحَقِّ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى مَنْ صَلَحَ عَمَلُهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ^(١).

٤. توريث الله لهم الأرض: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢). وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ بَعْدَ أَنْ كَتَبْنَا ذَلِكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. وَهَذَا الْمَعْنَى وَاضِحٌ لَا إِشْكَالَ فِيهِ^(٣).

٥. مغفرة الذنوب: قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾^(٤). هُمُ الْمُطِيعُونَ، وَأَهْلُ الصَّلَاةِ^(٥). بِأَنْ تَكُونَ إِرَادَتِكُمْ وَمَقَاصِدِكُمْ دَائِرَةً عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرَغْبَتِكُمْ فِيمَا يَقْرِبُكُمْ إِلَيْهِ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِكُمْ إِرَادَاتٌ مُسْتَقَرَّةٌ لغير الله^(٦).

٦. مرافقة الصّفة والقُدوة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٧). أَي: إِنْ مُرَافَقَةٌ أُولَئِكَ الْأَصْنَافِ هِيَ فِي الدَّرَجَةِ الَّتِي يَرْغَبُ الْعَاقِلُ فِيهَا لِحُسْنِهَا^(٨).

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٠ / ٦٣٦).

(٢) [الأنبياء: ١٠٥].

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ٢٤٩).

(٤) [الإسراء: ٢٥].

(٥) تفسير يحيى بن سلام (١ / ١٢٨).

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٦).

(٧) [النساء: ٦٩].

(٨) تفسير المنار (٥ / ٢٠١).



٧. دَعَاؤُهُ أَقْرَبَ لِلْإِجَابَةِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

٨. حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٢).

٩. طَلَبَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٣).

١٠. السَّلَامُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٤).

(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) البخاري (٦٣٢٠)، مسلم (٢٧١٤).

(٣) مسلم (١٤٦٧).

(٤) البخاري (٨٣١).

١١. **الأمن من فتنة القبر:** عَنْ فَاطِمَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ يُصَلُّونَ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا، حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَأَخَذْتُ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ إِلَى جَنْبِي، فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ عَلَى وَجْهِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَتْ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيَقَالُ: مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُؤَقِنُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مَرَارٍ، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ»^(١).

١٢. **صلاح الآباء ينفع الأبناء:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرٌ﴾^(٢).

(١) مسلم (٩٠٥).

(٢) [الكهف: ٨٢].



يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَلَاحَ الْآبَاءِ يُفِيدُ الْعِنَايَةَ بِأَحْوَالِ الْأَبْنَاءِ^(١). وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قَالَ: كَانَ يُؤَدِّي الْأَمَانَاتَ وَالْوَدَائِعَ إِلَى أَهْلِهَا^(٢). فَكَانَ صَلَاحُهُ مُقْتَضِيًا لِرِعَايَةِ وَلَدَيْهِ وَحِفْظِ مَالِهِمَا^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال أبو ذر رضي الله عنه: الصَّاحِبُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ صَاحِبِ السَّوْءِ، وَمِثْلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ الصَّامِتِ، وَالصَّامِتُ خَيْرٌ مِنَ الْمُثَلِّ الشَّرِّ^(٤).

* وَقَدْ نَدَبَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ إِلَى مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ مَانِعًا مِنَ التَّلَبُّسِ بِشَيْءٍ مِنَ النَّقَائِصِ احْتِرَامًا لَهُمْ وَاسْتِحْيَاءً مِنْهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَزَالُ اللَّهُ مُطْلِعًا عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ^(٥).

* قال الإمام ابن حبان رحمته الله: العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار، لأنَّ مودة الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار^(٦).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٩٢).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٤٢٢).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٠).

(٤) صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (١/ ٥٩٦).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢٠).

(٦) ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٩٩).

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: استَحَبَّ احْتِرَامَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَمُصَاحَبَتِهِمْ عَلَى أَكْمَلِ الْهَيْئَاتِ^(١).

* دَخَلَ أَبُو حَازِمٍ عَلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ: تَكَلَّمْ، فَقَالَ لَهُ: انْظُرِ النَّاسَ بِيَابِكَ إِنْ أَذْنَيْتَ أَهْلَ الْخَيْرِ ذَهَبَ أَهْلُ الشَّرِّ، وَإِنْ أَذْنَيْتَ أَهْلَ الشَّرِّ ذَهَبَ أَهْلُ الْخَيْرِ^(٢).

* قال ذو النُّون: وَالْخَيْرُ مَجْمُوعٌ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ إِنْ نَسِيتَ ذَكَرَكَ وَإِنْ ذَكَرْتَ أَعَانَكَ^(٣).

* قَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي: أَوْصِنِي، فَقَالَ: صَاحِبْ أَهْلَ التَّقْوَى، فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا مُؤَنَّةً عَلَيْكَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً^(٤).

* قال الإمام القرطبي رحمته الله قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(٥). إِنْ مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْخَيْرِ نَالَ مِنْ بَرَكَتِهِمْ، كَلْبٌ أَحَبَّ أَهْلَ فَضْلِ وَصَحْبِهِمْ فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ. قُلْتُ: إِذَا كَانَ بَعْضُ الْكِلَابِ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا بِصُحْبَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ الصُّلَحَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ حَتَّى أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَالَطِينَ^(٦).

(١) ابن حجر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٣٩١).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٤٠).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٥٩).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣٤٦).

(٥) [الكهف: ١٨].

(٦) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٧١).



* قال الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: صحبة أهل الصَّلاح تُورث في القلب الصَّلاح^(١).

* قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: الْحَثُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الدِّينِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ صَاحِبَهُمْ يَسْتَفِيدُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَبَرَكَتِهِمْ وَحُسْنِ طَرَائِقِهِمْ وَيَأْمَنُ الْمَفْسَدَةَ مِنْ جَهْتِهِمْ^(٢).

* وَأَخْتَمُ بِوَصِيَّةِ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ وَلِكُلِّ أَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ: يَا بُنَيَّ، لِيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكْسِبُهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ خَلِيلًا صَالِحًا؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ الْخَلِيلِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ النَّخْلَةِ، إِنْ جَلَسْتَ فِي ظِلِّهَا أَظْلَلَتْكَ، وَإِنْ احْتَطَبْتَ مِنْ حَطَبِهَا نَفَعْتُكَ، وَإِنْ أَكَلْتَ مِنْ ثَمَرِهَا نَفَعْتُكَ، وَوَجَدْتَهُ طَيِّبًا وَلَذِيذًا.



(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (٧٨/٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٥٢/١٠).

٢٠. ثمرات وفضائل الحياء

١. من صفات الله تعالى: عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ
فِيهِمَا خَيْرًا أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(١)»^(٢).

٢. حفظ الجوارح: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ:
«لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى،
وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا،
فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^(٣).

٣. الحياء والإيمان قرينان لا يفترقان: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَانُ قُرْنًا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»^(٤).

٤. الله تعالى يحب أهله: عَنْ يَعْلَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ
بِالْبَرَّازِ^(٥) بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ

(١) في الحديث دلالة واضحة على جواز رفع اليدين في الدعاء وعدم اختصاص ذلك بالاستسقاء.

(٢) (ت) (٣٥٥٦)، (د) (١٤٨٨)، (ج) (٣٨٦٥)، (حم) (٢٣٧٦٥)، انظر صحيح الجامع: (١٧٦٨)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٣٦)، وهداية الرواة: (٢١٨٤).

(٣) (ت) (٢٤٥٨)، (ش) (٣٤٣٢٠)، (حم) (٣٦٧١)، صحيح الجامع: (٩٣٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٧٢٤)، (٢٦٣٨)، (٣٣٣٧).

(٤) (خد) (١٣١٣)، (ك) (٥٨)، انظر صحيح الجامع: (١٦٠٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٠٣)، صحيح الأدب المفرد: (٩٩١).

(٥) (البراز): هُوَ الْفَضَاءُ الْوَاسِعُ.



وَجَلَّ حَيِّ سِتِيرٌ^(١) يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ^(٢).

٥. الحياء فيه الخير: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٣).

٦. الحياء شعبة من الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٤).

٧. جاءت به الأنبياء: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٥).

٨. الحياء خلق الإسلام: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»^(٦).

٩. الحياء طريق إلى الجنة: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَفِيعِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَأُ^(٧) مِنَ الْجَفَاءِ^(٨) وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»^(٩).

(١) أَي: سَاتِرٌ لِلْعُيُوبِ وَالْفَضَائِحِ. عون المعبود (٣٥ / ٩).

(٢) سنن أبي داود (٤٠١٢)، السنن الكبرى للبيهقي (٩٥٦)، سنن النسائي (٤٠٦)، صحيح الجامع: (١٧٥٦)، المشكاة (٤٤٧٦)، الإرواء (٢٣٣٥).

(٣) البخاري (٦١١٧).

(٤) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٥) البخاري (٦١٢٠)، (د) (٤٧٩٧)، (ج) (٤١٨٣)، (حم) (١٧١٣١).

(٦) (ج) (٤١٨٢)، (ط) (١٦١٠)، انظر صحيح الجامع: (٢١٤٩)، الصحيحة: (٩٤٠).

(٧) (البَدَأُ): خِلَافُ الْحَيَاءِ، وَهُوَ الْفُحْشُ فِي الْقَوْلِ، وَالسُّوءُ فِي الْخُلُقِ. تحفة الأحوذى (٢٥٩ / ٥).

(٨) (الْجَفَاءُ) أَي: غَلَاظَةُ الطَّنَبِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ. تحفة الأحوذى (٢٥٩ / ٥).

(٩) (ت) (٢٠٠٩)، (ج) (٤١٨٦)، انظر صحيح الجامع: (٣١٩٩)، الصحيحة: (٤٩٥).

١٠. وصية رسول الله: عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحِيَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْلِكَ»^(١).

١١. من صفات رسول الله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا، رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»^(٢).

١٢. مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يِعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٣).

١٣. يُعَلِّمُ الْمَرَاqَبَةَ: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَرِهْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ، فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ»^(٤).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشُّقُوفَةِ: الْقِسْوَةُ فِي الْقَلْبِ. وَجُمُودُ الْعَيْنِ. وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ. وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا. وَطُولُ الْأَمَلِ^(٥).

(١) أحمد في الزهد (ص: ٤٦)، (هب) (٧٧٣٨)، انظر صحيح الجامع: (٢٥٤١)، الصحيح: (٧٤١).

(٢) (خ) (٣٣٦٩)، (م) ٦٧ - (٢٣٢٠)، (حم) (١١٧٠١)، (ج) (٤١٨٠).

(٣) (خ) (٥٧٦٧)، (م) (٣٦).

(٤) ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ١٢ - ١٣)، والضياء في المختارة (١/ ٤٤٩)، انظر الصحيح: (١٠٥٥).

(٥) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٤٩).



* عَنْ أَعْرَابِيٍّ قَالَ: خَرَجْتُ فِي بَعْضِ لَيَالِي الظَّلَامِ، فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ كَأَنَّهَا عَلَمٌ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: وَيْلَكَ أَمَا كَانَ لَكَ زَاجِرٌ مِنْ عَقْلِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَاهٍ مِنْ دِينٍ؟ فَقُلْتُ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ. قَالَتْ: فَأَيْنَ مَكُونِكُهَا؟^(١).

* قال سليمان: إذا أراد الله بعبده هلاكاً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقئاً. قال الشاعر:

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ فَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ
حَيَاءُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا يُدُلُّ عَلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ^(٢).

* عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ قَالَ: سُئِلَ عَطَاءٌ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: لَا أَدْرِي، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟، قَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يُدَانَ فِي الْأَرْضِ بِرَأْيِي^(٣).

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ كَثُرَ مِزَاحُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ^(٤).

* وَفِي مُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: إِنِّي لَأَغْتَسِلُ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فَأَخْنِي ظَهْرِي إِذَا أَخَذْتُ ثَوْبِي حَيَاءً مِنْ رَبِّي ﷻ. وَعَنْهُ أَيْضًا: مَا أَقَمْتُ صَلَاتِي فِي غُسْلِي مُنْذُ أَسَلَمْتُ^(٥).

(١) اعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٤٤).

(٢) شرح الأربعين النووية - اللهيمد (ص: ٥٦).

(٣) (مي) (١٠٧)، إسناده صحيح.

(٤) البيهقي: شعب الإيمان (٤٦٤٠).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١٢٨)، طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٢٢٦).

* قال ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ، لَا يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ ^(١).

* قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه: مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ مُطِيعًا اسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَهُوَ مُذْنِبٌ. وَهَذَا الْكَلَامُ يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خُلُقُ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ حَتَّى فِي حَالِ طَاعَتِهِ. فَقَلْبُهُ مُطْرَقٌ بَيْنَ يَدَيْهِ إِطْرَاقَ مُسْتَحٍ خَجَلٍ: فَإِنَّهُ إِذَا وَقَعَ ذَنْبًا اسْتَحْيَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ. فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَرَى مِنْ وَلِيِّهِ وَمَنْ يُكْرَمُ عَلَيْهِ: مَا يَشِينُهُ عِنْدَهُ. وَفِي الشَّاهِدِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ. فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا اطَّلَعَ عَلَى أَحْصَى النَّاسِ بِهِ، وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ - مِنْ صَاحِبٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ مَنْ يُحِبُّهُ - وَهُوَ يَخُونُهُ. فَإِنَّهُ يَلْحَقُهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ حَيَاءٌ عَجِيبٌ. حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ الْجَانِي. وَهَذَا غَايَةُ الْكَرَمِ ^(٢).

* وَفِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ لَتَعْرِضُ لِي الْحَاجَةُ مِنَ الدُّنْيَا، فَأَسْتَحِي أَنْ أَسْأَلَكَ، قَالَ: سَلْنِي حَتَّى مِلْحَ عَجِينِكَ وَعَلَفَ حِمَارِكَ ^(٣).



(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٩٠٧٦)، المعجم الأوسط (١٦١ / ٧).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢٤٩ / ٢).

(٣) القشيري: الرسالة القشيرية (٣٦٩ / ٢)، جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (٣٩ / ٢).

٢١. ثمرات وفضائل طلب العلم ومدارسته

١. نوال المنزلة الرفيعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١). قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَيْسَ عَالِمٌ إِلَّا فَوْقَهُ عَالِمٌ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ ﷻ^(٢). وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

٢. الله لم يأمر رسوله ﷺ بطلب المزيد إلا من العلم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤). أَي: زِدْنِي مِنْكَ عِلْمًا. قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَمْ يَزَلْ ﷺ فِي زِيَادَةِ [مِنَ الْعِلْمِ] حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ^(٥). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ»^(٦).

٣. استغفار أهل السماوات والأرض لطلب العلم: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ

(١) [الْمُجَادَلَةُ: ١١].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤ / ٤٠١).

(٣) [آل عمران: ١٨].

(٤) [طه: ١١٤].

(٥) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥ / ٣١٩).

(٦) (ن) (٧٨٦٨)، (ك) (١٨٧٩)، (هق في الدعوات الكبير) (٢٤١)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٣١٥١).

لِيَصْلُونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١).

٤. فضل العلم خير من فضل العبادة: عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ»^(٢).

٥. نوال جملة من الفضائل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٣).

٦. نوال المأوى إلى الله: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَادْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟» أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ، فَأَوَاهُ اللَّهُ^(٤)، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ^(٥).

(١) (ت) (٢٦٨٥)، (مي) (٢٨٩)، (طب) (٧٩١١)، صحيح الجامع: (١٨٣٨)، صحيح الترغيب والترهيب: (٨١).

(٢) مسند البزار = البحر الزخار (٢٩٦٩)، صحيح الجامع (٤٢١٤).

(٣) مسلم (٢٦٩٩)، (ت) (٢٩٤٥)، (د) (١٤٥٥)، (ج) (٢٢٥)، (حم) (٧٤٢١).

(٤) «أَوَى إِلَى اللَّهِ»: لَجَأَ إِلَى اللَّهِ، أَي: انْضَمَّ إِلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمَعْنَى «فَأَوَاهُ اللَّهُ» أَي: جَاوَاهُ بِنَظِيرِ فَعْلِهِ، بِأَنْ ضَمَّهُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ. فتح الباري (ح ٦٦).

(٥) أَي: رَحِمَهُ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ. فتح الباري (ح ٦٦).



وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)»^(٢).

٧. في سبيل الله: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(٣).

٨. سبب في جلب الرزق: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَخْوَانٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ^(٤) وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ^(٥) فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ^(٦) فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»^(٧).

٩. غبطة من الناس: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ^(٨) رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَطَهُ^(٩)

(١) أَي: سَخِطَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ ذَهَبَ مُعْرَضًا، لَا لِعُذْرٍ، هَذَا إِنْ كَانَ مُسْلِمًا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُنَافِقًا، وَاطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَمْرِهِ. كَمَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﷺ: «فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» إِنْخِبَارًا أَوْ دُعَاءً. وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ: «فَاسْتَغْنَى، فَاسْتَغْنَى اللَّهُ عَنْهُ» وَهَذَا يُرْشِحُ كَوْنَهُ خَبْرًا. فَتَحَ الْبَارِي (ح ٦٦).

(٢) (خ) (٦٦)، (م) ٢٦ - (٢١٧٦)، (ت) (٢٧٢٤) (حم) (٢١٤٠٠).

(٣) (ت) (٢٦٤٧)، (طص) (٣٨٠)، وَقَدْ كَانَ الْأَلْبَانِي ضَعْفَ الْحَدِيثِ فِي (ت)، وَالْمَشْكَاةَ (٢٢٠)، وَالضَّعِيفَةَ (٢٠٣٧)، وَضَعِيفَ الْجَامِعِ (٥٥٧٠)، ثُمَّ تَرَاوَعَ عَنْ تَضْعِيفِهِ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٨٨).

(٤) أَي: لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ. تَحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ (٦/ ١٣٠).

(٥) أَي: يَكْتَسِبُ سَبَابَ الْمَعِيشَةِ، فَكَأَنَّهُمَا كَانَا يَأْكُلَانِ مَعًا. تَحْفَةُ (٦/ ١٣٠).

(٦) أَي: فِي عَدَمِ مُسَاعَدَةِ أَخِيهِ إِيَّاهُ فِي حِرْفَتِهِ، وَفِي كَسْبِ آخَرٍ لِمَعِيشَتِهِ. تَحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ (٦/ ١٣٠).

(٧) (ت) (٢٣٤٥)، (ك) (٣٢٠)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٥٠٨٤)، الصَّحِيْحَةُ: (٢٧٦٩)، هِدَايَةُ الرِّوَاةِ: (٥٢٣٨).

(٨) أُطْلِقَ الْحَسَدُ عَلَى الْغِبْطَةِ مَجَازًا، فَكَأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: لَا غِبْطَةَ أَعْظَمَ أَوْ أَفْضَلَ مِنْ الْغِبْطَةِ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ. فَتَحَ الْبَارِي (١/ ١١٩).

(٩) عَبَّرَ بِالتَّسْلِيْطِ لِذَلَالَتِهِ عَلَى قَهْرِ النَّفْسِ الْمَعْجُوْلَةِ عَلَى الشُّعْ. فَتَحَ (ح ٧٣).

عَلَى هَلَكَتِهِ^(١) فِي الْحَقِّ^(٢) وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ^(٣) فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا^(٤).

١٠. طاعة الله تعالى ورسوله: قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٥). أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارَه، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، وفي هذا فضيلة العلم؛ خصوصاً الفقه في الدين، وأنه من أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه^(٦).

١١. طلب العلم سبيل الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٧). وذلك بالتوفيق إلى عمل الطاعات والخيرات في الدنيا، أو إدخاله الجنة بلا تعب في الآخرة.

(١) أي: إهلاكه، وعبر بذلك ليدل على أنه لا يبقى منه شيئاً. فتح (ح ٧٣).

(٢) أي: في الطاعات، ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم. فتح (ح ٧٣).

(٣) المراد بها القرآن. وقيل: المراد بالحكمة: كل ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح. (فائدة): زاد أبو هريرة في هذا الحديث ما يدل على أن المراد بالحسد المذكور هنا الغبطة كما ذكرناه، ولفظه: «فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»، أورده المصنف في فضائل القرآن. فتح الباري (ح ٧٣).

(٤) (خ) (٧٣)، (م) ٢٦٨ - (٨١٦).

(٥) [التوبة: ١٢٢].

(٦) تفسير السعدي (ص: ٣١٢).

(٧) مسلم (٢٦٩٩).



١٢. **يُكْسِبُ صَاحِبَهُ خَشْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى:** قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١). جَعَلَهُ مُنْحَصِرًا فِيهِمْ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ فَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَقَدَّرُوا أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ عَنْهُمْ جَمِيعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَوَائِجِ لَا يَتْرُكُونَ خَشْيَتَهُ، بَلْ تَزْدَادُ خَشْيَتُهُمْ، وَأَمَّا الَّذِي يَخَافُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَفْقَرُهُ أَوْ يَسْلُبُ جَاهَهُ، فَرَبَّمَا يَقِلُّ خَوْفُهُ إِذَا أَمِنَ ذَلِكَ^(٢). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْخَشْيَةُ خُلَاصَةُ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ^(٣). وَقَالَ: إِنَّمَا يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى - كُلَّمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالْعِلْمُ بِهِ أَكْمَلَ، كَانَتْ الْخَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: الْعَالِمُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَحَفِظَ وَصِيَّتَهُ، وَأَيَقَنَ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ وَمَحَاسِبُ بِعَمَلِهِ^(٤).

١٣. **نَوَالِ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ^(٥)»^(٦).

(١) [فاطر: ٢٨].

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩ / ٣٧٠).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ١٦٥).

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦ / ٥٤٤).

(٥) (ت) (٢٦٨٢)، (د) (٣٦٤١)، (ج) (٢٢٣). انظر حديث رقم: (٦٢٩٧)، في صحيح الجامع.

(٦) أَي: أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ مِنْ مِيرَاثِ النَّبِيِّ. تحفة الأحوذى (٦ / ٤٨١).

١٤. **النَّجاة من اللعنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ^(١) مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ^(٢) وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ^(٣)». أي هي وما فيها مبعَّد عن الله تعالى إلا العلم النافع الدال على الله، فهذا هو المقصود منها.

١٥. **نوال محبة الملائكة:** عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَّكِئٌ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ، وَتُظَلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ»^(٤).

١٦. **نوال أجر الحج والعمرة:** عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ، تَامًّا حَجَّتُهُ»^(٥).

١٧. **نوال منزلة الجهاد:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِ إِلَّا لِخَيْرٍ^(٦) يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي

(١) أي: مَبْغُوضَةٌ مِنْ اللَّهِ لِكُونِهَا مُبْعَدَةً عَنْ اللَّهِ. تحفة الأحوذى (١٠٧/٦).

(٢) (ت) (٢٣٢٢)، (ج) (٤١١٢)، صحيح الجامع: (١٦٠٩)، الصحيحة: (٢٧٩٧).

(٣) أي: مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَأَفْعَالِ الْقُرْبِ. أَوْ مَعْنَاهُ: مَا وَالَى ذِكْرَ اللَّهِ، أي: قَارِبَهُ، مِنْ ذِكْرِ خَيْرٍ، أَوْ تَابَعَهُ مِنْ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِأَنَّ ذِكْرَهُ يُوجِبُ ذَلِكَ. تحفة الأحوذى (١٠٧/٦).

(٤) (طب) (٥٤/٨)، رقم (٧٣٤٧)، الضياء (٤٥/٨)، رقم (٣٥)، انظر الصحيحة: (٣٣٩٧)، صحيح الترغيب والترهيب: (٧١).

(٥) (طب) (٧٤٧٣)، (ك) (٣١١)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٨٦).

(٦) الْكَلَامُ فِيمَنْ لَمْ يَأْتِ لِصَلَاةٍ، وَإِلَّا فَلَا تَيَأَنُّ لَهَا هُوَ الْأَصْلُ الْمَطْلُوبُ فِي الْمَسَاجِدِ. حاشية



سَبِيلِ اللَّهِ^(١) وَمَنْ جَاءَهُ لَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ^(٢)»^(٣).

١٨. كَسْبُ نَضَارَةِ الْوَجْهِ وَدَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، قُرْبَ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(٤).

١٩. النَّفْعُ بَعْدَ الْمَوْتِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ

الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٥). وَعَنْ ابْنِ مَاجَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ»^(٦).

السندي على ابن ماجه (٢١١ / ١).

(١) وَجْهٌ مُشَابِهَةٌ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَنَّهُ إِحْيَاءٌ لِلدِّينِ، وَإِذْلَالٌ لِلشَّيْطَانِ، وَإِتْعَابٌ لِلنَّاسِ، وَكُسْرٌ ذُرَى اللَّذَّةِ، كَيْفَ وَقَدْ أُبِيحَ لَهُ التَّخَلُّفُ عَنِ الْجِهَادِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ الْآيَةُ. حَاشِيَةُ السَّنَدِيِّ عَلَى ابْنِ مَاجَةَ (٢١١ / ١).

(٢) أَيُّ: بِمَنْزِلَةِ مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، لَا يَبِيعُ وَلَا يَشْتَرِي، بَلْ لِيَنْظُرَ إِلَى أَمْتَعَةِ النَّاسِ، فَهَلْ يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ فَائِدَةٌ؟، فَكَذَلِكَ هَذَا. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ مَسْجِدَهُ ﷺ سُوقُ الْعِلْمِ، فَيَنْبَغِي لِلنَّاسِ شِرَاءُ الْعِلْمِ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ. حَاشِيَةُ السَّنَدِيِّ عَلَى ابْنِ مَاجَةَ (٢١١ / ١).

(٣) (حم) (٩٤٠٩)، (ج) (٢٢٧)، (يع) (٦٤٧٢)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦١٨٤)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٨٧).

(٤) (حب) (٦٦)، (ت) (٢٦٥٧)، (ج) (٢٣٢)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦٧٦٤)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٨٩).

(٥) مسلم (١٦٣١). (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ) قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ عَمَلَ الْمَيِّتِ يَنْقُطِعُ بِمَوْتِهِ، وَيَنْقُطِعُ تَجَدُّدُ الثَّوَابِ لَهُ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبُهَا، فَإِنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِهِ، وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي خَلَفَهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ تَصْنِيفٍ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ وَهِيَ الْوَقْفُ.

(٦) سنن ابن ماجه (٢٤٠).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﻛَلَّمَ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين؛ والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس^(٢).

* عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنُ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنْ نَبَّيْكُمْ ﷺ لَمْ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»^(٣).

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَدَرُ فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٤)؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا،

(١) أخرجه أبو سهل القطان في «حديثه عن شيوخه» (٤/ ٢٤٣ / ٢)، انظر الصحيح: (١٣٣٥).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (١/ ١٦٤).

(٣) مسلم (٨١٧).

(٤) [النصر: ١].



قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ «وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجْلِكَ»، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١)، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»^(٢).

* كان عكرمة مولى ابن عباس، ومات ابن عباس وهو عبد فاشتره خالد بن يزيد ابن معاوية، من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ ذلك عكرمة فأتى علياً فقال: بعث علم أبيك بأربعة آلاف دينار؟ فراح علي إلى خالد فاستقاله (أي: طلب منه أن يتراجع عن شرائه)، فأقاله، ثم أعتق عكرمة^(٣)، وكان عكرمة يقول: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «يَضَعُ فِي رِجْلَيَّ الْكَبْلَ، وَيُعَلِّمُنِي الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ»^(٤).

* قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَاوَرَنِي هَارُونُ الرَّشِيدُ فِي ثَلَاثٍ: فِي أَنْ يُعَلَّقَ الْمُوْطَأُ فِي الْكَعْبَةِ وَيَحْمِلَ النَّاسُ عَلَى مَا فِيهِ، وَفِي أَنْ يَنْقُضَ مِنْبَرُ النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْعَلَهُ مِنْ جَوْهَرٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَفِي أَنْ يُقَدَّمَ نَافِعُ بْنُ أَبِي نَعِيمٍ إِمَامًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا تَعْلِيْقُ الْمُوْطَأِ فِي الْكَعْبَةِ فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ وَتَفَرَّقُوا فِي الْأَفَاقِ وَكُلٌّ عِنْدَ نَفْسِهِ مُصِيبٌ، وَأَمَّا نَقْضُ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاتِّخَاذُكَ إِيَّاهُ مِنْ جَوْهَرٍ وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَلَا أَرَى أَنْ تَحْرِمَ النَّاسَ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا تَقْدِمَتُكَ نَافِعًا إِمَامًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ نَافِعًا إِمَامٌ فِي الْقِرَاءَةِ وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ تَنْدُرَ مِنْهُ نَادِرَةٌ فِي

(١) [النصر: ٣].

(٢) البخاري (٤٩٧٠).

(٣) صفة الصفوة (١/ ٣٥٩).

(٤) سنن الدارمي (٥٧٢). [تعليق المحقق] إسناده صحيح.

الْمِحْرَابِ فَتَحَفَظَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَفَقَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ^(١).

* قال إبراهيم الحربي رحمته الله: كانت عنق محمد بن عبدالرحمن الأوقص داخلة في بدنه، وكان منكباة خارجين، فقالت له أمه: يا بني، لا تكون في مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه، المسخور به؛ فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك؛ فطلب العلم واجتهد فيه حتى تولى قضاء مكة عشرين سنة، مرت به امرأة وهو يقول: اللهم أعتق رقبتني من النار، فقالت له: يا بن أخي، وأي رقبة لك؟!^(٢).

* قال يحيى بن أكثم رحمته الله: قال لي هارون الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: أتعرف أجل مني؟ قلت: لا، قال: لكنني أعرفه! رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ، قلت: يا أمير المؤمنين، أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولي عهد المؤمنين؟! قال: نعم، ويلك! هذا خير مني؛ لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبداً، ونحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر^(٣).

* قال الأصمعي رحمته الله: دخل عطاء بن أبي رباح على الخليفة عبد الملك بن مروان وهو جالس على السرير، وحوله الأشراف، وذلك بمكة، في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبد الملك، قام إليه، فسلم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد، حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور، فإنهم

(١) سنن الدارمي (٥٧٢). [تعليق المحقق] إسناده صحيح.

(٢) ابن القيم: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/١٦٥).

(٣) ابن القيم: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/١٦٥).



حِصْنُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَفَقَّدَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّكَ وَحْدَكَ الْمَسْئُولُ عَنْهُمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ فَيَمْنَنَّ عَلَى بَابِكَ، فَلَا تَغْفُلَ عَنْهُمْ، وَلَا تَغْلِقْ دُونَهُمْ بَابَكَ. فَقَالَ لَهُ: أَفْعَلْ. ثُمَّ نَهَضَ، وَقَامَ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنَّمَا سَأَلْتَنَا حَوَائِجَ غَيْرِكَ، وَقَدْ قَضَيْنَاهَا، فَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: مَا لِي إِلَى مَخْلُوقٍ حَاجَةٌ. ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: هَذَا - وَأَيُّكَ - الشَّرَفُ، هَذَا - وَأَيُّكَ - السُّؤْدُودُ^(١).

* قال أبو العالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ آتِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَحَوْلَهُ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ، فَيَأْخُذُ بِيَدِي فَيَجْلِسُنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَيَتَغَامَزُ بِي الْقُرَشِيُّونَ، ففُطِنَ لَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: هَكَذَا الْعِلْمُ، يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا، وَيُجْلِسُ الْمَلُوكَ عَلَى الْأَسْرِ^(٢).

* جَاءَ ابْنُ لُسَلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ طَاوُوسٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: جَلَسَ إِلَيْكَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ! قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَبْدًا يَزْهَدُونَ فِي مَا فِي يَدَيْهِ^(٣).

* قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْخَشْيَةُ هِيَ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤).

* أَمْسَكَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بِلِجَامِ فَرَسِ السُّلْطَانِ فِي السُّوقِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَجُودَ الْخَمْرِ فِي الْبِلَادِ، وَقَالَ لَهُ: أَبُوكَ خَيْرٌ مِنْكَ، فَلَمْ تَرَ الْخَمْرَ فِي عَهْدِهِ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِ النُّكْرَ أَمَامَ النَّاسِ، وَالسُّلْطَانُ لَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَيَعِدُهُ بِتَنْفِيزِ مَا

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥ / ٨٤).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٦٤).

(٣) حلية الأولياء (٤ / ١٦)، صفة الصفوة (١ / ٤٥٣).

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦ / ٤٨٢).

طلب، ثم طلب من العز بن عبدالسلام أن يترك بغلته، فلم يفعل إلا بعد أن أصدر السلطان أمراً بإغلاق جميع محلات الخمر في البلاد، فلما انصرف السلطان قال له الناس: يا عز، إن هذا السلطان ظالم؛ ألم تخش بطشه؟ فقال العز: إني تصورت عظمة الله، فأصبح السلطان أمامي كالقطة^(١).

* قال الفضيل رحمته الله: كَانَ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الْعُكْلِيُّ، وَابْنُ شَبْرَمَةَ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ يَزِيدَ وَمُغِيرَةَ، إِذَا صَلَّوْا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، جَلَسُوا فِي الْفَقْهِ، فَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ إِلَّا أَذَانَ الصُّبْحِ^(٢).

* وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ، هَلَمْ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ فَإِنْ كَانَ لِيُؤَلِّغَنِي الْحَدِيثَ عَنِ الرَّجُلِ، فَاتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِجَائِي عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ فَيُرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أُرْسَلْتُ إِلَيْي فَاتِيكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَيْتَنِي وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي^(٣).

* قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ رحمته الله: كَانَ أَبِي يَجْمَعُ بَنِيهِ فَيَقُولُ: يَا بَنِي تَعَلَّمُوا، فَإِنْ تَكُونُوا صِغَارَ قَوْمٍ، فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ آخَرِينَ، وَمَا أَقْبَحَ عَلَى شَيْخٍ يُسْأَلُ لَيْسَ

(١) العلم ضرورة شرعية لناصر العمر (ص: ٤٣).

(٢) (مي) (٦١١)، إسناده صحيح.

(٣) (مي) (٥٧٠)، إسناده صحيح.



عِنْدَهُ عِلْمٌ^(١).

* كَانَ مُطَرَّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ^(٢).

* قَالَ مُقَاتِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا انْتَهَى الْمُؤْمِنُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي لَيْسَ بِعَالِمٍ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِعَمَلِكَ، وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ: أَقِمْ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَاشْفَعْ لِلنَّاسِ^(٣).

* قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغِبَ اللَّهُ فِيهِ، وَزَهَدَ فِيمَا سَخَطَ اللَّهُ فِيهِ^(٤).

* قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَالِمٌ، عَامِلٌ، مُعَلِّمٌ، يُدْعَى كَثِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ^(٥).



(١) (مي) (٥٥٢)، إسناده صحيح.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٤٨١).

(٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣ / ٤١٨).

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦ / ٤٨٢).

(٥) ابن القيم: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ٦٢).

٢٢. ثمرات وفضائل الصلاة على النبي ﷺ

١. شرف تنفيذ أمر الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١). وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ. ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمَعَ الشَّاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِينَ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا^(٢).

٢. نوال الرَّحْمَةِ الْمُضَاعَفَةِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٣). قَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ رَحْمَتُهُ وَتَضْعِيفُ أَجْرِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهَهَا وَظَاهِرُهَا تَشْرِيفًا لَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذِكْرَتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(٤)^(٥).

٣. نوال رضا النبي ﷺ وسعادته: عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يَرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشْرَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يَرَى فِي وَجْهِكَ الْبَشْرَ، فَقَالَ: «أَجَلُ إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَنْ

(١) [الأحزاب: ٥٦].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٤٥٧).

(٣) مسلم (٤٠٨).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤٤).

(٥) (خ) ٧٤٠٥، (م) ٢٣٧٥.



صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»^(١). وفي رواية: «إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدٌ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ، إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ، إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٢).

٤. نوال استغفار الملائكة: عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ يُصَلِّي عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْثُرْ»^(٣).

٥. نوال الولاية: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(٤).

٦. نوال القرب من النبي ﷺ يوم القيامة: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعَرِّضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً، كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»^(٥).

(١) (حم) (١٦٣٩٩)، (س) (١٢٨٣).

(٢) (ن) (١٢١٨)، (س) (١٢٩٥)، (حم) (١٦٤١٠)، صحيح الجامع: (٢١٩٨)، الصحيح: (٨٢٩).

(٣) (حم) (١٥٧١٨)، (ج) (٩٠٧)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٦٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(٤) (ت) (٤٨٤)، (ش) (٣١٧٨٧)، (حب) (٩١١)، (يع) (٥٠١١)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٦٨)، صحيح موارد الظمان: (٢٠٢٧)، وقد كان الألباني ضعف هذا الحديث، ثم تراجع عن تضعيفه. قَالَ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثُ (٩١١): فِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، إِذْ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ أَكْثَرُ صَلَاةً عَلَيْهِ ﷺ مِنْهُمْ.

(٥) (هق) (٥٧٩١)، (ك) (٣٥٧٧)، (ج) (١٦٧٣)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٧٣)، =

٧. نوال شرف تبليغ الملائكة السلام للنبي ﷺ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ^(١) فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(٢).

٨. نوال كفاية الهم وغفران الذنب: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي^(٣)؟، فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرَّبْعُ؟، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفُ؟، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا^(٤)؟، قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ»^(٥)^(٦).

وقد كان الألباني ضعف هذا الحديث ثم تراجع عن تضعيفه.

(١) (سَيَّاحِينَ): صَفَةُ الْمَلَائِكَةِ، يُقَالُ: سَاحَ فِي الْأَرْضِ: إِذَا ذَهَبَ فِيهَا، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّيْحِ، وَهُوَ الْمَاءُ الْجَارِي الْمُنْبَسِطُ عَلَى الْأَرْضِ. شرح سنن النسائي (٢/٣٧٢).

(٢) (س) (١٢٨٢)، (حم) (٣٦٦٦)، (حب) (٩١٤)، صحيح الجامع: (٢١٧٤)، الصحيح: (٢٨٥٣).

(٣) قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: مَعْنَاهُ: أَكْثَرُ الدُّعَاءِ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ دُعَائِي صَلَاةً عَلَيْكَ. تحفة الأحوزي (٢٤٩/٦).

(٤) أَي: أَصْرَفُ بِصَلَاتِي عَلَيْكَ جَمِيعَ الزَّمَنِ الَّذِي كُنْتُ أَدْعُو فِيهِ لِنَفْسِي. تحفة الأحوزي (٢٤٩/٦).

(٥) يَعْنِي: إِذَا صَرَفْتَ جَمِيعَ أَزْمَانِ دُعَائِكَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ، أُعْطِيتَ مَرَامَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. تحفة الأحوزي (٢٤٩/٦).

(٦) (ت) (٢٤٥٧)، (ك) (٣٥٧٨)، صحيح الجامع: (٧٨٦٣)، الصحيح: (٩٥٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٧٠).



٩. نوال شفاعة النبي ﷺ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمَسِي عَشْرًا، أَذْرَكَتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

١٠. عرضها على النبي ﷺ: عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ»^(٢) وَفِيهِ النَّفْخَةُ^(٣) فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ^(٤)؟، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٥).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى تَصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ^(٦).

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠)، قال الهيثمي «رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا». وكان الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حَسَّنَ هذا الحديث في «صحيح الجامع» (٥٣٥٧) ثم تراجع وضعفه في «السلسلة الضعيفة» (٥٧٨٨). هذا وقد جود إسناد هذا الحديث كل من: الحافظ المنذري والهيثمي والسيوطي.

(٢) أَي: الصَّيْحَةُ، وَالْمُرَادُ بِهَا الصَّوْتُ الْهَائِلُ الَّذِي يَمُوتُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَوْلِهِ وَهِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى. (٣) أَي: النَّفْخَةُ الثَّانِيَّة.

(٤) أَي: قَدْ بَلَيْتَ. وقال الشيخ الألباني في الصَّحِيحَةِ (١٥٢٧): (فائدة) قوله: (أَرَمْتَ)، قال الحربي: كذا يقول المحدثون، ولا أعرف وجهه، والصَّواب: أَرَمَمْتُ، أَي: صِرْتُ رَمِيمًا، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. [يس: ٧٨].

(٥) (د) (١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٦٢)، وانظر الصحيحة (١٥٢٧)، (س) (١٣٧٤).

(٦) (ت) (٤٨٦)، انظر صحيح التَّغْيِبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (١٦٧٦).

* فِي الصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَشْرُ كَرَامَاتٍ:

إِحْدَاهُنَّ: صَلَاةُ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ.

وَالثَّانِيَّةُ: شَفَاعَةُ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ.

وَالثَّالِثَةُ: الْإِقْتِدَاءُ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ.

وَالرَّابِعَةُ: مُخَالَفَةُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَفَّارِ.

وَالْخَامِسَةُ: مَحْوُ الْخَطَايَا وَالْأَوْزَارِ.

وَالسَّادِسَةُ: قَضَاءُ الْحَوَائِجِ وَالْأَوْطَارِ.

وَالسَّابِعَةُ: تَنْوِيرُ الظُّوَاهِرِ وَالْأَسْرَارِ.

وَالثَّامِنَةُ: النِّجَاةُ مِنْ عَذَابِ دَارِ الْبَوَارِ.

وَالتَّاسِعَةُ: دُخُولُ دَارِ الرَّاحَةِ وَالْقَرَارِ.

وَالْعَاشِرَةُ: سَلَامُ الْمَلِكِ الْغَفَّارِ^(١).

* قَالَ الْعُلَمَاءُ أَمَّا الْمَوَاطِنُ الَّتِي يُصَلِّي فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَهِيَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

بَعْدَ التَّشْهِيدِ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ، وَهُوَ رُكْنٌ بَعْدَ التَّشْهِيدِ الْأَخِيرِ عِنْدَ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ

الْعِلْمِ - فِي التَّشْهِيدِ الْأَوَّلِ وَآخِرِ الْقَنُوتِ - فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الثَّانِيَةِ -

عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ - عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْقَوْمِ، وَقَبْلَ تَفْرِقِهِمْ

لِلْحَدِيثِ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا

كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ^(٢)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٣) - عِنْدَ الْهَمِّ وَالشَّدَائِدِ

وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ فِي الدُّعَاءِ - عِنْدَ اسْتِفْتَاخِ الْخُطْبِ لِلدُّرُوسِ وَغَيْرِهَا مَقْرُونًا

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين (ص: ٢٩٧).

(٢) ترة: يعني حسرة وندامة.

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح.



بالثناء على الله تعالى وعند ختمها- في أول النهار وآخره مع أذكار الصباح والمساء- بعد الأذان وذلك من وسائل الشفاعة- عند ذكره ﷺ، فقد جاء في الحديث: «**الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»^(١)- يوم الجمعة- بين تكبيرات العيد-فوق الصفا)، وغير ذلك من المواضع.

* قال الشيخ ابن باز رحمته الله: فلو قال المؤمن عند ذكر النبي ﷺ أو عليه الصلاة والسلام فلا أعلم حرجاً في ذلك.

* **عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٍ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ**.^(٢)



(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) (طس) (٧٢١)، (هب) (١٥٧٥)، انظر صحيح الجامع: (٤٥٢٣)، الصحيح: (٢٠٣٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٧٥). وقال المنذري: رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً، ورواه ثقات، ورفع بعضهم، والموقوف أصح. وقال الألباني في الصحيح: هو في حكم المرفوع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، كما قال السخاوي (ص: ٢٢٣) وحكاه عن أئمة الحديث والأصول.

٢٣. ثمرات صلة الرحم

١. سبب في زيادة العمر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١) «^(٢). يُطَوِّلُ اللَّهُ فِي عُمَرِ الْوَاصِلِ، وَزِيَادَةِ الْعُمَرِ: الزِّيَادَةُ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَالتَّوْفِيقُ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةُ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصِيَانَتِهِ عَنِ الضَّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ. أَوْ: بَقَاءُ ذِكْرِهِ الْجَمِيلِ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَقِيلَ: الْأَجَلُ أَجْلَانِ: أَجَلٌ مُطْلَقٌ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَأَجَلٌ مُقَيَّدٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمَلِكَ أَنْ يَكْتُبَ لِلإِنْسَانِ أَجَلًا، وَقَالَ: إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ زِدْتَهُ كَذَا وَكَذَا. وَالْمَلِكُ لَا يَعْلَمُ أَيْزَادُ أَمْ لَا، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنَسَاءٌ فِي الْأَثَرِ»^(٣) «^(٤).

٢. من وصلها وصله الله: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»^(٥). الْإِخْبَارُ بِتَأَكُّدِ صِلَةِ الرَّحِمِ؛ فَإِنَّهَا قَدْ اسْتَجَارَتْ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَأَجَارَهَا، وَأَدْخَلَهَا

(١) صلة الأرحام والأقارب تكون بما جرى به العرف واتبعه الناس، لأنه لم يبين في الكتاب ولا السنة نوعها ولا جنسها ولا مقدارها، ولأن النبي ﷺ لم يقيد بشيء بل أطلقه، ولذلك يرجع للعرف، فما جرى به العرف أنه صلة؛ فهو صلة، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة؛ فهو قطيعة.

(٢) البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٣) قَالَ أَبُو عِيسَى: مَعْنَى قَوْلِهِ: (مَنَسَاءٌ فِي الْأَثَرِ) يَعْنِي: زِيَادَةُ فِي الْعُمَرِ.

(٤) (ت) (١٩٧٩)، (حم) (٨٨٥٥)، انظر صحيح الجامع: (٢٩٦٥)، الصحيح: (٢٧٦).

(٥) البخاري (٥٩٧٨)، مسلم (٢٥٥٥).



في ذِمَّتِهِ وَخِفَارَتِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَجَارُ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْذُولٍ، وَعَهْدُهُ غَيْرُ مَنْقُوضٍ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ»^(١) أَخَذَهُ بِحُجْزَةِ الرَّحْمَنِ، يَصِلُ مِنْ وَصْلِهَا، وَيَقْطَعُ مِنْ قَطْعِهَا»^(٢).

٣. من أسباب دخول الجنة: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «.. تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»^(٣).

٤. من أصول ما جاء به النبي ﷺ: كَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ هِرْقَلٍ، أَنَّ هِرْقَلًا قَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَاحِدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ»^(٤).

٥. من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٥). اشترط رسول الله ﷺ صلة الرحم كشرط للإيمان بالله واليوم الآخر، فكأنه بين أن من يقطع رحمه لم يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأنه لم يخف من العقوبة المترتبة على قطع الرحم.

(١) أَيُّ: أَخَذَ اسْمَهَا مِنْ هَذَا الْإِسْمِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي السُّنَنِ مَرْفُوعًا: «أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي»، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ، مُشْتَبِكَةٌ بِهَا؛ فَالْقَاطِعُ لَهَا مُنْقَطِعٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّحِمَ اشْتَقَّ اسْمُهَا مِنْ إِسْمِ الرَّحْمَنِ فَلَهَا بِهِ عِلَاقَةٌ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهَا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. فَتَح (١١٥/١٧).

(٢) (حم) (٢٩٥٦)، انظر صحيح الجامع: (١٦٢٩)، الصحيح: (١٦٠٢).

(٣) البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

(٤) البخاري (٧).

(٥) البخاري (٦١٣٨).

٦. نوال تعجيل الثواب ونوال الغنى: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا، صَلَوةُ الرَّحِمِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُونَ فَجْرَةً، فَتَنَمُو أَمْوَالَهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلٍ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ»^(١).

٧. عمران الديار: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَوةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(٢).

٨. دخول الجنة بسلام: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ^(٣) وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَنْبَتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٤).

٩. نوال طاعة الرسول ﷺ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ^(٥) وَلَوْ بِالسَّلَامِ»^(٦).

(١) (حب) (٤٤٠)، (طس) (١٠٩٢)، انظر صحيح الجامع: (٥٧٠٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٥٣٧).

(٢) (حم) (٢٥٢٩٨)، الصحيحة: (٥١٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٥٢٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أي: ذهبوا مُسْرِعِينَ إِلَيْهِ.

(٤) (جة) (٣٢٥١)، (حم) (٢٣٨٣٥)، (ت) (٢٤٨٥)، (١٨٥٥)، صحيح الجامع: (٧٨٦٥)، الصحيحة: (٥٦٩).

(٥) بُلُّوا: أي ندوها بِصَلَاتِهَا، وَهُمْ يُطْلِقُونَ النَّدَاةَ عَلَى الصَّلَاةِ، كَمَا يُطْلِقُونَ الْيُسَّ عَلَى الْقَطِيعَةِ.

(٦) (هب) (٧٩٧٣)، (فر) (٥٧/٥١)، هناد في الزهد (١٠١١)، والقضاعي (٦٥٤)، والديلمي (٢٠٨٧)، انظر صحيح الجامع: (٢٨٣٨)، والصحيحة: (١٧٧٧).



١٠. إعانة الله الواصل على من قطعه: إذا أردت أن يكون الله تعالى في عونك وناصرك وحاميك على من ظلمك من ذوي أرحامك؛ فعليك بصلة من قطعك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: وَاصِلُ الرَّحِمِ يُمَدُّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَّعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَرِزْقِهِ، وَامْرَأَةٌ مَاتَ زَوْجُهَا وَتَرَكَ يَتَامَى فَتَقُومُ هِيَ عَلَى الْيَتَامَى حَتَّى يَغْنِيَهُمُ اللَّهُ أَوْ يَمُوتُوا، وَالرَّجُلُ اتَّخَذَ طَعَامًا فَدَعَا إِلَيْهِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ^(٢).

* وَيُقَالُ: خَمْسَةُ أَشْيَاءَ، مَنْ دَاوَمَ عَلَيْهَا زِيدَ فِي حَسَنَاتِهِ مِثْلَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ، وَيُوسَّعُ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ. أَوَّلُهَا: مَنْ دَاوَمَ عَلَى الصَّدَقَةِ، قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، وَمَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَمَنْ دَاوَمَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ دَاوَمَ عَلَى الْوُضُوءِ وَلَمْ يُسْرِفْ فِي صَبِّ الْمَاءِ، وَمَنْ أَطَاعَ وَالِدَيْهِ وَدَاوَمَ عَلَى طَاعَتِهِمَا^(٣).

(١) مسلم (٢٥٥٨). (ويجهلون علي) أي يسيئون، والجهل هنا القبيح من القول، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم. (تسفهم المل) المل هو الرماد الحار أي كأنما تطعمهموه. (ظهير) الظهير المعين والدافع لأذاهم.

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ١٣٨).

(٣) السابق (ص: ١٣٩).

* قال ابن القيم رحمه الله: وَلَيْسَ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ تَرْكُ الْقَرَابَةِ تَهْلُكُ جُوعًا، وَعَطَشًا، وَعَرِيًا، وَقَرِيبُهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مَالًا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِرٍ، فَلَهُ دِينُهُ وَلِلْوَاصِلِ دِينُهُ^(١).

* قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: يُسْتَحَبُّ أَنْ تُقَدَّمَ فِي الْبِرِّ الْأُمُّ، ثُمَّ الْأَبُ، ثُمَّ الْأَوْلَادُ، ثُمَّ الْأَجْدَادُ وَالْجَدَّاتُ، ثُمَّ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، ثُمَّ سَائِرُ الْمَحَارِمِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ كَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ، وَالْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ، وَيُقَدَّمُ الْأَقْرَبُ فَلِلْأَقْرَبِ^(٢).

* قَالَ الشَّيْخُ النَّابِلْسِيُّ: أَحَدُ الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ حَدَّثَنِي مَرَّةً فَقَالَ: اتَّصَلْتُ بِبِي أُخْتِي وَقَالَتْ: أَنَا مُضْطَرَّةٌ لْخَمْسَةِ آلَافِ لِيرَةٍ، أَقْسَمُ لِي بِاللَّهِ لَا يَمْلِكُ إِلَّا خَمْسَةُ آلَافِ لِيرَةٍ، وَعَلَيْهِ أَعْبَاءُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، دَخَلَ فِي صِرَاعٍ!! قَالَ لَهَا: بَعْدَ سَاعَةٍ أُعْطِيكَ الْجَوَابَ، فَكَّرَ، جَمَعَ، طَرَحَ، قَسَمَ، مُضْطَرٌ لْخَمْسَةِ آلَافِ جَدًّا، وَأُخْتُهُ غَالِيَةٌ عَلَيْهِ وَطَلَبَتْ خَمْسَةَ آلَافٍ لِأَمْرِ قَاهِرٍ، بَعْدَ الصِّرَاعِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ انْتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَاتَّصَلَ بِهَا وَسَلَّمَهَا الْخَمْسَةَ آلَافِ لِيرَةٍ. قَالَ لِي: نَزَلْتُ إِلَى الْمَحَلِّ، جَاءَهُ إِنْسَانٌ مِنْ بَلَدٍ عَرَبِيٍّ، هُوَ عَمَلُهُ بِسُوقِ الْغِذَائِيَّاتِ، قَالَ لَهُ: عِنْدَكَ قَمَرُ الدِّينِ؟ قَالَ لَهُ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ لَهُ: دَلَّنِي أَيْنَ يُوجَدُ قَمَرُ الدِّينِ؟ اتَّصَلَ بِمَعْمَلٍ، قَالَ لَهُ: هُنَاكَ شَخْصٌ يُرِيدُ قَمَرُ الدِّينِ سَابِعْتَهُ لَكَ، قَالَ لِي: مَسَاءً بُعِثْ لِي ظَرْفٌ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ لِيرَةٍ!! أَيُّ يَبْدُو أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ لَهُ قَدْ اشْتَرَى كَمِيَّةً كَبِيرَةً، فَأَحَبُّ الْبَائِعِ أَنْ يُكْرِمَ هَذَا الَّذِي سَاقَ لَهُ هَذَا الْإِنْسَانَ، قَالَ لِي: مَسَاءً كَانُوا الْخَمْسَةَ آلَافَ مَعِي، وَخَائِفٌ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ صَارُوا عَشْرَةَ.

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٩٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٣١).

٢٤. ثمرات الحب في الله

١. وجود حلاوة الإيمان: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(١).

٢. المتحابون في ظل الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^(٢). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٣).

٣. الفوز بمحبة الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ

(١) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣). (وجد حلاوة الإيمان) انشرح صدره للإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين، والحلاوة في اللغة مصدر حلو يحلو وهي نقيض المرارة. (لا يحبه إلا الله) لا يقصد من حبه غرضًا دنيويًا. (يقذف) يرمى.

(٢) مسلم (٢٥٦٦). (بجلالي) أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا.

(٣) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

كَمَا أَحَبَّهُ فِيهِ»^(١). وفي الحديث القدسي، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ»^(٢). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ، إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ، أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»^(٣).

٤. الجلوس على منابر من نور: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»^(٤).

٥. الأمن يوم القيامة من الخوف والحزن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ»،

(١) مسلم (٢٥٦٧). (فأرصد) أي أقعده يرقبه (على مدرجته) المدرجة هي الطريق سُمِّيَتْ بذلك لِأَنَّ النَّاسَ يَدْرَجُونَ عَلَيْهَا، أَي يَمْضُونَ وَيَمْشُونَ، (تربها) أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢٩/٥، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٣٢٨)، ورواه الإمام مالك في الموطأ في الشعر (٩٥٣/٢، ٩٥٤)، والبغوي في شرح السنة (٥٠/١٣)، وصححه إسناده الحافظ ابن عبد البر والحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٨، ١٩)، وصححه أيضًا الشيخ الألباني «صحيح الجامع الصغير» رقم (٤٣٢٠)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة (٥٠/١٣).

(٣) (طس) (٢٨٩٩)، (خد) (٥٤٤)، (حب) (٥٦٦)، صحيح الجامع: (٥٥٩٤)، الصحيحة: (٤٥٠).

(٤) سنن الترمذي ت بشار (٤/١٧٥)، (٢٣٩٠).



ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) (٢).

٦. استكمال شرائع الإيمان: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» (٣).

٧. اللحاق بالصالحين: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (٤).

٨. إشاعة المحبة في المجتمع المسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ جَالِسٌ - فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا فِي اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرْتَهُ بِذَلِكَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «قُمْ فَأَخْبِرْهُ، تَثْبُتُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا»، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أُحِبُّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ» (٥). وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، فَلْيُعْلِمْهُ، فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الْأُلْفَةِ، وَأَثْبَتُ فِي الْمَوَدَّةِ» (٦).

(١) [يونس: ٦٢].

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ١٢٤)، (١١١٧٢)، صحيح ابن حبان (٢/ ٣٣٢)، (٥٧٣).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٢٠)، (٤٦٨١).

(٤) البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٥) (حم) (١٣٥٥٩)، (د) (٥١٢٥)، (حب) (٥٧١)، انظر الصَّحِيحَة: (٤١٧)، صحيح موارد الظمان: (٢١٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (ص: ١٢٠)، رقم (٦٩)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٢٨٠)، الصحيحة: (١١٩٩).

٩. التحريم على النار: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَيْهِ: إِيْمَانُ بِاللَّهِ، وَحُبُّ فِي اللَّهِ، وَأَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ فَيُحْرَقَ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال ابن تيمية رحمته الله: فَإِنَّكَ إِذَا أَحْبَبْتَ الشَّخْصَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمَحْبُوبُ لِدَاتِهِ، فَكَلَّمَا تَصَوَّرْتَهُ فِي قَلْبِكَ تَصَوَّرْتَ مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْتَهُ فَازْدَادَ حُبُّكَ لِلَّهِ. كَمَا إِذَا ذَكَرْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَصْحَابَهُمُ الصَّالِحِينَ وَتَصَوَّرْتَهُمْ فِي قَلْبِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَكَ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ، إِذَا كُنْتَ تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يُجْذِبُ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إِذَا أَحَبَّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَحْبُوبُهُ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّ مَنْ الْمُحِبُّ لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يُجْذِبُ إِلَى اللَّهِ^(٢).

* قال الثعالبي رحمته الله: المَحَبَّةُ ثَمَنٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ غَلَا، وَسَلَّمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ غَلَا^(٣).

* قال يحيى بن معاذ رحمته الله: حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ لَا يَزِيدُهَا الْبِرُّ وَلَا يَنْقُصُهَا الْجَفَاءُ^(٤).

* قال رجل لشهر بن حوشب رحمته الله: إِنْ لَأَحْبَبُّكَ قَالَ: وَلَمْ لَا تَحْبِنِي وَأَنَا أَخُوكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَوَزِيرُكَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَمُؤَنِّي عَلَى غَيْرِكَ!^(٥).

(١) (حم) (١٢١٤٣)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) مجموع الفتاوى (٦٠٨/١٠).

(٣) سحر البلاغة وسر البراعة (ص: ١٣٠).

(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٤١١).

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٣/ ١٥).



* قال الجاحظ رحمه الله: ينبغي لمحِبِّ الكمال أن يعود نفسه محبة الناس، والتَّوَدُّدُ إليهم، والتَّحَنُّنُ عليهم، والرَّأْفَةُ والرَّحْمَةُ لهم، فإنَّ النَّاسَ قَبِيلٌ واحدٌ متناسبون تجمعهم الإنسانيَّة، وحلية القوَّة الإلهيَّة هي في جميعهم، وفي كلِّ واحد منهم، وهي قوَّة العقل، وبهذه النَّفس صار الإنسان إنساناً^(١).

* قال ابن القيم رحمه الله: من كمال الإيمان، الحُبُّ في الله، والبغضُ في الله، وَالْعَطَاءُ لله، وَالْمَنْعُ لله، وَأَنْ يكونَ الله وحده إلهه ومعبوده، وَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ تَجْرِيدٌ مُتَابَعَةٌ رَسُولُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وتغميض عين القلب عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى سِوَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢).

* **الحب في الله**: هو أن تحب شخصاً لأنَّه مُطِيعٌ لله، ويزداد الحب له كلما ازدادت طاعته لله، وهذا الحب من أفضل الأعمال؛ لأنَّه لا يكون إلا خالصاً لله، سالمًا من الأغراض الدنيوية، وجزاؤه محبة الله لصاحبه، وأنَّه يُظِلُّه في ظلِّه يوم القيامة^(٣).

* من تفرّعات وتكميلات أصل التوحيد: الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أوليائه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده^(٤).

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية (٢/ ١٠).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٠٧).

(٣) د. راشد بن حسين العبد الكريم: الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية (ص: ٢٨٨).

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة (ص: ١٢٨).

* قَالَ أَبُو عُمَرَ: فَمِنْ الْحُبِّ فِي اللَّهِ؛ حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ الْعُلَمَاءُ
الْفُضَلَاءُ، وَمِنْ الْبُغْضِ فِي اللَّهِ؛ بُغْضُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ، وَجَاهَرَ بِمَعَاصِيهِ، أَوْ أَلْحَدَ فِي
صِفَاتِهِ، وَكَفَرَ بِهِ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، أَوْ نَحَوَ هَذَا كُلَّهُ^(١).

* قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَقِيقَةُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ؛ أَنْ لَا يَزِيدَ بِالْبَرِّ، وَلَا
يَنْقُصَ بِالْجَفَاءِ^(٢).



(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧ / ٤٣١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١ / ٦٢)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٧ / ١٧٦).

٢٥. ثمرات الوضوء، (الطهارة)

١. الوضوء نصف الإيمان: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...»^(١). وذلك أَنَّ الْإِيمَانَ تَحَلُّ وَتَحَلُّ، أَمَّا التَّحَلِّي فَهُوَ التَّحَلِّي عَنِ الْإِشْرَاقِ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ نَجَاسَةٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٢)؛ فَلِهَذَا كَانَ الطَّهْرُ شَطْرَ الْإِيمَانِ، وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الطَّهْرَ لِلصَّلَاةِ شَطْرَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ إِيمَانٌ، وَلَا تَتِمُّ إِلَّا بِطَهْوَرٍ.

٢. الوضوء سببٌ في تكفير الخطايا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَفِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»^(٣). وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ مُسْتَشْعِرًا أَنَّهُ عَبْدٌ مُخْلِصٌ مُطِيعٌ الْأَوَامِرِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ انْفِصَالِ الْمَاءِ عَنِ الْبَشَرَةِ وَسُقُوطِهِ عَنْهَا، «أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ»، أَي: تَخْرُجُ خَطَايَاهُ مِنْ وَجْهِهِ مَعَ آخِرِ نَقْطَةٍ مِنَ الْمَاءِ.. فَالَّتِي نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْهِ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَالَّتِي

(١) مسلم (٢٢٣). الْإِيمَانُ تَوَعَانِ: فِعْلٌ وَتَرَكٌ، فَنِصْفُهُ فِعْلٌ الْمَأْمُورَاتِ، وَنِصْفُهُ تَرَكٌ الْمَحْظُورَاتِ، وَهُوَ تَطْهِيرُ النَّفْسِ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي. جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ تِ الْأَرْنَؤُوط (٧/٢).

(٢) [التوبة: ٢٨].

(٣) مسلم (٢٤٤).

استنشَقَهَا بِأَنْفِهِ خَرَجَتْ مِنْ أَنْفِهِ، وَالَّتِي نَطَقَهَا بِفَمِهِ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ، قِيلَ: خُصَّتِ الْعَيْنُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا طَلِيعَةُ الْقَلْبِ وَرَأْدُهُ، فَإِذَا ذُكِرَتْ أَغْنَتْ عَنْ سَائِرِهَا، وَقِيلَ: ذُكِرَتْ لِأَنَّ كَلًّا مِنَ الْفَمِ، وَالْأَنْفِ، وَالْأُذُنِ لَهُ طَهَارَةٌ مَخْصُوصَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ طَهَارَةِ الْوَجْهِ، فَكَانَتْ مُتَكَفِّلَةً بِإِخْرَاجِ خَطَايَاهَا، بِخِلَافِ الْعَيْنِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهَا طَهَارَةٌ إِلَّا فِي غَسْلِ الْوَجْهِ، فَخُصَّتْ خَطِيئَتُهَا بِالْخُرُوجِ عِنْدَ غَسْلِهِ دُونَ غَيْرِهَا مِمَّا ذُكِرَ.

فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ ذَهَبَتْ وَمُحِيتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ اقْتَرَفَتْهَا وَعَمِلَتْهَا يَدَاهُ، كَالْمُلَامَسَةِ الْمُحَرَّمَةِ وَغَيْرِهَا.. فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى مِنْ وَضُوئِهِ خَرَجَ نَقِيًّا مِنْ ذُنُوبِ الْأَعْضَاءِ أَوْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ مِنَ الصَّغَائِرِ؛ لِأَنَّ الْأَدْلَةَ مُتَوَاتِرَةً عَلَى أَنَّ الْكِبَائِرَ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ تَوْبَةٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ الْوُضُوءِ، وَأَنَّهُ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ. وَفِيهِ: حَثٌّ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الْوُضُوءِ.

٣. **الوضوء سبب في رفع الدرجات:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(١). أَلَا تُرِيدُونَ أَنْ أُخْبِرَكُمْ وَأُطْلِعَكُمْ، عَلَى سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُغْفَرُ وَيُمَحَى بِهَا الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي، وَيَكُونُ أَيْضًا سَبَبًا فِي عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ» وَيَكُونُ بِإِتْمَامِهِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ غُضُوٍّ حَقَّهُ مِنَ الْمَاءِ، وَالْمَكَارِهِ تَكُونُ بِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْمِ الْجِسْمِ، فَيُكْرِهُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ عَلَى الْوُضُوءِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ. وَالْأَمْرُ الثَّانِي



هو الإكثار من الذهاب إلى المساجد لإدراك الجماعات، والأمر الثالث: انتظار الصلاة بعد الصلاة، بالبقاء في المسجد وانتظار الفرائض بها، لا يقطعها منها إلا الحاجة، ثم بين ﷺ أن هذه الأعمال الثلاثة هي: الرباط، أي: يكون صاحبها في منزلة من يربط في سبيل الله تعالى، والمرباط في سبيل الله تعالى هو الذي يلزم ثغور وحدود بلاد المسلمين مع بلاد الكفار لحراستها، وهذا من أعظم الأعمال عند الله ﷻ. فسمى النبي ﷺ هذه الأعمال مِرَابطة؛ لكونها تسد طرق الشيطان على النفس.

٤. أنه علامة يعرف بها النبي ﷺ أمته يوم القيامة: عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجر، قال: رقيت مع أبي هريرة على ظهر المسجد، فتوضأ، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١). فقل لي بالله عليك: لو لم تكن من أهل الطهارة فكيف يعرفك المصطفى ﷺ؟!

٥. أن أعضاء الوضوء تحلّى بالذهب في الجنة: عن أبي حازم، قال: كنت خلف أبي هريرة، وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ^(٢) أنتم ها هنا؟ لو علمت أنكم

(١) البخاري (١٣٦)، مسلم (٢٤٦). (غُرًّا محجلين) غُرًّا جمع أغر، أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ثم استعملت في الشهرة وطيب الذكر. ومحجلين من التحجيل وهو بياض يكون في قوائم الفرس، وأصله من الحجل، وهو الخلخال. والمعنى أن النور يسطع من وجوههم وأيديهم وأرجلهم يوم القيامة، وهذا من خصائص هذه الأمة التي جعلها الله ﷻ شهداء على الناس.

(٢) فروخ كان من ولد إبراهيم ﷺ. شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٠)، مختصر صحيح مسلم للمنذري طبعة الألباني (١/ ٤٤).

هَاهُنَا مَا تَوَضَّأَتْ هَذَا الْوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»^(١). «تَبْلُغُ الْحِلْيَةَ» أَيِ التَّحْلِي بِالذَّهَبِ الْمُكَلَّلِ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ^(٢). وَهَنَّاكَ تَفْسِيرَ آخِرِ لِلْحِلْيَةِ بِأَنَّهُ النَّورُ فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُحَلِّي فِي الْجَنَّةِ وَتَكُونُ هَذِهِ الْحِلْيَةُ إِلَى حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءَ، فَتَبْلُغُ الْحِلْيَةَ فِي الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ يَبْلُغُ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ.. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ شَرَفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ خُصَّتْ بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ. وَفِيهِ: بَيَانُ فَضْلِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ بِمُجَاوِزَةِ مَحَلِّ الْفَرَضِ.

٦. الْوُضُوءُ سَبَبٌ فِي فَتْحِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيِّي فَأَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنَفًا، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسَبِّغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٣).

(١) مسلم (٢٥٠).

(٢) المناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٤٢)، فيض القدير (٣/٢٢٧).

(٣) مسلم (٢٣٤). (ما أجود هذه) يعني هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة، وجودتها من جهات منها: أنها سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة، ومنها، أن أجرها عظيم، (آنفاً) أي قريباً، (فيلغ أو يسبغ) هما بمعنى واحد، أي يتمه ويكلمه فيوصله مواضعه على الوجه المسنون.



٧. المحافظة على الوضوء من صفات المؤمنين: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(١). هذا أمرٌ بالاستقامة على الطريق المستقيم طريق الهدى.. والاستقامة هي الإقامة على قول: لا إله إلا الله، بإيفاء حقه، وأداء أوامره، والانتهاز عما نهى عنه، والرضا بما يكون منه.. «وَلَنْ تُحْصُوا»، أي: ولن تستطيعوا أن تعدوا وتستكملوا كل وجه الخير والطاعات، بحولكم وقوتكم، ولا باجتهادكم واستطاعتكم، بل لن تطيقوه، وأحرى ألا تطيقوه، وإن بذلتكم مجهودكم. وقيل: المعنى لن تحصوا ثوابها، وكل ذلك يتطلب الاستقامة مع الاستعانة بالله وحسن الرجاء فيه مع الخوف منه. «وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»؛ لما فيها من الإقبال على الله والخشوع والتذلل له بالوجه والأعضاء والجوارح خاشعة لله، وهي من أفضل الأعمال، وأتمها دلالة على الاستقامة، والانقطاع إليه عما سواه، والإقبال عليه، والانصراف عما سواه، والاشتغال به عمّن دونه، «وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، أي: ولا يحافظ مسلم على إدامة الوضوء والطهارة من الحدث، إلا وقد اكتمل إيمانه وتصديقه؛ لأن الوضوء من أشرف الطاعات، وفيه مشقة، وخاصة في الشتاء وفي حين الشغل؛ فلا يحافظ عليه إلا مُصدق بالله وبرسوله وبفضيلة ما أمر به. وفي الحديث: أَنَّ

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنبوط (١/ ١٨٤)، (٢٧٧). (استقيموا ولن تحصوا) في النهاية: أي استقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا. ولن تطيقوا الاستقامة. من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾. أي لن تطيقوا عده وضبطه. وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ مَعْنَاهُ عِنْدِي: لَا يُمْكِنُكُمْ اسْتِيعَابُ أَعْمَالِ الْبَرِّ... وَقَالَ مَطْرَفُ مَعْنَاهُ: وَلَنْ تُحْصُوا مَا لَكُمْ مِنَ الْأَجْرِ إِنْ اسْتَقَمْتُمْ... وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ: يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَدِيمُ فَعْلَهُ فِي الْمَكَارِهِ وَغَيْرِهَا مُنَافِقٌ. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٤٤).



المحافظة على الوضوء من شيم المؤمنين. وفيه: أن المحافظة على الصلاة من أفضل الأعمال الدالة على الاستقامة.

٨. غفران ما تقدم من الذنوب: عن حمّان، مولى عثمان، قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ، ثم قال: إن ناساً يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث لا أدري ما هي؟ إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة»^(١).

٩. فيه تنشيط للجوارح: وإذهاب الأدران والأوساخ التي على البدن، لأن الماء يعيد للجسم نشاطه وقوته وحيويته، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود، فليتوضأ»^(٢). وبين في رواية للحاكم، أنه أنشط للعود، فقال ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعاود فليتوضأ، فإنه أنشط للعود»^(٣).

١٠. نوال دعاء الملائكة الأبرار: عن ابن عمر رضيهما الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «طهروا هذه الأجساد، طهركم الله، فإنه ليس عبدٌ يبيت طاهراً، إلا بات ملكٌ في شعاره»^(٤) لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً»^(٥).

(١) مسلم (٢٢٩).

(٢) مسلم (٣٠٨).

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٥٤٢). (خز) (٢٢١)، (حب) (١٢١١)، صحيح الجامع: (٢٦٣)، (آداب الزفاف) ص ٣٥، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الشَّعَار: الثوب الذي يلي البدن.

(٥) (حب) (١٠٥١)، (طب) (١٣٦٢٠)، (طس) (٥٠٨٧)، صحيح الجامع: (٣٩٣٦)، الصحيحة: (٢٥٣٩).



١١. نوال استجابة الدعاء: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَبْتَغِي عَلَى ذِكْرِ طَاهِرًا، فَيَتَعَارَى^(١) مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٢).

١٢. نوال إكرام الله: عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَهُوَ زَائِرُ اللَّهِ، وَحَقُّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ»^(٣).

١٣. فرح الله به: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُسْبِغُهُ^(٤) ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا تَبَشَّشَ^(٥) اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ»^(٦).

١٤. حب الله للمتطهرين: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٧). هُمْ الْمُتَطَهِّرُونَ بِالْمَاءِ^(٨). فَالطَّهَارَةُ طَهَارَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، طَهَارَةُ الْبَاطِنِ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، وَطَهَارَةُ الظَّاهِرِ بِالْمَاءِ مِنَ الْحَدَثِ.

(١) تعارَى: هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ وَاسْتَيْقَظَ.

(٢) (ت) (٣٥٢٦)، (د) (٥٠٤٢)، (ج) (٣٨٨١)، (حم) (٢٢١٠١)، انظر صحيح الكلم الطيب: (٣٦)، وقد تراجع الألباني عن تضعيف رواية (ت) في الكلم الطيب ص: ٤٣.

(٣) (طب) (٦١٣٩)، الصَّحِيحَةُ: (١١٦٩)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٣٢٢).

(٤) إسباغ الوضوء: إتمامه، وإكماله، واستيعاب أعضائه بال غسل.

(٥) البَشُّ: قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «النهاية» (١/ ١٣٠): فَرَحُ الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ، وَاللُّطْفُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ. بِشَاشَةِ اللَّقَاءِ: الْفَرَحُ بِالْمَرْءِ، وَالْإِنْبَسَاطُ إِلَيْهِ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَاللُّطْفُ إِلَيْهِ.

(٦) (خز) (١٤٩١)، (حم) (٨٠٥١)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٠٣)، وقال الأرناؤوط في

(حب) تحت حديث (١٦٠٧): إسناده صحيح.

(٧) [البقرة: ٢٢٢].

(٨) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣/ ٧٤٢).

١٥. زوال أثر العين والحسد بإذن الله تعالى: فقد أخرج ابن ماجه واللفظ له وأحمد في المسند والنسائي في الكبرى وصححه الألباني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: مرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل، فقال: لم أرَ كاليوم، ولا جلد مُخبَّاة! فما لبث أن لبَّط به، فأُتِيَ به النبي ﷺ، فقيل له: أدرك سهلًا صريعًا. قال: «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟» قالوا: عامر ابن ربيعة. قال: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ»، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ»^(١). وفي لفظ أحمد: «فَرَّاحَ سَهْلٍ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»^(٢). وأخرج أبو داود وصححه الألباني عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ»^(٣). المصاب بعين غيره.

من أقوال العلماء في الباب:

* روى البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه موقوفًا عليه أنه قال: إِنَّ الْأَرْوَاحَ تَعْرُجُ بِهَا فِي مَنَامِهَا، وَتُؤْمَرُ بِالسُّجُودِ عِنْدَ الْعَرْشِ، فَمَنْ كَانَ طَاهِرًا سَجَدَ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَمَنْ كَانَ لَيْسَ بِطَاهِرٍ سَجَدَ بَعِيدًا مِنَ الْعَرْشِ^(٤).

* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَهُوَ طَاهِرٌ فَالْوَاحِدُ عَشْرَةٌ، وَمَنْ ذَكَرَهُ وَهُوَ غَيْرُ طَاهِرٍ فَالْوَاحِدَةُ بَوَاحِدَةٍ^(٥).

(١) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (٣٥٠٩)، مشكاة المصابيح (٤٥٦٢).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٥٩٨٠).

(٣) سنن أبي داود (٣٨٨٠)، الصحيحة (٢٥٢٢).

(٤) البيهقي: شعب الإيمان (٢٥٢٧).

(٥) البيهقي: شعب الإيمان (٢٥٣١).



* عَنْ سَالِمٍ، عَنْ يَزِيدَ السَّكْسَكِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يُقَالُ لَهُ: السُّنِّيُّ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ** أَوْحَى إِلَى مُوسَى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ وَضُوءٍ، فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ ^(١).

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ ^(٢)، أي: من ذنوبهم على الدوام، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقاً، لأنَّ الله يحب المتَّصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً، شرطاً لصحة الصلاة والطَّواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة ^(٣).



(١) البيهقي: شعب الإيمان (٢٥٢٨).

(٢) [البقرة: ٢٢٢].

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٠٠).

٢٦. ثمرات الإخلاص في الدنيا والاخرة

١. الإخلاص سبب في تفريج الكربات والشدائد: عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَرَجَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكْرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحَبُّ امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالْ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُضِ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلَاثِينَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرْقٍ مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ،



اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»^(١).

٢. الإخلاص سبب في نصر الله لهذه الأمة: روى النسائي وأصله في البخاري عن مسعر، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ، فقال نبي الله ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»^(٢). خصَّ الله سبحانه وتعالى ضِعْفَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضَائِلَ عَدِيدَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ حَتَّى جَعَلَهُمْ - بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ - مِنْ أَسْبَابِ نَصْرِ الْأُمَّةِ.. يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَخْشَعُونَ فِيهَا، وَيُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ فَلِذَلِكَ كَانُوا قَرِيبِينَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَنَصْرُ الْأُمَّةِ بِضَعْفَائِهَا يَحْتَمِلُ حَالَيْنِ؛ الْأَوَّلَى: أَنْ يَكُونَ النُّصْرُ بِهِمْ عِنْدَ انْعِدَامِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ؛ فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ: أَنَّهُمُ السَّبَبُ الْوَحِيدُ فِي نَصْرِ اللَّهِ لِلْأُمَّةِ رَحْمَةً بِالضُّعْفَاءِ، وَبِسَبَبِ دُعَائِهِمْ. وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ النُّصْرُ بِهِمْ مَعَ وَجُودِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ لِلنَّصْرِ مَعَ الْأُمَّةِ، سَوَاءً كَانَتْ كَافِيَةً أَوْ لَا؛ فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ سَبَبٌ لِلنَّصْرِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ؛ وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ فِدْعَاءُ الضُّعْفَاءِ وَصَلَاتُهُمْ مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ الْفُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيَانُ أَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى وَلَيْسَ بِالْغِنَى.

(١) البخاري (٢٢١٥)، مسلم (٢٧٤٣). (ثلاثة) من الناس من الأمم السابقة. (الحلاب) الإناء الذي يحلب فيه أو اللبن المحلوب. (أهلي) أقربائي كأختي وأخي وغيرهما. (فاحتبست) تأخرت بسبب أمر عرض لي. (يتضاغون) يصيحون من الضغاء. (دأبي) عادي وشأني. (إبتغاء وجهك) طلباً لمرضاتك. (فرجة) الفتحة بين الشئنين. (لا تنال ذلك منها) لا تحصل على مرادك. (لا تفض الخاتم إلا بحقه) لا تزل البكارة إلا بحلال وهو النكاح. (بفرق) مكيال يسع ثلاثة أصع.

(٢) (س) (٣١٧٨)، (حم) (١٤٩٣)، (عب) (٩٦٩١)، (هق) (٦١٨٢)، انظر صحيح الجامع: (٢٣٨٨)، الصحيح تحت حديث: (٧٧٩).

٣. الإخلاص سبب في قبول العمل: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ»^(١). المجاهد الحق هو من جاهد لتكون كلمة الله العلياء، وطلبًا للأجر والمثوبة الأخروية مع إخلاص النية، لا أن يكون خروجه خروجًا لطلب أجر دنيوي؛ مثل الغنيمة والذكر الحسن وغير ذلك.

٤. البعث يوم القيامة على حسب نيتك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّتِهِمْ»^(٢). يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَقْصِدُ جَيْشٌ عَظِيمٌ الْكَعْبَةَ لِتَخْرِيبِهَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي بَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ -أَي: بِأَرْضِ مُتَسَعَةٍ مَلَسَاءَ لَا شَيْءَ بِهَا، وَيَعْنِي مَوْضِعًا مِنَ الصَّحَارَى فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ- خَسَفَ اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِمْ، فَوَقَعُوا فِيهَا مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَمَّهِمْ كُلَّهُمْ بِالْخَسْفِ. فَتَسَاءَلَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ يَعْمُ الْعِقَابُ الْجَمِيعَ وَفِيهِمْ أَهْلُ سُوقِهِمْ مَمَّنْ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ مَمَّنْ صَادَفَ وَجُودَهُ مَعَهُمْ عِنْدَ وَقْعِ الْخَسْفِ، وَلَمْ يَنْوَ غَزَا الْكَعْبَةِ، وَلَا التَّعَرُّضَ لَهَا؟ فَاسْتَشَكَلَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلَ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ لَا إِرَادَةَ لَهُ فِي الْقِتَالِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْعُقُوبَةِ، فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الْخَسْفَ يَعْْمُهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحَاسِبُ كُلَّ مِنْهُمْ

(١) سنن النسائي (٣١٤٠). وانظر حديث رقم (١٨٥٦) في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب والترهيب: (١٣٣١).

(٢) ابن ماجه (٤٢٢٩)، (حم) (٩٠٧٩)، وانظر صحيح الجامع (٢٣٧٩).



بِحَسَبِ نِيَّتِهِ وَقَصْدِهِ؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَهْمِيَّةُ النِّيَّةِ وَأَثَرُهَا عَلَى الْعَبْدِ. وَفِيهِ: عِنَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ. وَفِيهِ: أَنْ مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ جَرَى عَلَيْهِ حُكْمُهُمْ فِي ظَاهِرِ عُقُوبَاتِ الدُّنْيَا.

٥. بِالْإِخْلَاصِ تَأْخُذُ الْأَجْرَ كَامِلًا: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»^(١). وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَنَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»^(٢).

٦. الْإِخْلَاصُ سَبَبٌ فِي الْفَوْزِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(٣). مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا، عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا إجمالًا، مُخْلِصًا فِي

(١) البخاري (٢٨٣٩)، (شعبًا) طريقًا في الجبل. (معنا فيه) بقلوبهم ونيتهم فهم معنا في الأجر والثواب. (حبسهم) منعهم من الخروج. (الْعُذْر) من مرضٍ أو عدم نفقة أو غير ذلك.
(٢) (س)، (١٧٨٧)، (١٧٨٥)، (د) (١٣١٤)، وصححه الألباني في الإرواء: (٤٥٤)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٦٠٢).

(٣) البخاري (٩٩)، (٦٥٧٠)، (أسعد) أفعّل من السعادة، وهي خلاف الشقاوة، أو من السعد وهو اليمن والخير. (بشفاعتك) مشتقة من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى، وشفاعته ﷺ توسله إلى الله تعالى أن يرحم العباد في مواقف عدة من مواقف يوم القيامة. (ظننت) علمت. (خالصًا) مُخْلِصًا، والإخلاص في الإيمان ترك الشرك، وفي الطاعة ترك الرياء.

الإيمان بترك الشرك، وفي الطاعة بترك الرياء. وَكَوْنُ الْمُؤْمِنِ الْمُخْلِصِ أَكْثَرَ سَعَادَةً مِنْ غَيْرِهِ بِالشَّفَاعَةِ؛ لِأَنَّ التَّفْضِيلَ يَكُونُ بِحَسَبِ الْمَرَاتِبِ، فَيَكُونُ هُوَ أَسْعَدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنَ الْإِخْلَاصِ الْمُؤَكَّدِ الْبَالِغِ غَايَتَهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَحْصُلُ لَهُ سَعْدٌ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ، لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُخْلِصَ أَكْثَرَ سَعَادَةً بِهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ فِي الْخَلْقِ بِإِرَاحَتِهِمْ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَيَشْفَعُ فِي بَعْضِ الْكُفَّارِ بِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ، وَيَشْفَعُ فِي بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوهَا، وَفِي بَعْضِهِمْ بَعْدَ دُخُولِهَا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْجِبُوا دُخُولَهَا، وَفِي بَعْضِهِمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَفِي بَعْضِهِمْ بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ فِيهَا، فَظَهَرَ الْإِشْرَاقُ فِي مُطْلَقِ السَّعَادَةِ بِالشَّفَاعَةِ، وَأَنْ أَسْعَدَهُمْ بِهَا الْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ.

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ مُطَرِّفٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَلَاحُ الْقَلْبِ بِصَلَاحِ الْعَمَلِ وَصَلَاحُ الْعَمَلِ بِصِحَّةِ النِّيَّةِ^(١).

* وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْمَلَ لَهُ عَمَلُهُ، فَلْيُحْسِنْ نِيَّتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْجُرُ الْعَبْدَ إِذَا حَسَنَتْ نِيَّتُهُ حَتَّى بِاللُّقْمَةِ. وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: رَبُّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تَعْظُمُهُ النِّيَّةُ، وَرَبُّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ. وَقَالَ ابْنُ عَجَلَانَ: لَا يَصْلُحُ الْعَمَلُ إِلَّا بِثَلَاثٍ: التَّقْوَى لِلَّهِ، وَالنِّيَّةُ الْحَسَنَةُ، وَالْإِصَابَةُ. وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ نِيَّتَكَ وَإِرَادَتَكَ. وَعَنْ يُونُسَ بْنِ أَسْبَاطٍ، قَالَ: إِثَارُ اللَّهِ ﷻ أَفْضَلُ مِنَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ^(٢).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٩٩).

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكمات الأرئووط (١/ ٧١).



* قال بعض السلف: النية عبادة مستقلة لا تفتقر إلى غيرها وكل العبادات تفتقر إليها.

* قال أبو هريرة رضي الله عنه: مكتوب في التوراة: ما أريد به وجهي فقليله كثير، وما أريد به غيري فكثيره قليل^(١).

* قال يعقوب المكفوف رحمته الله: المخلص من يكتم حسناته، كما يكتم سيئاته^(٢).

* قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمته الله فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُنَلِّكُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٣)؛ قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ. قِيلَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يَقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا. وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ^(٤).

* قَوْلَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ رحمته الله: لَيْسَ عَلَى النَّفْسِ شَيْءٌ أَشَقُّ مِنَ الْإِخْلَاصِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ^(٥).

* عَنْ دَاوُدَ الطَّائِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ إِنَّمَا يَجْمَعُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ، وَكَفَاكَ بِهَا خَيْرًا وَإِنْ لَمْ تَنْصَبْ^(٦).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٤٦٨).

(٢) الكبائر للذهبي (ص: ١١).

(٣) [الملك: ٢].

(٤) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢١٧).

(٥) الرسالة القشيرية (٢/ ٣٦١).

(٦) جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (١/ ٧٠).

* قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)؛ يقول شيخ الإسلام: وَالنَّاسُ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: طَرَفَانِ وَوَسْطٌ. فَالْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ: لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ إِلَّا مِمَّنِ اتَّقَى الْكِبَائِرَ. وَعِنْدَهُمْ صَاحِبُ الْكِبِيرَةِ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ حَسَنَةٌ بِحَالٍ. وَالْمُرْجِيَّةُ يَقُولُونَ: مَنْ اتَّقَى الشُّرْكَ. وَالسَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ يَقُولُونَ: لَا يَتَقَبَّلُ إِلَّا مِمَّنِ اتَّقَاهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ فَفَعَلَهُ كَمَا أَمَرَ بِهِ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

* يقول شيخ الإسلام مُعَلِّقًا عَلَى حَدِيثِ الْبُطَاقَةِ: فَهَذِهِ حَالٌ مَنْ قَالَهَا بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ، كَمَا قَالَهَا هَذَا الشَّخْصُ، وَإِلَّا فَاهْلُ الْكِبَائِرِ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ كُلُّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يَتَرَجَّحْ قَوْلُهُمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ، كَمَا تَرَجَّحَ قَوْلُ صَاحِبِ الْبُطَاقَةِ^(٣). وَيَقُولُ أَيْضًا حَوْلَ حَدِيثِ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَقَتِ الْكَلْبَ وَالرَّجُلَ الَّذِي أَمَاطَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ: فَهَذِهِ سَقَتِ الْكَلْبَ بِإِيمَانٍ خَالِصٍ كَانَ فِي قَلْبِهَا فُغْفَرَ لَهَا، وَإِلَّا فَلَيْسَ كُلُّ بَغْيٍ سَقَتِ كَلْبًا يُغْفَرُ لَهَا، وَكَذَلِكَ هَذَا الَّذِي نَحَى غَضْنَ الشَّوْكِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَعَلَهُ إِذْ ذَاكَ بِإِيمَانٍ خَالِصٍ، وَإِخْلَاصٍ قَائِمٍ بِقَلْبِهِ، فُغْفِرَ لَهُ بِذَلِكَ. فَإِنَّ الْأَعْمَالَ تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ، وَإِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَيَبِينُ صِلَاتُهُمَا كَمَا بَيَّنَّ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ. وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ نَحَى غَضْنَ شَوْكِ عَنِ الطَّرِيقِ يُغْفَرُ لَهُ^(٤).

(١) [المائدة: ٢٧].

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢١٦).

(٣) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢١٩).

(٤) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٢١).



* قال سهل بن عبد الله رحمته الله: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة^(١).

* من ثمار الإخلاص: تفريج الكربات: (قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة - قصة عكرمة - قصة أصحاب الكهف).

* مغفرة الذنوب ونيل الرضوان: كما في حديث البطاقة، والمرأة البغي التي سقت الكلب، والرجل الذي أزاح الشجرة من الطريق.

* قال أبو سليمان الداراني رحمته الله: طوبى لمن صحّت له خطوة واحدة، لا يريد بها إلا الله تعالى^(٢).

* عن عبد الله بن الشخير أن رجلاً أتى تميم الداري فقال: كيف صلاتك بالليل؟ فغضب غضباً شديداً، فقال: والله لركعة أصليها في جوف الليل في السر أحب إلي من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس^(٣).

* كان معروف الكرخي رحمته الله يقول: يا نفس، أخلصي تتخلصي^(٤).

* قال بعض السلف: من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لله تعالى نجا^(٥).

* قال بشر الحافي رحمته الله: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحب إلي من أن أطلبها بالعبادة^(٦).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٣/٧).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤٩٥/٦).

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (٣٥٦/١).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤٩٥/٦).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٥٠٠/٦).

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (٢/٢٤٢).

* قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الرجل يكون عنده زوار فيقوم من الليل يصلي ولا يعلم به زواره وكانوا يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت، وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكي طول ليلته وهي لا تشعر، وكان محمد بن واسع يُصَلِّي في طريق الحج طول ليله^(١).

* قال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وقال يحيى بن معاذ: الإخلاص تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين الفرث والدم. وقال أبو الحسن البوشجي: هو ما لا يكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الإنسان^(٢).



(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٩).

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧ / ٢).

٢٧. ثمرات الحوقلة

١. كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(١)، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»^(٢) أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٣). وَمَعْنَى الْكَنْزِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدَّخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ كَمَا أَنَّ الْكَنْزَ أَنْفُسُ أَمْوَالِكُمْ^(٤).

٢. مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: «مَنْ مَعَكَ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مَرُّ أُمَّتِكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ ثُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٥).

(١) مَعْنَى لَا حَوْلَ، لَا تَحْوِيلَ لِلْعَبْدِ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَقِيلَ مَعْنَى لَا حَوْلَ، لَا حِيلَةَ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: هِيَ كَلِمَةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَفْوِضٍ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ شَرٍّ، وَلَا قُوَّةَ فِي جَلْبِ خَيْرٍ، إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. فَتَحَ الْبَارِي لَابْنَ حَجَرٍ (١١/٥٠١).

(٢) قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَفْوِضٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرِهِ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ. الْخِصَالُ الْمَوْجِبَةُ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، عَلِي الشَّحُودُ (١/٣٧١).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٦٣٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٠٤).

(٤) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (١٧/٢٦).

(٥) مُسْنَدُ أَحْمَدَ ط الرِّسَالَةُ (٢٣٥٥٢)، وَانْظُرِ الصَّحِيحَةَ (١٠٥)، وَالْمَعْنَى أَعْلَمُهُمْ بِأَنَّ هَذِهِ

٣. باب من أبواب الجنة: عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ عُبَادَةَ، أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَخْدُمُهُ، فَأَتَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

٤. تصديق الله لمن قالها: عَنِ الْأَعْرَجِ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي» قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الْأَعْرَجُ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ»^(٢).

٥. ابتعاد الشيطان عمن قالها عند خروجه من بيته: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ - يَعْني - إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِّتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٣).

٦. من تحت عرش الرحمن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَعْلَمُكُمْ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ:

الْكَلِمَاتِ وَنَحْوَهَا سَبَبٌ لِدُخُولِ قَائِلِهَا الْجَنَّةَ، وَلِكثَرَةِ أَشْجَارٍ مَنْزِلِهِ فِيهَا لِأَنَّهُ كَلَّمَا كَرَّرَهَا نَبَتْ لَهُ أَشْجَارٌ بَعْدَهَا. علي الشحوذ: الخصال الموجبة لدخول الجنة (٣٦٦/١).

(١) (حم) (١٥٥١٨)، (ت) (٣٥٨١)، (ن) (١٠١٨٧)، (ك) (٧٧٨٧)، انظر صحيح الجامع:

(٢٦١٠)، (الصحيح: ١٧٤٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) سنن ابن ماجه (٣٧٩٤)، انظر الصحيح: (١٣٩٠)، المشكاة (٢٣١٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، سنن الترمذي (٤٩٠/٥)، (٣٤٢٦)، وصححه الألباني في المشكاة

(٢٤٤٣)، والكلم (٦١)، وصحيح الجامع (٦٤١٩)، (٢١٧٣).



لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فيقول الله عز وجل: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسَلَّمَ^(١). وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنِي خَلِيلِي عليه السلام بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالْدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ^(٢).

٧. سبب لدخول الجنة: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، فَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ^(٣).

٨. تجزئ مع غيرها عن قراءة الفاتحة في الصلاة لمن لا يعرف القرآن: وقراءة الفاتحة ركن: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَلَّمَنِي شَيْئًا يُجْزئُنِي مِنَ

(١) مسند أحمد (٧٩٦٦)، رواه الحاكم (٥٤)، وصحيح الجامع (٢٦١٤)، وصحيح الترغيب (١٥٨٠).

(٢) (حم) (٢١٤٥٣)، (طب) (١٦٤٨)، (هق) (١٩٩٧٣)، انظر الصحيح: (٢١٦٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (٨١١)، (٢٥٢٥).

(٣) (م) ١٢ - (٣٨٥)، (د) (٥٢٧).

الْقُرْآنَ فَقَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»^(١).

٩. نوال فضائل عظيمة: عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ^(٣).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: وَلِهَذَا رُوِيَ أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ إِنَّمَا أَطَافُوا حَمَلَ الْعَرْشِ بِقَوْلِهِمْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٤).

* قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: هِيَ كَلِمَةُ اسْتِسْلَامٍ وَتَقْوِيضٍ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ شَرٍّ، وَلَا قُوَّةٌ فِي جَلْبِ خَيْرٍ؛ إِلَّا بِإِزَادَةِ اللَّهِ

(١) (د) (٨٣٢)، (س) (٩٢٤)، (حم) (١٩١٣٣).

(٢) (خ) (١١٠٣)، (ت) (٣٤١٤)، (د) (٥٠٦٠)، (ج) (٣٨٧٨)، (حم) (٢٢٧٢٥).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٩٧). والنص هو: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُهَا فَقَالَ تَذَرِي مَا تَفْسِيرُهَا قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ. أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ. عون المعبود وحاشية ابن القيم (٤/ ٢٧١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٠).



تعالى^(١).

* قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضًا تأثير في دفع الفقر^(٢).

* قال سفيان الثوري رحمه الله: دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا سَفْيَانَ؟ قَالَ: قُلْتُ: طَلَبْتُ الْعِلْمَ قَالَ: فَقَالَ يَا سَفْيَانُ إِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ فَاتَّقِ اللَّهَ، وَإِذَا أَبْطَأَ عَنْكَ الرِّزْقُ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَإِذَا دَهَمَكَ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ: يَا سَفْيَانُ ثَلَاثًا وَأَيُّمَا ثَلَاثٍ^(٣).

* قوله: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) أي: لا أستطيع تحوّلًا ولا تصرفًا بنية ولا فعل ولا قول إلا بقوتك التي جعلت فيّ أو تجعل، ولا قوة لي في شيء من أمري إلا بما جعلت فيّ من قوتك، وكذلك سائر الخلق^(٤).



(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٥٠١).

(٢) ابن القيم: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧٧).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٦٤١).

(٤) ابن الملقن: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩ / ٢٣).

٢٨. فضائل آية الكرسي

١. أعظم وأفضل آية في كتاب الله: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١). قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(٢). أَي: لِيَكُنِ الْعِلْمُ هَنِيئًا لَكَ تَهْنَأُ بِهِ، وَالْقَصْدُ الدُّعَاءُ لَهُ بِتَيْسِيرِ الْعِلْمِ وَالرُّسُوحِ فِيهِ. وَكَانَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهَا جَمَعَتْ مِنْ أَصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ مَا لَيْسَ مَجْمُوعًا فِي آيَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا؛ ففِيهَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ حُبًّا وَتَعْظِيمًا لَهُ تَعَالَى؛ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ، وَلِه سُبْحَانَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهَا عَدَمٌ، وَلَا يَلْحَقُهَا زَوَالٌ، وَالْمُسْتَلْزِمَةُ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ فَلَا يَحْتَاجُ لِأَحَدٍ، وَالْقَائِمُ بِأُمُورِ خَلْقِهِ مِنْ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ، فَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ، وَلَا قِوَامَ لَهَا بِدُونِهِ، وَهَذِهِ الْقِيُومِيَّةُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْكَمَالِ، وَمِنْ كَمَالِ حَيَاتِهِ وَقِيُومِيَّتِهِ تَعَالَى: أَنَّهُ لَا يَعْتَرِيهِ نُعَاسٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ نَوْمٌ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ مَا فِي الْكَوْنِ، وَلَا أَحَدٌ يَتَجَاسَرُ عَلَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ جَمِيعَ أُمُورِ خَلْقِهِ؛ مَاضِيَهَا وَحَاضِرَهَا وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يَعْلَمُونَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْئًا الْبَتَّةَ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ بِمَشِيئَتِهِ. وَقَدْ أَحَاطَ كُرْسِيُّهُ -الَّذِي هُوَ

(١) [البقرة: ٢٥٥].

(٢) مسلم (٨١٠). (ليهنك العلم) أي ليكن العلم هنيئًا لك.



مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ سُبْحَانَهُ - بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَغَمَ اتِّسَاعِيهِمَا وَعَظَمَتَهُمَا، وَلَا يُثْقَلُهُ وَلَا يَشْقُ عَلَيْهِ حِفْظُهُمَا، بَلْ هُوَ أَمْرٌ سَهْلٌ وَيَسِيرٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ؛ فَهُوَ عَلَيَّ بِذَاتِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، عَلَيَّ عَلَى خَلْقِهِ بِقَهْرِهِ، وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، وَهُوَ ذُو الْعِظَمَةِ الْمُطْلَقَةِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَكُلِّ مَا سِوَاهُ حَقِيرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، صَغِيرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَبَارَكَ وَتَقَدَّسَ.

٢. من قرأها عند نومه فلا يقربه شيطان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا زُفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زُفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زُفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا

أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١)، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أُسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(٢).

٣. نوال الحفظ من الجن: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لَنَا جُرْنٌ^(٣) فِيهِ تَمْرٌ، وَكُنْتُ أَتَعَاهِدُهُ، فَوَجَدْتُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسْتُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا أَنَا بِدَابَّةٍ كَهَيْئَةِ الْغَلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟، جَنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟، قَالَ: جَنٌّ، فَقُلْتُ: فَنَاولْنِي يَدَكَ فَنَاولَنِي يَدَهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، قُلْتُ: هَكَذَا خَلَقَ الْجِنُّ؟، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ مَا فِيهِمْ أَشَدُّ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟، قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، إِذَا قُلْتَهَا حِينَ تُصْبِحُ، أُجِرْتَ مِنَّا إِلَى أَنْ تُمْسِيَ، وَإِذَا قُلْتَهَا حِينَ تُمْسِي، أُجِرْتَ مِنَّا إِلَى أَنْ تُصْبِحَ، قَالَ أَبِي:

(١) [البقرة: ٢٥٥].

(٢) البخاري (٢٣١١).

(٣) الجرن: البيدر، وكذلك الجرين.



فَعَدَّوْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»^(١).

٤. آية الكرسي فيها إسم الله الأعظم: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فِي هَذِهِ الْآيَتَيْنِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَ﴿الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢). إِنَّ فِيهِمَا اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ^(٣).

٥. من مات بعد قراءتها دخل الجنة: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»^(٤). وجاء في مصنف ابن أبي شيبة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ قَالَ: «كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ قَرَأَ فِي زَوَايَاهُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ»^(٥). قال الحكيم الترمذي: يَلْتَمَسُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا حَارِسًا مِنْ جَوَانِبِهِ الْأَرْبَعَةِ، وَأَنْ يَنْفِي الشَّيْطَانَ مِنْ زَوَايَا بَيْتِهِ^(٦). يقول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الشيء الذي شُرِعَ قوله دبر الصَّلَاةِ إِنْ كَانَ ذِكْرًا قِيلَ بَعْدَ السَّلَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الذِّكْرِ، وَإِنْ كَانَ دَعَاءً مَسْأَلَةٌ كَانَ قَبْلَ السَّلَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا مَحَلُّ الدَّعَاءِ، وَهَذَا اللَّفْظُ -دبر- يصدق على هذا وهذا^(٧).

(١) (ن) (١٠٧٩٧)، (حب) (٧٨٤)، (ك) (٢٠٦٤)، الصَّحِيحَةُ: (٣٢٤٥)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٦٦٢).

(٢) [سورة آل عمران: ٢].

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٧٦١١)، وفي الباب عن أبي أمامة، عند ابن ماجه (٣٨٥٦).

(٤) (ن) (٩٩٢٨)، (طب) (٧٥٣٢)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦٤٦٤)، الصَّحِيحَةُ: (٩٧٢).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠٢٦).

(٦) نواذر الأصول في أحاديث الرسول (٢٦٧/٣).

(٧) شرحه على بلوغ المرام.

٦. **تحصين البيت من دخول الشياطين:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ، لَمْ يَدْخُلْ ذَلِكَ الْبَيْتَ شَيْطَانٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى يُصْبِحَ: أَرْبَعًا مِنْ أَوَّلِهَا، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَآيَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَثَلَاثَ خَوَاتِيمِهَا، أَوَّلُهَا: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١). (٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه لِلْجَنِيِّ: أَلَا تُخْبِرُنَا بِالَّذِي يُجِيرُنَا وَيُعِيدُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ (٣).

* رَوَى عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ صَارَعَ جَنِيًّا فَصْرَعَهُ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ الْجَنِيُّ: خَلْ عَنِّي أَعْلَمَكَ مَا تَمْتَنِعُونَ بِهِ مِنَّا، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَمْتَنِعُونَ مِنَّا بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دَبْرٍ كُلِّ صَلَاةٍ أُعْطِيَتْهُ ثَوَابُ الْأَنْبِيَاءِ (٤).

* آيَةُ الْكُرْسِيِّ: تَكْشِفُ عَنْ جَمَلَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْعَلِيِّ، وَأَسْمَائِهِ الْحَسَنِ، تَعْرِيفًا بِسَمَاتِ الْأُلُوْهِيَةِ، وَخِصَائِصِ الرُّبُوبِيَةِ، وَهِيَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي مِنْ شَأْنِ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْرِفَهَا وَيَحْفَظَهَا، كَمَا يَعْرِفُ وَيَحْفَظُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ (٥).

(١) [البقرة: ٢٨٤].

(٢) سنن الدارمي (٣٤٢٥).

(٣) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (١٦٧٤ / ٥).

(٤) نواذر الأصول في أحاديث الرسول (٢٦٧ / ٣).

(٥) التيسير في أحاديث التفسير (١٦٧ / ١).



* آية الكرسي علاجٌ للمربوط عن زوجته: حَكَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ وَهْبٍ أَنَّهُ قَالَ: يُؤْخَذُ سَبْعُ وَرَقَاتٍ مِنْ سِدْرٍ، فَتَدُقُّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، ثُمَّ تُضْرَبُ بِالْمَاءِ، وَيُقْرَأُ عَلَيْهَا آيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَيَشْرَبُ مِنْهَا الْمَسْحُورُ ثَلَاثَ حَسَوَاتٍ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ بِبَاقِيهِ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ مَا بِهِ، وَهُوَ جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ^(١).

* أخرج الدَّارِمِيُّ وابنُ الضَّرِيرِ عن ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْ قَرَأَ أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَآيَتَيْنِ بَعْدَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَثَلَاثًا مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَمْ يَقْرَبْهُ وَلَا أَهْلُهُ يَوْمَئِذٍ شَيْطَانٌ، وَلَا شَيْءٌ يَكْرَهُهُ فِي أَهْلِهِ وَلَا مَالِهِ، وَلَا يَقْرَأَنَّ عَلَى مَجْنُونٍ إِلَّا أَفَاقَ^(٢).



(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٢٥٦)، الباب في علوم الكتاب (٢/ ٣٣٦).

(٢) الدر المشور في التفسير بالمأثور (١/ ٧٠).

٢٩. فضائل سورة الفاتحة

١. نورٌ نزل من السماء: عن ابن عباس، قال: بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا بابٌ من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك»، فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشّر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أعطيته^(١). وخُصّت سورة الفاتحة بهذا؛ لتضمّنها جملة معاني الإيمان والإسلام والإحسان، فهي آخذة بأصول القواعد الدينية، والمعاهد المعرفية. وفي الحديث: بيان عظم مكانة سورة الفاتحة. وفيه: بيان أن من الملائكة رسلاً إلى الأنبياء غير جبريل. وبيان كرامة النبي ﷺ على ربه، حيث أكرمه بما لم يكرم الأنبياء الذين قبله، فأعطاه هذين النورين. وفيه: إثبات الأبواب للسماء، وأنها تفتح وتغلق، وأن بعض الملائكة لا ينزل إلى الأرض إلا لمثل هذه البشارة.

٢. سورة من كنز تحت العرش: عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «أربع آيات نزلن من كنز تحت العرش، لم ينزل منهن شيءٌ غيرهن: أم الكتاب، فإنه يقول: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(٢)، وآية الكرسي، وسورة البقرة، والكوثر^(٣)».

(١) مسلم (٨٠٦).

(٢) [الزخرف: ٤].

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٧٩٢٠). قال د/ الطرّهوني: الحديث إسناده حسن، وهو موقوف، ولكنه في حكم المرفوع، لأنه مما لا مجال للرأي فيه، وليس مما يمكن أن يتلقى عن أهل الكتاب،



٣. لم يُنزل الله مثلها في الكتب السابقة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُبَيُّ» وَهُوَ يُصَلِّي، فَالْتَفَتَ أُبَيُّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيُّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «أَفَلَمْ تَحِذْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾»^(١)، قَالَ: بَلَى وَلَا أَعُوذُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: «تُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: فَقَرَأُ أَمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ»^(٢).

٤. أعظم سورة في القرآن: عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أَجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾». ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ

انظر موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (١/ ٢٤).

(١) [الأنفال: ٢٤].

(٢) (خ) (٤٤٢٧)، (حم) (٨٦٦٧)، (ت) (٢٨٧٥)، انظر صحيح الجامع: (٧٠٧٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٤٥٣).

سُورَةِ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»^(٢). وهناك نصوص أخرى.

٥. الصلاة فرضها ونفلها لا تصح إلا بفاتحة الكتاب: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(٣). وفي مسلمٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَهِيَ خَدَاجٌ» يَقُولُهَا ثَلَاثًا^(٤).

٦. نوال شرف مناجاة رب العزة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خَدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرَ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»^(٥)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ،

(١) [الفاتحة: ٢].

(٢) البخاري (٤٤٧٤). (لما يحييكم) لما فيه حياتكم الحقيقية هو شرائع الإسلام لأن فيها حياة القلوب في الدنيا والنجاة في الآخرة. (أعظم السور) من حيث كثرة الثواب لقارئها، وفي نسخة (أعظم سورة). (السبع المثاني) فهي سبع آيات وتثنى - أي تكرر - قراءتها في كل ركعة من التَّسْبِيح وهي التَّكْرِير. وليس لأبي سعيد بن المَعْلَى في البخاري سوى هذا الحديث.

(٣) البخاري (٧٥٦)، مسلم (٣٩٤).

(٤) مسلم (٣٩٥).

(٥) [الفاتحة: ٢].



فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١) قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(٢).

٧. من أعظم الرقية: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدَغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَنْفِلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفُوهُمْ جَعَلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَظَرُ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ»، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا» فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣).

(١) [الفاتحة: ٧].

(٢) مسلم (٣٩٥).

(٣) البخاري (٢٢٧٦)، مسلم (٢٢٠١). (فاستضافوهم) طلبوا منهم الضيافة. (فلدغ) ضربته حية أو عقرب. (الرَّهْط) ما دون العشرة من الرجال. (لأرقى) من الرقية وهي كل كلام استشفى به من وجع أو غيره. (جعلاً) أجرة. (فصالحوهم) اتفقوا معهم. (قطيع) طائفة من الغنم. (ينفل) هو النفع مع قليل من البصاق. (نشط من عقال) فك من حبل كان مشدوداً به. (قلبة) علة. (وما يدريك أنها رقية) ما الذي أعلمك أنها رقية بها. (اضربوا لي معكم سهماً) اجعلوا لي منه نصيباً.

٨. **أفضل القرآن:** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَنَزَلَ، وَنَزَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى جَانِبِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ الْقُرْآنِ؟» فَتَلَا عَلَيْهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال السلف: إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ فِي الْمَفْصَلِ - والمفصل المراد به: من سورة ق إلى نهاية سورة الناس - وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب، وهي سرّ القرآن، وجمع علم فاتحة الكتاب في سرها في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

* قال ابن تيمية رحمه الله: تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

* قال ابن القيم رحمه الله: أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، مع تضمنها: تزكية النفوس، وإصلاح القلوب.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهِيَ الشَّافِيَةُ، وَهِيَ الْوَاجِبَةُ فِي الصَّلَوَاتِ، لَا صَلَاةَ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ الْكَافِيَةُ تَكْفِي مَنْ غَيْرَهَا وَلَا يَكْفِي غَيْرَهَا عَنْهَا. وَالصَّلَاةُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَهِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ كَلِمٍ طَيِّبٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ أَفْضَلُ كَلِمَتِهَا الطَّيِّبُ وَأَوْجَبُهُ الْقُرْآنُ، وَأَفْضَلُ عَمَلِهَا الصَّالِحُ، وَأَوْجَبُهُ السُّجُودُ ^(٢).

(١) (ن) (٨٠١١)، (حب) (٧٧٤)، (ك) (٢٠٥٦)، انظر الصَّحِيحَة: (١٤٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٤).



* **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي:** وَالسَّبَبُ فِي وُقُوعِ هَذَا الْإِسْمِ عَلَى الْفَاتِحَةِ أَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ، وَأَمَّا السَّبَبُ فِي تَسْمِيَتِهَا بِالْمَثَانِي فَوُجُوهٌ: **الْأَوَّلُ:** أَنَّهَا تُثْنَى فِي كُلِّ صَلَاةٍ، بِمَعْنَى أَنَّهَا تُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. **وَالثَّانِي:** قَالَ الرَّجَّاجُ: سُمِّيَتْ مَثَانِي لِأَنَّهَا يُثْنَى بَعْدَهَا مَا يُقْرَأُ مَعَهَا. **الثَّالِثُ:** سُمِّيَتْ آيَاتُ الْفَاتِحَةِ مَثَانِي، لِأَنَّهَا قُسِّمَتْ قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ **بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»، وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ. **الرَّابِعُ:** سُمِّيَتْ مَثَانِي لِأَنَّهَا قُسِّمَتْ ثَنَاءً وَدُعَاءً، وَأَيْضًا النِّصْفُ الْأَوَّلُ مِنْهَا حَقُّ الرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ الثَّنَاءُ، وَالنِّصْفُ الثَّانِي حَقُّ الْعِبَادِيَّةِ وَهُوَ الدُّعَاءُ. **الخَامِسُ:** سُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ بِالْمَثَانِي، لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً بِمَكَّةَ فِي أَوَائِلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَرَّةً بِالْمَدِينَةِ. **السَّادِسُ:** سُمِّيَتْ بِالْمَثَانِي، لِأَنَّ كَلِمَاتَهَا مَثْنَاءٌ مِثْلُ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ^(١)، وَفِي قِرَاءَةِ عُمَرَ: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ». **السَّابِعُ:** قَالَ الرَّجَّاجُ: سُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ بِالْمَثَانِي لِأَشْتِمَالِهَا عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ حَمْدُ اللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ وَمُلْكُهُ^(٢).

* سُمِّيَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، لِأَنَّهَا يُفْتَتَحُ بِكِتَابَتِهَا الْمَصَاحِفُ، وَيُقْرَأُ بِهَا فِي الصَّلَوَاتِ، فَهِيَ فَوَاتِحُ لِمَا يَتْلُوها مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ فِي الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ، لِتَقَدُّمِهَا عَلَى سَائِرِ سُورِ الْقُرْآنِ غَيْرِهَا، وَتَأْخُرُ مَا سِوَاهَا خَلْفَهَا، فِي الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ^(٣).



(١) [الفاتحة: ٣، ٥ - ٧].

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥٩ / ١٩).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١ / ١٠٥).

٣٠. ثمرات وفوائد الأذان

١. كل شيء يشهد له يوم القيامة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: إِنِّي أَرَاكَ تَحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جَنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١). للأذان والمؤذنين فضائل كثيرة.. إِنِّي أَرَاكَ تَحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، يعني: تَحِبُّ رَعِي الْغَنَمِ فِي الصَّحَرَاءِ؛ إشارة إلى أَنَّهُ يَكُونُ بِمُفْرَدِهِ، وَرُبَّمَا تَأْتِي عَلَيْهِ مَوَاقِيتُ الصَّلَوَاتِ، فَأَمَرَهُ ﷺ أَنَّهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِالْأَذَانِ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُ بِرَفْعِ صَوْتِهِ بِالنِّدَاءِ؛ لِيَسْمَعَهُ مَنْ بَعْدَ مِنْهُ، فَيَكْثُرُ الشُّهَادَةُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَشْتَهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا بَيْنَ الشَّاهِدِينَ بِالْفَضْلِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُهَيِّنُ قَوْمًا وَيَفْضَحُهُمْ بِشَهَادَةِ الشَّاهِدِينَ، فَكَذَلِكَ يُكْرِمُ قَوْمًا؛ تَكْمِيلًا لِسُرُورِهِمْ، وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ الْإِعْلَانِ بِالسُّنَنِ وَإِظْهَارِ أُمُورِ الدِّينِ، حَتَّى وَلَوْ فِي الْبَادِيَةِ.

٢. أطول الناس أعناقًا القيامة: قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). الأذان شعيرة إسلامية جليلة، وَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤَذِّنِينَ وَفَضَّلَهُمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي جَعَلَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَتَطَلَّعُونَ إِلَى ذَلِكَ الْفَضْلِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيِّنُ النَّبِيِّ ﷺ فَضْلُ

(١) البخاري (٦٠٩). (خ) (٣١٢٢)، (س) (٦٤٤)، (ج) (٧٢٣)، (حم) (١١٣٢٣).

(٢) مسلم (٣٨٧).



المؤذنين الذين يرفعون الأذان للصَّلوات الخمس وينادون بها، وأنهم أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، ومعناه: أنهم أكثر الناس تشوفًا إلى رحمة الله تعالى؛ لأنَّ المشوَّف يطيل عنقه إلى ما يتطَّلع إليه، فمعناه: كثرة ما يرويه من الثواب، وقيل: معناه أنهم إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم؛ لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: معناه أنهم رؤساء الناس؛ لأنَّ العرب تصف السادة بطول الأعناق، وعلى كل حال: ففيه فضل المؤذنين على سائر الناس، وتخصيُّصهم بهذه الصِّفة يوم القيامة.

٣. سبب في المغفرة ودخول الجنة: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ»^(١). العَجَبُ عند البشر هو استِعْظَامُ الأمر وإكباره، وهو في حقِّ الله تعالى صِفَةٌ من صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنْ بِالْكَفِيَّةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ التَّعَجُّبُ الَّذِي يَخْفَى عَلَى صَاحِبِهِ مَعْرِفَةُ الْأَسْبَابِ، وَاللَّهُ ﷻ عِنْدَهُ عِلْمُ الْأَسْبَابِ، .. وَشَظِيَّةُ الْجَبَلِ: قِطْعَةٌ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: هِيَ الصَّخْرَةُ الْخَارِجَةُ مِنْهُ، «يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي»، أَي: مُعْظَمًا لِأَمْرِ الصَّلَاةِ بِالنِّدَاءِ مَعَ خُلُوعِ الْمَكَانِ مِنَ الْبَشَرِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِأَذَانِهِ إِعْلَامُ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ بِدُخُولِ الْوَقْتِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ صَلَاةً أَيْضًا مَعَ شَهَادَةٍ مَا حَوْلَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ لِلَّهِ تَعَالَى... وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعَجَبِ لِلَّهِ ﷻ.

(١) (د) (١٢٠٣)، (س) (٦٦٦)، (حم) (١٧٤٧٨)، صحيح الجامع: (٨١٠٢)، الصحيحة: (٤١).

وفيه: فضل العبادَةِ في العزلة. وفيه: مشروعية الأذان والإقامة للمنفرد.

٤. النبي ﷺ دعا لهم ودعاؤه مستجاب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِمَامُ ضَامِنٌ^(١)، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ ارْشِدِ الْأَئِمَّةَ، وَاعْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ»^(٢). «وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ» عَلَى الصَّلَاةِ، وَوَقْتِهَا؛ فَهُوَ يُنَبِّهُ النَّاسَ عَلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ وَوَقْتِ صِيَامِهِمْ وَإِفْطَارِهِمْ.

٥. الأذان سببٌ في استبعاد وطرد الشيطان: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ الرُّوحَاءِ» قَالَ سُلَيْمَانُ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الرُّوحَاءِ فَقَالَ: «هِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا»^(٣).

٦. كل شيء يستغفر له يوم القيامة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُؤَذِّنِ مُتَهَيِّئًا أَذَانَهُ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَ صَوْتَهُ»^(٤). أَي: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ غَايَةَ الْمَغْفِرَةِ إِذَا بَلَغَ، «مَدَى صَوْتِهِ»، أَي: غَايَةَ صَوْتِهِ وَنَهَائِيَّتِهِ، «كُلَّ رَطْبٍ»، أَي: نَامٍ لَهُ حَرَكَةٌ، «وَيَابِسٍ»، أَي: جَمَادٍ لَا يَتَحَرَّكُ مِمَّا يَبْلُغُهُ صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ. وَفِي رَوَايَةٍ: «وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ»^(٥).

(١) الضَّمانُ فِي اللُّغَةِ: الْكَفَالَةُ، وَالْحِفْظُ، وَالرَّعَايَةُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ ضَمَنَاءُ عَلَى الْإِسْرَارِ بِالْقِرَاءَةِ وَالْأَذْكَارِ، حُكِّيَ ذَلِكَ عَنِ الشَّافِعِيِّ فِي الْأُمِّ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ ضَمَانُ الدُّعَاءِ أَنْ يَعْمَ الْقَوْمُ بِهِ، وَلَا يَخْصُ نَفْسَهُ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ الْقِيَامَ وَالْقِرَاءَةَ عَنِ الْمَسْبُوقِ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَوْمِ صَلَاتَهُمْ، وَلَيْسَ مِنَ الضَّمَانِ الْمَوْجِبِ لِلْغَرَامَةِ. نِيلِ الْأَوْطَارِ (٢/٣٩٨).

(٢) (ت) (٢٠٧)، (د) (٥١٧)، (حم) (٨٩٥٨)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٢٧٨٧)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٣٧)، الْإِرْوَاءُ: (٢١٧).

(٣) مُسْلِمٌ (٣٨٨).

(٤) (حم) (٦٢٠٢)، (ج) (٧٢٤)، انظر صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٣٣).

(٥) (س) (٦٤٦)، (حم) (١٨٥٢٩)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (١٨٤١)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٣٥).



٧. صاحب الأذان على كُتبان المسك: عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ عَلَى كُتْبَانِ الْمِسْكِ - أَرَاهُ قَالَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ، وَرَجُلٌ يُنَادِي بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»^(١).

٨. سبب في النجاة من النار: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ» فَظَرَوْا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزَى^(٢).

٩. إخفاء أجره عند الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ^(٣) وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ، لَاسْتَهْمُوا^(٤) وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ^(٥) لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، لَاتَوَّهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»^(٦).

(١) سنن الترمذي (١٩٨٦)، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

(٢) مسلم (٣٨٢).

(٣) أي: الأذان.

(٤) أي: لا قترعوا، وفي الحديث جواز القرعة.

(٥) (التَّهْجِيرُ): التَّبْكَيرُ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ الْهَرَوِيُّ: وَالْمُرَادُ: الْإِتْيَانُ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ، لِأَنَّ التَّهْجِيرَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْهَاجِرَةِ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحَرِّ نِصْفَ النَّهَارِ، وَهُوَ أَوَّلُ وَقْتِ الظُّهْرِ، وَإِلَى ذَلِكَ مَالُ الْمُصَنِّفِ. فتح الباري (٤١٨/٢).

(٦) (خ) (٥٩٠)، (م) (٤٣٧).

١٠. نوال الجنة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَذَّنَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتُونَ حَسَنَةً، وَلِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»^(١). التَّأْذِينُ وَرَفْعُ كَلِمَاتِ الْإِعْلَامِ بِالصَّلَاةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعَانِي التَّوْحِيدِ وَالْمُنَادَاةِ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَقَدْ وَضَّحَتِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ فَضْلَ الْمُؤَذِّنِينَ.. وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤَذِّنِينَ، وَلِمَنْ قَامَ بِهَذَا الْعَمَلِ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِيهِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ ذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِمَنْ أَذَّنَ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَبْتَغِي مِنْ وَرَائِهِ رِزْقًا وَلَا رِبَاءً وَلَا سُمْعَةً؛ لِلأَدَلَّةِ الْكَثِيرَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الَّتِي تُفِيدُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلَصَ.

١١. نوال الخيرية: عَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ، وَالْأَظْلَةَ لِذِكْرِ اللَّهِ»^(٢). قَالَ الْمَنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ يَتَرَصَّدُونَ دُخُولَ الْأَوْقَاتِ بِهَا لِأَجْلِ ذِكْرِهِ مِنَ الْأَذَانِ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ لِإِقَامَتِهَا، وَلِإِقْبَاعِ الْأُورَادِ فِي أَوْقَاتِهَا الْمَحْبُوبَةِ^(٣).

١٢. صلاة جنود غفيرة من جنود الله مع المؤذن: عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ^(٤) فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً، فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ، صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ مَا لَا يَرَى طَرَفَاهُ»^(٥). «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ» وَهِيَ الْأَرْضُ

(١) (جة) (٧٢٨)، (ك) (٧٣٧)، (قط) (٢٤)، صحيح الجامع: (٦٠٠٢)، الصحيحة: (٤٢).

(٢) (ك) (١٦٣)، (هق) (١٦٥٦)، الصحيحة: (٣٤٤٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٤٤).

(٣) المناوي: فيض القدير (٢/٤٤٨).

(٤) القِي: الفلاة، والصحراء.

(٥) (طب) (٦١٢٠)، (هق) (١٧٦٦)، (عب) (١٩٥٥)، انظر صحيح الترغيب والترهيب:

(٢٤٩)، (٤١٤)، الثمر المستطاب (١/٢٠٣).



الصَّحراءُ الخالية، «فحانت الصلاة» دَخَلَ وَقْتُهَا «فليتوضأ» إِنْ وَجَدَ الماءَ، «فإن لم يجد ماءً فليتيّم» بضربتين في التراب، ضربةً لوجهه، وضربةً لذراعَيْه، «فإن أقام، صلى معه ملكاه» والمعنى أنه إذا اكتفى بإقامة الصلاة مباشرة دون أذان فإن المملكين الموكلين بكتابة الأعمال يصليان معه، «وإن أذن وأقام، صلى خلفه من جنود الله ما لا يرى طرفاه» بمعنى صلى خلفه من خلق الله الذين لا يراهم ولا يعلمهم العدد الكثير، ويحصل له ثواب الجماعة. وفيه: مشروعية الأذان والإقامة للمنفرد إذا كان بأرض صحراء ونحوها.

من أقوال العلماء في الباب:

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: الأذان على قلة ألفاظه مُشتمِلٌ على مسائل العقيدة؛ لأنه بدأً بالأُكبريّة، وهي تتضمّن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تُعرف إلا من جهة الرسول، ثم دعا إلى الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد تأكيداً، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل؛ سهولة القول، وتيسره لكل أحد في كل زمان ومكان، واختلف أيما أفضل الأذان أو الإمامة؟ ثالثها إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة فهي أفضل، وإلا فالأذان، وفي كلام الشافعي ما يؤمى إليه^(١).

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٧٧).

* عَنْ زَادَانَ، قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ الْأَذَانِ لَاضْطَرَبُوا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ^(١).

* عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: لَأَنْ أَقْوَى عَلَى الْأَذَانِ أَحَبُّ، إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْجَّ وَأَعْتَمَرَ وَأُجَاهِدَ.

* عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: مَنْ أَدَّنَ كُتِبَتْ لَهُ سَبْعُونَ حَسَنَةً، وَإِنْ أَقَامَ فَهُوَ أَفْضَلُ^(٢).
* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: فائدة: قيل الحكمة في تثنية الأذان وإفراد الإقامة؛ أَنَّ الْأَذَانَ لِإِعْلَامِ الْغَائِبِينَ فَيَكْرَرُ لِيَكُونَ أَوْصَلَ إِلَيْهِمْ، بِخِلَافِ الْإِقَامَةِ فَإِنَّهَا لِلْحَاضِرِينَ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَحَبَّ أَنْ يَكُونَ الْأَذَانُ فِي مَكَانٍ عَالٍ، بِخِلَافِ الْإِقَامَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الصَّوْتُ فِي الْأَذَانِ أَرْفَعَ مِنْهُ فِي الْإِقَامَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الْأَذَانُ مُرْتَلًّا، وَالْإِقَامَةُ مُسْرَعَةً، وَكُرِّرَ قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ لِأَنَّهَا الْمَقْصُودَةُ مِنَ الْإِقَامَةِ بِالذَّاتِ ... وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِالتَّشْهيدِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَلْفَاظِ الْأَذَانِ^(٣).

* عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: الْمُؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى. وَقَالَ: أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالْحِسْبَةِ مِنَ الْمُؤَذِّنِينَ، أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤).

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا أَرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ إِلَّا فِي الْمُؤَذِّنِينَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥).^(٦)

(١) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (١/ ٢٢٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (١/ ٢٢٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٨٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (١/ ٢٢٥).

(٥) [فصلت: ٣٣].

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (١/ ٢٢٥)، درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر (٢/ ٥٤٦).



* قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: لَوْ كُنْتُ مُؤَدِّنًا، مَا بَالَيْتُ أَنْ لَا أَحْجَّ، وَلَا أَغْزُو^(١).
 * عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَرْفَعُ صَوْتَكَ بِالْأَذَانِ، فَإِنَّهُ يَشْهَدُ لَكَ كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَكَ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: الْمُؤَدِّنُ يَشْهَدُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَهُ.
 وَعَنْ رَجُلٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: مَا عَمَلُكَ؟ قَالَ: الْأَذَانُ، قَالَ: نَعَمْ الْعَمَلُ عَمَلُكَ، يَشْهَدُ لَكَ كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَكَ^(٢).



(١) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (١/٢٢٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (١/٢٢٦).

٣١. ثمرات وفضائل الصمت

١. علامة على كمال الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارُهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١). أي: يلتزم السكوت إن لم يستطع قول الخير؛ وذلك أن الإنسان في الأصل مأمور بقول الخير دومًا، وإنما نبه وشدد عليه؛ لأن آفات اللسان كثيرة، فإن المرء إذا أراد أن يتكلم، فليتفكر قبل كلامه؛ فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى مُحَرَّم ولا مَكْرُوه، فليتكلم، وإن كان مباحًا فالسلامة في السكوت؛ لئلا يجر إلى مُحَرَّم إلى مُحَرَّم أو مَكْرُوه. وإنما ذكر اليوم الآخر مع الإيمان بالله؛ للترغيب في تحصيل الثواب والنَّجاة فيه من العقاب.

٢. نوال النجاة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(٢). أي: مَنْ سَكَتَ عَنْ كُلِّ مَا يُسَبِّبُ لَهُ السَّيِّئَاتِ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ الطَّاعَةِ وَالْحَسَنَاتِ مِنْ شَرٍّ، فَقَدْ نَجَا مِنْ جَهَنَّمَ وَفَازَ وَظَفَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ، أَوْ نَجَا مِنْ آفَاتِ الدَّارَيْنِ، وَفَازَ بِالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ فِي الْآخِرَةِ. وفي الحديث: الحثُّ على الوصول إلى النجاة بلزوم الصمت عن الشر. وفي باب حديث آخر: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(٣).

(١) البخاري (٦٠١٨)، مسلم (٤٧).

(٢) (ت) (٢٥٠١)، (حم) (٦٤٨١)، صحيح الجامع: (٦٣٦٧)، والصحيح: (٥٣٦).

(٣) (ت) (٢٤٠٦)، (حم) (١٧٤٨٨)، انظر صحيح الجامع: ١٣٩٢، الصحيح تحت حديث: =



٣. الصّمت مطردة للشيطان: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَالِسٌ وَحْدَهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةٌ، وَإِنْ تَحِيَّتُهُ رَكَعَتَانِ، فَقُمْ فَارْكَعْهُمَا»، قَالَ: فَقُمْتُ فَارْكَعْتُهُمَا، ثُمَّ عُدْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ، وَعَوْنُكَ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ»^(١).

٤. الصّمت أقصر طريق إلى الجنة: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، فَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: أَعْتَقَ النَّسَمَةَ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ»، قَالَ: أَوْ لَيْسَتْا بِوَاحِدَةٍ؟، قَالَ: «لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعْطِيَ فِي ثَمَنِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوُكُوفُ^(٢) وَالْفَيْءُ^(٣) عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْقَاطِعِ، فَإِنْ لَمْ تُطَقْ ذَاكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطَقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ»^(٤). «إِنْ لَمْ تُطَقْ» فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِكَ فِعْلُ شَيْءٍ مِمَّا سَبَقَ، «فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ»، فامْنَعْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الشَّرِّ، وَاكْتَفِ بِقَوْلِ الْخَيْرِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ أَوْفَرُ الْإِيمَانِ.

(١) صحيح ابن حبان (٣٦١).

(٢) نَاقَةٌ أَوْ شَاةٌ وَوُكُوفٌ أَيُّ: غَزِيرَةُ الدَّرِّ، كَأَنَّهَا تَكِفُّ بِهِ.

(٣) الْفَيْءُ: الْإِخْرَاجُ وَالنَّفَقَةُ مِنَ الْمَالِ عَلَيْهِمْ.

(٤) (حم) (١٨٦٧٠)، (خد) (٦٩)، (حب) (٣٧٤)، (ك) (٢٨٦١)، صحيح التَّزْغِيْبِ وَالتَّهْزِيْبِ:

(١٨٩٨)، وَالْمَشْكَاةُ: (٣٣٨٤)، وَهَدَايَةُ الرُّوَاةِ: (٣٣١٨).

٥. الصَّمت يدخل في باب الصدقات: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

٦. الصَّمت من صفات رسول الله ﷺ: عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبَّادِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتُ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوْ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ»^(٢). وفي رواية: «.. وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشَّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ، وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ»^(٣).

٧. الصَّمت عملٌ جليلٌ لا يقوى عليه إِلَّا القليل: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ^(٤) هُمَا خَفِيفَتَانِ عَلَى الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطَوْلِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»^(٥).

(١) مسلم (٨٤).

(٢) (م) (٦٧٠)، (س) (١٣٥٨)، (حم) (٢٠٨٢٩)، (ت) (٢٨٥٠).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٠٨١٠).

(٤) الخصلة: خلقٌ في الإنسان، يكون فضيلةً أو رذيلةً.

(٥) مسند البزار = البحر الزخار (٧٠٠١)، (يع) (٣٢٩٨)، (طس) (٧١٠٣)، صحيح الجامع:

(٤٠٤٨)، الصحيحة: (١٩٣٨).



٨. الصمت فيه حماية الجوارح: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ» ^(١) فَتَقُولُ: أَتَقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا» ^(٢). أي: أعضاء الجسد؛ من عَيْنَيْنِ وَأُذُنَيْنِ، وَيَدَيْنِ وَقَدَمَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، .. «تُكْفِّرُ اللِّسَانَ»، أي: تُنْزِلُ الْأَعْضَاءَ اللِّسَانَ مَنَزِلَةَ الْكَافِرِ بِالنَّعَمِ، «فَتَقُولُ»، أي: لِلِّسَانِ، «أَتَقِ اللَّهَ فِينَا»، أي: كُنْ عَلَى خَوْفٍ مِنَ اللَّهِ؛ «فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ»، أي: إِنَّا مَجْزِيُّونَ بِالثَّوَابِ أَوْ الْعِقَابِ بِمَا تَقُولُهُ مِنْ كَلَامٍ، وَقِيلَ: مُتَابِعُونَ لَكَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، «فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ»، أي: كُنْتَ مُسْتَقِيمًا؛ بِقَلَّةِ الْكَلَامِ وَنُطْقَتِ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ، وَالِابْتِعَادِ عَمَّا فِيهِ إِثْمٌ؛ مِنْ غِيبةٍ وَنَمِيمَةٍ وَكَذِبٍ، وَانْشَغَلَتْ بِذِكْرِ اللَّهِ، «اسْتَقَمْنَا»، أي: تَبِعْنَاكَ فِي تِلْكَ الْفَضَائِلِ وَالْأَجْرِ، «وَإِنْ اعْوَجَجَتْ»، أي: كُنْتَ مَائِلًا مُخَالَفًا لِلطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْهُدَى «اعْوَجَجْنَا»، أي: مِلْنَا مَعَكَ، وَكُنَّا بِذَلِكَ مُخَالِفِينَ لِمَا فِيهِ الْهُدَى وَالصَّلَاحُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللِّسَانَ تَرْجُمَانُ الْقَلْبِ، وَهُوَ الْمَظْهَرُ لِمَكْنُونِ النَّفْسِ؛ مِنْ صِلَاحٍ أَوْ فُسَادٍ، فَبِمَا يَنْطِقُ اللِّسَانُ يُجَازَى الْإِنْسَانُ؛ وَبِهَذَا يُجْمَعُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ^(٣)؛ فَصَلَحَ الْقَلْبُ أَوْ فَسَادُهُ

(١) أي: تَنْذَلُ وَتَتَوَاضَعُ لَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: كَفَرَ الْيَهُودِيُّ، إِذَا خَضَعَ مُطَاطًا رَأْسَهُ وَأَنْحَنَى لِتَعْظِيمِ صَاحِبِهِ، كَذَا قِيلَ. وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ: التَّكْفِيرُ هُوَ أَنْ يَنْحَنِيَ الْإِنْسَانُ، وَيُطَاطِيءُ رَأْسَهُ قَرِيبًا مِنَ الرُّكُوعِ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يُرِيدُ تَعْظِيمَ صَاحِبِهِ. تحفة الأحوذى (٧/ ٧٥).

(٢) (ت) (٢٤٠٧)، (حم) (١١٩٢٧)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٣٥١)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (٢٨٧١).

(٣) (خ) (٥٢)، (م) ١٠٧ - (١٥٩٩). المقصود بصلاح الجسد: قيامه بما أمر الله به من فرائض وواجبات، واجتناب ما نهى عنه من معاصٍ وموبقات.

يُظْهِرُ فِي مَنْطُوقِ اللِّسَانِ.

٩. الصَّمت فيه السَّلامة من الخطايا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»^(١). لَأَنَّهُ أَكْثَرُ الْأَعْضَاءِ عَمَلًا، وَأَصْغَرُهَا جَرْمًا، وَأَعْظَمُهَا زَلَلًا، وَالْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تَتَّبِعُهُ، فَإِنْ اسْتَقَامَ اسْتَقَامَتْ، وَإِنْ اعْوَجَّ اعْوَجَّتْ؛ فَهُوَ الْمَتَّبِعُ وَالْإِمَامُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ مَلَكَه الشَّيْطَانُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَنْجِي مِنْ شَرِّ اللِّسَانِ إِلَّا أَنْ يُلْجَمَ بِلِجَامِ الشَّرْعِ؛ فَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ التَّكَلَّمَ بِأَيِّ كَلَامٍ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ قَبْلَ نُطْقِهِ، فَإِنْ ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ تَكَلَّمَ، وَإِلَّا أَمْسَكَ.

١٠. الحصول على طوبى: عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى^(٢) لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ»^(٣).

١١. إصابة دعوة النبي ﷺ بالرحمة: عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ»^(٤).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: طُولُ الصَّمْتِ مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ^(٥).

(١) (طب) (١٠٤٤٦)، (حل) (١٠٧/٤)، (هب) (٤٩٣٣)، صحيح الجامع: (١٢٠١)، الصحيحة: (٥٣٤).

(٢) طوبى: اسم الجنة، وقيل هي شجرة فيها، وأصلها: فعلى، من الطيب. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٤١/٣).

(٣) (طس) (٢٣٤٠)، صحيح الجامع: (٣٩٢٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٧٤٠).

(٤) (الصمت لابن أبي الدنيا) حديث (٦٤)، هناد (٢/٥٣٥)، رقم (١١٠٦)، انظر صحيح الجامع: (٣٤٩٦).

(٥) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا - ط أطلس الخضراء (٣/٥٩٩).



* قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانُوا يَجْلِسُونَ فَيَتَذَكَّرُونَ، فَأَطْوَلُهُمْ سُكُوتًا، أَفْضَلُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ^(١).

* قَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ^(٢).

* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا الدَّمَشَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَالَجْتُ الصَّمْتَ عَمَّا لَا يَعْنِينِي^(٣) عِشْرِينَ سَنَةً قَلَّ أَنْ أَقْدِرَ مِنْهُ عَلَى مَا أُرِيدُ^(٤).

* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ^(٥).

* قَالَ أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْذِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَعَلَّمَ رَجُلٌ الصَّمْتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِحَصَاةٍ يَضَعُهَا فِي فِيهِ، لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا عِنْدَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ^(٦).
* قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ، كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ، كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ^(٧).

* روي أَنَّهُ التَّقِيُّ أَرْبَعَةَ مِنْ أَذْكَيَاءِ الْمُلُوكِ: مَلِكُ الْهِنْدِ، وَمَلِكُ الصِّينِ، وَمَلِكُ الْفَرَسِ، وَمَلِكُ الرُّومِ .. فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَمِّ الْكَلَامِ وَمَدَحِ الصَّمْتِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أُنْدِمُ عَلَى مَا قُلْتُ، وَلَا أُنْدِمُ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي إِذَا

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٢٤).

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٦٢)، رقم (٥٥٨).

(٣) حد الكلام فيما لا يعنيك: أن تتكلم بكلام لو سكَّت عنه لم تأثم، ولم تستضرَّ به في حال ولا مآل.

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٦٠)، رقم (٥٥٢).

(٥) (ش) (٢٦٤٩٩)، (طب) (٨٧٤٥)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٢٨٥٨).

(٦) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٢٣)، رقم (٤٣٥).

(٧) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرئووط (١/ ٣٣٩).

تكلمتُ بالكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني، وقال **الثالث**: عجيبٌ للمتكلم، إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه، وقال **الرابع**: أنا على ردٍّ ما لم أقل أقدرُ مني على ردٍّ ما قلت.

* روي أن رجلاً كان يجلس إلى أبي يوسف، -تلميذ أبي حنيفة-، ويُطيل الصَّمت، فقال له أبو يوسف يوماً: ألا تتكلم؟ فقال بلى: متى يفطر الصائم؟ فأجابه: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف، وقال: لقد أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في طلبي لنطقك!!

* قال علي عليه السلام: بكثرة الصَّمت تكون الهيبة^(١).

* قال أبو الدرداء عليه السلام: تعلَّموا الصَّمت كما تعلَّمون الكلام، فإنَّ الصَّمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيءٍ لا يُعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجبٍ، ولا مشاءً إلى غير أرب^(٢).

* قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أَرْبَعٌ لَا يُصْبِنَنَّ إِلَّا بِعُجْبٍ: الصَّمتُ وَهُوَ أَوَّلُ الْعِبَادَةِ، وَالتَّوَاضُّعُ، وَذِكْرُ اللَّهِ، وَقِلَّةُ الشَّيْءِ^(٣).



(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٢/١٣٦).

(٢) رواه الخرائطي في، مكارم الأخلاق (ص ١٣٦).

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٦٢).

٣٢. ثمرات وفضائل قضاء الدين

١. الذي يقضي الدين من خيار الناس: عَنْ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ، فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا خِيَارًا رِبَاعِيًّا، فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»^(١). وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنْ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَجُودَهُمْ مَنْ إِذَا اسْتَقْرَضَ، رَدَّ مَا عَلَيْهِ بِأَفْضَلِ مِمَّا أَخَذَهُ دُونَ اشْتِرَاطِ الْمُقْرَضِ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ رِبًّا. وَقَدْ اسْتَشْكَلَ أَمْرَهُ ﷺ بِقَضَاءِ الرَّجُلِ دَيْنَهُ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، وَجَوَابُهُ: أَنَّهُ ﷺ اقْتَرَضَ لِنَفْسِهِ، فَلَمَّا جَاءَتْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ اشْتَرَى مِنْهَا بَعِيرًا رِبَاعِيًّا مِمَّنْ اسْتَحَقَّهُ، فَمَلَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِثَمَنِهِ، وَأَوْفَاهُ مُتَبَرِّعًا بِالزِّيَادَةِ مِنْ مَالِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الصَّحِيحِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّهُ ﷺ أَمَرَهُمْ بِقَوْلِهِ: «اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا، فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ». وَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ الْمَقْتَرَضَ كَانَ بَعْضَ الْمُحْتَاجِينَ، فَاقْتَرَضَ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ مِنَ الصَّدَقَةِ حِينَ جَاءَتْ، وَأَمَرَهُ بِالْقَضَاءِ.

٢. الذي يسعى في قضاء الدين يؤدي الله عنه إن عجز: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٢).

(١) مسلم (١٦٠٠). (بَكْرًا) البكر الفتى من الإبل كالغلام من الآدميين والأنثى بكرة وقلوص وهي الصغيرة كالجارية. (خِيَارًا رِبَاعِيًّا) يُقَالُ جَمَلَ خِيَارٍ وَنَاقَةَ خِيَارَةٍ أَيْ مَخْتَارَةٍ، وَالرِبَاعِي مِنْ الْإِبِلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ سِتُّ سِنِينَ وَدَخَلَ فِي السَّابِعَةِ حِينَ طَلَعَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، وَالرِبَاعِيَّةُ بوزن الثَّمَانِيَةِ السَّنِ التي بين الثَّانِيَةِ وَالنَّابِ.

(٢) البخاري (٢٣٨٧). (يُرِيدُ أَدَاءَهَا) قَاصِدًا أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى الْمُقْرَضِ. (أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ) يسر له ما يؤدي منه من فضله، وأرضى غريمه في الآخرة إن لم يستطع الوفاء في الدنيا.

حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَحَثَّ عَلَى التَّنَزُّهِ عَنْهَا، وَحُسْنِ التَّأْدِيَةِ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْمُدَايِنَةِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ بِفَضْلِ الْمَدِينِ الَّذِي يَتَوَى الْوَفَاءَ بِدِينِهِ، وَبِالْوَعْدِ لِلْمَدِينِ الَّذِي يَتَوَى أَكْلَ مَالِ دَائِنِهِ وَعَدَمَ سَدَادِ دِينِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ سَبَبٌ قَوِيٌّ لِلرِّزْقِ وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَفِكَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ النِّيَّةَ السَّيِّئَةَ سَبَبٌ لِلتَّلَفِ وَالْإِتْلَافِ.

٣. قَضَاءُ الدِّينِ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبْرِ، وَالْغُلُولِ، وَالذِّينِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). أَي: وَهُوَ خَالٍ وَلَمْ يَقَعْ فِي إِحْدَى هَذِهِ الْخِصَالِ، أَوْ أَنَّ مَنْ وَقَعَ فِيهَا، ثُمَّ تَابَ عَنْهَا وَرَدَّ الْحُقُوقَ لِأَصْحَابِهَا، «دَخَلَ الْجَنَّةَ»، أَي: كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، .. «وَالذِّينِ» وَهُوَ أَنْ يَأْخُذَ مَالَ الْغَيْرِ عَلَى وَجْهِ الْحَاجَةِ، ثُمَّ يَمُوتَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَهُ، قِيلَ: إِنَّ هَذَا مُقَيَّدٌ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقَضَاءِ وَخَالَفَ فِي الْوَفَاءِ بِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الرَّدِيئَةِ، وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِلْحُجُبِ عَنِ الْجَنَّةِ.

٤. مَعِيَةِ اللَّهِ لِمَنْ يُرِيدُ قَضَاءَ الدِّينِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ» قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَقُولُ لِخَازِنِهِ: «اذْهَبْ فَخُذْ لِي بِدَيْنٍ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً إِلَّا وَاللَّهِ مَعِي، بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢). أَي: الَّذِي اسْتَقْرَضَ مَالًا وَأَصْبَحَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَهُوَ الْمَدِينُ، «مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ»، أَي:

(١) (ت) (١٥٧٢)، (ج) (٢٤١٢)، (حم) (٢٢٤٢٣)، (ن) (٨٧٦٤)، انظر الصَّحِيحَةَ: (٢٧٨٥).

(٢) (ج) (٢٤٠٩)، (مي) (٢٦٣٧)، (هق) (١٠٧٤٢)، (ك) (٢٢٠٥)، انظر صَحِيحَ الْجَامِعِ: (١٨٢٥)، الصَّحِيحَةَ: (١٠٠٠).



إِنَّ مَعِيَّةَ اللَّهِ تَكُونُ مَعَ الْمَدِينِ إِذَا كَانَ الدِّينُ فِي رِضَاءِ اللَّهِ كَنْفَقَةِ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ، وَالتَّصَدَّقُ فِي نَوَائِبِ الْحَقِّ وَيَصْحَبُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نِيَّةٌ لِقَضَاءِ هَذَا الدِّينِ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ فِي تَحْسِينِ النِّيَّةِ، وَالتَّرْهِيبُ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَدَارَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهَا.

٥. **الذي يقضي دينه دعا له النبي ﷺ بالرحمة:** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(١).
 أي أعطى الذي عليه بسهولة من غير مماطلة. قال ابن بطال رحمته الله: الحَضُّ على السَّماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحنة والرقعة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه لأنَّ النَّبِيَّ عليه السَّلام لا يحض أمته إلا على ما فيه النَّفع لهم في الدنيا والآخرة^(٢). وقال المناوي رحمته الله: طلب قضاء حقه، وهذا مسوق للحث على المسامحة في المعاملة، وترك المشاحنة والتضييق في الطَّلَبِ، والتَّخَلُّقُ بمكارم الأخلاق، وقال القاضي: رَتَّبَ الدَّعَاءَ على ذلك؛ ليدل على أنَّ السَّهولة والتَّسامح سبب لاستحقاق الدَّعَاءِ، ويكون أهلاً للرحمة والاقتضاء والتقاضي، وهو طلب قضاء الحق^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* كان يقال: **الأذلة أربعة: النَّمَامُ، والكَذَّابُ، والفقير، والمديان**^(٤).

(١) البخاري (٢٠٧٦). (سمحاً) جواداً مُتساهلاً يُوافق على ما طلب منه. (اقتضى) طلب الذي له على غيره.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/٢١٠).

(٣) المناوي: فيض القدير (٤/٢٧).

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٤٣).

* أوصى الزبير بن العوام ابنه عبد الله بقضاء دينه وقال له: «يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دِينِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ^(١).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَأَيَّسَرَ بِهِ، فَلَمْ يَقْضِهِ فَهُوَ كَأَكِلِ السُّحْتِ^(٢).

* قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه: الدِّينُ وَقَرُّ طَالَمَا حَمَلَهُ الْكِرَامُ^(٣).

* مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: لَا هَمَّ إِلَّا هَمُّ الدِّينِ وَلَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعُ الْعَيْنِ^(٤).

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: إِيَّاكُمْ وَالدِّينَ فَإِنَّ أَوَّلَهُ هَمٌّ وَآخِرُهُ حَرْبٌ^(٥).

* قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: الدُّعَاءُ يَصِلُ ثَوَابُهُ إِلَى الْمَيِّتِ، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ، وَهُمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِمَا، وَكَذَلِكَ قَضَاءُ الدِّينِ^(٦).

* قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رحمته الله: وَالدِّينُ الَّذِي يُحْبَسُ بِهِ صَاحِبُهُ عَنِ الْجَنَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَكَ لَهُ وَفَاءً وَلَمْ يُوصِ بِهِ، أَوْ قَدَّرَ عَلَى الْأَدَاءِ فَلَمْ يُؤَدِّ، أَوْ أَذَانُهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَوْ فِي سَرَفٍ، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّهِ، وَأَمَّا مَنْ أَذَانَ فِي حَقٍّ وَاجِبٍ لِفَاقَةِ وَعَشْرَةٍ، وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرِكْ وَفَاءً، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحْبِسُهُ بِهِ عَنِ الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لِأَنَّ عَلَى السُّلْطَانِ فَرَضًا أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْهُ دَيْنَهُ، إِمَّا مِنْ جُمْلَةِ الصَّدَقَاتِ، أَوْ مِنْ سَهْمِ

(١) البخاري (٣١٢٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣١٧ / ٨) رقم (١٥٣٥٧).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٤٣).

(٤) المناوي: فيض القدير (٦ / ٤٣٩).

(٥) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣١٧ / ٨) رقم (١٥٣٥٧).

(٦) شرح النووي على مسلم (٨٥ / ١١).



الغارمين، أو من الفَيءِ الرَّاجِعِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ صُنُوفِ الْفَيءِ^(١).
 * قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: ... وَإِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ، فَإِنَّ أَوَّلَهُ هُمْ، وَآخِرُهُ
 حَرْبٌ^(٢).

* قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِحُمْرَانَ: يَا حُمْرَانُ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَمُتْ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ، فَيُؤْخَذَ
 مِنْ حَسَنَاتِكَ، لَا دِينَارَ ثَمٍّ وَلَا دِرْهَمٍ^(٣).

* قِيلَ لِابْنِ الْمُنْكَدِرِ أَتَحُجُّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ؟ فَقَالَ: الْحَجُّ أَفْضَى لِلدَّيْنِ^(٤).



(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ٢٣٨).

(٢) (ط) ١٤٦٠، (ش) ٢٢٩١٥، (هق) ٢٠٢٧٧، وضعفه الألباني في الإرواء: ١٤٣٦.

(٣) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني - ط التأصيل (٣/ ٣١).

(٤) مسند الحميدي (١/ ٤٤٦).

٣٣. ثمرات القرض الحسن

١. يعدل عتق رقبة: عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً لَبَنٍ أَوْ وَرَقٍ أَوْ هَدَى زُقَاقًا كَانَ لَهُ مِثْلُ عَتَقِ رَقَبَةٍ»... وَفِي الْبَابِ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً وَرَقٍ» إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ: قَرْضُ الدَّرَاهِمِ، قَوْلُهُ: «أَوْ هَدَى زُقَاقًا»: يَعْنِي بِهِ هِدَايَةَ الطَّرِيقِ وَهُوَ إِرْشَادُ السَّبِيلِ^(١).
٢. باب من أبواب الصدقة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ»^(٢).

٣. القرض الجزاء فيه من جنس العمل: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

٤. جزاء وثواب القرض شطر جزاء الصدقة: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى شَطْرِ الصَّدَقَةِ»^(٤). وَيُوضِّحُهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا

(١) (ت) (١٩٥٧)، (حم) (١٨٥٤١)، انظر صحيح الجامع: (٦٤٣٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (٨٩٨)، (١٥٣٥).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (١/٢٤٦)، (٤٠٢)، صحيح الجامع (٤٥٤٢)، صحيح الترغيب (٨٩٠).

(٣) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٤) (حم) (٣٩١١)، (يع) (٥٣٦٦)، (مسند ابن أبي شيبة) (٣٨٧)، وحسنه الألباني في الإرواء: (١٣٨٩)، والصَّحِيحَةُ: (١٥٥٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.



مَرَّتَيْنِ، إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً»^(١).

٥. قد يكون القرض أفضل من الصدقة: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ، فَرَأَى عَلَى بَابِهَا مَكْتُوبًا الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ»^(٢). قال الإمام المناوي عن مسألة أيهما أفضل الصدقة أم القرض؟ فقال: والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان وعليه تنزل الأحاديث المتعارضة^(٣).

٦. نوال المضاعفة: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤). عَنْ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: هَذَا التَّضْعِيفُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا هُوَ^(٥). عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَأَنْ أُقْرِضَ دِينَارَيْنِ مَرَّتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِمَا؛ لِأَنِّي أُقْرِضُهُمَا فَيَرْجِعَانِ إِلَيَّ فَأَتَصَدَّقَ بِهِمَا فَيَكُونُ لِي أَجْرُهُمَا مَرَّتَيْنِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: لَأَنْ أُقْرِضَ مَرَّتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْطِيَهُ مَرَّةً. وَرَوَى فِي ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: لَأَنْ أُقْرِضَ مَرَّتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَرَّةً^(٦).

من أقوال العلماء في الباب:

-
- (١) (ج٢) (٢٤٣٠)، انظر صحيح الجامع: (٥٧٦٩)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٩٠١).
 (٢) (طب) (٧٩٧٦)، (هب) (٣٥٦٥)، (كر) (٩/٢٢)، الصَّحِيحَةُ: (٣٤٠٧)، صحيح الترغيب والترهيب: (٩٠٠).
 (٣) فيض القدير (٣/٥١٨)، (٤١٧٧).
 (٤) [البقرة: ٢٤٥].
 (٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤/٤٣١).
 (٦) السنن الكبرى للبيهقي (٥/٥٧٨)، (١٠٩٥١).

* الحنابلة قالوا: القرض دفع مال لمن ينتفع به، ويرد بدله، وهو نوع من السلف لانتفاع المقرض بالشيء الذي يقترضه^(١).

* قال الشوكاني رحمه الله: **وَفِي فَضِيلَةِ الْقَرْضِ أَحَادِيثٌ وَعُمُومِيَّاتُ الْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ الْقَاضِيَةِ بِفَضْلِ الْمَعَاوَنَةِ وَقَضَاءِ حَاجَةِ الْمُسْلِمِ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ، وَسَدِّ فَاقَتِهِ شَامِلَةً لَهُ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشْرُوعِيَّتِهِ، قَالَ ابْنُ رَسُولَانَ: وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِ سُؤَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَلَا نَقْصَ عَلَى طَالِبِهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمَا اسْتَسْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ**^(٢).

* **الأصل في القرض في حق المقرض: أَنَّهُ قُرْبَةٌ مِنَ الْقُرْبِ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِصْالِ النَّفْعِ لِلْمُقْتَرِضِ، وَقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ**^(٣).

* قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: القرض مندوب في حق المقرض، أي: مستحب؛ وذلك لأنه من الإحسان، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).^(٥)

* قد أجمعت الأمة الإسلامية منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا على جواز هذا العقد، وأجمع المسلمون على جواز القرض^(٦).



(١) الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة (٢/٣٣٨).

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار (٥/٢٧٢).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٣/١١٣).

(٤) [البقرة: ١٩٥].

(٥) ابن عثيمين: الشرح الممتع (٩/٩٤).

(٦) ابن قدامة: المغني (٤/٣٥٢).

٣٤. ثمرات وفضائل الاستغفار

١. وقاية من عذاب الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١). أي جعل الله في هذه الأمة أمانين من عذاب الله. والثاني: الاستغفار، عَنْ فَصَالَةَ بِنِ عُبَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْعَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ»^(٢).

٢. الاستغفار للمؤمنين من وظائف الملائكة الكرام: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣). أيها المؤمن أنت تنام على فراشك أو تنشغل بأعمالك والملائكة تستغفر لك.

٣. الاستغفار سبب في رفع الدرجات في الآخرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(٤). من رحمة الله سبحانه وفضله أن جعل أسباباً كثيرة لرفع الدرجات وغفران الذنوب، ومن ذلك أنه جعل استغفار الولد لوالديه سبباً لرفع درجتهما في الجنة.. أي: تَزَادُ مَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلِهِ، إِلَّا بِمَا يُقَدِّمُهُ الْوَالِدَانِ لَابْنِهِمَا مِنْ تَرْبِيَةٍ وَبِرٍّ بِهِ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَهُمَا، وَهِيَ إِمَّا رَفْعُ الدَّرَجَاتِ حَقِيقَةً، وَهِيَ مَصَاعِدُ قُصُورِهِ فِي الْجَنَّةِ وَطُرُقَاتِهِ، أَوْ كِنَايَةً عَنْ عِزَّتِهِ

(١) [الأَنْفَال: ٣٤].

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٣٩٥٣).

(٣) [غافر: ٧].

(٤) (حم) (١٠٦١٨)، (جدة) (٣٦٦٠)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (١٦١٧)، الصَّحِيحَةُ: (١٥٩٨).

وعظمته،.. «**بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ**»، أي: بسبب استغفار ولدك لك؛ لأن الولد من كسب أبيه؛ فيكون كالصدقة الجارية،.. وفيه: أن استغفار الفرع لأصله بعد موته كاستغفاره هو لنفسه؛ فإن ولد الرجل من كسبه؛ فعمله كأنه عمله.

٤. **الاستغفار يجلب لك المغفرة**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»^(١).

٥. **الاستغفار سبب في بياض القلب**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُو قَلْبُهُ ذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**»^(٢)^(٣).

٦. **الاستغفار يسرك في يوم القيامة**: عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرُهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيَكْثِرْ فِيهَا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ**»^(٤). وفي سنن ابن ماجه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتَغْفَارًا كَثِيرًا**»^(٥).

(١) (ت) (٣٥٤٠)، (حم) (٢١٥١٠)، صحيح الجامع: (٤٣٣٨)، الصحيح: (١٢٧).

(٢) [المطففين: ١٤].

(٣) (ج) (٤٢٤٤)، (ت) (٣٣٣٤)، (حم) (٧٩٣٩)، انظر صحيح الجامع: (١٦٧٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٢٠).

(٤) (طس) (٨٣٩)، (هب) (٦٤٨)، صحيح الجامع: (٥٩٥٥)، الصحيح: (٢٢٩٩).

(٥) (ج) (٣٨١٨)، (ن) (١٠٢٨٩)، صحيح الجامع: (٣٩٣٠)، هداية الرواة: (٢٢٩٥).



٧. الاستغفار شعار ومنهج رسول الله ﷺ: عَنِ الْأَعْرَ الْمَزْنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١). وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(٢). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^(٣). وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٤).

٨. تحصيل أجر بعدد المؤمنين: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»^(٥). أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٦). قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ^(٧).

(١) مسلم (٢٧٠٢). (ليغان) ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه فإذا افتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبًا واستغفر منه.

(٢) البخاري (٦٣٠٧).

(٣) (ت) (٣٤٣٤)، (حم) (٤٧٢٦)، انظر الصَّحِيحَةَ: (٥٥٦).

(٤) (د) (١٥١٦)، (ج) (٣٨١٤)، (حم) (٩٢٧).

(٥) (مسند الشاميين للطبراني) (٢١٥٥)، انظر صَحِيحَ الْجَامِعِ: (٦٠٢٦).

(٦) [محمد: ١٩].

(٧) المحرر الوجيز؛ لابن عطية (١١٦/٥).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال علي عليه السلام: العجبُ ممن يَهْلِكُ وَمَعَهُ النَّجَاةُ، قيل: وما هي؟
قال الاستغفار، وكان يقول عليه السلام: ما أَلْهَمَ الله سبحانه وتعالى عَبْدًا الاستغفار،
وهو يريد أن يَعَذِّبَهُ.

* قال الحسن البصري رحمته الله: إِنَّ رجلاً شكَا إليه الجَدَبَ، فقال: استغفر
الله، وشكى إليه آخر الفقر، وآخر قِلَّةَ النَّسْلِ، وآخر قِلَّةَ رِيعِ أرضه، فأمرهم كلهم
بالاستغفار، فقال له بعض القوم: أتاك رجال يشكون إليك أنواعاً من الحاجة،
فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا له الآية: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا *
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(١).

* قال ميمون بن مهران رحمته الله: مَنْ أَسَاءَ سِرًّا فَلْيَتُبْ سِرًّا، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَانِيَةً
فَلْيَتُبْ عَلَانِيَةً، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ وَلَا يُعِيرُ، وَإِنَّ النَّاسَ يُعِيرُونَ وَلَا يَغْفِرُونَ^(٢).
* قال قتادة رحمته الله: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاؤُكُمْ:
فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ: فَالِاسْتِغْفَارُ^(٣).

* قال أبو موسى عليه السلام: كان لنا أمانان من العذاب ذهب أحدهما - وهو كون
الرسول صلى الله عليه وسلم فينا، - وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا^(٤).

(١) [نوح: ١٠-١٢].

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٩٢).

(٣) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (٢/ ٤١٥).

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٥/ ٣٥٩).



* وَيُرَوَّى عَنْ لُقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهَا سَائِلًا. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَكْثَرُوا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ فِي بُيُوتِكُمْ، وَعَلَى مَوَائِدِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَفِي أَسْوَاقِكُمْ، وَفِي مَجَالِسِكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّكُمْ مَا تَدْرُونَ مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ^(١).

* قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: الْعَبْدُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ لَا يُصْلِحُهُمَا إِلَّا الْحَمْدُ وَالِاسْتِغْفَارُ^(٢).

* قَالَ أَبُو الْمُنْهَالِ: مَا جَاوَرَ عَبْدٌ فِي قَبْرِهِ مِنْ جَارٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اسْتِغْفَارٍ كَثِيرٍ^(٣).

* قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنْتُمْ تَكْثُرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ اسْتِغْفَارًا سَرَّهُ مَكَانُ ذَلِكَ^(٤).

* قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّهُ لَيَقِفُ خَاطِرِي فِي الْمَسْأَلَةِ الَّتِي تَشْكَلُ عَلَيَّ؛ فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَلْفَ مَرَّةٍ حَتَّى يَنْشُرَ الصَّدْرَ، وَيَنْحُلَ إِشْكَالَ مَا أَشْكَلُ، وَقَدْ أَكُونُ فِي السُّوقِ، أَوْ الْمَسْجِدِ، أَوْ الْمَدْرَسَةِ؛ لَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنَ الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَى أَنْ أَنْالَ مَطْلُوبِي^(٥).

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (٢/ ٤٠٨).

(٢) صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (٤/ ١٤).

(٣) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (٢/ ٤١٥).

(٤) البيهقي: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٣٠).

(٥) العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ويليهِ الأعلام العلية - ابن عبد الهادي والبرزار - ت العمران - ط عالم الفوائد (١/ ١٠).

* كان أعرابي يقول: من أراد أن يجاورنا في أرضنا؛ فليكثر من الاستغفار، فإن الاستغفار القطار. والقطار السحاب العظيم القطر.

* حين كان إبراهيم عليه السلام يحاج أباه ويدعوه إلى التوحيد، كان والده يقابله بأسوأ المقابلة، تأمل هذه المقولة منه: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^(١)، ولاحظ أن هذه المقولة جاءت بعد مجموعة من العبارات المتلطفة من قبل إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام حين واجهه أبوه بهذه المقولة: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ لم يقابله بالإساءة أو نحوها، بل أول ما خطر في ذهنه أن يستغفر له: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾^(٢)، إذن فالاستغفار هو أول شيء فكر به إبراهيم عليه السلام وكان هذا الاستغفار طمعاً في هدايته، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٣)، ومحصل ذلك عدم الاستغفار للمشركين، وأنه خصوصية للمؤمنين، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٤).

* قصة في فوائد الاستغفار: تقول في قصتها: قصتي هي أنا امرأة متزوجة من ثمان سنوات، ولم أرزق بالذرية، ولم أترك دواءً إلا استخدمته؛ أعشاب، عقاقير، عيادات، مستشفيات، وبعد كنت إذا ذهبت إلى المستشفى، يوجد من

(١) [مريم: ٤٦].

(٢) [مريم: ٤٧].

(٣) [التوبة: ١١٤].

(٤) [التوبة: ١١٣].



يقول: لا يوجد أي مشكلة!! ودكتور آخر يقول: الهرمونات تصل حتى الألفين!! وهذا المستوى غير طبيعي!! ودكتور يقول: يوجد عندك إنسداد في الأنابيب، ولا يمكن الحمل أبداً إلا عن طريق طفل أنابيب!! وزاد همي وحزني، وبعدها عملت عملية منظار، وأثبت أنه لا يمكن الحمل إلا عن طريق طفل الأنابيب، وبعدها توجهت إلى عمل طفل الأنابيب، أخبرني الطبيب أن نسبة النجاح ضعيفة جداً، لوجود ماء في الحوض لا يعرف له سبب!! ضاقت عليّ الدنيا، وتوكلت على الله، وعملت طفل أنابيب، ولكن للأسف فشلت، وتحطمت، وقررت أخذ راحة، ثم أعيد العملية، وبعد ذلك حصل وأن تعرفت على منتدى وتابعت الحالة مع الاخوة، وبدأت الرقية مع سورة البقرة، وأحسنْتُ الظن بالله، وقلت: من أوجد المرض، فييده الشفاء، وداومت على الرقية والعلاج أربعة أشهر، والدعاء - الاستغفار - ، والصدقة، وصلاة القيام، وبعدها قررنا أن نبدأ عمل طفل الأنابيب للمرة الثانية، وكنت أنتظر موعد دورتي حتى أبدأ، ولكن المفاجأة أنها لم تأت!! ذهبت للمستشفى، وعملت تحليل حمل، وكان الله إذا أراد شيء قال له: كن فيكون!! أنا والله الحمد حامل بقدرة الله!! لا مستشفى، ولا علاج، ولا طفل أنابيب، وأسأل الله أن يثبت حملي وأن يتمم لي على خير، أنا الآن في ثلاثة أشهر، اجعلوا ثقتكم بالله، وتوكلوا عليه ونعم بالله.



٣٥. ثمرات التواضع في الدنيا والآخرة

١. التواضع من صفات أهل الآخرة: قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَنَعِيمَهَا الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، جَعَلَهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ، الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ، أَي: تَرْفَعًا عَلَى خَلْقِ اللهِ وَتَعَاظُمًا عَلَيْهِمْ وَتَجَبُّرًا بِهِمْ، وَلَا فَسَادًا فِيهِمْ. كَمَا قَالَ عِكْرِمَةُ: الْعُلُوُّ: التَّجَبُّرُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْعُلُوُّ: الْبَغْيُ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ: الْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ: التَّكَبُّرُ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَالْفَسَادُ: أَخْذُ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ^(٢).

٢. التواضع وحي من الله لرسوله: عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَزَادَ فِيهِ «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٣).

٣. التواضع سبب للرفعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»^(٤).

(١) [القصص: ٨٣].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/٢٥٨).

(٣) مسلم (٢٨٦٥).

(٤) مسلم (٢٥٨٨). (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا



وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا - وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَذْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ - رَفَعْتُهُ هَكَذَا - وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَفَعَهَا -»^(١). عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَابِسٍ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَيُّهَا النَّاسُ تَوَاضَعُوا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ، رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٢).

٤. التواضع طريق إلى الجنة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً، وَمَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً، يَضَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ»^(٣). وَعَنْ ابْنِ حَبَانَ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ لَيْسَ عَلَيْهِ بَابٌ وَلَا كُوَّةٌ، لَخَرَجَ مَا غَيَّبَهُ لِلنَّاسِ كَأَنَّا مَا كَانَ»^(٤).

ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة، معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معاً في جميعها في الدنيا والآخرة.

(١) (حم) (٣٠٩)، (يع) (١٨٧)، انظر الصَّحِيحَةُ تحت حديث: (٢٣٢٨)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٨٩٤)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) (هب) (٨١٤٠)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦١٦٢)، الصَّحِيحَةُ: (٢٣٢٨).

(٣) سنن ابن ماجه - ط الرسالة (٤١٧٦)، (حم) (١١٧٢٤)، (يع) (١١٠٩)، (حب) (٥٦٧٨).

(٤) صحيح ابن حبان (٥٦٧٨). [تعليق الشيخ الألباني] ضعيف، (الصَّحِيحَةُ) تحت الحديث (٢٣٢٨).

٥. التواضع من صفات الرسول ﷺ: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تَرْعُدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»^(١). عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ»^(٢).

٦. التواضع من صفات الأنبياء والمرسلين: قَالَ يُوسُفُ: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٣). وَقَالَ الْخَلِيلُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٤)، وَقَالَ سُلَيْمَانُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥)، وَقَالَ مُوسَى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾^(٦).

٧. التواضع من صفات الصحابة: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا: أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا،... لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يَبْرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا...^(٧).

من أقوال العلماء في الباب:

* قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات؛ التواضع^(٨).

(١) سنن ابن ماجه ت الأرئوؤط (٣٣١٢)، صحيح الجامع (٧٠٥٢)، الصحيحة (١٨٧٦).

(٢) شعب الإيمان (٥٥٧٢)، الصحيحة (٥٤٤).

(٣) [يوسف: ١٠١].

(٤) [الشعراء: ٨٣].

(٥) [النمل: ١٩].

(٦) [الكهف: ٦٦].

(٧) البخاري (٤١٤١).

(٨) الزهد لابن المبارك (ص: ١٣٢).



* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيِّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ:
ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١).

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَحِبْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي
وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنَسٍ، قَالَ جَرِيرٌ: إِنِّي رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ يَصْنَعُونَ شَيْئًا، لَا أَجِدُ أَحَدًا
مِنْهُمْ إِلَّا أَكْرَمْتُهُ^(٢).

* قَالَ مُجَاهِدٌ رضي الله عنه: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ فِي السَّفَرِ لِأَخْدَمَهُ، فَكَانَ
يَخْدُمُنِي^(٣).

* كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ يَشْتَرِطُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي السَّفَرِ أَنْ يَخْدِمَهُمْ^(٤).
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إِنَّ مِنْ رَأْسِ التَّوَاضُّعِ أَنْ تَبْدَأَ مَنْ لَقِيتَ
بِالسَّلَامِ، وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنْ شَرَفِ الْمَجْلِسِ^(٥).

* عَنْ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا فَشَكَرَهَا
لِلَّهِ، وَتَوَاضَعَ بِهَا لِلَّهِ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْعَهَا فِي الدُّنْيَا، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً فِي
الْجَنَّةِ^(٦).

* عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ تَخَشُّعًا رَفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) البخاري (٣٦٧١).

(٢) البخاري (٢٨٨٨)، ومسلم (٢٥١٣).

(٣) صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (١/٥٧٦).

(٤) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (٢/٢٩٥).

(٥) الزهد لهناد بن السري (٢/٤١٤).

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/٤٣).

وَمَنْ تَطَاوَلَ تَعَظُّمًا وَضَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

* قال لقمان لابنه: يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس^(٢).

* دَخَلَ ابْنُ السَّمَاكِ عَلَى هَارُونَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ^(٣).

* قَالَ: سَأَلْتُ الْفَضِيلَ وَقَدْ سُئِلَ: مَا التَّوَاضُّعُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِيٍّ قَبْلَتْهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ قَبْلَتْهُ مِنْهُ^(٤).

* قال زياد النميري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزَّاهِدُ بَغِيرُ تَوَاضُعٍ، كَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا تُثْمَرُ^(٥).

* قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَدْرُونَ مَا التَّوَاضُّعُ؟ التَّوَاضُّعُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِكَ، وَلَا تَلْقَى مُسْلِمًا إِلَّا رَأَيْتَ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلًا^(٦).

* قال أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حَبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا اسْتَجْلَبَتِ الْبَغْضَةُ بِمِثْلِ التَّكْبَرِ، وَلَا اكْتَسَبَتِ الْمَحَبَّةُ بِمِثْلِ التَّوَاضُّعِ، وَمَنْ اسْتَطَالَ عَلَى الْإِخْوَانِ؛ فَلَا يَثْقَنَ مِنْهُمْ بِالْصَّفَاءِ، وَلَا يَجِبُ لَصَاحِبِ الْكِبَرِ أَنْ يَطْمَعَ فِي حَسَنِ الثَّنَاءِ، وَلَا تَكَادُ تَرَى تَائِهًا إِلَّا وَضِيعًا، فَالْعَاقِلُ إِذَا رَأَى مِنْهُ هُوَ أَكْبَرُ سَنًا مِنْهُ تَوَاضَعَ لَهُ، وَقَالَ: سَبَقَنِي إِلَى الْإِسْلَامِ، وَإِذَا رَأَى مِنْهُ أَصْغَرَ سَنًا تَوَاضَعَ لَهُ، وَقَالَ: سَبَقْتَهُ بِالذُّنُوبِ، وَإِذَا رَأَى مَنْ هُوَ مِثْلُهُ عَدَّهُ أَخًا، فَكَيْفَ يَحْسَنُ تَكْبِيرُ الْمَرْءِ عَلَى أَخِيهِ؟!^(٧).

(٧) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٢٩).

(١) ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٩٦).

(٢) البيهقي: شعب الإيمان (٩/ ٥١٥).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩١).

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٥/ ١٣١).

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٥/ ١٣٠).

(٦) ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٦٢).



* قال الإمام الغزالي رحمته الله: يُقال: أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه^(١).

* قال النووي رحمته الله: قوله عليه السلام: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»، فِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا يَرْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُثَبِّتُ لَهُ بِتَوَاضُعِهِ فِي الْقُلُوبِ مَنْزِلَةً، وَيَرْفَعُهُ اللَّهُ عِنْدَ النَّاسِ، وَيَجِلُّ مَكَانَهُ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَرَفَعَهُ فِيهَا بِتَوَاضُعِهِ فِي الدُّنْيَا^(٢).

* قال الإمام ابن القيم رحمته الله: لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةٌ التَّوَاضُّعِ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ، وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلَهُ مِنْ عَدُوِّكَ كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ. وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ؛ ثُمَّ جَاءَ يَعْتَذِرُ مِنْ إِسَاءَتِهِ، فَإِنَّ التَّوَاضُّعَ يُوجِبُ عَلَيْكَ قَبُولَ مَعْذَرَتِهِ، حَقًّا كَانَتْ أَوْ بَاطِلًا، وَتَكِلْ سَرِيرَتَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٣).

* قال العلامة ابن القيم رحمته الله: من علامات السَّعادة والفلاح: أَنْ الْعَبْدَ كُلَّمَا زِيدَ فِي عِلْمِهِ زِيدَ فِي تَوَاضُعِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَكُلَّمَا زِيدَ فِي عَمَلِهِ زِيدَ فِي خَوْفِهِ وَحَذَرِهِ، وَكُلَّمَا زِيدَ فِي مَالِهِ زِيدَ فِي سَخَائِهِ وَبَذَلِهِ، وَكُلَّمَا زِيدَ فِي قَدَرِهِ وَجَاهِهِ زِيدَ فِي قُرْبِهِ مِنَ النَّاسِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَالتَّوَاضُّعَ لَهُمْ^(٤).

* قال العلامة ابن القيم رحمته الله: «كَانَ النَّبِيُّ عليه السلام يَمُرُّ عَلَى الصَّبِيَّانِ فَيَسَلُّمُ

(١) اتحاف السادة المتقين الزبيدي (٣٥٦/٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٩٩/٨).

(٣) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٢١/٢).

(٤) ابن القيم: الفوائد (ص: ١٥٥).

عَلَيْهِمْ»، «وَكَانَتْ الْأُمَّةُ تَأْخُذُ بِيَدِهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»، «وَكَانَ ﷺ إِذَا أَكَلَ لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ»، «وَكَانَ ﷺ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ قَطُّ»، «وَكَانَ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ الشَّاةَ لِأَهْلِهِ، وَيَعْلِفُ الْبَعِيرَ وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ، وَيُجَالِسُ الْمَسَاكِينَ، وَيَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ فِي حَاجَتِهِمَا، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، وَلَوْ إِلَى أَيْسَرِ شَيْءٍ»، «وَكَانَ ﷺ هَيِّنَ الْمُؤْنَةِ، لَيِّنَ الْخُلُقِ، كَرِيمَ الطَّبَعِ، جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، طَلَقَ الْوَجْهَ بَسَامًا، مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ، جَوَادًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ، رَقِيقَ الْقَلْبِ رَحِيمًا بِكُلِّ مُسْلِمٍ خَافِضَ الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيِّنَ الْجَانِبَ لَهُمْ»^(١).



(١) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣١٢).



٣٦. ثمرات صلاة السنن بصفة عامة

١. من أحب الأعمال إلى الله تعالى: قَالَ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

٢. صلاة السنة سبب في مرافقة النبي ﷺ: قَالَ رِبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٢).

٣. سبب في جبر نقص وخلل الفرائض: عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، قَالَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ،

(١) مسلم (٤٨٨).

(٢) مسلم (٤٨٩).

وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ^(١)، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

٤. نوال بيت في الجنة: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بَنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْهُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ عَنبَسَةَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْهُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ»، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: «مَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْهُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنبَسَةَ» وَقَالَ الثُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: «مَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْهُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرُو بْنِ أَوْسٍ»^(٣).
عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السَّنَةِ، بَنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ»^(٤).

(١) قَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ: هَذَا الَّذِي وَرَدَ مِنْ إِكْمَالِ مَا يَنْتَقِصُ الْعَبْدُ مِنَ الْفَرِيضَةِ بِمَا لَهُ مِنَ التَّطَوُّعِ؛ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَا انْتَقَصَ مِنَ السَّنَنِ وَالْهَيِّاتِ الْمَشْرُوعَةِ الْمُرَغَّبِ فِيهَا، مِنَ الْخُشُوعِ وَالْأَذْكَارِ وَالْأَذْعِيَةِ، وَأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ فِي الْفَرِيضَةِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فِي الْفَرِيضَةِ، وَإِنَّمَا فَعَلَهُ فِي التَّطَوُّعِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ: مَا تَرَكَ مِنَ الْفَرَائِضِ رَأْسًا، فَلَمْ يُصَلِّهِ، فَيَعَوِّضَ عَنْهُ مِنَ التَّطَوُّعِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ مِنَ التَّطَوُّعَاتِ الصَّحِيحَةِ عَوْضًا عَنِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا شَاءَ، فَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمَنْ، بَلْ لَهُ أَنْ يُسَامِحَ وَإِنْ لَمْ يُصَلِّ شَيْئًا لَا فَرِيضَةً وَلَا نَفْلًا. عون المعبود (٣٥٩/٢).

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٤١٣)، (ج٢) (١٤٢٥)، انظر صحيح الجامع: (٢٥٧٤).

(٣) مسلم (٧٢٨).

(٤) (ت) (٤١٥)، (س) (١٨٠١)، (ج٢) (١١٤٢)، صحيح الجامع: (٦٣٦٢)، صحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٠).



٥. جلب محبة الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِذَّنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

٦. صلاة النوافل طريق إلى الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ: «عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ»^(٢).

(١) البخاري (٦٥٠٢). (وليًّا) هو العالم بدين الله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته. (آذنته بالحرب) أعلمته بالهلاك والنكال. (مما افترضت عليه) من الفروض العينية وفروض الكفاية. (كنت سمعه..) أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك، وأوقفه لما فيه خيره وصلاحه، وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد. (استعاذني) استجار بي مما يخاف. (ما ترددت) كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه. (مساءته) إساءته بفعل ما يكره.

(٢) البخاري (١١٤٩). (بأرجى) بعمل عملته وأنت ترجو به الثواب أكثر من غيره من أعمالك. (بين يدي) قدامي. (أتطهر طهورًا) من وضوء أو غسل. (ما كتب) ما قدر لي وتيسر من فرض أو نفل.



٧. خير من الدنيا وما فيها: عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ»^(١) خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢).

٨. أحب من الدنيا للرسول ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مُعَاهَدَةً مِنْهُ عَلَى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ^(٣)، وَقَالَ: «هُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»^(٤).

٩. سبب في تحريم العبد على النار: عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٥). وفي رواية: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الظُّهْرِ؛ فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٦).

١٠. فتح أبواب السماء: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ، تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»^(٧). كان النبي ﷺ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالطَّاعَاتِ، وَأَفْضَلُهَا الصَّلَاةُ، وَقَدْ كَانَ يُوَظِّبُ عَلَى بَعْضِ

(١) أَي: سُنَّةُ الْفَجْرِ، وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ بِهَذَا الْإِسْمِ. شرح سنن النسائي (٣/ ١٢٧).

(٢) مسلم (٧٢٥).

(٣) (م) ٩٤ - (٧٢٤)، (خ) (١١١٠)، (د) (١٢٥٤)، (حم) (٢٥٤٠٣).

(٤) (حم) (٢٤٢٨٧)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٥٨١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥) (ت) (٤٢٨)، (س) (١٨١٢)، (د) (١٢٦٩)، (حم) (٢٦٨١٥)، انظر صحيح الجامع: (٦٣٦٤)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٤).

(٦) (س) (١٨١٣)، وقال الألباني: صحيح لغيره، وانظر صحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٤).

(٧) (د) (١٢٧٠)، صحيح الجامع: (٨٨٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٥).



النوافل من الصلاة.. وقد وضّحت رواية الطبراني أنها كانت قبل الظهر، وفيها: «لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ رَأَيْتُهُ يُدِيمُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ»، فقلت: يا رسول الله، إِنَّكَ تَدْمِنُ هَذِهِ الْأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ؟ وَهَذَا اسْتِضَاحٌ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تَفْتَحُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَلَا تُرْتَجَى حَتَّى يُصَلِّيَ الظُّهْرُ»، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تُصَلَّى مُتَوَالِيَاتٍ مَعَ بَعْضِهِنَّ دَفْعَةً وَاحِدَةً دُونَ التَّسْلِيمِ بَعْدَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ.

١١. صلاة التطوع في البيت تجلب البركة: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً - قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ حَصِيرٍ - فِي رَمَضَانَ، فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِي، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»^(١).

١٢. دعاء النبي بالرحمة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»^(٢). رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ فِي النَّوَافِلِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ التَّرْغِيبِ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا) أَي: إِنْسَانًا، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْإِخْبَارِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْبَشَارَةِ، وَقِيلَ: هُوَ دُعَاءٌ؛ وَدَعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ لَا يُرَدُّ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيْثُ كَانَ يَدْعُو لِأُمَّتِهِ بِكُلِّ مَا يَنْفَعُهُمْ (صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا) أَي: أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ سُنَّةَ الْعَصْرِ، وَهِيَ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى النَّوَافِلِ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَمَا فِيهَا مِنَ التَّمَاسِ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).

(٢) (ت) (٤٣٠)، (د) (١٢٧١)، (حم) (٥٩٨٠)، صحيح الجامع: (٣٤٩٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٥٨٨).



١٣. نوال الشرف: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، عَشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحَبُّ مَنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

١٤. تكفير السيئات: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ»^(٢) قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ»^(٣).

١٥. سبب في تقويم السلوك المعوج: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: «إِنَّهُ سَيْنَهَاها مَا يَقُولُ»^(٤).

١٦. تجعلك في عداد الذاكرين الله: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الْذَاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالْذَاكِرَاتِ»^(٥).

(١) (طس) (٤٢٧٨)، (ك) (٧٩٢١)، صحيح الجامع: (٧٣)، الصحيح: (٨٣١).

(٢) أي: عَادَتْهُمْ وَشَأْنُهُمْ. تحفة الأحوذى (٨/٤٤٦).

(٣) (ت) (٣٥٤٩)، (خز) (١١٣٥)، (ك) (١١٥٦)، وحسنه الألباني في الإرواء: (٤٥٢)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٦٢٤)، صحيح الجامع: (٤٠٧٩).

(٤) (حم) (٩٧٧٧)، (حب) (٢٥٦٠)، انظر الصحيح: (٣٤٨٢)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في (حم): إسناده صحيح.

(٥) (ج) (١٣٣٥)، (د) (١٤٥١)، انظر صحيح الجامع: (٣٣٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٦٢٦).



١٧. **الكتابة من القانتين:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ»^(١) «(٢)». وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ»^(٣) «(٤)».

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رضي الله عنها: لَا تَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَدْعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرَضَ أَوْ كَسَلَ، صَلَّى قَاعِدًا^(٥).

* قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: الصَّلَاةُ قوت قلوب المؤمنين وغذاؤها، بما اشتملت عليه من ذكر الله ومناجاته وقربه، فمن أتم صلاته فقد استوفى غذاء قلبه وروحه، فما دام على ذلك كملت قوته ودامت صحته وعافيته، ومن لم يتم صلاته فلم يستوف قلبه وروحه قوتها وغذاءها، فجاع قلبه وضعف، وربما مرض أو مات لفقد غذائه، كما يمرض الجسد ويسقم إذا لم يكمل تناول غذائه

(١) (القانت): يَرِدُ بِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ: كَالطَّاعَةِ، وَالْخُشُوعِ، وَالصَّلَاةِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْقِيَامِ، وَالسُّكُوتِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْقِيَامُ فِي اللَّيْلِ. عون المعبود (٣/ ٣٣٥).

(٢) (ك) (١١٦٠)، (خز) (١١٤٢)، (هب) (٢١٩١)، الصَّحِيحَةُ: (٦٥٧)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (١٤٣٧).

(٣) أَي: كُتِبَ مِمَّنْ أُعْطِيَ أَجْرًا عَظِيمًا. عون المعبود (٣/ ٣٣٥).

(٤) (د) (١٣٩٨)، (حب) (٢٥٧٢)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦٤٣٩)، الصَّحِيحَةُ: (٦٤٢).

(٥) (د) (١٣٠٧)، (خد) (٨٠٠)، (حم) (٢٦١٥٧)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٤٨٤٩)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٦٣٢).

٣٧. ثمرات الحج والعمرة

١. نفي الفقر والذنوب: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ»^(٢) خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٣).
٢. المتابعة بين العمرة تكفر الخطايا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٤).
٣. الحج سبب للعتق من النيران: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمٍ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٥).
٤. الحَجْرُ يشهد لك يوم القيامة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

(٦) الإثيوبي الولوي: شرح سنن النسائي المسمى، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٦٧/١٥).

(١) الكبير: قربة من جلد أو نحوه، يستخدمها الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها.

(٢) (س) (٢٦٣١)، (ت) (٨١٠)، (ج) (٢٨٨٧)، (حم) (٣٦٦٩)، انظر الصَّحِيحَة: (١٢٠٠)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (١١٠٥).

(٣) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩). (العمرة) هي في اللغة الزيارة، وفي الشرع زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة. (كفارة) ماحية مشتقة من الكفر وهو التغطية والستر. (لما بينهما) لما وقع بينهما من الذنوب الصغيرة. (المبرور) المقبول وهو الذي لا يخالطه إثم، مشتق من البر وهو الإحسان.

(٤) مسلم (١٣٤٨).



الحَجَرُ: «وَاللّٰهُ لَيَبْعَثَنَّ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ»^(١).

٥. الحج يهدم ما كان قبله: عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعُدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتَهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟»^(٢).

٦. الحج يمحو ما تقدم لك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ»^(٣).

(١) (حم) (٢٢١٥)، (ت) (٩٦١)، (ج) (٢٩٤٤)، صحيح الجامع: (٢١٨٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (١١٤٤).

(٢) مسلم (١٢١). (في سِياقة الموت) أي حال حضور الموت. (كنت على أطباق ثلاث) أي على أحوال ثلاث، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] فهذا أنث ثلاثاً إرادة لمعنى أطباق. (إن الإسلام يهدم ما قبله) أي يسقطه ويمحو أثره.

(٣) الرفث: الجماع، ويُطْلَقُ عَلَى التَّعْرِيزِ بِهِ، وَعَلَى الْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ، وَقِيلَ: اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُرِيدُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَخْصُهُ بِمَا خُوِطِبَ بِهِ النِّسَاءُ. وَالْجُمُهور عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ

وَلَمْ يَفْسُقْ^(١)، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ^(٢).

٧. الحج جزاؤه الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٣).

٨. الحج أحياناً يكون أفضل من الجهاد: - وهذا خاص بالنساء - عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٤). وفي رواية: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالٌ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»^(٥).

٩. الحاج في ضمان الله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ فِي ضَمَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجًّا»^(٦).

في الآية الجماع. فتح الباري (١٥٧/٥).

(١) أَي: لَمْ يَأْتِ بِسَيِّئَةٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ. (فتح الباري) (١٥٧/٥).

(٢) البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠). (يرفث) من الرفث وهو الجماع، والتعريض به وذكر ما يفحش من القول. (يفسق) يرتكب محرماً من المحرمات ويخرج عن طاعة الله ﷻ. (كيوم ولدته أمه) من حيث براءته من الذنوب.

(٣) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩). (العمرة) هي في اللغة الزيارة، وفي الشرع زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة. (كفارة) ماحية مشتقة من الكفر وهو التغطية والستر. (لما بينهما) لما وقع بينهما من الذنوب الصغيرة. (المبرور) المقبول وهو الذي لا يخالطه إثم، مشتق من البر وهو الإحسان.

(٤) البخاري (١٥٢٠).

(٥) (جة) (٢٩٠١)، (حم) (٢٥٣٦١)، (٩٨١).

(٦) مسند الحميدي (١١٢١)، أخبار مكة للفاكهي (٩٢٦)، صحيح الجامع: (٣٠٥١).



١٠. الحاج إن مات في طريقه يكتب له الأجر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِيًا فَمَاتَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ الْغَازِيِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

١١. الحج لون من ألوان الجهاد: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ»^(٢).

١٢. التبشير بالجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَهْلٌ مِهْلٌ قَطُّ إِلَّا بِشَرٍّ، وَلَا كَبَرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بِشَرٍّ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ؟، قَالَ: «نَعَمْ»^(٣).

١٣. إصابة النور يوم القيامة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَمِيتَ الْحِمَارَ، كَانَ لَكَ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). وعند سعيد بن منصور: «إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ بِكُلِّ حَصَاةٍ رَمَاهَا كَبِيرَةً مِنَ الْكِبَائِرِ الْمَوْبِقَاتِ».

١٤. حط الخطايا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مَسَحَ الرُّكْنَ الْيَمَانِي وَالرُّكْنَ الْأَسْوَدَ، يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا»^(٥). الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنْ

الصَّحِيحَةُ: (٥٩٨).

(١) (يع) (٦٣٥٧)، (طس) (٥٣٢١)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٢٥٥٣)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: (١١١٤).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (٢٩٠٢). ورد من طريقين يقوي أحدهما الآخر، أفاده الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٣٥١٩).

(٣) (طس) (٧٧٧٩)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٥٥٦٩)، الصَّحِيحَةُ: (١٦٢١).

(٤) أخرجه البزار (ص ١١٣ - زوائده)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٢٥١٥).

(٥) (حم) (٥٦٢١)، (ت) (٩٥٩)، (س) (٢٩١٩)، وقال الأرئووط: إسناده حسن.

أَحْجَارِ الْجَنَّةِ، وَلَعَلُّوْ مَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمُ فَضْلِهِ حَثَّ الْإِسْلَامَ عَلَى التَّمَسُّحِ بِهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْرِفُونَ لِلْحَجَرِ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ. «وَالرُّكْنُ الْيَمَانِي»، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ الَّذِي فِي جِهَةِ الْيَمَنِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الرُّكْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ مِنْهَا: الرُّكْنُ الشَّامِيُّ، وَالرُّكْنُ الْعِرَاقِيُّ، «يَحُطَّانِ الْخَطَايَا حَطًّا»، أَي: فِي مَسْحِهِمَا مَغْفِرَةٌ لِلذُّنُوبِ، وَالْمَسْحُ وَالِاسْتِلاَمُ لِمَنْ اسْتَطَاعَ الْوُصُولَ إِلَيْهِمَا؛ فَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَالرُّكْنُ الْيَمَانِي هُمَا اللَّذَانِ يُسْتَلَمَانِ مِنَ الْبَيْتِ، وَأَمَّا الرُّكْنُ الشَّامِيُّ وَالرُّكْنُ الْعِرَاقِيُّ فَلَا يُسْتَلَمَانِ؛ فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه طَافَ فَجَعَلَ يَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَةَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا يَا مُعَاوِيَةُ؟! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَيْسَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ مَهْجُورٌ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبَعَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتَ! وَالْحَجَرُ يُشْرَعُ اسْتِلاَمُهُ وَتَقْبِيلُهُ، فَإِنْ شَقَّ ذَلِكَ اسْتَلَمَهُ بِيَدِهِ وَقَبَّلَ يَدَهُ، وَإِلَّا أَشَارَ إِلَيْهِ دُونَ تَقْبِيلٍ، وَالْأَجْرُ ثَابِتٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا الرُّكْنُ الْيَمَانِي فَالْسُّنَّةُ اسْتِلاَمُهُ وَلَا يَقْبَلُ، وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ اسْتِلاَمِهِ، وَلَا يُكَبَّرُ عِنْدَ اسْتِلاَمِهِ.

١٥. فضيلة الحج على سائر الأعمال: عَنْ مَا عَزِ بْنِ عَلَاءِ بْنِ بَشِيرٍ الْبِكَائِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةُ بَرَّةٍ؛ تَفْضُلُ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا»^(١). وَهُوَ الْحَجُّ الَّذِي أُدِّيتْ أَرْكَانُهُ وَكَانَ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الْمَقْبُولُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ؛ لِخُلُوصِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالشُّمْعَةِ وَالْمَالِ الْحَرَامِ. وَظَاهَرُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِي أَنَّ الْجِهَادَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى حَجِّ النَّافِلَةِ، وَأَمَّا حَجَّةُ الْإِسْلَامِ

(١) (حم) (١٩٠٣٢)، (طب) (١٧٥٦٥)، انظر صحيح الجامع: (١٠٩١)، صحيح الترغيب والترهيب: (١١٠٣).



فإنَّها أفضلُ مِنَ الجِهَادِ، هذا إذا كان الجِهَادُ فَرَضَ كِفَايَةٍ، أمَّا إذا كان فَرَضَ عَيْنٍ فإنه مُقَدَّمٌ على حَجَّةِ الإسلامِ قطعًا؛ لَوْ جُوبِ فِعْلُهُ على الفورِ.

١٦. الحجُّ أحدُ الجهادين: عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مَعَهَا أَخَاهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْمَرَهَا مِنَ التَّنْعِيمِ^(١)، وَحَمَلَهَا عَلَى قَتَبٍ» وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شَدُّوا الرَّحَالَ فِي الْحَجِّ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ»^(٢).

١٧. الْحُجَّاجُ يَجْنُونَ فَضَائِلَ كَثِيرَةً: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا يَرْفَعُ إِبِلَ الْحَاجِّ رَجُلًا وَلَا يَضَعُ يَدًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، أَوْ مَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، أَوْ رَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً»^(٣).

١٨. رَفَعَ الصَّوْتُ بِالْإِهْلَالِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ: عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَرْبُوعٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعَجُّ وَالشَّجُّ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: الْعَجُّ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْيَةِ، وَالشَّجُّ نَحْرُ الْبُذْنِ لِيُشَجَّ الدَّمُ مِنَ الْمَنْحَرِ^(٤).

١٩. تَلْبِيَةُ كُلِّ مَنْ عَلَى الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ

(١) (التنعيم) موضع قريب من مكة من جهة المدينة فيه مسجد الآن يسمى مسجد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (قتب) رحل صغير على قدر السنام، وقيل هو خشب الرِّحْل، والرِّحْل ما يُوضَع على البعير ليُرَكَب عليه بدون هودج.

(٢) البخاري (١٥١٦). أخرجه البخاري معلقًا، وأخرجه عبدالرزاق والفاكهي موصولًا من طريق الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عُمَرَ وَرَجَالِهِ ثَقَاتٍ.

(٣) شعب الإيمان (٣٨٢١). وقال محقق شعب الإيمان وعلى هذا يكون الحديث لا بأس به.

(٤) [ت] عن ابن عمر، [هـ ك هـ ق] عن أبي بكر [ع] عن ابن مسعود، صحيح الجامع الصغير وزيادته (١١٠١)، الصحيحة ١٥٠٠.

شَجَرٍ، أَوْ مَدْرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا»^(١). وهي: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، «إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ»، أي: إِلَّا لَبَّى وَقَالَ مِثْلَمَا يَقُولُ مَنْ كَانَ عَلَى جِهَةِ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ، «مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدْرٍ»، والمَدْرُ: الطِّينُ المَتَمَاسِكُ المَتَلَبِّدُ، والمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ تَجَاوُزُ هَذِهِ الْجِمَادَاتِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ مَعَ الْمَلْبِيِّ، وَمُتَابَعَتُهَا لَهُ فِي هَذَا الذِّكْرِ دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ الْمَلْبِيِّ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَتَظَلُّ تَوَافِقُهُ فِي التَّلْبِيَةِ، «حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ»، أي: حَتَّى يَكُونَ انْتِهَاءُ الْأَرْضِ «مِنْ هَاهُنَا»، أي: مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، «وَهَاهُنَا»، أي: مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ.

٢٠. الصَّلَاةُ بِمِائَةِ أَلْفٍ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»^(٢) فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ^(٣)، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ»^(٤). قوله: «صَلَاةٌ» عمومته يدلُّ على أَنَّ الْمُضَاعَفَةَ تَعْمُ الْفَرِيضَةَ وَالنَّافِلَةَ، اخْتَارَهُ الشَّيْخَانُ ابْنُ بَازٍ وَابْنُ عَثِيمٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُضَاعَفَةَ عَامَةٌ لِسَائِرِ الْحَرَمِ، وَلَيْسَتْ قَاصِرَةً عَلَى الْمَسْجِدِ وَحْدِهِ فَقَطْ، لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي إِطْلَاقِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْحَرَمُ كُلُّهُ، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، وقوله:

(١) (ت) (٨٢٨)، (ج) (٢٩٢١)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٥٧٧٠)، الْمَشْكَاةُ: (٢٥٥٠).

(٢) (م) (١٣٩٤)، (خ) (١١٣٣).

(٣) (م) (١٣٩٤)، (س) (٦٩٤).

(٤) (ج) (١٤٠٦)، (ح) (١٤٧٣٥)، انْظُرْ صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٣٨٣٨)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (١١٧٣).



﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾، وجاء عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «وَالْحَرَمُ كُلُّهُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»^(١)، وهو قول عطاء^(٢)، وقتادة^(٣)، واختاره القرطبي وابن تيمية ابن القيم وابن باز وغيرهم. قال ابن جاسر: حسبنا ذلك فوجدنا صلاة واحدة عن ست وخمسين سنة وستة أشهر إلا يوماً واحداً، وحسبنا صلاة يوم وليلة فوجدناها عن مائتي سنة واثنين وثمانين سنة وستة أشهر إلا خمسة أيام، فحق لمثل هذا الحرم الشريف أن تُشدُّ إليه الرِّحالُ وتتلَف فيه أنفس الرِّجال فضلاً عن الأموال.

من أقوال العلماء في الباب:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إِنَّ مَا بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْبَابِ لَا يَقُومُ فِيهِ إِنْسَانٌ فَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِشَيْءٍ إِلَّا رَأَى فِي حَاجَتِهِ بَعْضَ الَّذِي يُحِبُّ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُسَمَّى الْمُلتَزِمُ^(٤). عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ الدَّمَشَقِيُّ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ مُلتَزِمٌ مَا التَّزَمَ بِهِ إِنْسَانٌ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وجاء عن مجاهد قريب منه. والملتزم ما بين الركن والباب، كما جاء عن ابن عباس، وللمسلم أن يلتزم أحياناً ما لم يكن فيه أذية أو مشقة على أحد، قاله ابن باز وابن عثيمين، ثبت به الرواية عن ابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين. وصفته وهو أن يلصق الإنسان صدره وخده ويمد يديه ما بين الحجر الأسود والباب

(١) كتاب الأموال - لابن زنجويه (١/ ٢٠٧).

(٢) أخبار مكة للفاكهي (٣/ ١٥).

(٣) أخبار مكة للفاكهي (٢/ ١٠٠).

(٤) أخبار مكة للفاكهي (١/ ١٦٥)، رقم (٢٣٠).

هذا هو محل الالتزام، ولو لم يقدر الوقوف في هذا الموضع ووقف عند الباب، ودعا هناك من غير التزام للبيت، كان حسناً قاله ابن تيمية^(١).

* قَالَ شَقِيقُ بَنِ سَلَمَةَ: أَرَدْتُ الْحَجَّ، فَسَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنْ تَكُنْ نِيَّتَكَ صَادِقَةً وَأَصْلُ نَفَقَتِكَ طَيِّبَةً، وَصُرِفَ عَنْكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ عَقْدِ حَجِّكَ، عُدْتَ مِنْ سَيِّئَاتِكَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ^(٢).

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا طَافَ، ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّ كُلَّ رَكَعَتَيْنِ تَكْفُرُ مَا بَيْنَهُمَا، أَوْ قَالَ: قَبْلَهُمَا، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا^(٣).



(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٦/١٤٣).

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة. أخبار مكة للفاكهي (١/٤٣٢)، رقم (٩٤٠).

(٣) أخبار مكة للفاكهي (١/٤٦٤)، رقم (١٠٢٢)، ورجاله ثقات.

٣٨. ثمرات وفضائل يوم عرفة

١. يوم إكمال الدين: جاء رجلٌ من اليهودِ إلى عمرَ، فقال: يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابكم تقرأونها، لو علينا نزلت، معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، فقال عمرُ: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، «نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة»^(٢).
٢. أقسم الله تعالى به: في موضعين من كتابه في آية: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾^(٣)؛ ذكر فيها ابن كثير عدة أقوال منها، عن جابرٍ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَشَرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمَ النَّحْرِ»^(٤). وفيه آية: ﴿وَشَاهِدْ وَمَشْهُودٌ﴾^(٥)؛ وفي الترمذي مرفوعاً وموقوفاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْيَوْمَ الْمَوْعُودُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٦)، وَالْيَوْمَ الْمَشْهُودُ يَوْمَ عَرَفَةَ^(٧)، وَالشَّاهِدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٨)...»^(٩). ومعلوم أن القسم بالشيء يدل على أهميته ومنزلته.

(١) [المائدة: ٣].

(٢) البخاري (٤٥)، مسلم (٣٠١٧).

(٣) [الفجر: ٣].

(٤) مسند أحمد (١٤٥١١)، وحسن إسناده ابن رجب في اللطائف (٣٧٦). (ضعيف) انظر حديث رقم: (٣٨٦٢) في ضعيف الجامع.

(٥) [البروج: ٣].

(٦) لَأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِهِ النَّاسَ. تحفة الأحوذى (٢١٩/٨).

(٧) أَي: أَنَّ النَّاسَ يَشْهَدُونَهُ، أَي: يَحْضُرُونَهُ وَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ. تحفة (٢١٩/٨).

(٨) أَي: يَشْهَدُ لِمَنْ حَضَرَ صَلَاتَهُ. تحفة الأحوذى (٢١٩/٨).

(٩) (ت) (٣٣٣٩)، (حم) (٧٩٥٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة تحت حديث: (١٥٠٢)،

٣. المباهاة بأهل عرفات: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﻻ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَيَّ عِبَادِي، أَتَوْنِي شُعْنًا غَيْرًا»^(١). قال ابن عبد البر رحمته الله: وهذا يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهى بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران^(٢).

٤. صيامه يكفر ذنوب سنتين: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(٣).

٥. يوم عرفة فيه ركن الحج الأعظم: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَجُّ، الْحَجُّ، يَوْمُ عَرَفَةَ، مَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ فَتَمَّ حَجَّهُ أَيَّامَ مِنِّي ثَلَاثَةً، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ، فَلَا إِيَّامَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيَّامَ عَلَيْهِ»^(٤).

٦. يوم عرفة يوم الدعاء: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٥).

وهداية الرواة: (١٣١١).

(١) (حم) (٧٠٨٩)، (٨٠٣٣)، انظر صحيح الجامع: (١٨٦٧)، (١٨٦٨)، وصحيح الترغيب والترهيب: (١١٥٣).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ١٢٠).

(٣) مسلم (١١٦٢).

(٤) (ت) (٨٨٩)، (س) (٣٠٤٤)، (د) (١٩٤٩)، (ج) (٣٠١٥).

(٥) سنن الترمذي ت شاكر (٣٥٨٥). انظر صحيح الجامع: (٣٢٧٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٥٣٦).



قال ابن عبد البر رحمه الله: وفيه من الفقه أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره، وفي ذلك دليل على فضل يوم عرفة على غيره.. وفيه دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب^(١)، إن شاء الله، إلا للمعتدين في الدعاء بما لا يرضي الله.

٧. يوم العتق من النيران: قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ...»^(٢).

٨. من أفضل الأيام عند الله: عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ»^(٣).

٩. يوم عرفة عيد للمسلمين عامة ولأهل الموقف خاصة: عن عتبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»^(٤)^(٥).

(١) التمهيد لابن عبد البر (٦/ ٤١).

(٢) مسلم (١٣٤٨).

(٣) صحيح ابن حبان (٣٨٥٣). قال الشيخ الألباني، ضعيف، الضعيفة (٦٧٩).

(٤) قال الشوكاني في النيل: ظاهر حديث أبي قتادة مرفوعاً: صَوْمُ عَرَفَةَ يَكْفُرُ سَنَتَيْنِ مَاضِيَةً وَمُسْتَقْبَلَةً، أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ صَوْمُ عَرَفَةَ مُطْلَقًا، وَظَاهِرُ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ يَعْنِي الْمَذْكُورَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّهُ يَكْرَهُ صَوْمَهُ مُطْلَقًا، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ بِأَنَّ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ مُسْتَحَبٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ، مَكْرُوهٌ لِمَنْ كَانَ بِعَرَفَاتٍ حَاجًّا. وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ مُؤَدِّيًا إِلَى الضَّعْفِ عَنِ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ هُنَالِكَ وَالْقِيَامِ بِأَعْمَالِ الْحَجِّ، وَقِيلَ الْحِكْمَةُ أَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ. تحفة الأحوذى.

(٥) (ت) (٧٧٣)، (س) (٣٠٠٤)، (د) (٢٤١٩)، (حم) (١٧٤١٧)، انظر حديث رقم: (٨١٩٢)

في صحيح الجامع.

١٠. حفظ الجوارح فيه سبب في مغفرة الذنوب: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْ مَلَكَ فِيهِ سَمِعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَلِسَانَهُ، غُفِرَ لَهُ»^(١). وفيه مقال خفيف.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عُمَرَ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ: قَالَ لِي عَطَاءٌ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْلُوَ بِنَفْسِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَافْعَلْ^(٢).

* وقف بعض الخائفين بعرفات وقال: إلهي الناس يتقربون إليك بالبدن وأنا أتقرب إليك بنفسي ثم خَرَّ مَيِّتًا^(٣).

* عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ بِعَرَفَاتٍ: لَا أَدْعُ هَذَا الْمَوْقِفَ مَا وَجَدْتُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ يَوْمٌ فِيهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ يَوْمٌ أَكْثَرَ عِتْقًا لِلرَّقَابِ فِيهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَأَكْثَرُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَعْتِقْ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَأَوْسِعْ لِي فِي الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَاصْرِفْ عَنِّي فَسْقَةَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فَإِنَّهُ عَامَةٌ مَا أَدْعُوكَ بِهِ^(٤).

* وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير وبكر المزني بعرفة فقال أحدهم: اللَّهُمَّ لَا تَرُدِّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ مِنْ أَجْلِي، وَقَالَ الْآخَرُ: مَا أَشْرَفَهُ مِنْ مَوْقِفٍ وَأَرْجَاهُ لِأَهْلِهِ لَوْلَا أَنِّي فِيهِمْ^(٥).

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٠٤١). ضعيف. أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٦١ / ٢٨٣٢ - ٢٨٣٤).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٦٢٥)، (٢٢٥٣).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٨٦).

(٤) المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة (٥/ ١٨٩)، (١٢٥٦٥).

(٥) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٨٥).



* وقف الفضيل بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة قد حال البكاء بينه وبين الدعاء فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأاته منك وإن عفوت، وقال الفضيل أيضًا لشعيب بن حرب بالموسم: إن كنت تظن أنه شهد الموقف أحد شرًا مني ومنك فبئس ما ظننت^(١).

* دعا بعض العارفين بعرفة فقال: اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني^(٢).

* أخرج البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان يقال في أيام العشر بكل يوم ألف، ويوم عرفة عشرة آلاف يوم. يعني في الفضل^(٣).

* قال ابن المبارك رحمه الله: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم، وروي عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا دانقًا - يعني سدس درهم - أكان يردهم قالوا: لا. قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق^(٤).



(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ١٢٠).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٨٥).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٥/ ٣١٦)، (٣٤٨٨).

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٨٧).

٣٩. ثمرات وفوائد الذهاب إلى المساجد

١. نوال أجر الصلّة عند الخروج إلى المساجد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا تُوبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأَتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ»^(١). وفي لفظ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ يَرْعَى الصَّلَاةَ، كَتَبَ لَهُ كَاتِبَاهُ أَوْ كَاتِبُهُ، بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ يَرْعَى الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مَنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ»^(٢).

٢. سبب في تكفير الخطايا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى الْمَسْجِدَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي - يَعْنِي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ - مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»^(٣). وفي رواية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ

(١) مسلم (٦٠٢).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٧٤٤٠).

(٣) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩). (الجميع) الجماعة وهي في المسجد أفضل. (صلاته في بيته) منفردًا. (فأحسن) أسبغ الوضوء وأتى بسننه وآدابه. (حط) محى عنه. (تحبسه) تمنعه من الخروج من المسجد.



فَخُطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخُطْوَةٌ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا^(١). وفي رواية: قَالَ ﷺ: «إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ مَرَّ إِلَى الْمَسْجِدِ يَرْعَى الصَّلَاةَ، كَتَبَ لَهُ كَاتِبُهُ، - أَوْ كَاتِبَاهُ - بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ يَرْعَى لِلصَّلَاةِ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(٢). وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، كَالْقَانِتِ»^(٣) وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»^(٤).

٣. سَبَبٌ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(٥).

٤. سَبَبٌ فِي الْمَغْفِرَةِ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: حَضَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ الْمَوْتَ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا مَا أُحَدِّثُكُمْوه إِلَّا احْتِسَابًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

(١) (حم) (٦٥٩٩)، (٧٧٨٨)، (س) (٧٠٥)، (حب) (٢٠٣٩)، انظر صحيح الجامع: (٥٩١٢)،

صحيح الترغيب والترهيب: (٢٩٩)، صحيح موارد الظمان: (٣٥٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة (١٤٩٢)، انظر حديث رقم: (٤٣٤) في صحيح الجامع.

(٣) القانت: القائم للصلاة.

(٤) (حم) (١٧٤٩٥)، صحيح الجامع: (٤٣٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٩٨).

(٥) مسلم (٢٥١). (إسباغ الوضوء على المكاره) المكاره جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، والكراه بالضم والفتح المشقة، والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء. (فذلكم الرباط) أي الرباط المرغوب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة.

ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ الْيُمْنَى إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَسَنَةً، وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ الْيُسْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَيِّئَةً فَلْيَقْرَبْ أَحَدُكُمْ أَوْ لِيُعَدِّ فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضًا وَبَقِيَ بَعْضٌ صَلَّى مَا أَدْرَكَ وَأَتَمَّ مَا بَقِيَ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَلِكَ»^(١).

٥. نوال أجر الذهاب والإياب: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَوْ قُلْتَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظُّلُمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنِّلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»^(٢).

٦. باب من أبواب الصدقة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣).

٧. إكرام أهل المساجد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»^(٤).

(١) سنن أبي داود (٥٦٣)، انظر صحيح الجامع: (٤٤٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٠١).

(٢) مسلم (٦٦٣).

(٣) البخاري (٢٨٩١). (يحامله) يساعده في الركوب والحمل. (متاعه) هو كل ما ينتفع به. (دل الطريق) الدلالة عليه لمن يحتاج إليه ولا يعرفه.

(٤) البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).



٨. سبب في النور يوم القيامة: عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).
٩. الخوض في رحمة الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَشَّائُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ، أُولَئِكَ الْخَوَاضُونَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ»^(٢).
١٠. في ضمان الله: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكَفِيَ، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ»^(٣).
١١. اخفاء أجره عند الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ^(٤) لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»^(٥).
- من أقوال العلماء في الباب:

(١) (ت) (٢٢٣)، (د) (٥٦١)، (ج) (٧٨١)، صحيح الجامع: (٢٨٢٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣١٩)، (٤٢٥).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرئوط (٧٧٩)، وفيه راو متكلم فيه، أفاده المنذري.

(٣) (د) (٢٤٩٤)، (خد) (١٠٩٤)، (حب) (٤٩٩)، (ك) (٢٤٠٠).

(٤) (التَّهْجِيرُ): التَّبْكَيرُ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ الْهَرَوِيُّ: وَالْمُرَادُ: الْإِتْيَانُ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ، لِأَنَّ التَّهْجِيرَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْهَاجِرَةِ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحَرِّ نِصْفَ النَّهَارِ، وَهُوَ أَوَّلُ وَقْتِ الظُّهْرِ، وَإِلَى ذَلِكَ مَالُ الْمُصَنِّفِ. فتح الباري (٢/٤١٨).

(٥) (خ) (٥٩٠)، (م) (٤٣٧).

* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنَّ الْمَسَاجِدَ بَيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، تُضِيءُ لِأَهْلِهَا كَمَا تُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِهَا^(١).

* ولقد وعى هذا الأمر صحابة رسول الله ﷺ فاهتموا بذلك، واعتنى الخلفاء الراشدون بها فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ولاته أن يبنوا مسجداً جامعاً في مقر الإمارة، ويأمروا القبائل والقرى ببناء مساجد جماعة في أماكنهم. عن عثمان بن عطاء قال: لَمَّا فَتَحَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلد؛ كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة فشهدوا الجمعة^(٢).

* عن نافع، عن ابن عمر، قال: خَرَجَ عمر رضي الله عنه إلى حائطٍ له، فَرَجَعَ وَقَدْ صَلَّى النَّاسُ الْعَصْرَ، فَقَالَ: إِنَّمَا خَرَجْتُ إِلَى حَائِطِي، فَرَجَعْتُ، وَقَدْ صَلَّى النَّاسُ، حَائِطِي عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةً. قال ليث: إنما فاتته في الجماعة^(٣).

* كَانَ الصَّدِيق رضي الله عنه: يَقُولُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ: قَوْمُوا إِلَى نَارِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا فَاظْفُئُوهَا. وقال حاتم الأصم: فاتتني الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأنَّ مُصِيبَةَ الدِّينِ عِنْدَ النَّاسِ أَهْوَنُ مِنْ مُصِيبَةِ الدُّنْيَا. وكان السلف يُعْزُونَ أَنْفُسَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِذَا فَاتَهُمُ التَّكْبِيرُ الْأَوَّلُ، وَسَبْعًا إِذَا فَاتَتْهُمْ الْجُمُعَةُ^(٤).



(١) البيهقي: شعب الإيمان (٤/ ٣٨٠).

(٢) كنز العمال (٨/ ٣١٣-٣١٤).

(٣) مسند الفاروق للحافظ ابن كثير، تحقيق/ إمام علي إمام (١/ ١٦٢).

(٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٢/ ٢٧٦).

٤٠. ثمرات ملازمة المساجد

١. نوال ظل الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).
والثالث: الرجل المعلق قلبه في المساجد؛ فهو شديد الحب والتعلق بالمساجد، يتردد عليها، ويكثر مكثه فيها، مُلازمًا للجماعة والفرائض، ومُنْتَظِرًا للصلاة بعد الصلاة، كأن قلبه قنديل من قناديل المسجد.

٢. اعتياد المساجد علامة على الإيمان: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٢). فشهد تعالى بالإيمان لِعُمَارِ الْمَسَاجِدِ^(٣).

٣. الله تعالى يفرح بأهل المساجد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشَّشَ^(٤) اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ»^(٥). أي: اعتاد الذهاب إلى المساجد،

(١) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) [التوبة: ١٨].

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ١١٩).

(٤) البش: قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ١٣٠): فَرَحَ الصَّدِيقُ بِالصَّدِيقِ، وَاللُّطْفُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ. بِشَاشَةِ الْلِقَاءِ: الْفَرَحُ بِالْمَرْءِ، وَالْإِنْبَاطُ إِلَيْهِ، وَالْأَنْسُ بِهِ، وَاللُّطْفُ إِلَيْهِ.

(٥) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (٨٠٠)، انظر صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٣٢٧)، وقال

وجعل المسجد كالوطن له يألفه ويقيم به ويرتاح إليه، «إِلَّا تَبَشِّشَ اللَّهُ لَهُ»، أي: فرح به وأقبل عليه وتلقاه ببره وإكرامه، والبشاشة في حق الله تعالى صفة فعلية ثابتة لله ﷻ، ومعناه قريب من معنى الفرح، وهو وصف كمال لا نقص فيه، «كما يَبَشِّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بَغَائِبِهِمْ»، والتبشيش بالإنسان: المسرة به والإقبال عليه، وهو من معنى البشاشة لا من لفظها، وهذا من الترغيب في إتيان المساجد، ومن حبس نفسه في المساجد على الطاعة فهو مُرابط لها في سبيل الله، مخالف لهواها، وهذا من أفضل أنواع الصبر والجهد؛ ولذلك كان حرياً بهذا الفضل. وفي الحديث: تبشير معتاد المساجد ومستوطنها للصلاة والذكر.

٤. دعاء الملائكة للملازمين المساجد: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انتَظَرَ الصَّلَاةَ»^(١). تعلق القلب بالصلاة وانتظارها دليل على صدق الإيمان بالله تعالى، وطريق لنيل الأجر العظيم من الله ﷻ، وفي هذا الحديث يبين رسول الله ﷺ فضل انتظار الصلاة في المساجد، فيخبر ﷺ أن الملائكة الكرام تستغفر للعبد المؤمن ما دام في مكانه الذي صلى فيه، أو المكان المعد للصلاة، فيدخل في هذا المعنى المصلون، والمتنظرون

الأرناؤوط في (حب): إسناده صحيح. (توطن) أي التزم حضورها. (تبشيش) أصله فرح الصديق بمجيء الصديق واللفظ في المسألة والإقبال. والمراد هنا تلقيه ببره وتقريبه. (١) البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).



لِلصَّلَاةِ، وَيَشْمَلُ هَذَا الْأَجْرُ الْمَرْأَةَ لَوْ صَلَّتْ فِي مَسْجِدِ بَيْتِهَا وَجَلَسَتْ فِيهِ تَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ إِذَا كَانَ يَحْبِسُهَا عَنْ قِيَامِهَا لِأَشْغَالِهَا أَنْتَظَارُ الصَّلَاةِ. وَهَذَا الثَّوَابُ مَشْرُوطٌ بِالْأَلَّا يُحْدِثَ الْمُتَنْظِرُ حَدَثًا فِي الْإِسْلَامِ، يَعْنِي مَا لَمْ يَعْصِ بِأَنْ يُؤْذِيَ أَحَدًا بَغِيَّةً، أَوْ سَبَابٍ، أَوْ نَحْوَهُ، وَقِيلَ: بِالْأَلَّا يُحْدِثُ حَدَثًا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَحْدَثَ حَدَثًا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ فَإِنَّهُ يُبْطِلُ الصَّلَاةَ، فَيَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ فِي صَلَاةٍ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ فِي اسْتِغْفَارِهَا لِلْعَبْدِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ: أَنَّ الْمَغْفِرَةَ سَتَرُ الذُّنُوبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهَا، وَالرَّحْمَةُ إِفَاضَةُ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ. وَبَيَّنَ ﷺ أَجْرًا آخَرَ لِمَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، فَذَكَرَ أَنَّ لَهُ أَجْرَ الْمُصَلِّي وَثَوَابَهُ طِيلَةَ الْمُدَّةِ الَّتِي تَحْبِسُهُ فِيهَا الصَّلَاةُ، مَا دَامَ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ، وَمُقْتَضَاهُ أَنَّهُ إِذَا صَرَفَ نِيَّتَهُ عَنْ ذَلِكَ صَارَ آخِرُ انْقِطَاعِ عَنْهُ الثَّوَابُ الْمَذْكُورُ، وَكَذَا إِذَا شَارَكَ نِيَّةَ الْإِنْتِظَارِ أَمْرٌ آخَرُ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ الْجُلُوسِ فِي الْمُصَلَّى عَلَى طَهَارَةٍ. وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى حَبْسِ النَّفْسِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ.

٥. سَبَبٌ فِي مَحْوِ الْخَطَايَا وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(١).

(١) مسلم (٢٥١). (إسباغ الوضوء على المكاره) المكاره جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، والمكره بالضم والفتح المشقة، والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء. (فذلكم الرباط) أي الرباط المرغوب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة.

والأمر الثاني هو الإكثار من الذهاب إلى المساجد لإدراك الجماعات، والأمر الثالث: انتظار الصلاة بعد الصلاة، بالبقاء في المسجد وانتظار الفرائض بها، لا يقطعها منها إلا الحاجة، ثم بين ﷺ أن هذه الأعمال الثلاثة هي: الرباط، أي: يكون صاحبها في منزلة من يربط في سبيل الله تعالى، والمربط في سبيل الله تعالى هو الذي يلازم ثغور وحدود بلاد المسلمين مع بلاد الكفار لحراستها، وهذا من أعظم الأعمال عند الله ﷻ. فسمى النبي ﷺ هذه الأعمال مربية؛ لكونها تسد طرق الشيطان على النفس، وتقهر الهوى، وتمنع النفس من قبول الوسوس، فيغلب بها حزب الله جنود الشيطان، وذلك من الجهاد؛ فكانت بمنزلة الرباط.

٦. جوائز لمن أحب ولازم المسجد: عن أبي عثمان قال: كتب سلمان إلى أبي الدرداء يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقى، وقد ضمن الله عز وجل لمن كان المسجد بيوته الروح، والرحمة، والجواز على الصراط»^(١). وفي رواية: عن أبي عثمان قال: كتب سلمان إلى أبي الدرداء: يا أخي، عليك بالمسجد فالزمه فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقى»^(٢). وفي رواية: «المسجد بيت كل مؤمن»^(٣).

(١) المعجم الكبير للطبراني (٦١٤٣)، انظر الصحيحة: (٧١٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٠).

(٢) القضاعي في مسند الشهاب (٧٨/١) حديث (٧٣)، (طب) (٦١٤٣)، انظر الصحيحة: (٧١٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٠).

(٣) (حل) (١٧٦/٦)، انظر صحيح الجامع: (٦٧٠٢).



٧. الملائكة جلساء لأهل المساجد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْلَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرَضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ»^(١). أي: رجالاً يلازمونها لزوم الأوتاد لمحالها. «الملائكة جلساؤهم»: الجملة صفة الأوتاد، وفيه ترغيب في طول الجلوس في المساجد، وتعميرها بالعبادة.

٨. أهل المساجد في ضمان الله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «سِتُّ مَجَالِسَ الْمُؤْمِنِ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا: فِي مَسْجِدٍ جَمَاعَةٍ، وَعِنْدَ مَرِيضٍ، أَوْ فِي جَنَازَتِهِ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ وَيُوقِّرُهُ»^(٢).

٩. سبب في المغفرة: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: حَضَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ الْمَوْتَ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا مَا أَحَدْتُكُمْوهُ إِلَّا احْتِسَابًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ الْيُمْنَى إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَسَنَةً، وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ الْيُسْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَيِّئَةً فَلْيُقَرِّبْ أَحَدُكُمْ أَوْ لِيُبْعِدْ فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضًا وَبَقِيَ بَعْضٌ صَلَّى مَا أَدْرَكَ وَأَتَمَّ مَا بَقِيَ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَلِكَ»^(٣). في الحديث: بيان فضل إحسان الوضوء، وبيان فضل صلاة الجماعة.

(١) (حم) (٩٤٢٤)، (ك) (٣٥٠٧)، انظر الصَّحِيحَة: (٣٤٠١)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٣٢٩).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٧١)، قال الهيثمي: رجاله موثقون، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٨) (حسن لغيره).

(٣) سنن أبي داود (٥٦٣)، انظر صَحِيح الْجَامِعِ: (٤٤٠)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٣٠١).

١٠. نوال ثناء النبي ﷺ: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّى الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ»^(١).

١١. نوال جيرة الله ﷻ يوم القيامة: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ جِيرَانِي؟، أَيُّنَ جِيرَانِي؟، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِرَكَ؟، فَيَقُولُ: أَيُّنَ عُمَّارِ الْمَسَاجِدِ؟»^(٢). هؤلاء هم عمَّار المساجد، الذين ارتقوا إلى مقام مجاورة الرب سبحانه.

من أقوال العلماء في الباب:

* كان الربيع بن خثيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كثرة حبه وملازمته للمسجد يقول: إني لأنس بصوت عصفور المسجد عن أنسي بزواجتي.

* وها هو مفتي الحرم شيخ الإسلام أبو محمد عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عنه ابنُ جُرَيْجٍ: كَانَ الْمَسْجِدُ فِرَاشَ عَطَاءٍ عَشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَلَاةً^(٣).

* وثابت البناني الإمام الرباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قال عنه أستاذه وشيخه أنس بن مَالِكٍ: إِنَّ لِلْخَيْرِ مَفَاتِيحَ وَإِنَّ ثَابِتًا مِفْتَاحَ مِنْ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ^(٤)، قال عنه ابنُ شَوْذَبٍ: رَبَّمَا مَشِينَا مَعَ ثَابِتٍ فَإِذَا عُدْنَا مَرِيضًا بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَيْتِ

(١) مسلم (٢٥٣١).

(٢) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (١/ ٢٥١) حديث (١٢٦)، الصَّحِيحَةُ: (٢٧٢٨).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨٤/ ٥).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣١٨/ ٢).



المَرِيضُ فَرَكَعَ فِيهِ ثُمَّ يَأْتِي الْمَرِيضُ^(١).

* والزاهد القدوة كرز بن وبرة رَحِمَهُ اللهُ قِيلَ: كَانَ كُرْزٌ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا ابْتَنَى فِيهِ مَسْجِدًا، فَيَصَلِّي فِيهِ^(٢).

* والإمام الكبير مقرئ العصر أبو بكر عاصم بن أبي النجود رَحِمَهُ اللهُ قَالَ عَنْهُ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ: كَانَ عَاصِمٌ إِذَا صَلَّى، يَنْتَصِبُ كَأَنَّهُ عُوْدٌ، وَكَانَ يَكُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى الْعَصْرِ، وَكَانَ عَابِدًا، خَيْرًا، يُصَلِّي أَبَدًا، رَبَّمَا أَتَى حَاجَةً، فَإِذَا رَأَى مَسْجِدًا، قَالَ: مِلْ بِنَا، فَإِنَّ حَاجَتَنَا لَا تَقُوتُ. ثُمَّ يَدْخُلُ، فَيَصَلِّي^(٣).

* وسفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ عَنْهُ ابْنُ وَهْبٍ: رَأَيْتُ الثَّوْرِيَّ فِي الْحَرَمِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ صَلَّى، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَةً، فَلَمْ يَرْفَعْ حَتَّى نُودِيَ بِالْعِشَاءِ^(٤)، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْلِ: رَأَيْتُ الثَّوْرِيَّ سَاجِدًا، فَطَفْتُ سَبْعَةَ أَسَابِيْعَ^(٥) قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ^(٦).

* قَالَ رُبَيْعَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللهُ: الْمَرْوَةُ فِي الْحَضَرِ؛ الْإِدْمَانُ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٧). وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ: وَأَمَّا الَّتِي فِي الْحَضَرِ، فَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَلِزُومِ الْمَسَاجِدِ، وَعَفَافِ الْفَرَجِ^(٨).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٢١).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ٨٥).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ٢٥٩).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٢٦٦).

(٥) الأسبوع هنا: الطواف الكامل حول الكعبة مرة واحدة، فالمراد أنه طاف: سبعا.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٢٧٧).

(٧) ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٩٤).

(٨) ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١٣٩).

* أبو المعتمر سليمان التيمي رحمته الله: قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: مِنْ الْعِبَادِ الْمُجْتَهِدِينَ، كَثِيرُ الْحَدِيثِ، ثِقَةٌ، يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ بِوُضُوءٍ عِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَكَانَ هُوَ وَابْنُهُ يَدُورَانِ بِاللَّيْلِ فِي الْمَسَاجِدِ، فَيُصَلِّيَانِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَرَّةً، وَفِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَرَّةً، حَتَّى يُصْبِحَا^(١).

* مدين بن أحمد بن محمد الحميري المغربي المالكي رحمته الله: قَالَ عَنْهُ السَّخَاوِيُّ فِي الضُّوءِ اللَّامِعِ: نَعِمَ الشَّيْخُ كَانَ جَلَالَةً وَسَمْتًا وَوَقَارًا وَبِهَاءً وَعَقْلًا وَمِرَاقَبَةً وَمَلَازِمَةً لِلطَّاعَةِ، وَاتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ وَجَمْعًا لِلنَّاسِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاقْتِدَارًا عَلَى الْعِبَادَةِ... وَقَدْ مَكَثَ دَهْرًا إِلَى حِينٍ وَفَاتَهُ لَا تَفُوتُهُ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَيَمُكِّثُ فِي مُصَلَّاهُ وَهُوَ عَلَى طَهَارَةٍ إِلَى أَنْ يَرْكَعَ الضُّحَى، وَرُبَّمَا جَلَسَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٢).

* الإمام المحدث مسند عصره أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم رحمته الله: قَالَ عَنْهُ الْحَاكِمُ: بَلَغَنِي أَنَّهُ أَذِنَ سَبْعِينَ سَنَةً فِي مَسْجِدِهِ^(٣).

* شيخ الإسلام حماد بن سلمة رحمته الله: قَالَ يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ: مَاتَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يُصَلِّي^(٤). رَحِمَ اللَّهُ مَنْ كَانَتْ خَاتِمَتُهُ فِي الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى حَالٍ لَقِيَ اللَّهَ عَلَيْهَا.

* محمد بن أحمد بن سلامة الشافعي البصير رحمته الله الشهير بسبيويه، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ عَزْبًا لَا يَخْرُجُ مِنْ جَامِعِ الْأَزْهَرِ إِلَّا إِذَا تَعَطَّلَتْ فَسْقِيَّة

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، طبعة المعرفة، تحقيق/ فاخوري وقلعه جي (٣/ ٢٩٦).

(٢) ينظر: السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ١٥١).

(٣) السمعاني: الأنساب (١/ ٢٩٠).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٥٠).



الْجَامِعُ^(١) فَيُخْرِجُ لِأَقْرَبِ مَكَانٍ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ عَنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ بِالْأَزْهَرِ، وَيَقُومُ فِيهِ مِنَ النِّصْفِ الْآخِرِ، وَلَا يَزَالُ يَتَهَجَّدُ حَتَّى يُصَلِّيَ الصُّبْحَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَبَعْدَهَا يَقْرَأُ النَّاسَ عَلَيْهِ فِي الْقِرَاءَاتِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَيَذْهَبُ حِينَئِذٍ إِلَى فُسْقِيَةِ الْجَامِعِ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيَجْلِسُ لِلتَّدْرِيسِ إِلَى قَبِيلِ الظُّهْرِ، هَذَا دَأْبُهُ طَوْلَ عَمْرِهِ إِلَى أَنْ نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ^(٢).



(١) فسقية الجامع: حوض الماء المُعَدُّ للسُّقْيَا والوضوء.

(٢) ابن فضل الله بن محب الدين الحموي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/٣٧٥).

٤١. ثمرات صلاة الجماعة

١. مضاعفة الأجر: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَاةٍ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ»^(١). وفي رواية: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ»^(٢). تَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِالصَّلَاةِ وانتظارها دليلٌ على صِدْقِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَطَرِيقٌ لِنَيْلِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

٢. سببٌ في مغفرة الذنوب: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»^(٣). فَإِذَا فَعَلَ الْمُسْلِمُ ذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ وَهَذِهِ الصَّلَاةُ سَبَبًا لِتَكْفِيرِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ لَذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ مِنَ الصَّغَائِرِ، أَمَّا الْكِبَائِرُ فَأَمْرُهَا إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ فَضْلٌ عَامٌّ وَلَيْسَ مُخْتَصًّا بِوَقْتٍ مُحَدَّدٍ، بَلْ هُوَ مُمْتَدُّ الدَّهْرِ كُلِّهِ، أَيِ: الْعَامِ كُلِّهِ، أَوْ مُمْتَدُّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ الْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ

(١) البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) مسلم (٦٥٠).

(٣) مسلم (٢٢٨).



صغائر الذنوب. وفيه: بيان فضل الوضوء. وفيه: بيان فضل الخشوع في الصلاة.
٣. نوال رضا الملك ﷺ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُعْجِبُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمِيعِ»^(١). أي: ليرضى من صلاة الرجل مع جماعة المسلمين.

٤. نوال أجر قيام الليل كله: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَعَدَ وَحْدَهُ، فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ، يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(٢). أجره كأجر من اشتغل بالعبادة من أول الليل إلى نصفه وأحياه بالصلاة والذكر، «وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» فأجره كأجر من اشتغل بالعبادة الليل كله، وأحياه بالصلاة والذكر، فأجر صلاة الفجر في جماعة ضعف صلاة العشاء في جماعة، وهذا يدل على أن قيام الصبح أفضل من قيام العشاء؛ لأن الفجر أشق وأصعب على النفس، وأشد على الشيطان؛ فالذي دخل في النوم ثم قام أصعب ممن أراد الدخول في النوم. أو المعنى: أن كلا منهما يقوم مقام نصف ليلة، وإن اجتماعهما يقوم مقام ليلة، فمن صلى العشاء والفجر في جماعة كأنما صلى الليل، كما في رواية أبي داود والترمذي: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجَرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ». وعلى كل؛ ففي هذا حرص وترغيب في المحافظة على صلاتي الصبح والعشاء في جماعة. ولعل تخصيصهما بهذا الفضل للمشقة الموجودة في حضور

(١) (حم) (٥١١٢)، صحيح الجامع: (١٨٢٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (٤٠٦).

(٢) مسلم (٦٥٦).

المساجِدَ فيهما؛ من الظُّلْمَةِ، وكونٍ وَقْتَهُمَا وقتَ راحةٍ، أو غَلَبَةِ نومٍ، أو خَلْوَةٍ بأهاليهم. وفي الحديث: بَيَانُ اخْتِصَاصِ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ بِفَضْلِ لَا يُشَارِكُهَا فِيهِ غَيْرُهَا.

٥. نوال البراءة من النفاق: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ، فَقَالَ: «أَشَاهِدُ فُلَانٌ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «أَشَاهِدُ فُلَانٌ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَا تَتِمُّوهُمَا، وَلَوْ حَبَوَّا عَلَى الرُّكْبِ وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لَا تَبْدَرْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

٦. الكتابة في وفد الرحمن: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ كُتِبَتْ صَلَاتُهُ يَوْمَئِذٍ فِي صَلَاةِ الْأَبْرَارِ، وَكُتِبَ فِي وَفْدِ الرَّحْمَنِ»^(٢).

٧. الله تعالى يُباهي الجماعة بالملائكة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ^(٣)، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْرِعًا، قَدْ حَفَزَهُ النَّفْسُ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ

(١) سنن أبي داود (٥٥٤)، تحقيق الألباني: حسن.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٧٧٦٦)، صحيح الترغيب - الثانية - (٤١٦).

(٣) أي: بَقِيَ مَنْ بَقِيَ.



قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى^(١). «فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ»، أي: رَجَعَ البعض إلى بُيُوتِهِمْ، «وَعَقَبَ مَنْ عَقَبَ»، أي: وانتظر البعض في المسجد بعد انتهاء الصَّلَاة؛ انتظارًا لصلاة العشاء، «فجاء رسول الله ﷺ مُسْرِعًا قد حفزه النَّفْسُ»، أي: أعجله النَّفْسُ وتتابعَت أنفاسه، «وقد حَسَرَ عن رُكْبَتَيْهِ»، أي: كَشَفَ الثَّوبَ ورفعَ عن رُكْبَتَيْهِ، فظَهَرَتَا؛ وذلك لِسُرْعَتِهِ في العَدُوِّ والمشْيِ؛ لِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ بُشْرَى لَهُمْ، «فقال: أَبْشِرُوا؛ هذا رَبُّكُمْ قد فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»، أي: يُفَاخِرُ بِكُمْ الْمَلَائِكَةُ، «يقولُ رَبُّ الْعِزَّةِ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى» أي: إِنَّ انْتِظَارَهُمْ لِلْفَرِيضَةِ بعدَ الْفَرِيضَةِ في الْمَسْجِدِ سَبَبٌ لِمُبَاهَاةِ اللَّهِ وَمُفَاخَرَتِهِ بِهِمْ لِمَلَائِكَتِهِ، وهذا دليل على فضل انتظار الصَّلَاة بعد الصَّلَاة.. فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاةً ثُمَّ جَلَسَ يَنْتَظِرُ أُخْرَى، ودَاوَمَ على ذلك فَقَدْ اسْتَعْرَقَ عُمُرَهُ بِالطَّاعَةِ، وكان ذلك بمنزلة الرِّبَاطِ في سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ.

٨. نوال شرف تلبية نداء الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّ: وَكُونُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْ أَحْصَى ذَلِكَ وَأَكْمَلَهُ الصَّلَاةَ. وَقَدْ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ الْجَمَاعَةِ^(٣).

٩. سبب في استبعاد وطرْد الشَّيْطَانِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ

(١) (حم) (٦٨٦٠)، (جدة) (٨٠١)، الصحيحة: (٦٦١)، صحيح الجامع (٣٦)، وصحيح

الترغيب والترهيب: (٤٤٥).

(٢) [البقرة: ٤٣].

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/٢٤٦).

الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبَ الْقَاصِيَةَ^(١). أي: ثلاثة من الأشخاص المسلمين الرجال؛ لأنَّ وجوب الجماعة خاصٌّ بهم، دون النساء، وتقييده بالثلاثة يفيد أنَّ الأكثر من ذلك لا بدَّ لهم من الجماعة بالأوَّلَى؛ نظرًا إلى أنَّ أقلَّ أهل القرية يكونون كذلك غالبًا؛ ولأنَّه أقلُّ صُور الكمال في الجماعة، وإنَّ كانت تحصلُ باثنين، وقوله: «**في قرية**» هي الضيعة، وكلُّ مكانٍ اتَّصلت به الأبنية، واتَّخذ قرارًا للإقامة، «**ولا بدو**»: أي: ولا في بادية الصحراء، «**لا تقام** فيهم الصلاة»، أي: صلاة الجماعة، يعني: أنَّهم لا يؤدُّون الصلاة في الجماعة «**إلا قد استحوذ عليهم الشيطان**»، أي: استولى عليهم وغلَّبهم، وحوَّلهم إليه، فينسَوْنَ ذكرَ الله تعالى، فيتركون الشريعة، والعمل بها. ثمَّ أرشد النبي ﷺ أمته بقوله: «**فعليكم بالجماعة**»، أي: الزموا صلاة الجماعة، إذا كان الأمر كذلك؛ حتَّى لا يتسلَّط عليكم الشيطان، ثمَّ علَّل ذلك بقوله: «**فإنَّما يأكل الذَّنْبُ القاصية**»، أي: الشاة البعيدة من الأغنام؛ لبعدها عن راعيها، والمراد: أنَّ الشيطان يتسلَّط على تارك الجماعة الذي اعتاد الصلاة منفردًا ولا يصلي مع الجماعة، كما يتسلَّط الذَّنْبُ على الشاة المنفردة عن قطع الغنم. وفي الحديث: حثُّ المسلمين على التَّجمُّع على الخير في الصلاة وغيرها. وفيه: أنَّ المنفرد عن الجماعة يكون أقرب إلى تسلُّط الشياطين والمغوين عليه.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ

(١) (س) (٨٤٧)، (د) (٥٤٧)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٤٢٧)، المشكاة: (١٠٦٧)، صحيح الجامع (٥٧٠١).



الْهَدَى، وَإِنَّهِنَّ مَنْ سَنَّ الْهَدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بَيوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحَسِّنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَقَامَ فِي الصَّفِّ^(١).

* قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً^(٢).

* كَانَ الْأَسْوَدُ رضي الله عنه إِذَا فَاتَتْهُ الْجَمَاعَةُ يَتَّبِعُ الْمَسَاجِدَ حَتَّى يَصِيبَ جَمَاعَةً.
* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، أَسَانَا بِهِ الظَّنَّ^(٣).

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه، قَالَ: مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلَأَ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً، وَعَنْهُ قَالَ: مَا فَاتَنِي الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَالَ: مَا أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: مَا دَخَلَ عَلَيَّ وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَهْبَتَهَا، وَلَا دَخَلَ عَلَيَّ قَضَاءُ فَرَضٍ إِلَّا وَأَنَا إِلَيْهِ مُشْتَاقٌ^(٤).

(١) مسلم (٦٥٤).

(٢) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١/١٢٩)، (٣٢٨)، انظر المشكاة: (١٠٨٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (٤٢٣).

(٣) (هق) (٤٧٣٣)، (حب) (٢٠٩٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (٤١٧)، صحيح موارد الظمان: (٣٦٤).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/١٦٢ - ١٦٣).

* قَالَ رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ أَكُونَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا^(١).

* قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَحَدِّثًا عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُ لَمْ يَفْتَهُ الزَّوَالُ فِي الْمَسْجِدِ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٢).

* لَمَّا أَصِيبَ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّلْلِ، أَي: بَعْدَمَا سَقَطَ شِقُّهُ كَانَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَى مَسْجِدِ قَوْمِهِ، وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ: يَا أَبَا يَزِيدَ لَقَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَكَ لَوْ صَلَّيْتَ فِي بَيْتِكَ!! فَيَقُولُ: إِنَّهُ كَمَا تَقُولُونَ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يُنَادِي: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، فَمَنْ سَمِعَهُ مِنْكُمْ يُنَادِي حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ فَلْيُجِبْهُ وَلَوْ زَحَفًا وَلَوْ حَبْوًا^(٣). والرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هَذَا - هُوَ الَّذِي كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا أَبَا يَزِيدَ: لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَحَبِّكَ وَلَأَوْسَعُ لَكَ إِلَى جَنْبِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾^(٤).^(٥)

* قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَإِنَّمَا كَانَ مِلَازِمَةُ الْمَسْجِدِ مَكْفَرًا لِلذُّنُوبِ لِأَنَّ فِيهِ مَجَاهِدَةً لِلنَّفْسِ، وَكَفًّا لَهَا عَنْ أَهْوَائِهَا فَإِنَّهَا لَا تَمِيلُ إِلَّا إِلَى الْإِنْتِشَارِ فِي الْأَرْضِ لِبَتْغَاءِ الْكَسْبِ، أَوْ لِمَجَالَسَةِ النَّاسِ وَمَحَادَثَتِهِمْ، أَوْ لِلتَّنَزُّهِ فِي الدَّورِ الْأَنْيَقَةِ، وَالْمَسَاكِنِ الْحَسَنَةِ، وَمَوَاطِنِ النَّزْهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَمَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْمَسَاجِدِ

(١) البيهقي: شعب الإيمان (٣٧٢/٤).

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (٣/٣٦٦).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل، ت يحيى محمد سوس (١/٥٦٦)، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/١١٣).

(٤) [الحج: ٣٤].

(٥) ابن الجوزي: صفة الصفوة (٢/٣٤).



على الطاعة فهو مرابط لها في سبيل الله، مُخالف لهواها، وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد.

* قَالَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ الْأَعْمَشُ قَرِيبًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ تَقُتْهُ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ قَرِيبًا مِنْ سِتِّينَ، فَمَا رَأَيْتُهُ يَقْضِي رَكْعَةً^(١).

* قَالَ الشَّيرَازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَلَمْ تَرَوْنِي فِي الصَّفِّ، فَاطْلُبُونِي فِي الْمَقْبَرَةِ. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا أَنْ يَفْرَحَ بِهِمُ الرَّحْمَنُ، وَأَنْ يَبْشَرَ لَهُمْ، وَيَكْرِمَهُمْ، وَيَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، وَيَتَلَقَّاهُمْ بِبِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ.

* **قِصَّةٌ لَا تُنْسَى:** سَجَّلَ المؤرخ التركي: عثمان نزار، في كتاب: حديقة السلاطين: أَنَّ السلطان العثماني بايزيد، الملقَّب بـ (الصاعقة)، فاتح بلاد (البلغار) و(البوسنة) و(سلانيك) و(ألبانيا)، ذلك السلطان سَجَّلَ انتصارًا ساحقًا على الجيوش الصليبية التي دعا إلى حشدِها البابا بونيفاس التاسع، لطرد المسلمين من أوروبا، والتي اشتركت فيها خمس عشرة دولة أوروبية؛ كانت إنجلترا، وفرنسا، والمجر، من بينها؛ وذلك في المعركة التاريخية المشهورة (نيكوبوليس) سنة ١٣٩٦م، هذا السلطان الفاتح حضر للإدلاء بشهادة في أمر من الأمور أمام القاضي، والعالم المعروف شمس الدين فناري، دخل السلطان المحكمة، ووقف أمام القاضي، وقد عقد يديه أمامه كأَيِّ شَاهِدٍ، رفع القاضي بصره إلى السلطان، وأخذ يتطلع إليه بنظراتٍ حادةٍ قبل أن يقول له: إِنَّ شَهَادَتَكَ لَا يُمْكِنُ قَبُولُهَا؛ لِأَنَّكَ لَا تُصَلِّيُّ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَالشَّخْصُ الَّذِي لَا يُؤَدِّي صَلَاتَهُ جَمَاعَةً دُونَ عَذْرِ شَرْعِيٍّ يُمْكِنُ أَنْ يَكْذِبَ فِي شَهَادَتِهِ!! تَسْمَرُ الْحَاضِرُونَ فِي

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٤٩).

أماكنهم؛ وقد أمسكوا بأنفاسهم ينتظرون أن يطير رأس القاضي بإشارة واحدة من السلطان!! لكن السلطان لم يقل شيئاً، بل استدار وخرج من المحكمة بكل هدوء! أصدر السلطان في اليوم نفسه أمراً ببناء جامع ملاصق لقصره، وعندما تم تشييد الجامع، بدأ السلطان يؤدي صلواته في جماعة^(١).



(١) بشريات السّلامة من أهوال القيامة (ص: ٧٥)، نقلاً عن: روائع من التاريخ العثماني، لأورخان محمد علي.

٤٢. ثمرات إماطة الأذى عن الطريق

١. شعبة من شعب الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). وفيه الحث على دفع الأذى عن المسلمين.

٢. من محاسن أعمال الأمة الإسلامية: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ»^(٢).

٣. من الأعمال النافعة: عَنْ أَبِي بَرَزَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْتَفِعَ بِهِ، قَالَ: «اعْزِلِ الْأَذَى، عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»^(٣). وفيه حرص الصحابة على القيام بالأعمال النافعة.

٤. سبب لدخول الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ شَجَرَةَ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَطَعَهَا، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) مسلم (٣٥). (إماطة الأذى) أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذى كل ما يؤذى من حجر أو مدر أو شوك أو غيره.

(٢) مسلم (٥٥٣).

(٣) مسلم (٢٦١٨).

(٤) مسلم (١٩١٤).

«مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْحِثَنَّ هَذَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

٥. يُعَدُّ مِنْ بَابِ الصَّدَقَاتِ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيْنَ أَتَصَدَّقُ وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ؟ قَالَ: «لِأَنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبِيرَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعَزُّلُ الشُّوْكَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعِظَمِ وَالْحَجَرِ، وَتَهْدِي الْأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الْأَصَمَّ وَالْأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهُ، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَكَ فِي جَمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ...»^(٢).

ولفظ البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣). «وَيَعَزُّلُ الشُّوْكَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَالْعِظَمَ وَالْحَجَرَ»، وهذا يكون بإبعاد كل ما يؤذي الناس في طريقهم من حجر أو شوك أو غيره.. وتسمية كل هذه الأعمال صَدَقَةً يَحْتَمِلُ أَنْ لَهَا أَجْرًا، كما أَنَّ لِصَدَقَةِ الْإِنْفَاقِ مِنَ الْمَالِ أَجْرًا، وَأَنَّ هَذِهِ الطَّاعَاتِ تُمَازِلُ الصَّدَقَاتِ فِي الْأَجُورِ.

(١) مسلم (١٩١٤).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢١٤٨٤).

(٣) البخاري (٢٩٨٩).



٦. **يُكْتَبُ لَكَ بِهِ حَسَنَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ:** عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يُؤْذِيهِمْ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ حَسَنَةً، وَمَنْ كَتَبَ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً، أَدْخَلَهُ بِهَا الْجَنَّةَ»^(١). قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ: كُنْتُ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمَزْنِيِّ، فَأَمَاطَ أَدَى عَنِ الطَّرِيقِ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَبَادَرْتُهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ شَيْئًا فَصَنَعْتُهُ، قَالَ: أَحَسَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَمَاطَ أَدَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ تَقَبَّلَتْ لَهُ حَسَنَةً دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

٧. **سَبَبٌ فِي غَفْرَانِ الذُّنُوبِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»^(٣). فَوَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ يُؤْذِي النَّاسَ، سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْغُصْنُ فِي الشَّجَرَةِ مِنْ فَوْقَ يُؤْذِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رُؤُوسِهِمْ، أَوْ مِنْ أَسْفَلٍ يُؤْذِيهِمْ مِنْ جِهَةِ أَرْجُلِهِمْ، فَأَزَالَهُ لِيَكْفَ أَذَاهُ عَنْهُمْ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنْ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ عَلَى إِزَالَتِهِ الشَّوْكَ مِنَ الطَّرِيقِ.

من أقوال العلماء في الباب:

* قال المهلب رحمته الله: إمطة الأذى وكل ما يؤذي الناس في الطرق مأجور عليه، وفيه: أن قليل الأجر قد يغفر الله به كثير الذنوب^(٤).

(١) (طس) (٣٢)، (حم) (٢٧٥١٩)، انظر الصَّحِيحَة: (٢٣٠٦).

(٢) الأدب المفرد (٥٩٣).

(٣) البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦٠٠/٦).

* قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ الْأَبْرَارِ: هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ الذَّرَّ وَلَا يَرْضَوْنَ الشَّرَّ^(١).

* عَنْ ابْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرَةَ، قَالَ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ لِأَعْلَمَكُمْ سُنَنَكُمْ وَأَنْظِفَ لَكُمْ طُرُقَكُمْ^(٢).

* كَانَ مُعَاذٌ يَمْشِي وَرَجُلٌ مَعَهُ فَرَعَ حَجْرًا مِنَ الطَّرِيقِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ رَفَعَ حَجْرًا مِنَ الطَّرِيقِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

* قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ» هِيَ جَمْعُ مَلْعَنَةٍ، وَهِيَ الْفَعْلَةُ الَّتِي يُلْعَنُ بِهَا فَاعِلُهَا، كَأَنَّهَا مَظْنَةٌ لِلْعَنِّ وَمَحَلٌّ لَهُ، وَهِيَ أَنْ يَتَغَوَّطَ الْإِنْسَانُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، أَوْ ظِلِّ الشَّجَرَةِ، أَوْ جَانِبِ النَّهْرِ، فَإِذَا مَرَّ بِهَا النَّاسُ لَعَنُوا فَاعِلُهَا. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ» أَيِ الْأَمْرَيْنِ الْجَالِبَيْنِ لِلْعَنِّ، الْبَاعِثَيْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلْعَنِّ مَنْ فَعَلَهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ^(٤).

* يُرَوَّى أَنَّ شَيْخًا كَانَ ذَا هَيْبَةٍ، يُجَالِسُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَقْبَلُ عَلَيْهِ وَيُكْرِمُهُ، وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ بَلَغَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ طَيَّنَ حَائِطَ دَارِهِ مِنْ خَارِجٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمَجْلِسِ، فَاسْتَنْكَرَ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (١/١٣٢)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢/٤٩٢)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم الأتوبي (٣٧/٢٤٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية بالهند (٨/٦٧٠)، (٢٦٤٤٣)، الأدب لابن أبي شيبة (ص: ٢٨٩).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/٤٩١)، رقم (١٠٦٦٠).

(٤) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٥٥).



الشيخ ذلك فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك عني حدث أحدثته؟ قال: نعم، طينت حائطك من خارج، قال: ولا يجوز؟ قال: لا؛ لأنك قد أخذت من طريق المسلمين أنملة. قال: فكيف أصنع؟ قال: إما أن تكشط ما طينته، وإما أن تهدم الحائط وتؤاخره إلى وراء مقدار أصبع، ثم تطينه من خارج. قال: فهدم الرجل الحائط وأخره أصبعاً ثم طينه من خارج، قال: فأقبل عليه أبو عبد الله كما كان^(١).



(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (١/ ٢٨٧).

٤٣. ثمرات وفضائل الإبتلاء بالأمراض

١. سبب في تكفير الخطايا: عن الزُّهري، قال: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُّهَا»^(١). للصَّبرِ على المَرَضِ والابتلاءاتِ ثوابٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ؛ وذلك أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِبْتِلَاءَاتِ كَفَّارَاتٍ لِدُنُوبِ الْمُؤْمِنِ وَرِفْعَةً لِدَرَجَاتِهِ. «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ»، وتَنكِيرُ كَلِمَةِ (مُصِيبَةٍ) يُفِيدُ الْعُمُومَ وَالشُّمُولَ؛ أَي: أَيُّ مُصِيبَةٍ، كَبِيرَةٍ كَانَتْ أَوْ صَغِيرَةٍ؛ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ، إِلَّا كَانَتْ تَكْفِيرًا لِدُنُوبِهِ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ تَفْصِيلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُصِيبُهُ، فَسَوَاءٌ كَانَتْ تَعَبًا، أَوْ هَمًّا، أَوْ غَمًّا، أَوْ حُزْنًا، فَمَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِلَّا وَبَرَّعَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَتَهُ، وَيَحُطُّ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَيُطَهِّرُهُ بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ شَوْكَةً تُصِيبُ الْعَبْدَ فَتَوَلَّمَهُ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهَا وَوَجَعِهَا احْتِسَابًا لِلَّهِ تَعَالَى دُونَ تَسْخِطٍ وَشَكْوَى لِأَحَدٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُكَفِّرُ بِهَا مِنَ خَطَايَا الْعَبْدِ تَفْضُّلاً وَتَكْرُمًا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عَبْدِهِ الْمُسْلِمِ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ بِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ بِأَقَلِّ ضَرَرٍ يُصِيبُهُمْ.

٢. إرادة الله بصاحبه خيراً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ»^(٢).

(١) البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٢) البخاري (٥٦٤٥) (يصب منه) يبتله بالمصائب ليظهره من الذنوب في الدنيا فيلقى الله تعالى نقيًا.



تَفَضَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ لِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بُشِّرَى عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ، وَتَعَزِيَّةٌ لَهُ فِيمَا أَصَابَهُ.. وَمَعْنَى «يُصَبُّ» بِالْكَسْرِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْدَرُ عَلَيْهِ الْمَصَائِبَ حَتَّى يَبْتَلِيَهُ بِهَا؛ أَيْصَبِرُ أَمْ يَضْجَرُ؟ وَمَعْنَى «يُصَبُّ مِنْهُ» بِالْفَتْحِ: أَنَّهُ يُنَالُ مِنْهُ.. وَالْمُصِيبَةُ: اسْمٌ لِكُلِّ مَكْرُوهٍ يَصِيبُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْمُصِيبَةُ خَيْرًا؛ لِمَا فِيهَا مِنَ اللِّجْوَاءِ إِلَى الْمَوْلَى ﷺ، وَلِمَا فِيهَا مِنْ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ أَوْ تَحْصِيلِ الْحَسَنَاتِ، أَوْ هُمَا جَمِيعًا. وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُسْلِمَ يُجْزَى بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَتَكُونُ لَهُ كَفَّارَةً؛ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْمَصَائِبِ وَلَا يَجْزَعَ؛ حَتَّى يَنَالَ الْفَضْلَ مِنَ اللَّهِ بِرَفْعِ دَرَجَاتِهِ وَتَكْفِيرِ ذُنُوبِهِ.

٣. سَبَبٌ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ، مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»^(١). أَيْ: كُلَّمَا كَثُرَ وَزَادَ الْبَلَاءُ زَادَتْ الْحَسَنَاتُ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ، ثُمَّ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَسْبَابَ الْبَلَاءِ، وَأَنَّهَا دَلِيلُ خَيْرٍ، إِنْ قُبِلَتْ بِالرِّضَا، فَقَالَ: «وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»، أَيْ: اخْتَبَرَهُمْ بِالْمِحْنِ وَالْمَصَائِبِ، «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا»، أَيْ: مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْبَلَايَا بِالرِّضَا، فَسَيَرْضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ، وَيَجْزِيهِ الْخَيْرَ وَالْأَجْرَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مَسْبُوقٌ بِرِضَا الْعَبْدِ، وَمُحَالٌّ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ عَنِ اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ رِضَا اللَّهِ عَنْهُ، وَمُحَالٌّ أَنْ يَحْصُلَ رِضَا اللَّهِ وَلَا يَحْصُلَ رِضَا الْعَبْدِ فِي الْآخِرَةِ.. «وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، أَيْ: مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْبَلَايَا بِعَدَمِ الرِّضَا؛ مِنْ كُرْهِ لَوْقُوعِهَا وَسَخَطِ، فَإِنَّهُ يُقَابَلُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا يَرْضَى عَنْهُ، وَلَهُ الْعِقَابُ فِي

(١) (ت) (٢٣٩٦)، (ج) (٤٠٣١)، (حم) (٢٣٦٧٢)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٢٨٥)، الصَّحِيحَةُ: (١٤٦).

الآخرة؛ وذلك أَنَّ المصائبَ والعِللَ والأمراضَ كفاراتٌ لأهل الإيمان، وعقوباتٌ يُمَحِّصُ اللهُ بها مَنْ شاءَ مِنْهُمْ في الدنيا؛ لِيَلْقَوْهُ مُطَهَّرِينَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ في الآخرة. وفي الحديث: الحثُّ على الصَّبْرِ والرضا إذا وقع البلاءُ.

٤. يرفع منزلة العبد: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يُلْغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يُبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُلْغَاهُ إِيَّاهَا»^(١). وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ - أَوْ الْمُؤْمِنَةِ - فِي جَسَدِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»^(٢). أي: لَا يَنْفَكُ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْبَلَاءِ فَيُظَلُّ مُبْتَلًى، وَيُظَلُّ الْبَلَاءُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ، «فِي نَفْسِهِ»، أي: فِي صِحَّتِهِ وَجَسَدِهِ، «وَوَلَدِهِ»، أي: فِي أَوْلَادِهِ مِنْ مَرَضٍ أَوْ وَفَاةٍ أَوْ عَقُوقٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، «وَمَالِهِ»، أي: مِنْ افْتِقَارٍ وَذَهَابٍ تِجَارَةٍ وَكَسَادٍ عَيْشٍ وَضِيقٍ فِي الرِّزْقِ، «حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٍ»، أي: حَتَّى يُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءِ كُلَّ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ حَتَّى إِذَا لَقِيَ اللَّهَ يَكُونُ قَدْ طَهَّرَ مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَيَكُونُ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وفي الحديث: فَضْلُ الْبَلَاءِ وَأَثَرُهُ فِي تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، وَبَيَانُ أَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

٥. سببٌ في نعمة الأمن والهداية: عَنْ سَخْبَرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، وَظَلِمَ فَغَفَرَ»، ثُمَّ سَكَتَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَهُ؟ قَالَ: «أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»^(٣).

(١) صحيح ابن حبان (٢٩٠٨)، صحيح الجامع (١٦٢٥)، الصحيحة (٢٥٩٩).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٩٨١١)، الصحيحة (٢٢٨٠)، المشكاة (١٥٦٧).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٦٦١٣). قال الحافظ ابن حجر: (١٠/١٠٩): أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.



٦. نوال الأجر كاملاً بلا عمل: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»^(١). فَإِنْ مَن كَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، مِنْ صَلَاةٍ تَطَوُّعٍ أَوْ صِيَامٍ تَطَوُّعٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، ثُمَّ سَافَرَ أَوْ مَرَضَ، فَمَنْعَهُ ذَلِكَ مِنْ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ الَّتِي كَانَ يَتَطَوَّعُ بِهَا؛ كُتِبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرُ الْعِبَادَةِ الَّتِي كَانَ يَفْعَلُهَا فِي حَالِ صِحَّتِهِ، وَحَالِ إِقَامَتِهِ. وَقِيلَ: تَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْفَرَائِضُ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ يَعْمَلَ الْمُسْلِمُ بِهَا وَهُوَ صَحِيحٌ إِذَا عَجَزَ عَنْ جُمْلَتِهَا، أَوْ بَعْضِهَا بِالْمَرَضِ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَا عَجَزَ عَنْهُ، حَتَّى صَلَاةُ الْجَالِسِ فِي الْفَرَضِ لِمَرَضِهِ، يَكُتَبُ لَهُ عَنْهَا أَجْرُ صَلَاةِ الْقَائِمِ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَضَّلَ الْعَمَلُ فِي حَالِ الْإِقَامَةِ وَالصَّحَّةِ؛ لِيَنَالَ الْإِنْسَانُ هَذَا الْأَجْرَ إِذَا سَافَرَ أَوْ مَرَضَ.

٧. طريق الأنبياء والمرسلين: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيَبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢). أَي: مَنْ أَثْقَلَ النَّاسِ ابْتِلَاءً وَأَشَدَّهُمْ مَصَائِبَ وَبَلَايَا؟ «الْأَنْبِيَاءُ»، أَي: أَشَدُّ النَّاسِ الَّذِينَ يُبْتَلَوْنَ وَأَثْقَلُهُمْ بَلَاءٌ وَمَصَائِبَ وَبَلَايَا هُمُ الْأَنْبِيَاءُ، «ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ»، أَي: ثُمَّ الصَّالِحُونَ فَالصَّالِحُونَ وَأَشْبَهُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ، «فَيَبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»، أَي: وَيَكُونُ الْبَلَاءُ عَلَى قَدْرِ دِينِ الْمَرْءِ قُوَّةً وَضَعْفًا، «فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ»، أَي: فَإِنْ كَانَ دِينُ الْمَرْءِ صُلْبًا قَوِيًّا، وَإِيمَانُهُ شَدِيدًا كَانَ

(١) البخاري (٢٩٩٦).

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٢٣٩٨)، صحيح الجامع (٩٩٢)، المشكاة (١٥٦٢)، الصحيحة (١٤٣).

البلاء شديداً، والمصائب والبلايا كثيرة، «وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه»، أي: وإن كان دين المرء ضعيفاً رقيقاً كان البلاء خفيفاً والبلايا قليلة، فكل امرئ يبتلى على قدر دينه، «فما يبرح البلاء بالعبد»، أي: فلا يزال البلاء نازلاً على العبد والبلايا تصيبه، «حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»، أي: حتى يغفر الله للعبد المبتلى ذنوبه بهذا البلاء وتلك البلايا، فيترك البلاء العبد وقد غفرت له ذنوبه كلها، وليس عليه شيء أبداً، ويكون للمؤمنين المبتلين على ذلك الجزاء الحسن يوم القيامة. وفي الحديث: أن البلايا والمصائب كفارات للذنوب والخطايا.

٨. يغطون يوم القيامة من كثرة أجرهم: وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يودُّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض»^(١). في الحديث: فضل البلاء وأثره في تكفير الذنوب، وبيان أنه من شأن الصالحين.

٩. عظامم الأجور في أقل الآلام: عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله عنه به خطيئته، وكتب له حسنة، ورفع له درجة»^(٢).

١٠. نوال الجنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة»^(٣).

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٢٤٠٢)، (هق) (٦٣٤٥)، انظر الصحيحة: (٢٢٠٦).

(٢) المعجم الأوسط (٢٤٦٠). قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/١٠٥): سنده جيد.

(٣) البخاري (٥٦٥٣).



من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَا مِنْ مَرَضٍ يُصِيبُنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحُمَى، إِنَّهَا تَدْخُلُ فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنِّي، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي كُلَّ عَضْوٍ قِسْطَهُ مِنَ الْأَجْرِ ^(١).

* عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ رضي الله عنه وَعَادَ مَرِيضًا فِي كِنْدَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: أَبَشِّرْ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا ^(٢) وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ، كَالْبَعِيرِ عَقْلُهُ ^(٣) أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ، وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ ^(٤).

* قَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: أَيَّامُ الْوَجَعِ... أَمَا وَاللَّهِ مَا هِيَ بَشَرٌ أَيَّامُ الْمُسْلِمِ... ذَكَرَ فِيهَا مَا نَسِيَ مِنْ مَعَادِهِ، وَكُفِّرَ بِهَا عَنْ خَطَايَاهُ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ قَدْ عُوِيَ قَالَ لَهُ: يَا هَذَا، إِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَكَرَكَ فَادْكُرْهُ، وَأَقَالِكَ فَاشْكُرْهُ.

* قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمته الله: الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَالْحِكَمَةُ فِي جَوَازِ الْمَرَضِ عَلَيْهِمْ وَمَصَائِبِ الدُّنْيَا تَكْثِيرُ أَجْرِهِمْ، وَتَسْلِيَةُ النَّاسِ بِهِمْ ^(٥).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: فَمَنْ تَمَامَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ مِنَ الشَّدَةِ وَالضَّرَرِ مَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ، فَيَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيَرْجُوهُ وَلَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بَغِيرَهُ؛

(١) (خد) (٥٠٣)، انظر صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَد: (٣٨٨).

(٢) اسْتَعْتَبَ: طَلَبَ أَنْ يُرَضَى عَنْهُ، كَمَا تَقُولُ: اسْتَرْضَيْتَهُ فَأَرْضَانِي. وَالْمُعْتَبُ: الْمَرْضَى، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وَإِلَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ» أَيُّ: يَرْجِعُ عَنِ الْإِسَاءَةِ وَيَطْلُبُ الرِّضَا. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْأَثَرِ (٣/٣٨٢).

(٣) عَقْلُهُ: رَبَطَهُ بِالْعَقَالِ، وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي تُرْبِطُ بِهِ الْإِبِلَ وَنَحْوَهَا.

(٤) (خد) (٤٩٣)، انظر صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَد: (٣٧٩).

(٥) شرح النووي على مسلم (٢/١٥٣).

فِيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، .. مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَالِ الْمَرَضِ، أَوْ حُصُولِ الْيُسْرِ^(١).

* قال العلامة ابن القيم رحمته الله: كثير ما تكون الآلام أسباباً للصحة، لولا تلك الآلام لفاتت، وهذا شأن أكبر أمراض الأبدان، فهذه الحمى فيها من المنافع للأبدان ما لا يعلمه إلا الله، وفيها من إذابة الفضلات وإنضاج المواد الفجة وإخراجها ما لا يصل إليه دواء غيرها، وكثير من الأمراض إذا عرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب، وأما انتفاع القلب والروح بالآلام فأمر لا يحسُّ به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقفة على آلام الأبدان ومشاقها، وقد أحصيت فوائد المرض فرادت على مائة فائدة^(٢).

* قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: هذه الأسقام والبلايا كلها كفارات للذنوب الماضية، ومواعظ للمؤمنين حتى يتعظوا بها في المستقبل عن شرٍّ ما كانوا عليه.

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: الْمَرَضُ يُكْفِّرُ الْخَطَايَا، فَإِنْ حَصَلَتِ الْعَافِيَةُ؛ فَقَدْ حَصَلَتِ الْفَائِدَتَانِ، وَإِلَّا حَصَلَ رِبْحُ التَّكْفِيرِ^(٣)، وقال: الأمراض بدنية كانت أو قلبية، تكفر ذنوب من تقع له، والمراد بتكفير الذنب ستره، أو محو أثره المترتب عليه من استحقاق العقوبة.

* قال العلامة العثيمين رحمته الله: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ الرِّجَالُ مِنَّا، فَهَلْ يَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؟

(١) ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/١٤٠).

(٢) ابن القيم: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٥٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/١١٩).



فالجواب: ربّما يدل على هذا، وقد ابتلي الرسول عليه الصّلاة والسّلام بهذا ليتّم له مقام الصبر؛ لأنّ مقام الصبر مقام عالٍ، يحتاج إلى أمر يصبر عليه.

* قال العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمّه الله: المصائب تُكفر الذنوب، فلذلك كان كثير من السّلف يفرحون بالأمراض ونحوها، كما نفرح نحن بالعافية والشفاء.

* قال العلامة الألباني رحمّه الله: الآن تفرغت لعبادات أكثر مما مضى من عمري: التّسبيح والتّحميد، قالت ابنته سكينه: كان ذلك في آخر عام من عمره لما منعه المرض من دخول مكتبته الحبيبة، وحيل بينه وبين الانكباب على الكتب، فوجد في الوقت بحبوبة اغتنمها في ذكر ربّه جلّ جلاله، أسأل الله الرحمن الرحيم أن يرحمه، وأن يتقبّل منه عِلْمَه وعَمَلَه، آمين.

* قال الحافظ ابن حجر رحمّه الله: علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وتأثير ذلك... أعظم من تأثير الأدوية البدنية؛ ولكن ينجع بأمرين: أحدهما: من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجّهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكّل.

* قال العلامة ابن باز رحمّه الله: الموسيقى ليست بعلاج، ولكنها داء، وهي من آلات الملاهي، فكُلّها مرض للقلوب وسبب لانحراف الأخلاق؛ وإنما العلاج النافع والمريح للنفوس إسماع المرضى القرآنَ والمواعظَ المفيدة والأحاديثَ النافعة، أما العلاج بالموسيقى وغيرها من آلات الطرب فهو مما يُعوّدهم الباطل، ويزيدهم مرضاً إلى مرضهم، ويقلّ عليهم سماع القرآن والسنة والمواعظ المفيدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* قال العلامة العثيمين رحمته الله: من آمن بأن الله على كل شيء قدير، فإنه يطرد عنه اليأس؛ لأن الإنسان قد يُصاب بمرض مثلاً فيئس من برئه بعد العلاج، فيقال له: لا تيأس إن الله على كل شيء قدير، وأنت إذا أراد الله أن يبقي المرض بك فقد يكون خيراً لك؛ لأنك تكسب من ورائه الثواب من الله عز وجل؛ لأنه لا يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله به، يعني: من ذنوبه، فأنت لا تيأس إذا أصابك مرض لا يرجى زواله مثلاً، فإن الله على كل شيء قدير.

* أربعة تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير، وأربعة تهدم البدن: الهم، والحزن، والجوع، والسهر.

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: جواز إخبار المريض بشدة مرضه، وقوة ألمه، إذا لم يقترن بذلك شيء مما يمنع، أو يكره من التبرم، وعدم الرضا؛ بل حيث يكون ذلك لطلب دعاء، أو دواء، وربما استحب، وأن ذلك لا ينافي الاتصاف بالصبر المحمود.

* لا يطيل العائد عند المريض حتى لا يضجره... ولا يحضر في وقت غير لائق بالعيادة... ولا يتكلم عنده بما يُزعجه، ويُقلل السؤال، ويُظهر الرقة ويُخلص الدعاء ويُوسّع للمريض، ويُشير عليه بالصبر، ويُحذره من الجزع.



٤٤. ثمرات وفضائل صلاة الفجر

١. نوال الفضيلة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ»^(١). فَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْضَ الْعِبَادَاتِ عَلَى بَعْضٍ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْأَفْضَلِيَّاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ تَفْضِيلُ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا بَيَّنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، حَيْثُ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ» أَي: أَكْثَرُهَا أَجْرًا وَثَوَابًا: «صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ»؛ وَهَذَا لِأَنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَالْجَمَاعَةُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فَرْدًا، وَهَذِهِ أَفْضَلِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ؛ فَتُفِيدُ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَرِيضَةٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ اجْتِمَاعِ أَكْثَرٍ مِنْ سَبَبٍ فِي تَفْضِيلِ بَعْضِ الْعِبَادَاتِ. وَفِيهِ: بَيَانُ فَضِيلَةِ صَلَاةِ الْفَجْرِ جَمَاعَةً صَبَاحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

٢. الدخول في ذمة الله وضمان الأمان: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكُهُ فَيَكْبَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٢). وَفِي رَوَايَةٍ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَمَنْ أَخْفَرَ ذِمَّةَ اللَّهِ، كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ لَوَجْهِهِ»^(٣). أَي: فِي أَمَانِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا غَيْرُ الْأَمَانِ الَّذِي ثَبَتَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، إِنَّمَا ذَكَرَ

(١) (هـب) (٢٩٠٩)، انظر صحيح الجامع: (١١١٩)، الصحيحة (١٥٦٦).

(٢) مسلم (٦٥٧). (في ذمة الله) قيل الذمة هنا الضمان، وقيل هي الأمان.

(٣) (صحيح لغيره)، أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٩٦/١)، (كنز) (١٩٣٠٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٤٢٠)، (٤٦١).

الصَّبح؛ لأنَّ فيها كلفة لا يواظبُها إلا خالصُ الإيمان، فيستحقُّ أن يدخل تحت الأمان^(١).

٣. البشارة بنور عظيم يوم القيامة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). أي يتكرر منه المشي إلى إقامة الجماعة.

٤. يُكتب له قيام ليلة كاملة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(٣).

٥. سبب في دخول الجنة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤). فَضَّلَ اللَّهُ ﷻ بِحِكْمَتِهِ بَعْضَ الْعِبَادَاتِ عَلَى بَعْضٍ؛ لِمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ، وَجَعَلَهَا سَبَبًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ فَضْلِ صَلَاتِي الْبَرْدَيْنِ، وَهُمَا الْفَجْرُ وَالْعَصْرُ، وَسُمِّيَتَا بِهَذَا الْاسْمِ؛ لِأَنَّهُمَا يَقَعَانِ فِي وَقْتِ إِبْرَادِ الْجَوِّ وَتَلَطُّفِهِ فِي الصُّبْحِ حَيْثُ تَظْهَرُ رُطُوبَةُ الْهَوَاءِ وَبُرُودَتُهُ، وَعِنْدَ الْعَصْرِ حَيْثُ يَظْهَرُ انْكِسَارُ حَرَارَةِ النَّهَارِ وَالِدُّخُولُ فِي وَقْتِ اعْتِدَالِ الْجَوِّ، حَيْثُ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ صَلَّى هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ بِحَقِّهِمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَخَصَّ هُنَا الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ؛ لِأَنَّ الْفَجْرَ يَكُونُ عِنْدَ لَذَّةِ النَّوْمِ، وَالْعَصْرَ يَكُونُ عِنْدَ اشْتِغَالِ

(١) شرح المصابيح لابن الملك (٣٨٦/١)، فيض القدير (١٦٥/٦).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (٧٨١)، المشكاة (٧٢١)، صحيح أبي داود (٥٧٠)، صحيح الترغيب (٣١٣)، صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٣) مسلم (٦٥٦).

(٤) البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).



الإنسان بعمله، فمن حافظ عليهما كان من باب أولى أن يحافظ على بقية الصلوات. وقيل: إنما خصت بالذكر والتأكيد؛ لفضلهما باجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار فيهما، وتعاقبهم وصعودهم إلى السماء فيخبرون الله بأحوال العباد وهو أعلم بهم؛ فالأولى أن يكون العبد على طاعة في هذين الوقتين ليفوز بالجنة. وفي الحديث: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر. وفيه: عظم أجر العبادة وقت الشاغل والغفلة.

٦. سبب في النجاة من النار: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعني الفجر والعصر^(١). أي: يدخل، أحد صلى قبل طلوع الشمس، أي: صلاة الفجر، وقبل غروبها، أي: صلاة العصر، وداوم عليهما؛ وخص هاتين الصلاتين لأنهما أثقل الصلوات.

٧. السنة قبلها أفضل من الدنيا وما فيها: عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢). فما بالك بالفرض؟ والمراد بهما سنة الفجر، وهما الركعتان بين الأذان والإقامة، «خير من الدنيا وما فيها»، أي: أن الأجر المترتب على تلك الصلاة في الآخرة أعظم وأفضل من جميع نعيم الدنيا، وهما معدودتان في السنن الرواتب لصلوات الفريضة، واهتمام النبي ﷺ بهما بيان لعظم شأنهما وأجرهما، وحث على الحرص عليهما. وكان من شأن رسول الله ﷺ تخفيف هاتين الركعتين.

(١) مسلم (٦٣٤).

(٢) مسلم (٧٢٥).

٨. هذه الصلوة تشهدها الملائكة: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(١)، وَأَرَادَ بِقُرْآنِ الْفَجْرِ: صَلَاةَ الصُّبْحِ^(٢). قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَسَمَّى اللَّهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ قُرْآنًا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾، ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ أَي: تَحْضُرُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ^(٣). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، قَالَ: «تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٤).

٩. سَبَبٌ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى: عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٥)، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «افْعَلُوا لَا تَفُوتَكُمْ»^(٦). «لَا تُضَامُونَ» رُويَ بَفَتْحِ التَّاءِ وَالْمِيمِ الْمُشَدَّدَةِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَنْضُمُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي وَقْتِ النَّظَرِ، كَمَا تَفْعَلُونَ فِي وَقْتِ النَّظَرِ لِإِسْكَالِهِ وَخَفَائِهِ كَمَا تَفْعَلُونَ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى الْهَلَالِ وَنَحْوِهِ، وَيُرَوَّى: «تُضَامُونَ» بِضَمِّ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ، أَي: لَا يُصَيِّبُكُمْ ظُلْمٌ فِي رُؤْيَيْهِ وَلَا تَعَبٌ، فَلَا يَرَاهُ بَعْضُكُمْ دُونَ بَعْضٍ، بَلْ كُلُّكُمْ تَشْتَرِكُونَ فِي الرُّؤْيَةِ، وَيُرَوَّى: «تُضَامُونَ» بِضَمِّ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، أَي:

(١) [الإِسْرَاءُ: ٧٨].

(٢) شرح السنة للبلغوي (٢/ ١٨١).

(٣) شرح السنة للبلغوي (٢/ ٢٢٣).

(٤) (ت) (٣١٣٥)، (ج) (٦٧٠)، (حم) (١٠١٣٧)، انظر المشكاة: (٦٣٥).

(٥) [ق: ٣٩].

(٦) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).



لا تتزاحمون ولا تختلفون. ثم حثهم ﷺ بقوله: «**فإن استطعتم ألا تغلبوا**»، بأن يكون لكم استعداد لتلافي أسباب الغلبة التي تنافي الاستطاعة؛ من نوم، أو الاشتغال بالأشياء التي تمنع عن الصلاة، فلا تغفلوا عن صلاة قبل طلوع الشمس، وهي الفجر، وقبل غروبها، وهي العصر، فافعلوا؛ يعني: أن تصلوا هاتين الصلاتين في هذين الوقتين.

١٠. نوال شهادة الملائكة: عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»^(١). يبين لنا رسول الله ﷺ أن الملائكة تتناوب على حراسة البشر، فطائفة تحرُسهم ليلاً، وطائفة أخرى تحرُسهم نهاراً، ثم تجتمع ملائكة النهار بملائكة الليل في وقتين؛ الأول: في صلاة الفجر، حيث ينزل ملائكة النهار عند أول الصلاة، وما زال ملائكة الليل موجودين فيلتقون بهم، ويجتمع ملائكة الليل بملائكة النهار في صلاة العصر، وهو الوقت الثاني، ثم تصعد ملائكة الليل بعد صلاة الفجر، فيسألهم الرب ﷻ - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادي؟ وهو في غنى عن سؤالهم هذا؛ لأنه أعلم بهم، وإنما يسألهم عن ذلك في المأ الأعلى؛ تنويهاً بشأن بني آدم، وبياناً لفضلهم، وليباهي بهم الملائكة، فيقولون: تركناهم وهم يصلون صلاة الصبح، وأتيناهم وهم يصلون صلاة العصر، فهم في صلاة دائمة.

(١) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢). (يتعاقبون فيكم) تأتي طائفة بعد الأخرى. (يعرج) يصعد إلى السماء. (يسألهم وهو أعلم بهم) أي يسأل الله تعالى الملائكة عن حال المصلين وهو أعلم بحالهم والحكمة من سؤالهم إظهار شهادتهم لبني آدم بالخير.

وكذلك يَسْأَلُ ﷺ مَلَائِكَةَ النَّهَارِ، فَيُجِيبُونَ بِمِثْلِ مَا أَجَابَ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ. وفي الحديث: أَنَّ الصَّلَاةَ أَعْلَى الْعِبَادَاتِ؛ لِأَنَّهَا عَلَيْهَا وَقَعَ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ. وفيه: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ مِنْ أَعْظَمِ الصَّلَوَاتِ. وفيه: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ مَعَ مَلَائِكَتِهِ كَمَا يَشَاءُ، دُونَ تَشْبِيهِ، أَوْ تَعْطِيلٍ، أَوْ تَأْوِيلٍ.

١١. **النَّشَاطُ وَطِيبُ النَّفْسِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ:** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طِيبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانً»^(١).

١٢. **دَعَاءُ الْمَلَائِكَةِ:** عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيِّ، وَقَدْ صَلَّى الْفَجْرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: لَوْ قُمْتَ إِلَى فِرَاشِكَ كَانَ أَوْطَأَ لَكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلَاةٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَصَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَمَنْ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَصَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»^(٢).

(١) البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦). (يعقد) يربط فيثقل عليه النوم. (قافية) مؤخرة العنق أو القفا. (يضرب كل عقدة) يحكم عقدة ويؤكده. (فارقد) فتم ولا تعجل بالقيام. (طيب النفس) مرتاح النفس لما وفقه الله تعالى إليه من القيام. (خبِيثَ النفس) مُكْتَبَّبًا يُلُومُ نَفْسَهُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي تَرْكِ الْخَيْرِ وَالْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٢٥١)، وفي الباب عن أبي هريرة عند البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٤٥٩/١) مرفوعاً بلفظ: «الملائكة تُصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحْدِثْ، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».



ما أعظم فضل الله تعالى لمن أطاعه، وعمل بمقتضى الكتاب والسنة المطهرة، فلا ينقطع الفضل بانقضاء الصلاة، ولا ينتهي بانتهائها، لكن المصلي ما يزال في أجر عظيم، وفضل كبير، تحيطه عناية الله، وتستغفر له ملائكة ربه. فهل يحصل لمن نام عن صلاة الفجر، مثل هذا الأجر؟ كلا ورب الكعبة، لا يحصل له إلا الخسارة الويلة، والندامة الثقيلة. هل يستوي من أطاع الله، بمن عصاه؟ هل يستوي من ترك الدنيا وزخرفها واهتم بالصلاة، بمن كانت الدنيا همه وشغله، وترك الصلاة؟ لا يستويان أبداً.

١٣. نوال أجر حجة وعمره تامة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةً، تَامَّةً، تَامَّةً»^(١). لصلاة الفجر وذكر الله في هذا الوقت فضل عظيم، وفيه ترفع درجات الذاكرين والمُسبحين، ويعطيهم الله سبحانه الثواب الجزيل، «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ» فصلاها على وقتها، وكانت في جماعة، «ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ» بعد الانتهاء من صلاة الصبح مُشغلاً بالأذكار والتسبيح، وظل على حاله هذه «حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ» حتى تشرق وترتفع ويخرج وقت النهي عن الصلاة، «ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» وهما ركعتا الإشراق، وهما أول صلاة الضحى، وأول وقتها يكون بعد شروق الشمس قدر رُمح - وتقدر بثلاث ساعة بعد الشروق تقريباً - إلى قبيل الظهر، «كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ

(١) (ت) (٥٨٦)، (طب) (٧٧٤١)، انظر صحيح الجامع: (٦٣٤٦)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٤٠٣).

حَجَّةٌ وَعُمْرَةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ»، وهذا تأكيدٌ لِمَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْرِ والثَّوَابِ لتلك الجِلسَةِ، وهذا لَا يُغْنِي عَنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَا عَنْ عُمْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ الْأَجْرَ يُساوِي أَجْرَ حَجَّةٍ، وَأَجْرَ عُمْرَةٍ. وفي الْحَدِيثِ: تَرْغِيبٌ فِي الْقُعُودِ وَالذِّكْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى شُرُوقِ الشَّمْسِ.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: أَصْبَحْتُ فِي الْحِجْرِ بَعْدَمَا صَلَّيْنَا الْغَدَاةَ^(١) فَلَمَّا أَسْفَرْنَا، إِذَا فِينَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يَسْتَقِرُّنَا رَجُلًا رَجُلًا، يَقُولُ: أَيْنَ صَلَّيْتَ يَا فُلَانُ؟، فيَقُولُ: هَاهُنَا، حَتَّى أَتَى عَلَيَّ، فَقَالَ: أَيْنَ صَلَّيْتَ يَا ابْنَ عُبَيْدٍ؟، فَقُلْتُ: هَاهُنَا، قَالَ: بَخٍ بَخٍ^(٢) مَا نَعْلَمُ صَلَاةَ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ جَمَاعَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٣).

* وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ: فَقَدْ عُمِرْتُ بِنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فَعَدَا عُمَرُ إِلَى السُّوقِ - وَمَسَكَنُ سُلَيْمَانَ بَيْنَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ - فَمَرَّ عَلَى الشَّفَاءِ أُمِّ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ لَهَا: لَمْ أَرِ سُلَيْمَانَ فِي الصُّبْحِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَاتَ يُصَلِّي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً^(٤).

* عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الْمَلِكَ يَغْدُو^(٥) بِرَأْيَتِهِ مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَزَالُ بِهَا مَعَهُ حَتَّى يَرْجِعَ، يَدْخُلُ بِهَا مَنْزِلَهُ، وَإِنْ

(١) أي: صَلَاةُ الْفَجْرِ.

(٢) بَخٍ: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ اسْتِحْسَانِ الشَّيْءِ.

(٣) (هَق) (١٩٥٦٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِي فِي الْإِرْوَاءِ تَحْتَ حَدِيثِ: (١٥٠٧).

(٤) (ط) (٢٩٤)، انْظُرِ الْمَشْكَاةَ: (١٠٨٠)، صَحَّيْحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٤٢٣).

(٥) الْغَدُو: السَّيْرُ وَالذَّهَابُ أَوَّلَ النَّهَارِ.



الشَّيْطَانُ يَغْدُو مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو بِرَأْيَتِهِ إِلَى السُّوقِ، فَلَا يَزَالُ بِهَا حَتَّى يَرْجِعَ فَيَدْخُلُهَا مَنْزِلَهُ^(١).

* عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ: فَقَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي حَثْمَةَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فَعَدَا عُمَرُ إِلَى السُّوقِ - وَمَسَكَ سُلَيْمَانَ بَيْنَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ - فَمَرَّ عَلَى الشَّفَاءِ أُمِّ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ لَهَا: لَمْ أَرِ سُلَيْمَانَ فِي الصُّبْحِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَاتَ يُصَلِّي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: لِأَنِّ أَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً^(٢).

* عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: دَفَعَ الْحَجَّاجُ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَيْفًا، وَأَمَرَهُ بِقَتْلِ رَجُلٍ، فَقَالَ سَالِمٌ لِلرَّجُلِ: أَمْسِلْمْ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ. قَالَ: فَصَلَّيْتُ الْيَوْمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَرَجَعَ إِلَى الْحَجَّاجِ فَرَمَى إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَقَالَ: إِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ. وَأَنَّهُ قَدْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»، قَالَ الْحَجَّاجُ: لَسْنَا نَقْتُلُهُ عَلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ وَلَكِنَّهُ مِمَّنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ عَثْمَانَ. فَقَالَ سَالِمٌ: هَاهُنَا مَنْ هُوَ أَوْلَى بِعَثْمَانَ مِنِّي. فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَقَالَ: مَا صَنَعَ سَالِمٌ؟ قَالُوا: صَنَعَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مُكَيِّسٌ مُكَيِّسٌ»^(٣) «(٤)».

(١) (الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم) (٢٧١٥)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (٤٢٢).

(٢) (ط) (٢٩٤)، انظر المشكاة: (١٠٨٠)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (٤٢٣).

(٣) مُكَيِّسٌ: أي كيس معروف بالعقل.

(٤) سنده صحيح إلى عطاء: أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط العلمية (٥/ ١٥٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠).

* وعلى هذا؛ فَمَنْ أَدْمَنَ الْمَسِيرَ إِلَى الْمَسَاجِدِ، زَادَ اللَّهُ لَهُ فِي النُّورِ، فَيَعْمَهُ الضياء يوم القيامة، وقد ورد في ذلك: «فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلٌ يُعْطَى نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمُ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ»^(١).

* صلاة الفجر هي الوقت الذي أطلَّ الله به على عباده بيوم جديد، فإذا أدركت الفجر فاعلم أن الله وهبك يومًا جديدًا فيجب أن تشكره عليه، وتعهده على الطاعة في ذلك اليوم، فالله أعطاك الحياة، اجعل الفجر بوابة لدخول عالم جديد.



(١) (طب) ٩٧٦٣، انظر صحيح الترغيب والترهيب: ٣٥٩١.

٤٥. ثمرات وفضائل تسوية الصفوف

١. شهادة النبي ﷺ لها بالخيرية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا»^(١). الإسلام يدعو أتباعه إلى الفضائل، ويأمرهم بتجنب النقائص، رجالاً ونساءً، ويدعو إلى المسارعة إلى الطاعات والعبادات بالضوابط الشرعية، فمن عمل الخير والعمل الصالح والتزم ضوابطه، فإنه أفضل ممن عمله ولم يلتزم تلك الضوابط مع قدرته على الإتيان بها. وهذا الحديث يوضح أن النساء لهن أحكام خاصة بهن في حضور الصلوات في المساجد؛ من حيث السترة والبعد عن مواطن الشبهات، وموضعهن من صفوف الرجال، حيث أخبر ﷺ أن أفضل مواقف الرجال أن يكونوا في الصفوف الأولى، ويسارعوا إلى الصدارة في الطاعات، وفي الصلوات خاصة، بأن يقف في الصف الأول خلف الإمام، وهذه الحال في كل الأمور، وفي كل الصلوات، ويكون أكثر خيرية عند حضور النساء للصلوات؛ فيكون الصف الأول أكثر بعداً عن النساء. «وشرُّ صفوف الرجال آخِرُها»؛ لتأخيرهم عن الطاعات، وفي الصلوات؛ لقربهم من صفوف النساء. وعلى العكس من الرجال؛ فقد أمر الله النساء بالاحتجاب والستر عن الأعين؛ ولذلك أخبر النبي ﷺ أن خير صفوف النساء وأولاهن بالأفضلية هو آخر الصفوف؛ لبعدها عن صفوف الرجال والفتنة، «وشرُّها أولها»؛ لقربها من صفوف الرجال، وتعرضها أكثر للفتنة، وهذا إذا كانت الصلاة

(١) مسلم (٤٤٠).

في مَسْجِدٍ يَحْضُرُ فِيهِ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ، أَمَّا إِذَا انفَرَدَتِ النِّسَاءُ فِي الْجَمَاعَةِ، فَهُنَّ كَالرِّجَالِ فِي أَفْضَلِيَّةِ الصُّفُوفِ الْأُولَى. وَالْمُرَادُ بِشَرِّ الصُّفُوفِ فِي الرِّجَالِ والنِّسَاءِ: أَقْلُهَا ثَوَابًا وَفَضْلًا، وَأَبْعَدُهَا مِنْ مَطْلُوبِ الشَّرْعِ، وَخَيْرُهَا عَكْسُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ كَمَالَ الطَّاعَةِ مُرْتَبِطٌ بِأَدَائِهَا بِالضُّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ. وَفِيهِ: حَثُّ الرِّجَالِ عَلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الطَّاعَاتِ وَالصُّفُوفِ الْأُولَى فِي الصَّلَوَاتِ، وَهُوَ مَحَلُّ الْأَفْضَلِيَّةِ لَهُمْ. وَفِيهِ: حَثُّ النِّسَاءِ عَلَى الْوُقُوفِ فِي الصُّفُوفِ الْخَلْفِيَّةِ، أَوْ بِالاحتِجَابِ عَنِ الْأَعْيُنِ، وَهُوَ مَحَلُّ الْأَفْضَلِيَّةِ لَهُنَّ. وَفِيهِ: بَيَانُ تَرْتِيبِ صُفُوفِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ فِي الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ. وَفِيهِ: بَيَانُ شِدَّةِ عِنَايَةِ الشَّرْعِ بِالْحَثِّ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنْ مَحَلِّ الْإِفْتِتَانِ؛ فَقَدْ أُمِرَ بَعْدَ النِّسَاءِ عَنِ الرِّجَالِ لِئَلَّا يَقَعَ مَحْظُورٌ شَرْعِيٌّ. وَفِيهِ: بَيَانُ فَضْلِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ؛ حَيْثُ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهِنَّ فِي الْمَوَاطِنِ الْمُهِّمَةِ، كَصُفُوفِ الصَّلَاةِ، وَصُفُوفِ الْقِتَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ.

٢. النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لِأَصْحَابِهَا: عَنْ عَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِلصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثًا، وَلِلثَّانِي مَرَّةً^(١). وَفِي رَوَايَةٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لِلصَّفِّ الْأَوَّلِ ثَلَاثًا، وَلِلصَّفِّ الثَّانِي مَرَّةً^(٢). أَي: يَطْلُبُ الْغُفْرَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ سِتْرُ الذُّنُوبِ وَمُحَوِّهَا، «لِلصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثًا»، أَي: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالصَّفِّ الْمُقَدَّمِ هُوَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ وَالَّذِي يَلِي الْإِمَامَ مُبَاشَرَةً، «وَلِلثَّانِي مَرَّةً» لِلصَّفِّ الثَّانِي، وَكَانَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ (مَرَّةً) وَلَا يَسْتَغْفِرُ لغيرهما؛ بَيَانًا لِأَفْضَلِيَّةِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَاللِّحَاقِ بِالصَّفِّ الْأَوَّلِ.

(١) سنن ابن ماجه ت الأرئووط (٩٩٦)، صحيح الجامع (٤٩٥٢).

(٢) (مي) (١٢٦٥)، (س) (٨١٧)، (جة) (٩٩٦)، (حم) (١٧١٨٨)، (عب) (٢٤٥٢).



٣. الفوز بصلاة الله وملائكته: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، أَوْ الصُّفُوفِ الْأُولَى»^(١). وفي رواية: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَّامِنِ الصُّفُوفِ»^(٢). عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَحْكَامَ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِإِتِمَامِ الصُّفُوفِ، وَالْوُقُوفِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَإِتِمَامِهِ، ثُمَّ الصَّفِّ الثَّانِي، وَهَكَذَا، إِلَى أَنْ تَتِمَّ جَمِيعُ الصُّفُوفِ وَيَتَرَاصَّ النَّاسُ فِيهَا.. أَي: يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى سَدِّ الْفُرْجِ فِي الصَّفِّ أَوْ اعْتِدَالِهِ وَتَسْوِيَّتِهِ. وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَقِيلَ: هِيَ رَحْمَتُهُ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَهِيَ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ.

٤. ينال الوصل من الله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ»^(٣). أَي: بَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى سَدِّ الْفُرْجِ فِيهِ أَوْ عَدْلِهِ وَسَوَاهُ، «وَصَلَهُ اللَّهُ»، أَي: وَمَنْ وَصَلَهُ اللَّهُ فَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ، «وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا»، أَي: بَأَنْ كَانَ سَبِيًّا فِي قَطْعِ الصَّفِّ، أَوْ عَمِلَ فُرْجَةً لِلشَّيْطَانِ، «قَطَعَهُ اللَّهُ»، أَي: وَمَنْ قَطَعَهُ اللَّهُ فَقَدْ بَتَرَهُ وَأَبْعَدَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَالْوَصْلُ وَالْقَطْعُ صِفَتَانِ فَعْلِيَّتَانِ ثَابِتَتَانِ لِلَّهِ تَعَالَى بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ ﷻ وَكَمَالِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى وَصْلِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى اسْتِقَامَتِهَا، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ قَطْعِهَا، وَالْحَذَرُ مِنْ اعْوِجَاجِهَا.

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٨٣٦٤)، صحيح الترغيب والترهيب (٤٩٢).

(٢) (د) (٦٧٦)، (ج) (١٠٠٥)، (حب) (٢١٦٠)، (هق) (٤٩٨٠).

(٣) (حم) (٥٧٢٤)، (د) (٦٦٦)، (س) (٨١٩)، (هق) (٤٩٦٧)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، صحيح الجامع (١١٨٧).

٥. الاقتداء بالملائكة: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيَكُمْ كَأَنَّهَُا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأْنَا حَلَقًا فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»^(١).

٦. سبب في رفع الدرجات وعظيم الأجر: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ، وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةَ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً»^(٢). وفي لفظ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبًا فِي الصَّلَاةِ، وَمَا تَخْطِي عَبْدٌ خُطْوَةً أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خُطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إِلَى فُرْجَةِ فِي الصَّفِّ فَسَدَّهَا»^(٣). وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ خُطْوَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا بِصِلٍ بِهَا صَفًّا»^(٤). أي: فقال إنكاراً عليهم وعلى ما يفعلونه في الصَّلَاةِ مِنْ رَفْعِ الْأَيْدِي رَفْعًا مُنْكَرًا كَأَنَّهَا ذِيُولُ الْخَيْلِ الْمُخْتَالَةِ، وَهَذَا لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ هَيْئَةِ الصَّلَاةِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنَ الْخُشُوعِ، وَالْمَقْصُودُ رَفْعُ الْأَيْدِي عِنْدَ السَّلَامِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الصَّلَاةِ.. قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ مُعَلِّمًا إِيَّاهُمْ كَيْفَ يَقِفُونَ فِي الصَّلَاةِ:

(١) مسلم (٤٣٠). (شمس) جمع شمس مثل رسول ورسول، وهي التي لا تستقر بل تضرب وتحرك بأذناها وأرجلها. (حلقاً) جمع الحلقة. (عزِينَ) أي جماعات في تفرقة جمع عزة.
(٢) (حم) (٢٤٦٣١)، (ج) (٩٩٥)، (خز) (١٥٥٠)، (حب) (٢١٦٣)، انظر صحيح الجامع: (١٨٤٣)، الصحيح: (٢٥٣٢).

(٣) (طس) (٥٢١٧)، الصحيح: (٢٥٣٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٥٠٤).

(٤) (د) (٥٤٣)، (هق) (٢١١٨)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٥٠٧).



«أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فقلنا: يا رسول الله، وكيف تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُقَدِّمَةَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»، أي: تَتَرَاصُّونَ فِي الصُّفُوفِ بَعْضُكُمْ بِجِوَارِ بَعْضٍ، وَتُتِمُّونَهَا صَفًّا صَفًّا الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ الصُّفُوفِ. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الْخُضُوعِ فِي الصَّلَاةِ وَعَدَمِ التَّشَبُّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ. وَفِيهِ: إِنْكَارُ التَّفَرُّقَةِ فِي الْمَجَالِسِ، وَالْحَثُّ عَلَى التَّجْمُعِ. وَفِيهِ: الْأَمْرُ بِإِتِمَامِ الصُّفُوفِ وَتَسْوِيتِهَا فِي الصَّلَاةِ.

٧. **الِاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَوْلًا وَفِعْلًا:** قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ، حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللَّهِ لَتَسَوِّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»^(١). وَالْمَقْصُودُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ: اعْتِدَالُ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ عَلَى سَمْتٍ وَاحِدٍ، وَيُرَادُ بِهَا أَيْضًا سَدُّ الْخَلَلِ الَّذِي فِي الصَّفِّ. «أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»، أَي: إِنْ لَمْ تُتِمِّمُوا الصُّفُوفَ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ؛ لِأَنَّهُ قَابِلٌ بَيْنَ الْإِقَامَةِ وَبَيْنَهُ، فَيَكُونُ الْوَاقِعُ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، وَهَذَا وَعِيدٌ لِمَنْ لَمْ يُقِمِ الصُّفُوفَ بِعَذَابٍ مِنْ جِنْسِ ذَنْبِهِمْ؛ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي مَقَامِهِمْ، وَالْمَرَادُ بِالْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الْوُجُوهِ: إِيقَاعُ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَاخْتِلَافِ الْقُلُوبِ بَيْنَهُمْ... لِأَنَّ مُخَالَفَتَهُمْ فِي الصُّفُوفِ مُخَالَفَةٌ فِي الظَّاهِرِ، وَاخْتِلَافِ الظَّاهِرِ سَبَبٌ لِاخْتِلَافِ الْبَاطِنِ، أَوِ الْمَرَادُ: التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَقَاصِدِ وَالْغَايَاتِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لِيَفَرِّقَنَّ اللَّهُ بَيْنَ مَقَاصِدِكُمْ؛ فَإِنَّ اسْتِوَاءَ الْقُلُوبِ يَسْتَدْعِي اسْتِوَاءَ الْجَوَارِحِ وَاعْتِدَالَهَا، فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الصُّفُوفُ دَلَّ عَلَى اخْتِلَافِ

(١) مسلم (٤٣٦). (القداح) القداح هي خشب السهام حين تنحت وتبرى واحدها قدح، معناه يُبَالِغُ فِي تَسْوِيتِهَا حَتَّى تُصِيرَ كَأَنَّمَا تُقَوِّمُ بِهَا السَّهَامَ لِشِدَّةِ اسْتِوَائِهَا وَاعْتِدَالِهَا.

القلوب، فلا تزال الصفوف تضطرب وتهمل حتى يتبلي الله باختلاف المقاصد.

٨. نوال إقامة وتمام وحسن الصلاة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ»^(١). وَقَالَ ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ، مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»^(٢). وَقَالَ: «أَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ»^(٣). «مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»، أَي: مِنْ حُسْنِهَا، وَتَمَامِهَا، وَكَمَالِهَا، «إِقَامَةُ الصَّفِّ»، أَي: تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ بَأَلَّا يَكُونَ فِيهَا اعْوَجَاجٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ فُرْجَةً فِي الصَّفِّ دَخَلَ فِيهَا، .. وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّهُ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ فُرْجَةً دَخَلَ فِيهَا؛ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى تَسْوِيَةِ الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ؛ حَتَّى لَا يَجْعَلَ لِلشَّيْطَانِ مَدْخَلًا فِيهَا، كَمَا أَنَّ فِي تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ إِظْهَارًا لِلْمَوَدَّةِ وَعَدَمَ التَّبَاغُضِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

٩. نوال بيتا في الجنة: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَدَّ فُرْجَةً فِي صَفٍّ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٤).

١٠. نوال المغفرة: قَالَ ﷺ: «مَنْ سَدَّ فُرْجَةً فِي الصَّفِّ غُفِرَ لَهُ»^(٥).

(١) البخاري (٧٢٣).

(٢) مسلم (٤٣٣).

(٣) مسلم (٤٣٥).

(٤) المعجم الأوسط (٥٧٩٧)، (ابن أبي شيبة عن عروة بن الزبير مرسلاً، الطبراني في الأوسط عن عائشة)، الصحيحة (١٨٩٢).

(٥) مسند البزار = البحر الزخار (٤٢٣٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: إسناده حسن، ضعيف، السلسلة الضعيفة (٥٠٤٧)، ضعيف الترغيب والترهيب (٢٦١).



من أقوال العلماء في الباب:

* تسوية الصفوف في الصلاة أمرٌ جاء عن النبي ﷺ، وقد اختلف أهل العلم هل هذا الأمر على الوجوب أم للنّدب. وتسوية الصفوف تكون بإلزام القدم بالقدم والكعب بالكعب والكتف بالكتف، وإتمام الصف الأول فالأول، وبالتقارب والتراص في الصفوف، وسد الفرج والخلل، وأن يتحاذوا بلا تقدّم ولا تأخر ولا قطع للصف، والقرب جهة الإمام.

* قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَالْمُرَادُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ اعْتِدَالُ الْقَائِمِينَ بِهَا عَلَى سَمْتٍ وَاحِدٍ أَوْ يُرَادُ بِهَا سَدُّ الْخَلَلِ الَّذِي فِي الصَّفِّ^(١).

* ولأهمية تسوية الصفوف في الصلاة فقد جاء عن جلّ الخلفاء الراشدين حرصهم على توكيل رجالاً للقيام بهذه المهمة، وذلك لما كثر الناس، حتى إذا جاءوا وقالوا إِنَّ الصُّفُوفَ اسْتَوَتْ كَبَرُوا.

* فهذا الإمام ابن عبد البر رحمه الله يقول: في تسوية الصفوف: هو أمرٌ مُجْتَمِعٌ عليه، والآثار عن النبي عليه السلام كثيرة فيه^(٢)، كما قال - أيضاً: وَأَمَّا تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ فَلْآثَارٌ فِيهَا مُتَوَاتِرَةٌ مِنْ طُرُقٍ شَتَّى، صَحَّاحٌ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ، وَعَمَلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِذَلِكَ بَعْدَهُ، وَهَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِمَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِيهِ^(٣)، وقال العراقي رحمه الله: والأحاديث في هذا المعنى كثير^(٤).

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٠٧).

(٢) ابن عبد البر: الاستذكار (٢/ ٢٨).

(٣) ابن عبد البر: الاستذكار (٢/ ٢٨٨).

(٤) طرح الشريب (٣/ ٦٨).

* عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه الْمَدِينَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا أَنْكَرْتَ مِنَّا مُنْذُ يَوْمِ عَهْدَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا أَنْكَرْتُ شَيْئًا، إِلَّا أَنْتُمْ لَا تَقِيمُونَ الصُّفُوفَ^(١). وهنا لا بد من جملة من الوقفات مع هذا الأثر:

* **الوقفة الأولى:** قال ابن رجب رحمته الله: وفي هذا الحديث دليل على أن تسوية الصفوف كان معروفاً في عهد النبي ﷺ، وأن الناس غيروا ذلك بعده^(٢).
* **الوقفة الثانية:** يقول الحافظ رحمته الله: وأفاد هذا التصريح أن الفعل المذكور كان في زمن النبي ﷺ، وبهذا يتم الاحتجاج به على بيان المراد بإقامة الصف وتسويته^(٣).

* **الوقفة الثالثة:** وفيه أيضاً أنه كما يستحق من يعمل ويسهم في تسوية الصفوف الثناء والأجر؛ فإن تارك ذلك كذلك يستحق الذم والعتب^(٤).
* **الوقفة الرابعة:** ذكر الحافظ - أيضاً - أن هذا القول من أنس رضي الله عنه كان بالمدينة، وهذا يدل على أن أهل المدينة كانوا في ذلك الزمان أمثال من غيرهم في التمسك بالسنن.

* **الوقفة الخامسة:** وهو أن البخاري بوب له: باب إثم من لم يتم الصفوف؛ فكأنه يرى أن تسوية الصفوف واجبة، وكذا وجه مطابقة هذا الأثر لتبويب البخاري؛ حيث إن أنسا رضي الله عنه حصل منه الإنكار على عدم إقامتهم الصفوف،

(١) (خ) (٦٩١)، (حم) (١٢١٤٥)، (طس) (٣٢٢٦).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢٦٠) لابن رجب.

(٣) فتح الباري (٢/ ٢١١) لابن حجر.

(٤) شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٤٧) لابن بطال.



وإنكاره هذا يدل على أنه يرى تسوية الصفوف واجبة، فتارك الواجب آثم^(١)، والله أعلم.

* وقد قال الحافظ رحمته الله: يحتمل أن يكون البخاري أخذ الوجوب من صيغة الأمر في قوله عليه السلام: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ»، ومن عموم قوله عليه السلام: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي»^(٢)، ومن ورود الوعيد على تركه؛ فرجح عنده بهذه القرائن أن إنكار أنس إنما وقع على ترك الواجب، وإن كان الإنكار قد يقع على ترك السنن، ومع القول بأن التسوية واجبة؛ فصلاة من خالف ولم يسو صحيحة لاختلاف الجهتين^(٣).

* قال الترمذي رحمته الله: وَرَوَى عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يُوَكِّلُ رَجَالًا بِإِقَامَةِ الصُّفُوفِ، وَلَا يَكْبِرُ حَتَّى يُخْبَرَ أَنَّ الصُّفُوفَ قَدْ اسْتَوَتْ. وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ، وَعُثْمَانَ رضي الله عنهما، أَنَّهُمَا كَانَا يَتَعَاهَدَانِ ذَلِكَ، وَيَقُولَانِ: اسْتَوُوا. وَكَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَقُولُ: تَقَدَّمَ يَا فَلَانُ، تَأَخَّرَ يَا فَلَانُ^(٤).

* عَنْ نَافِعٍ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ. فَإِذَا جَاؤُوهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ قَدْ اسْتَوَتْ. كَبَّرَ^(٥).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤٦٢ / ٨) العيني.

(٢) هو جزء من حديث أخرجه البخاري رقم: (٥٦٦٢ - ٦٨١٩)، من حديث مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ

رضي الله عنه.

(٣) الفتح (٧٥ / ٣).

(٤) سنن الترمذي ت بشار (٣٠٢ / ١)، رقم (٢٢٧).

(٥) موطأ مالك ت الأعظمي (٢١٩ / ٢)، رقم (٥٤٢).

* يقول ابن إسحاق: حدثني حبان بن واسع بن حبان، عن أشياخ من قومه^(١)؛ أن رسول الله ﷺ: **عَدَلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ^(٢) يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ** حليف^(٣) بني عدي بن النجار، وهو مُسْتَتِلٌ^(٤) مِنَ الصَّفِّ، فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ وَقَالَ: «**اسْتَوِ يَا سَوَادُ**»، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي، وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ، فَأَقِدْنِي، فقال له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اسْتَقِدْ**»، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ طَعَنْتَنِي وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ: «**اسْتَقِدْ**»، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ^(٥) وَقَالَ: **إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟»**، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَضَرَ مَا تَرَى، فَلَمْ أَمْنِ الْقَتْلَ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ^(٦).

* قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَسُدَّ الصُّفُوفَ الْمُؤَخَّرَةَ مَعَ خُلُوفِ الْمُقَدَّمَةِ، وَلَا يَصِفُ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْحَوَانِيتِ مَعَ خُلُوفِ الْمَسْجِدِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَحَقَّ التَّأْدِيبَ، وَلِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ تَخَطُّيهِ، وَيَدْخُلُ لِتَكْمِيلِ الصُّفُوفِ الْمُقَدَّمَةِ فَإِنَّ

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: الأشياخ من قوم حبان من الأنصار، فإن كانوا من الصحابة فلا إشكال، وإن كانوا من التابعين فهم من كبارهم؛ لأن حبان تابعي من الخامسة عند الحافظ، وهم جمع لا يضر جهالتهم كما هو معروف عند أهل العلم، وروايتهم لهذه القصة تدل على أنها كانت مشهورة عندهم، مُتداوِلة بينهم.

(٢) القِدْح: السهام حين تبرى، واحدا قِدْح.

(٣) الحليف: المتعاهد والمتعاقد على التعاضد والتساعُد والاتِّفاق.

(٤) يعني: مستقدم، أو مائل.

(٥) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: (٣١٣٣)، (د) (٥٢٢٤)، الصَّحِيحَة: (٢٨٣٥).

(٦) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: (٣١٣٣).



هَذَا لَا حُرْمَةَ لَهُ^(١).

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ اعْتِدَالُ الصَّفِّ. وَأَنَّهُ قَالَ: لَأَنْ تَخِرَّ ثِنْتَيْ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى خِلَالَ فِي الصَّفِّ فَلَا أَسُدَّهُ. قَالَ عَلِيٌّ: هَذَا لَا يُتَمَنَّى فِي تَرْكِ مَبَاحٍ أَصْلًا^(٢). وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّاجِحُ أَنَّ سَدَّ الْفُرْجَةِ وَاجِبٌ مَا أَمَكْنَ^(٣).



(١) مجموع الفتاوى (٢٣ / ٤١٠).

(٢) ابن حزم: الْمُحَلَّى (٢ / ٥٣١).

(٣) السلسلة الضعيفة رقم: (٩٢٣).

٤٦. ثمرات وفضائل كفالة اليتيم

١. مرافقة النبي ﷺ في الجنة^(١): عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لغيرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»^(٢) - وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى -^(٣) «وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا»^(٤). وهذه فضيلة عظيمة إلى كل مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا إِلَى مَائِدَتِهِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ طَوْلِهِ، وَحَسَبَكَ بِهَا فَضِيلَةً وَقُرْبَةً مِنْ مَنْزِلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَيْسَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى فِي الطُّولِ وَلَا فِي اللَّصُوقِ كَثِيرٌ، وَإِنْ كَانَ نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنْ سَعَةِ الْجَنَّةِ كَثِيرًا، وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: لَهُ أَوْ لغيرِهِ، فَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ قَرَابَتِهِ كَانَ الْيَتِيمُ أَوْ مِنْ غَيْرِ قَرَابَتِهِ^(٥). وقال ابن بطال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هَذَا الْحَدِيثَ، أَنْ يُرَغِّبُ فِي الْعَمَلِ بِهِ لِيَكُونَ فِي الْجَنَّةِ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِجَمَاعَةِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَلَا مَنْزِلَةَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ مِرَافَقَةِ الْأَنْبِيَاءِ^(٦).

(١) ولمكانة اليتيم واهتمام الإسلام به، تضافرت الآيات الكريمات التي تتحدث عن اليتامي وحقوقهم؛ فقد ذكرت مادة (اليتيم) بجميع مشتقاتها في اثنتين وعشرين آية، ولعل الحكمة في ذلك دعوة المجتمع إلى العناية باليتامي فرادى وجماعات؛ فعلى سبيل الفرد أن يكفل كل واحد من أفراد المجتمع يتيمًا؛ وعلى سبيل الجمع أن يكفل المجتمع أيتامه بإنشاء دور وجمعيات مخصصة لكفالة ورعاية اليتامي؛ فذلك من فروض الكفايات؛ وهذا من شمولية وعمومية الأسلوب القرآني لاستغراق جميع الأفراد من النوع والجنس الواحد.

(٢) (م) ٤٢ - (٢٩٨٣).

(٣) (خ) ٥٦٥٩، (م) ٤٢ - (٢٩٨٣)، (د) ٥١٥٠، (ت) ١٩١٨.

(٤) (حم) ٢٢٨٧١، الصحيحة: ٨٠٠، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥) ابن عبد البر: الاستذكار (٨/ ٤٣٤).

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢١٧).



٢. نوال الجنة: عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ»^(١).

٣. نوال ليونة القلب وإدراك الحاجة: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يَشْتَكِي قَسَاوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ؟»، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلِينُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِكَ»^(٢)، وفي رواية^(٣): «إِنْ أَرَدْتَ تَلِينَ قَلْبِكَ، فَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ». قال المناوي رحمته الله: «وأطعمه من طعامك» أي مما تملكه من الطعام، أو لا تؤثر نفسك عليه بنفس الطعام، وتطعمه دونه، بل أطعمه مما تأكل منه... وفيه حث على الإحسان إلى اليتيم، ومعاملته بمزيد الرعاية والتعظيم، وإكرامه الله تعالى خالصاً. قال الطيبي: وهو عام في كل يтим، سواء كان عنده، أو لا، فيكرمه وهو كافله^(٤). قال البهوتي رحمته الله: وَيُسْتَحَبُّ إِكْرَامُ الْيَتِيمِ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِ، وَدَفْعُ النِّقْصِ وَالْإِهَانَةِ عَنْهُ، أَيُّ، عَنْ الْيَتِيمِ. فَجَبَّرَ قَلْبَهُ مِنْ أَعْظَمِ مَصَالِحِهِ^(٥).

٤. نوال الوقاية من شر يوم القيامة: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا

(١) (حم) ١٩٠٤٧، (يع) ٩٢٦، الصحيحة: ٢٨٨٢، صحيح التَّزْهِيْبِ وَالتَّزْهِيْبِ: ٢٥٤٣.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٢١٤)، انظر صحيح الجامع: ٨٠، صحيح التَّزْهِيْبِ وَالتَّزْهِيْبِ: ٢٥٤٤.

(٣) (حم) ٧٥٦٦، (هق) ٦٨٨٦، صحيح الجامع: ١٤١٠، الصحيحة: ٨٥٤.

(٤) فيض القدير - ط العلمية (١/١٤٢).

(٥) كشف القناع (٨/٣٨٧).

نَحَافٌ مِّن رَّبَّنَا يُومًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا^(١). فدفع الله عنهم ما كانوا في الدنيا يحذرون من شر اليوم العبوس القمطير، بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضي عنهم ربهم، لقاهم نضرة في وجوههم، وسرورًا في قلوبهم^(٢).

٥. نوال مضاعفة الأجر: الصحابة رضي الله عنهم كانوا يضمون الأيتام إلى أسرهم؛ فعن زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقْنَ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيْكُنَّ» قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ، فَأَتَيْهِ فَاسْأَلْهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: بَلِ اثْبِتِي أَنْتِ، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ الْمَهَابَةَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ فَقُلْنَا لَهُ: أَنْتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ: أَتُجْزَى الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا، عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلَا تُخْبِرُهُ مَنْ نَحْنُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُمَا؟» فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ، فَقَالَ ﷺ: «أَيُّ الزَّيْنَبِ؟» قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»^(٣).

(١) [الْإِنْسَان: ٨-١٢].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ١٠١).

(٣) البخاري (١٤٦٦)، مسلم (١٠٠٠). (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه). (قال الأعمش). (فذكرته) أي الحديث. (لإبراهيم) بن يزيد النخعي. (حجرها) رعايتها وحضانتها. (أيجزي) أيكفي ويقبل. (الصدقة) الزكاة. (امرأة) هي زوجة أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه.



٦. في كفالة اليتيم حفظاً لذريتك من بعدك وقيام الآخرين بالإحسان إلى أيتامك: قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١). فالجزاء من جنس العمل وكما تدين تُدان.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَفْصٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ^(٢) يَتِيمٌ^(٣).

* قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: كَافِلُ الْيَتِيمِ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ، مِنْ نَفَقَةٍ، وَكِسْوَةٍ، وَتَأْذِيبٍ، وَتَرْبِيَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَةُ تَحْصُلُ لِمَنْ كَفَلَهُ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِوَلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ^(٤).

* عَنْ شَمِيسَةَ الْعَتَكِيَّةِ قَالَتْ: ذَكَرَ أَدَبُ الْيَتِيمِ عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالَتْ: إِنِّي لِأُضْرِبُ الْيَتِيمَ حَتَّى يَنْبَسِطَ^(٥). ومعنى ينبسط في اللغة يحمل عدة معاني: الانخضاع والاعتدال، الميل نحو الشيء، الامتداد على الأرض.

* قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رحمته الله: وَبِهَذَا عُرِفَ أَنَّ كِفَالَ الْيَتِيمِ لَيْسَتْ مَجْرَدُ النَّفَقَةِ، مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَسْكَنِ، بَلْ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ الْحِضَانَةُ وَالتَّرْبِيَةُ^(٦).

(١) [النساء: ٩].

(٢) الخِوَانُ: مَا يُوَضَّعُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ عِنْدَ الْأَكْلِ.

(٣) (خد) ١٣٦، انظر صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ: ١٠٢.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/١١٣).

(٥) (خد) ١٤٢، انظر صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ: ١٠٥.

(٦) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٨/٤٦٨).

* قال الشيخ عبد المحسن العباد: فاليتيم هو من جهة الأب؛ لأنه هو الذي يسعى لجلب الرزق له، وإذا فقدته فإنه يُعتبر يتيماً، فإذا أحسن إنسان إلى يتيم، وقام مقام أبيه في الرعاية والإحسان إليه؛ فإنه يُعتبر كافلاً لليتيم، أو عائلاً لليتيم^(١).

* عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى قَالَ: قَالَ دَاوُدُ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَأَبٍ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ.

* قَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اصْنَعْ بِالْيَتِيمِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ.

* عَنْ السُّدِّيِّ قَالَ: إِذَا قَامَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهَبُ النَّارِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ مَسَامِعِهِ وَمِنْ أذُنَيْهِ وَأَنْفِهِ وَعَيْنَيْهِ، يَعْرِفُهُ مَنْ رَأَاهُ يَأْكُلُ مَالَ الْيَتِيمِ^(٢).

* عن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسماً. قال: فافعلي. فطبخت له شحماً ثم جاءته به. فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم. قال: اذهبي به إليهم فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؟! قال: إني إذا أكلته كان في الحش، وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخوراً^(٣).

* هذه قصة واقعية حدثت مع أحد الدعاة في الكويت: يقول الداعية: بينما أنا نائم إذ رأيت الرسول يقول لي: «أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة»، فلما استيقظت وقد حفر اسم الرجل في ذاكرتي، لكنني تعجبت من الأمر

(١) انتهى من شرحه لسنن أبي داود.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٦/٤٥٤).

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة (٢/٧٨).



لأنِّي لا أعرف رجلاً بهذا الاسم، ولم أفعل شيئاً لعدم معرفتي بالرجل، لكنني كنت في ضيقٍ كوني لم أجد طريقة لتنفيذ أمر رسول الله. لأنِّي أعلم أن رؤياه حق وأنه يقع عليّ تنفيذ ما أمرني به؛ وفي ليلةٍ تاليةٍ رأيتُ رسول الله ثانية وردد عليّ ما قال في الرؤيا الأولى «أخبر فلان بن فلان الفلاني أنه من أهل الجنة» استيقظت وبدأتُ أسألُ وأتحرى أمر الرجل، بحثت في دليل الهاتف، وسألتُ الاستعلامات، بل طلبتُ من بعض الإخوة في دوائر الأحوال المدنية أن يستطلعوا لي هذا الأمر، وكل محاولاتي باءت بالفشل. ومَرَّت أيام وأنا أكثر من دعاء الله أن يُعرِّفني بهذا الرجل، وكنتُ أكثر من الصَّلَاة على النَّبي محمد، ومَرَّت أيام وأنا على هذا الحال، حتى رأيتُ رسول الله في رؤيا ثالثة يقول لي: «أخبر فلان بن فلان الفلاني في مدينة الرياض وعنوانه كذا أنه من أهل الجنة»؛ لقد سَرَّت عني هذه الرؤية، ولم أتردد في السَّفر إلى الرياض للبحث عن هذا الرجل المبارك، ولَمَّا وصلت العنوان، وسألتُ عن الرجل في حيِّهِ، دلَّني جيرانه عليه، طرقت بابه، ففتح لي رجل عادي المظهر، فسألته: أين أجد فلان بن فلان الفلاني؟ قال: أنا هو، تفضل؛ قصصت على الرجل القصة فأجهش في البكاء وأعلن توبة إلى الله من كل الذنوب والمعاصي. سألته: بالله عليك أخبرني بِسَرِّكَ، هل تقوم بعمل مُعين حتى تكون من أهل الجنة؟ فأطرق الرجل وقال بعد تردد: أقول لك على شرط ألا تذكر اسمي بين الناس، فإنه لا يعلم سري إلا الله، فوافقتُ دون تردد. قال لي: كان لي جارٌ له زوجةٌ وعيالٌ وتوفاه الله، وأنا رجلٌ موظفٌ لكنني أشعر بحاجةٍ هذه العائلة، فأقسم راتبي إلى نصفين، أعطيتهم نصفه دون أن يعرفوا من الذي يُنفق عليهم، ولا يعلم أحدٌ بهذا حتى زوجتي.



عندها عرفتُ السِّرَّ!! فإن هذا الرجل كان مُخلصًا وصادقًا في كفالة هؤلاء الأيتام، وأنفق من أعز ماله على قَلْبِهِ. فاستحق أن يكون رفيق رسول الله ﷺ.



(
:



٤٧. عقوبات مانع الزكاة

١. نوال عقاب الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(١). أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً وندسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها^(٢).

٢. الإصابة بالنفاق: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٣). وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَن أَعْطَى اللَّهُ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ: لَئِنْ آغْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَيَصَّدَّقَنَّ مِنْ مَالِهِ، وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَمَا وَفَى بِمَا قَالَ، وَلَا صَدَقَ فِيمَا ادَّعَى، فَأَعْقَبَهُمْ هَذَا الصَّنِيعُ نِفَاقًا سَكَنَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ^(٤).

٣. نوال الحرمان في الدنيا: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَنْوُونَ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ

(١) [فصلت: ٦-٧].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٤٥).

(٣) [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ١٨٣).



وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، أَنْ ااغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ، فَاانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ، أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ، وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ، عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبَّنَا رَاغِبُونَ، كَذَلِكَ الْعَذَابُ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(١). ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، ف ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلو لا استثنيتم فقلتم: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرى عليكم ما جرى، فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: استدرکوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يُرفع، ولكن لعل تسييحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة^(٢).

٤. المال يأتيه في صورة ثعبان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيئَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكُ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا:

(١) [القلم: ١٧ - ٣٣].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٨٠).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) (٢). في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن من أعطاه الله مالا بلغ النصاب الشرعي الذي تجب فيه الزكاة فلم يخرج زكاته، مثل له ذلك المال يوم القيامة في صورة شجاع أقرع، وهو ثعبان سام، أبيض الرأس، وهو من أخطر الثعابين؛ لأنه كلما كثر سم الثعبان أبيض رأسه، ولهذا الثعبان فوق عينيه نقطتان سوداوان، وهو من أخبث الحيات، فيصير الثعبان طوقا حول عنقه، ثم يمسك هذا الثعبان بجانيي فم مانع الزكاة والصدقات ويعضهما، ويفرغ سمه فيهما، ثم يقول له: أنا مالك، أنا كنزك الذي كنزت، وهذا من التبكيت والتعذيب المعنوي، إضافة إلى التعذيب الجسدي. ثم استدلل النبي ﷺ بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ...﴾ أي: لا يظن الذين يبخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلا منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طوقا يطوقون به يوم القيامة في أعناقهم، يعذبون به. وفي الحديث: بيان إثم مانع الزكاة، والوعيد الشديد المترتب على ذلك. وفيه: أن العبد إذا لم يشكر النعمة ويؤد حق الله فيها، تكون نعمة ووبالا عليه يوم القيامة، وتتمثل له في أبشع الصور التي تؤلمه وتؤذيه. وفيه: أن لفظ «مالا» بعمومه يتناول الذهب والفضة وغيرهما من الأموال الزكوية.

(١) [آل عمران: ١٨٠].

(٢) البخاري (١٤٠٣). (مثل له) صير له. (شجاعا) الحية الذكر أو الثعبان. (أقرع) لا شعر على رأسه لكثرة سمه وطول عمره. (زبيبتان) نابان يخرجان من فمه أو نقطتان سوداوان فوق عينيه وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه. (يطوقه) يجعل في عنقه كالطوق. (شديقه) جانبي الفم.



٥. **يُعَذَّبُ بِمَالِهِ:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَا بَلَّ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمَنْ حَقَّهَا حَلَبَهَا يَوْمَ وَرَدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَا بَقَرٌ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ، وَلَا جَلْحَاءٌ، وَلَا عَضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَوُّهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزَرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزَرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنَوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزَرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدُ أَرْوَائِهَا

وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طَوْلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا، أَوْ شَرْفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَزْوَائِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْحُمْرُ؟ قَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمْرِ شَيْءٌ، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَازَةُ الْجَامِعَةُ»: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).^(٢)

(١) [الزلزلة: ٨].

(٢) مسلم (٩٨٧). (لا يُؤدي منها حقها) قد جاء الحديث على وفق التنزيل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، فاكتفى ببيان صاحب الفضة عن بيان حال صاحب الذهب، لأن الفضة مع كونها أقرب مرجع للضمير، أكثر تداولاً في المعاملات من الذهب، ولذا اكتفى بها. (صفحت له صفائح) الصفائح جمع صفيحة وهي العريضة من الحديد وغيره، أي جعلت كنوزه الذهبية والفضية كأمثال الألواح. (من نار) يعني كأنها نار، لا أنها نار. (فيرى سبيله) من الإراءة وفيه إشارة إلى أنه مسلوب الاختيار يومئذ مقهور لا يقدر أن يذهب حتى يعين له أحد السبيلين. (بطح لها بقاع قرقر) بطح، قد يكون على وجهه، وقد يكون على ظهره (ليس فيها عقضاء ولا جلهاء ولا عضباء) العقضاء ملتوية القرنين، والجلحاء التي لا قرن لها، والعضباء التي انكسر قرنها الداخل. (تطؤه بأظلافها) الأظلاف جمع ظلف وهو للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس. (ونواء على أهل الإسلام) أي ماواة ومعادة. (فرجل) أي فخيّل رجل. (ربطها في سبيل الله) أي أعدها للجهاد وأصله من الرباط وهو حبس الرجل نفسه في الثغر وإعداده الأهبة لذلك. (في مرج وروضة) قال ابن الأثير: المرج هو الأرض الواسعة ذات نبات كثير يمرج فيه الدواب، أي تسرح، والروضة أخص من المرعى. (ولا تقطع طولها) أي حبلها الطويل الذي شد أحد طرفيه في يد الفرس، والآخر في وتد، أو غيره، لتدور فيه وترعى من جوانبها، ولا تذهب لوجهها. (فاستنت شرفاً أو شرفين) معنى استنت جرت وعدت، والشرف هو العالي من الأرض، وقيل المراد هنا طلقاً أو طلقين. (فالحمرة) جمع حمار أي فما حكمها. (ما أنزل علي في الحمر الخ) معنى الفائزة القليلة النظير، والجامعة أي العامة المتناولة لكل خير ومعروف، ومعنى الحديث: لم ينزل علي فيها نصّ بعينها، لكن نزلت هذه الآية العامة.



وفي هذا الحديث: يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ كُلَّ مَالِكٍ لِلْمَالِ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ، وَيَكْنِزُهُ، وَلَا يُؤَدِّي مِنْهُ حَقَّهُ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ وَحُقُوقِ اللَّهِ مِنْهُ، إِلَّا كَانَ هَذَا الْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَسَّدًا فِي صُورَةِ رَقَائِقَ مِنَ الْحَدِيدِ، وَقِيلَ: مِنْ نَفْسِ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَكْنِزُهُ، فَتَسَخَّنُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ - كِنَايَةً عَنْ وَجْهِهِ - وَظَهْرَهُ، فَتُوضَعُ عَلَى جَسَدِهِ لِيُعَذَّبَ بِهَا، فَجَعَلَ عَيْنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَمْوَالِ هِيَ الْمُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَدُ عَلَى مَا جَمَعُوهُ وَمَنَعُوا حَقَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا اشْتَدَّتْ حَرَارَتُهَا وَضِعَتْ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَعَلَى ظُهُورِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ: هَذِهِ هِيَ أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَمَعْتُمُوهَا وَلَمْ تُؤَدُّوا الْحُقُوقَ الْوَاجِبَةَ فِيهَا، فَذُوقُوا وَبَالَ مَا كُنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ وَلَا تُؤَدُّونَ حُقُوقَهُ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ. ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ كَلَّمَا خَفَتْ حَرَارَتُهَا وَسُخُونَتُهَا، أُعِيدَ تَسْخِينُهَا وَيُعَادُ تَعْذِيبُهَا، وَالْمَرَادُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِمْرَارُ التَّعْذِيبِ وَدَوَامُهُ، وَيَكُونُ هَذَا الْعَذَابُ وَاقِعًا لَهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَهَذَا طُولُ يَوْمِ الْحِسَابِ، فَيَظُلُّ طَوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ يُعَذَّبُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَعْرِفُ صَاحِبُ الْمَالِ مَصِيرَهُ وَجَزَاءَهُ بَعْدَ هَذَا الْعَذَابِ؛ إِمَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَمُكِّثَ فِي عَذَابِ النَّارِ جَزَاءً عَادِلًا عَلَى سُوءِ عَمَلِهِ. وَبَعْدَ بَيَانِ حَالِ وَجَزَاءِ الَّذِي يَكْنِزُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، سَأَلَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَمْوَالِ الْإِبِلِ مَا يُصْنَعُ فِيهَا، وَمَا جَزَاءُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّهَا وَزَكَاتَهَا؟ فَأَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ مَالٍ مِنَ الْإِبِلِ لَا يُخْرِجُ زَكَاتَهَا، وَلَا يَتَصَدَّقُ مِنْهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْحُقُوقِ فِي الْإِبِلِ أَنْ تُحْلَبَ وَيَتَصَدَّقَ مِنْ لَبَنِهَا، خَاصَّةً وَهِيَ ذَاهِبَةٌ لِتَشْرَبَ عَلَى أَحْوَاضِ الْآبَارِ وَنَحْوِهَا؛ لِأَنَّهَا تَشْرَبُ كُلَّ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ،

فَيَسْقَى لَبَنُهَا لِمَنْ يَحْتَاجُهُ أَوْ لِلْمَارَّةِ، وهكذا؛ وذلك لَأَنَّ الْحَلَبَ يَوْمئِذٍ أَوْفَقُ لِلنَّاقَةِ وَأَرْفَقُ لِلْمُحْتَاجِينَ؛ فَقَدْ كَانَ الْمُعْتَادُ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ أَنْ يَأْتُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَرُدُّ فِيهِ الْإِبِلُ لِلشُّرْبِ؛ لِيَنَالُوا مِنْ أَلْبَانِهَا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ وَلَمْ يُؤَدِّ هذه الحقوقَ، كَانَ جَزَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُجْلَسَ وَيُلْقَى مُنْبَطِحًا عَلَى وَجْهِهِ لِهَذِهِ الْإِبِلِ «بِقَاعٍ قَرَقَرٍ»، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُتَّسِعُ الْمُسْتَوِي؛ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ أَوْسَعَ لِلْإِبِلِ فَتَطَّاهُ دُونَ عَائِقٍ، وَتَأْتِي الْإِبِلُ وَيُعَادُ خَلْقُهَا عَلَى أَكْثَرِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَدَدٍ وَهِيَ عِنْدَهُ، وَبِأَحْسَنِ حَالٍ، وَتَأْتِي بِأَكْمَلِهَا دُونَ نَقْصَانٍ، حَتَّى فَصِيلُ النَّاقَةِ يَأْتِي مَعَهَا، وَالْفَصِيلُ: وَلَدُ النَّاقَةِ الصَّغِيرِ، «تَطَّوُّهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا»، أَي: تَمْشِي عَلَيْهِ، وَالْأَخْفَافُ: كَالْقَدَمِ لِلْإِنْسَانِ، وَهِيَ كِفَّةٌ رِجْلُهَا، وَكَلَّمَا ذَهَبَتْ وَمَرَّتْ عَلَيْهِ بِأَخْرِ جَمَلٍ مِنْهَا رَجَعَتْ عَلَيْهِ بِأَخْرَاهَا، حَتَّى يَكُونَ هُوَ أَوْلَاهَا، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَلَى أَنَّهَا تَظَلُّ تَمْشِي عَلَيْهِ دُونَ تَوَقُّفٍ، فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَعْرِفُ مَصِيرَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، مِثْلَ الْأَوَّلِ صَاحِبِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. فَسَأَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأَمْوَالِ الْآخَرَى مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ صَاحِبُهَا حُقُوقَهَا الشَّرْعِيَّةَ، فَمَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ؟ فَأَخْبَرَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا مِنْ صَاحِبِ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا كَانَ جَزَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُجْلَسَ وَيُلْقَى مُنْبَطِحًا عَلَى وَجْهِهِ لِهَذِهِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ بِمَكَانٍ مُتَّسِعٍ مُسْتَوٍ؛ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ أَوْسَعَ لِلْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، فَتَأْتِي عَلَى أَكْمَلِ عَدَدٍ كَانَتْ بِهِ فِي الدُّنْيَا، «لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ»، أَي: مُلْتَوِيَّةُ الْقَرْنَيْنِ، بَلْ يَكُونُ قَرْنَاهَا مُسْتَوِيَيْنِ مَمْدُودَيْنِ، فَتَكُونُ أَقْوَى وَأَشَدَّ فِي الضَّرْبِ، «وَلَا جَلْحَاءٌ»، أَي: وَلَيْسَ فِيهَا مَعْدُومَةُ الْقُرُونِ، بَلْ كُلُّهَا ذَاتُ قُرُونٍ، وَلَيْسَ فِيهَا عَضْبَاءٌ، وَهِيَ مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ،



فَتَأْتِي هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا عَلَى صَاحِبِهَا، فَتَضْرِبُهُ بِقُرُونِهَا وَرَأْسِهَا، وَتَدُوسُهُ بِأَظْفَارِهَا وَأَرْجُلِهَا، وَالظَّلْفُ مِثْلُ الظُّفْرِ، وَهُوَ الْعَظْمُ النَّاتِي فِي أَطْرَافِ أَقْدَامِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَعْرِفَ مَصِيرَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. فَسَأَلَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم النَّبِيَّ ﷺ: مَاذَا نَصْنَعُ فِي الْخَيْلِ وَمَا الْوَاجِبُ فِيهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ»، أَي: أَنْ أَصْحَابَهَا فِي الْأَجْرِ وَالْجِزَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ؛ **الْأَوَّلُ**: «هِيَ لِرَجُلٍ وَزْرٌ»، أَي: جَالِبَةٌ لِلذَّنْبِ وَالْإِثْمِ، وَهُوَ الَّذِي أَمْسَكَهَا وَرَبَّاهَا لِلْفَخْرِ بَيْنَ النَّاسِ بِكَثْرَتِهَا وَقِيمَتِهَا، وَهَيْئَتِهَا وَرُكُوبِهَا، وَرَبَّمَا كَانَتْ لِلْمُعَادَاةِ وَالْحَرْبِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَهَذِهِ جَالِبَةٌ لِلْوِزْرِ وَالْإِثْمِ لِصَاحِبِهَا.

وَالثَّانِي: «هِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ»، أَي: تَسْتُرُهُ وَتُغْنِيهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّطَهَا وَرَبَّاهَا وَنَمَّاهَا فِي وَجْهِهِ الْخَيْرِ لِنَفْسِهِ وَلْغَيْرِهِ. وَفِي رَوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: «رَبَّطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا»؛ كَأَن يُتَاجَرَ فِيهَا أَوْ يَسْتُخْدِمُهَا فِي مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِ أَرْضِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُخْرِجْهَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَرْبِ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، بَلْ أَدَّى الْحُقُوقَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِ فِيهَا؛ مِنْ تَوْصِيلِ مَنْفَعَتِهَا لِلنَّاسِ بِإِعَارَتِهَا لِلْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا،

وَالثَّالِثُ: «هِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ»، أَي: جَالِبَةٌ لِصَاحِبِهَا الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَهُوَ الَّذِي أَوْقَفَهَا عَلَى خِدْمَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَنَشَرَ الدِّينَ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَمِنْ حِفْظِهَا أَنَّهُ رَعَاهَا «فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ»، أَي: فِي حَدَائِقَ وَبَسَاتِينَ تَرَعَى وَتَأْكُلُ فِيهَا، فَكُلَّمَا أَكَلَتْ أَوْ شَرِبَتْ مِنَ الْحَدِيقَةِ أَوْ الْبُسْتَانِ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرٌ وَثَوَابٌ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، وَكُتِبَ لَهُ حَسَنَاتٌ بَعْدَ مَا أَخْرَجَتْهُ مِنْ فَضْلَاتِ طَعَامِهَا، وَالرَّوْثُ: هُوَ رَجِيعُ الْحَيَوَانَاتِ مِنَ الْفَضْلَاتِ وَالْمَخْلَقَاتِ الْخَارِجَةِ مِنْ بُطُونِهَا، وَهَذَا مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي

احتساب الثواب؛ لأنه إذا كُتِبَ بعدد الأرواث والأبوال حسنات؛ فكيف بغيرها؟! وقيل: إنما كُتِبَت الأرواث والأبوال حسنات؛ لأن بها بقاء حياتها، مع أن أصلها قبل الاستحالة غالباً من مال مالِكها. ثم بين ﷺ المزيد من الثواب الذي يناله صاحبها على آثارها وما يصدر منها من حركات؛ فأخبر أنه لا «تقطع طولها»، أي: لا تقطع حبلاً من حبالها، «فاستنت شرفاً أو شرفين»، أي: فجرت وأسرعت الجري، فذهبت وصعدت فوق مرتفع من الأرض أو جبل أو جبلين، «إلا كتب الله له عدد آثارها»، أي: بعدد خطواتها، «وأرواثها، حسنات، ولا مرر بها صاحبها على نهر، فشربت منه ولا يريد أن يسقيها؛ إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات»، والمراد: أن كل أوقات حياتها وحركاتها وأكلها وشربها؛ تكتب لصاحبها أجراً وحسنات بفضل الله ونعمته. ثم سأله الصحابة رضي الله عنهم: ماذا يجب في الحمير الأهلية التي تستخدم في الحرث وخدمة الأرض؟ فأجاب النبي ﷺ أنه لم ينزل عليه شيء خاص بالحمير وما يجب فيها، «إلا هذه الآية الفادة الجامعة»، أي: المتفردة الجامعة لكل معاني الخير والشر في العمل من الفرائض أو النوافل. وفي الحديث: الترهيب من كنز الأموال وترك إخراج حق الله فيها. وفيه: بيان التغليظ في عقوبة منع الزكاة. وفيه: بيان وجوب الزكاة في الفضة والذهب، والإبل والبقر والغنم، بشروطها. وفيه: فضل الخيل وما يكون في نواصيها من الخير والبركة إذا كان اتّخاذها في الطاعة. وفيه: الترهيب في عمل كل خير مهما قل حجمه أو خف وزنه.



٦. الابتلاء بالقحط وعدم نزول المطر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بِبَعْضِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»^(١). وفي لفظ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَنَعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا ابْتِلَاهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ»^(٢).

٧. يُعَزَّرُ بِأَخْذِ جِزءٍ مِنْ مَالِهِ: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ إِبِلٍ سَائِمَةٍ، فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ ابْنَةً لَبُونٌ، لَا تُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا»^(٣) مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا^(٤) فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا مِنْهُ وَشَطْرُ إِبِلِهِ عَزْمَةٌ^(٥) مِنْ

(١) (ج٤) (٤٠١٩)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٦).

(٢) المعجم الأوسط (٤٥٧٧)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٦).

(٣) قَوْلُهُ: (لَا تُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا): مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَالِكَ لَا يُفَرَّقُ مِلْكُهُ عَنْ مِلْكٍ غَيْرِهِ حَيْثُ كَانَ خَلِيطَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ، أَوْ الْمَعْنَى تَحَاسَبَ الْكُلُّ فِي الْأَرْبَعِينَ وَلَا يَتْرُكُ هَذَا وَلَا سَمِينٌ وَلَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، نَعَمْ الْعَامِلُ لَا يَأْخُذُ إِلَّا الْوَسْطَ. عون المعبود (٣/ ٤٩٤).

(٤) (مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا بِهَا): أَيُّ قَاصِدًا لِلْأَجْرِ بِإِعْطَائِهَا. عون المعبود (٣/ ٤٩٤).

(٥) مَعْنَى الْعَزْمَةِ فِي اللُّغَةِ الْجَدُّ فِي الْأَمْرِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ مَفْرُوضٌ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَالْعَزَائِمُ الْفَرَائِضُ كَمَا فِي كُتُبِ اللُّغَةِ كَذَا فِي النَّيْلِ. وَقَالَ فِي سُبُلِ السَّلَامِ: الْعَزْمَةُ الْجَدُّ وَالْحَقُّ فِي الْأَمْرِ يَعْنِي آخِذٌ ذَلِكَ بِجَدٍّ لِأَنَّهُ وَاجِبٌ مَفْرُوضٌ. عون المعبود (٣/ ٤٩٤).

عَزَمَاتِ رَبَّنَا^(١) لَا يَحِلُّ لَالٍ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ^(٢).

٨. قِتَالِ الْمَمْتَنِينَ مِنْ إِخْرَاجِهَا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٣). وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ؛ وَهِيَ عِبَادَةُ مَالِيَّةٍ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ مَالٍ بَلَغَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ الشَّرْعِيَّ، وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، فَيُخْرَجُ مِنْهُ رُبْعُ الْعَشْرِ، فَتُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُصْرَفُ فِي الْفُقَرَاءِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمَا أُمُّ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ. فَإِذَا فَعَلُوا هَذِهِ الْأُمُورَ، أَصْبَحَتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ مَعْصُومَةٌ بِعِصْمَةِ الْإِسْلَامِ. ثُمَّ قَالَ: إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْعِصْمَةِ، أَي: فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَعِصِمُ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَلَا يَحِلُّ قَتْلُهُمْ إِلَّا إِذَا ارْتَكَبُوا جَرِيمَةً أَوْ جَنَايَةً يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا الْقَتْلَ بِمُوجِبِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ؛ فَيُقْتَلُ الْقَاتِلُ قِصَاصًا، وَيُقْتَلُ الْمُرْتَدُّ وَالزَّانِي الْمُحْصَنُ حَدًّا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَوَلَّى اللَّهُ تَعَالَى حِسَابَهُمْ؛ فَيُثَبِّبُ الْمُخْلِصَ، وَيُعَاقِبُ الْمُنَافِقَ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الظَّاهِرُ. وَلَا يَعْنِي هَذَا الْحَدِيثُ إِكْرَاهَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، بَلْ هُمْ مُخَيَّرُونَ بَيْنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ دَفْعِ الْجَزْيَةِ؛ فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا مَنَعَ الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَيْسَ إِلَّا الْمُقَاتَلَةُ؛ فَالْقِتَالُ هُوَ لِمَنْ يُقَاتِلُنَا إِذَا أَرَدْنَا إِظْهَارَ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَوْضَحَّتْهُ نصوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(١) (مِنْ عَزَمَاتِ رَبَّنَا) أَي: حُقُوقِهِ وَوَاجِبَاتِهِ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَأْخُذُ الْإِمَامُ الزَّكَاةَ قَهْرًا مِمَّنْ مَنَعَهَا. عون المعبود (٣/ ٤٩٤).

(٢) (حَم) (٢٠٠٥٠)، (س) (٢٤٤٤)، (د) (١٥٧٥)، (عَب) (٦٨٢٤).

(٣) البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).



٩. البشارة بالعذاب الأليم في الآخرة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١). قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: كُلُّ مَالٍ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا. وَكُلُّ مَالٍ لَا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَهُوَ كَنْزٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا. وَمِثْلُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢). وَالْآيَةُ ذِمٌّ وَوَعِيدٌ لِمَنْ يَمْنَعُ حَقُّوقَ مَالِهِ الْوَاجِبَةِ مِنَ الزَّكَاةِ^(٣).

١٠. ومن عقوباته - مانع الزكاة - اختلف الفقهاء في كفره: فالجماهير على أنه فاسق مرتكب لكبيرة من الكبائر وإثمه عظيم وواقع تحت الوعيد الشديد. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَحْمَدَ: يُحَكَّمُ بِكُفْرِهِ وَلَا يُورَثُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ^(٤).

١١. منعها سبب في اللعنة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: «أَكُلُ الرَّبَا»^(٥) وَمُوكِلُهُ^(٦) وَكَاتِبُهُ وَشَاهِدَاهُ إِذَا عَلِمُوا بِهِ، وَالْوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ لِلْحُسْنِ، وَلَاوِي الصَّدَقَةِ، وَالْمُرْتَدُّ أَعْرَابِيًّا بَعْدَ هِجْرَتِهِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٧). «وَلَاوِي الصَّدَقَةِ»، أَي: مَانِعُهَا... «عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أَي:

(١) [التوبة: ٣٤].

(٢) تفسير البغوي - طيبة (٤ / ٤١).

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (١ / ٥١٣).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣ / ٢٣١).

(٥) أَي: مُعْطِيهِ لِمَنْ يَأْخُذُهُ. عون المعبود (٧ / ٣١٦).

(٦) أَي: أَخْذُهُ وَإِنْ لَمْ يَأْكُلْ، وَإِنَّمَا خُصَّ بِالْأَكْلِ، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْإِنْتِفَاعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾. تحفة الأحوذى (٣ / ٢٩٨).

(٧) صحيح ابن حبان (٣٢٥٢)، السنن الكبرى للنسائي (٥٥١٢)، صحيح الترغيب والترهيب (٧٥٧).

أَنَّ الَّذِي لَعَنَهُمُ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقِيَدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ الْمُجَازَاةِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

١٢. دخول النار يوم القيامة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يَكُونُ عَبْدٌ بِكَتَرٍ فَيَمَسُّ دِينَارًا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا دِرْهَمًا، وَلَكِنْ يَوْسَعُ جِلْدُهُ، فَيُوضَعُ كُلُّ دِينَارٍ وَدِرْهَمٍ عَلَى حَدَّتِهِ^(٢).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا عَلَى مُعَاقِبَةِ الْعَبْدِ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ، كَمَا حُرِّمَ الْقَاتِلُ الْمِيرَاثَ، وَوَرَّثَ الْمُطَلَّقةُ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ، وَكَذَلِكَ الْفَارُّ مِنَ الزَّكَاةِ لَا يُسْقِطُهَا عَنْهُ فِرَارُهُ وَلَا يُعَانُ عَلَى قَصْدِهِ الْبَاطِلُ فَيَتِمُّ مَقْصُودُهُ وَيَسْقُطُ مَقْصُودُ الرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ عَامَّةُ الْحِيلِ إِنَّمَا يُسَاعِدُ فِيهَا الْمُتَحِيلُ عَلَى بُلُوغِ غَرَضِهِ وَيُيْطِلُ غَرَضَ الشَّارِعِ^(٣).



(١) (طص) (٩٣٥)، صحيح الجامع: (٥٨٠٧)، صحيح الترغيب والترهيب: (٧٦٢).

(٢) (طب) (٨٧٥٤)، (عب) (١٠٦٩٧)، صحيح الترغيب والترهيب: (٧٦٦).

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/١٩٣).

٤٨. عقوبات الناشئات

١. الملائكة تلعنّها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ، هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»^(١). وفي رواية بهذا الإسناد، وَقَالَ: «حَتَّى تَرْجِعَ». الزواجُ علاقةٌ شرعيةٌ بين الزوجين، وقد بينَ الشرعُ حقوقَ وواجباتِ كلٍّ منهما. وفي هذا الحديث: يُبينُ النبي ﷺ حكمَ امتناعِ المرأةِ من فِرَاشِ زَوْجِهَا إِذَا دَعَاها، وهو كنايةٌ عن المُعاشرةِ والجِماعِ، فإذا طَلَبَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ يُجَامِعَهَا، فامتنعتْ عن إجابته، فغَضِبَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا، وبَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ؛ كَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةً عَلَى الزَّوْجَةِ، حَيْثُ تَلْعَنُهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَدْعُو عَلَيْهَا بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى الصَّبَاحِ؛ لِأَنَّهَا عَصَتْ زَوْجَهَا وَمَنَعَتْهُ حَقَّهُ الشَّرْعِيَّ، وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ: «لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ»، وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ اللَّعْنَ تَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا حَتَّى تَزُولَ الْمَعْصِيَةُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا، أَوْ بِتَوْبَتِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى الْفِرَاشِ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا لَوْ كَانَ لَدَيْهَا عُذْرٌ شَرْعِيٌّ مِنْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِ؛ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ. وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنْ عِصْيَانِ الْمَرْأَةِ لَزَوْجِهَا. وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ دُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ؛ لَكُونِهِ ﷻ خَوْفَ بِذَلِكَ.

(١) مسلم (١٤٣٦). (لَعَنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ) هذا دليل على تحريم امتناعها من فراشه لغير عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، وليس الحيض بعذرٍ في الامتناع، لأنَّ له حقًّا في الاستمتاع بها فوق الإزار، ومعنى الحديث: أَنَّ اللَّعْنَ تَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا حَتَّى تَزُولَ الْمَعْصِيَةُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ، وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا، أَوْ بِتَوْبَتِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى الْفِرَاشِ.

٢. الرجوع بسخط الله تعالى عليها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(١). أي: لمجامعتها أو نحوه؛ فالفرش هنا كناية عن الجماع، وهو من الكنايات الحسنة عن الأشياء التي يُستَحْي منها، «فتأبى عليه»، أي: فتمتنع عن إجابته وعن إيساعده من غير عذر شرعي، «إلا كان الذي في السماء» يعني: الله سبحانه وتعالى، «ساخطًا عليها حتى يرضى عنها»، أي: حتى يرضى عنها زوجها؛ لأنها عصته ومنعته حقه الشرعي؛ وهي مأمورة بطاعة زوجها في غير معصية؛ هذا في قضاء الشهوة؛ فكيف إذا كان في أمر الدين؟! وفي هذا الحديث: دليل على عظم حق الزوج على زوجته. وفيه: دليل على أن منع الحقوق في الأبدان أو الأموال - ومنها: سخط الزوج - يوجب سخط الرب ﷻ.

٣. عدم قبول صلاتها: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَجَاوِزُ صَلَاتَهُمْ آذَانَهُمْ: الْعَبْدُ الْأَبْقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ»^(٢)، وَإِمَامٌ قَوْمٌ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ»^(٣).

٤. عدم صعود الحسنات: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا يَصْعَدُ لَهُمْ حَسَنَةٌ. الْعَبْدُ الْأَبْقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي أَيْدِيهِمْ، وَالْمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّى يَرْضَى،

(١) مسلم (١٤٣٦).

(٢) هذا إذا كان السخط لسوء خلقها، أو سوء أدبها، أو قلة طاعتها، أما إن كان سخط زوجها من غير جرم، فلا إثم عليها. تحفة (١/ ٣٨٧).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٣٦٠)، صحيح الجامع (٣٠٥٧)، المشكاة (١١٢٢).



وَالسَّكَرَانُ حَتَّى يَصْحَوْ»^(١).

٥. عصيانه سبيل إلى النار: عَنْ الْحُصَيْنِ بْنِ مَحْصَنٍ عليه السلام قَالَ: أَتَتْ عَمَّتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَفَرَّغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟»، قَالَتْ: مَا أَلَوْهُ^(٢) إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: «فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتِكَ وَنَارُكَ»^(٣). قال المناوي: «انظري» أيتها المرأة التي هي ذات بعل، «أين أنت منه» أي في أي منزلة أنت منه، أقرية من مودته مُسَعْفَةٌ له عند شدته ملبية لدعوته، أم متباعدة من مرامه كافرة لعشرته وإنعامه، «إِنَّمَا هُوَ جَنَّتِكَ وَنَارُكَ»، أي هو سبب لدخولك الجنة برضاه عنك، وسبب لدخولك النار بسخطه عليك، فأحسني عشرته ولا تخالفي أمره فيما ليس بمعصية. وأخذ الذهب من هذا الحديث ونحوه أن التشوز كبيرة^(٤).

٦. عصيانه عصيانُ الله تعالى: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ حَتَّى أَنْ لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْ»^(٥). أي: لو كان هناك سُجُودٌ لغير الله، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن؛ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ، أي: لِمَا لَهُمْ مِنْ فَضْلٍ، وَلِعِظَمِ

(١) صحيح ابن خزيمة (٩٤٠)، قال الألباني: إسناده ضعيف كما بينته في الضعيفة (١٠٧٥)، قال

شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، كما في تحقيقه صحيح ابن حبان (٥٣٥٥).

(٢) يَأْلُوا: يتقاصر ويتوانى.

(٣) (حم) (١٩٠٢٥)، (ك) (٢٧٦٩)، (هق) (١٤٤٨٣)، (ش) (١٧١٢٥)، انظر صحيح الجامع:

(١٥٠٩)، والصحيحة: (٢٦١٢).

(٤) المناوي: فيض القدير (٣/ ٦٠).

(٥) (جة) (١٨٥٣)، (حب) (٤١٧١)، وصححه الألباني في الإرواء: (١٩٩٨).

دورهم في الحياة. وفي الحديث: أَنَّ السُّجُودَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ. وفيه: عِظَمُ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْحَثِّ عَلَى عَدَمِ عِصْيَانِهِ.. وَالْقَتْبُ: هُوَ آلَةٌ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْجَمَلِ كَالْإِكَافِ لَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَهِيَ تَسِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ. والمراد منه: حَثُّ الْمَرْأَةِ عَلَى مُطَاوَعَةِ زَوْجِهَا وَأَنَّهَا لَا يَنْبَغِي لَهَا الْامْتِنَاعُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؛ فَكَيْفَ فِي غَيْرِهَا؟!

٧. الحور العين تدعو عليها: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ»^(١) أَوْشَكَ أَنْ يَفَارِقَكَ إِلَيْنَا^(٢)». أي: تَتَسَبَّبُ أَوْ تُصِيبُ زَوْجَهَا الْمُؤْمِنَ بَشَرًا، بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَنْهَى عَنْهُ الشَّرْعُ، «إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ»، أي: مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ «مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ»، وَالْحَوْرَاءُ هِيَ شَدِيدَةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنُ - بِالْكَسْرِ - هِيَ وَاسِعَةُ الْعَيْنِ: «لَا تُؤْذِيهِ، قَاتِلُكَ اللَّهُ»، أي: عَادَاكَ أَوْ قَتَلَكَ أَوْ لَعَنَكَ، وَهِيَ غَالِبًا كَلِمَةٌ تُسْتَحْدَمُ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يُرَادُ حَقِيقَةُ مَعْنَاهَا، كـ «ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ» وَنَحْوِ ذَلِكَ، «فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ»، أي: ضَيْفٌ غَرِيبٌ نَزِيلٌ عِنْدَكَ، «يُوشِكُ أَنْ يَفَارِقَكَ إِلَيْنَا»، أي: قَرِيبًا يَتْرُكُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَكُونُ مَعَنَا. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّرْهيبُ الشَّدِيدُ مِنْ إِذَاءِ الزَّوْجَةِ لَزَوْجِهَا. وفيه: دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى يَطَّلِعُونَ عَلَى أَعْمَالِ أَهْلِ الدُّنْيَا. وفيه: غَيْرَةُ الْحُورِ الْعَيْنِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فِي الدُّنْيَا.

(١) أي: ضَيْفٌ وَنَزِيلٌ.

(٢) أي: هُوَ كَالضَّيْفِ عَلَيْكَ، وَأَنْتِ لَسْتِ بِأَهْلٍ لَهُ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا نَحْنُ أَهْلُهُ، فَيَفَارِقُكَ وَيَلْحَقُ بِنَا. تحفة الأحوذى (٣/ ٢٥٤).

(٣) (ت) (١١٧٤)، (ج) (٢٠١٤)، الصحيحة (١٧٣)، صحيح الجامع (٧١٩٢).



٨. **عدم نظر الله تعالى إليها:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِرَوْجِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ»^(١). والمعنى: لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تعالى نَظْرَةً فِيهَا رَحْمَةً «إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِرَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ»، يعني: أَنَّ زَوْجَهَا أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَقَامَ بِأُمُورِهَا لِدَرَجَةٍ تَصِلُ إِلَى عَدَمِ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ هِيَ لَا تَشْكُرُهُ، وَتَكْفُرُ مَعْرُوفَهُ، وَلَا يَقْصِدُ بِالشُّكْرِ هُنَا مُجَرَّدُ الشُّكْرِ بِاللِّسَانِ، ثُمَّ تُوْذِيهِ بِمَسَاوِيِّ الْأَفْعَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْخِصَالِ، بَلِ الشُّكْرُ يَقْصَدُ بِهِ هُنَا: الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ إظهارِ السُّرُورِ، وَالرَّاحَةِ بِالْحَيَاةِ فِي كَنَفِهِ، وَالْقِيَامِ عَلَى أُمُورِهِ وَأُمُورِ وَلَدِهِ، وَخِدْمَتِهِ، وَعَدَمِ التَّخَلِّيِ عَنْهُ فِي مِحْنِهِ، وَعَدَمِ تَتَبُعِ عَثَرَاتِهِ، وَتَرْكِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ فِي مَوَاطِنِ خَلَلِهِ، وَزَلَلِهِ وَقُصُورِهِ، وَتَجْبِيهِ إِذَا طَلَبَهَا، وَتَسْتَمْعٍ إِلَيْهِ إِذَا مَا أَفْضَى إِلَيْهَا، وَتَحْفَظُ سِرَّهُ إِذَا أَسَرَّ إِلَيْهَا شَيْءًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

٩. **الدخول مع الفساق في النار:** عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْفُسَّاقَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ الْفُسَّاقُ؟ قَالَ: «النِّسَاءُ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَسْنَ أُمَّهَاتِنَا، وَأَخَوَاتِنَا، وَأَزْوَاجُنَا؟، قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِينَ لَمْ يَشْكُرْنَ، وَإِذَا ابْتُلِينَ لَمْ يَصْبِرْنَ»^(٢). والفسق هو الخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْفُسَّاقُ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ الْفُسَّاقُ؟»، الَّذِينَ تَقْصِدُهُمْ بِهَذَا التَّحْذِيرِ «قَالَ: النَّسَاءُ»، وَلَفْظُهُ ﷺ هُنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ»

(١) (ن) (٩١٣٥)، (ك) (٢٧٧١)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٢٨٩)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (١٩٤٤).

(٢) (حم) (١٥٧٠٤)، (ك) (٢٧٧٣)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٣٠٥٨).

مُسْتَفْهِمًا وَمُتَعَجِّبًا مِّنْ كَوْنِ النِّسَاءِ هُنَّ الْفُسَّاقُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، «أَوَلَسْنَ أُمَّهَاتِنَا، وَأَخَوَاتِنَا، وَأَزْوَاجُنَا؟»، فَالنِّسَاءُ هُنَّ الْأُمَّهَاتُ اللَّاتِي أَنْجَبْنَ الرِّجَالَ وَالصَّالِحِينَ، وَهُنَّ الْأَخَوَاتُ وَالزَّوْجَاتُ اللَّائِي يَعِشْنَ مَعَ الرِّجَالِ وَيُشَارِكْنَهُمُ الْحَيَاةَ، فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ «قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِينَ» شَيْئًا مِّنَ الْمَالِ، أَوْ أَيْ عَطَاءٍ «لَمْ يَشْكُرْنَ» مَنْ أَعْطَاهُنَّ حَقَّ الشُّكْرِ، بَلْ يَسْخَطُنَّ وَيَنْسِينَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَجْحَدْنَ مَا أَخَذْنَهُ، «وَإِذَا ابْتُلِينَ لَمْ يَصْبِرْنَ» فَإِذَا وَقَعْنَ فِي مُحَنَةٍ وَشِدَّةٍ لَمْ يَصْبِرْنَ عَلَيْهَا، بَلْ يُكْثِرْنَ الشَّكْوَى وَالْجَزَعَ. وَقِيلَ: لَعَلَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِمَا يَغْلِبُ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ الْهَوَى وَالْمِيلِ إِلَى عَاجِلِ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِنَقْصَانِ عُقُولِهِنَّ، فَيَضَعُفْنَ عَنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَالتَّأَهُبِ لَهَا؛ لِمِيلِهِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَالتَّزَيُّنِ بِهَا، وَأَكْثَرَهُنَّ مُعْرِضَاتٌ عَنِ الْآخِرَةِ، سَرِيعَاتُ الانْخِدَاعِ لِرَاغِبِيهِنَّ مِنَ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الدِّينِ، عَسِيرَاتُ الْاسْتِجَابَةِ لِمَنْ يَدْعُوهُنَّ إِلَى الْآخِرَةِ وَأَعْمَالِهَا، فَيَقَعْنَ فِي الْعِقَابِ وَالنَّارِ.

١٠. **الانصاف بالنفاق:** عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُخْتَلِعَاتُ^(١) وَالْمُتَزَعَاتُ، هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ»^(٢). أَي: اللَّوَاتِي يَلْتَمِسْنَ الْخُلْعَ وَيَطْلُبْنَ الطَّلَاقَ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُّوجِبٍ لِّذَلِكَ، «وَالْمُتَزَعَاتُ» الْمُرَادُ: اللَّاتِي يَنْتَزِعْنَ أَنْفُسَهُنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَيَنْشُرْنَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الطَّاعَةِ، «هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ» وَجَعَلَهُنَّ مُنَافِقَاتٍ؛ تَغْلِيظًا وَتَشْدِيدًا؛ لِأَنَّهُنَّ يُظْهَرْنَ بِذَلِكَ كِرَاهَةُ الزَّوْجِ، وَفِي الْبَاطِنِ أَنَّهُنَّ يُرَدْنَ سِوَاهُ يَتَزَوَّجْنَ بِهِ بَعْدَ الْخُلْعِ، وَالْمُرَادُ الزَّجْرُ وَالتَّهْوِيلُ،.. وَقَدْ عَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْوُقُوعَ فِي ذَلِكَ كَبِيرَةً مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

(١) (الْمُخْتَلِعَاتُ): اللَّاتِي يَطْلُبْنَ الْخُلْعَ وَالطَّلَاقَ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ غَيْرِ شِدَّةٍ تُلْجِئُهَا إِلَى سُؤَالِ الْمَفَارَقَةِ. تحفة الأحوذى (٣/ ٢٧٢).

(٢) (ت) (١١٨٦)، (س) (٣٤٦١)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (١٩٣٨)، الصَّحِيحَةُ: (٦٣٢).



من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ يُقَالُ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اثْنَانِ: امْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا، وَإِمَامٌ قَوْمٌ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، قَالَ مَنْصُورٌ: فَسَأَلْنَا عَنْ أَمْرِ الْإِمَامِ؟ فَقِيلَ لَنَا: إِنَّمَا عَنَى بِهَذَا أئِمَّةٌ ظَلَمَتْ، فَأَمَّا مَنْ أَقَامَ السُّنَّةَ، فَإِنَّمَا الْإِثْمُ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ^(١).

* طاعة فاطمة بنت النبي ﷺ: عن أبي الورد بن ثمامة قال: قال علي رضي الله عنه لابن أعبد: ألا أحادثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت من أحب أهله إليه؟ قلت: بلى. قال: إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَرَتْ فِي يَدِهَا، وَاسْتَقَتْ بِالْقُرْبَةِ حَتَّى أَثَرَتْ فِي نَحْرِهَا، وَكُنَسَتْ الْبَيْتَ حَتَّى أَغْبَرَّتْ ثِيَابَهَا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِخَدَمٍ. فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِهِ خَادِمًا، فَأَتَتْهُ فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ أَحَدًا، فَرَجَعَتْ، فَأَتَاهَا مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا كَانَتْ حَاجَتُكَ؟ فَسَكَتَتْ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَحَدْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَرَتْ فِي يَدِهَا، وَحَمَلَتْ بِالْقُرْبَةِ حَتَّى أَثَرَتْ فِي نَحْرِهَا، فَلَمَّا أَنْ جَاءُوا بِالْخَدَمِ، أَمَرَتْهَا أَنْ تَأْتِيكَ تَسْتَخْدِمُكَ خَادِمًا يَقِيهَا حَرٌّ مَا هِيَ فِيهِ. فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ يَا فَاطِمَةُ، وَأَدِي فَرِيضَ رَبِّكَ، وَاعْمَلِي عَمَلَ أَهْلِكَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ: فَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ، هِيَ خَيْرٌ مِنْ خَادِمٍ. قَالَتْ: رَضِيتُ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ، وَلَمْ يَخْدَمْهَا خَادِمٌ^(٢).

* ونذكر هنا قصة طيبة ترويها لنا أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه نتعلم منها ضرورة المحافظة على مشاعر الزوج واحترام طباعه: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي

(١) (ت) (٣٥٩)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٢) (خ) (٣٥٠٢)، (م) ٨٠ - (٢٧٢٧)، (حم) (١١٤١).

بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرِ نَاضِحٍ وَغَيْرِ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرَزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٍ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةً صَدِيقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثَلَاثِي فَرَسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: «إِنْخُ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أُسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكَ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي ^(١).
فهذه الرواية تدل على ما يجب على الزوجة من احترام لمشاعر زوجها، فأسماء رضي الله عنها تعلم من زوجها الزبير رضي الله عنه شدة غيrote فاحترمت ذلك، وفضلت إجهاد نفسها وحمل ما لا تطيق على عصيان زوجها وعدم احترام مشاعره.

* يُحَدِّثُنَا التَّارِيخُ أَنَّ شَرِيحًا قَابِلَ الشَّعْبِيِّ يَوْمًا، فَسَأَلَهُ الشَّعْبِيُّ عَنْ حَالِهِ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِنْ عَشْرِينَ عَامًا لَمْ أَرِ مَا يُغْضِبُنِي مِنْ أَهْلِي، قَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ شَرِيحٌ: مِنْ أَوَّلِ لَيْلَةٍ دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِي، رَأَيْتُ فِيهَا حَسَنًا فَاتِنًا، وَجَمَالًا نَادِرًا، قُلْتُ لِنَفْسِي: فَلَا طَهْرَ وَأَصْلِي رَكَعَتَيْنِ شُكْرًا لِلَّهِ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ وَجَدْتُ

(١) البخاري (٥٢٢٤)، مسلم (٢١٨٢). (مملوك) من عبد أو أمة. (ناضح) بغير يستقى عليه. (أخرز) من الخرز وهو خياطة الجلود ونحوها. (غربة) الدلو الكبير. (سياسة الفرس) ترويضها وتدريبها.



زوجتي تُصَلِّي بِصَلَاتِي، وَتُسَلِّمُ بِسَلَامِي، فَلَمَّا خَلَا الْبَيْتَ مِنَ الْأَصْحَابِ
وَالْأَصْدِقَاءِ، قَمَتُ إِلَيْهَا، فَمَدَدْتُ يَدِي نَحْوَهَا، فَقَالَتْ: عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا أُمِيَّةَ،
كَمَا أَنْتَ، ثُمَّ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأُسْتَعِينُهُ وَأُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِنِّي
امْرَأَةٌ غَرِيبَةٌ لَا عِلْمَ لِي بِأَخْلَاقِكَ، فَبَيَّنَ لِي مَا تُحِبُّ فَآتِيهِ، وَمَا تَكْرَهُ فَأَتْرَكْهُ،
وَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ فِي قَوْمِكَ مِنْ تَتْرُوجُهُ مِنْ نِسَائِكُمْ، وَفِي قَوْمِي مِنَ الرِّجَالِ مَنْ هُوَ
كَفءٌ لِي، وَلَكِنْ إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَقَدْ مَلَكَتْ فَاصِنَعُ مَا أَمَرَكَ بِهِ
اللَّهُ، ﴿فَإِنْ سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(١)، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي
وَلَكَ. قَالَ شَرِيحٌ: فَأَحْوَجْتَنِي وَاللَّهُ يَا شُعْبِي إِلَى خُطْبَةٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَقُلْتُ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأُسْتَعِينُهُ، وَأُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَأَسْلَمَ، وَبَعْدَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ
كَلَامًا إِنْ ثَبَّتَ عَلَيْهِ يَكُنْ ذَلِكَ حِظُّكَ، وَإِنْ تَدْعِيهِ يَكُنْ حِجَّةٌ عَلَيْكَ، أَحَبُّ كَذَا
وَكَذَا، وَأَكْرَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ حَسَنَةٍ فَانْشَرِيهَا، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ سَيِّئَةٍ
فَاسْتَرِيهَا. فَقَالَتْ: كَيْفَ مَحَبَّتُكَ لَزِيَارَةِ أَهْلِي؟ قُلْتُ: مَا أَحَبُّ أَنْ يَمْلِكُنِي أَصْهَارِي
(لَا أَحَبُّ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الزِّيَارَةِ بِاسْتِمْرَارٍ فَأَمْلُ مِنْهُمْ)، فَقَالَتْ: فَمَنْ تُحِبُّ مِنْ
جِيرَانِكَ أَنْ يَدْخُلَ دَارَكَ فَأَذِنَ لَهُ، وَمَنْ تَكْرَهُ فَأَكْرَهُ؟ قُلْتُ: بَنُو فُلَانٍ قَوْمٌ
صَالِحُونَ. وَبَنُو فُلَانٍ قَوْمٌ سَوَاءٌ. قَالَ شَرِيحٌ: فَبَتَّ مَعَهَا بِأَنْعَمَ لَيْلَةٍ، وَعَشَتْ مَعَهَا
حَوْلًا لَا أَرَى إِلَّا مَا أَحَبُّ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ جِئْتُ مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، فَإِذَا
بِفُلَانَةٍ فِي الْبَيْتِ، قُلْتُ: مَنْ هِيَ؟ قَالُوا: خَتَنُكَ -أَيُّ أُمِّ زَوْجِكَ- فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهَا،
وَسَأَلْتَنِي: كَيْفَ رَأَيْتَ زَوْجَتَكَ؟ قُلْتُ: خَيْرَ زَوْجَةٍ، قَالَتْ: يَا أَبَا أُمِيَّةَ إِنَّ الْمَرْأَةَ
أَسْوَأُ حَالًا مِنْهَا فِي حَالَتَيْنِ: إِذَا وَلَدَتْ غُلَامًا، أَوْ حَظَّتْ عِنْدَ زَوْجِهَا (أَيُّ شَعَرَتْ

(١) [البقرة: ٢٢٩].

بحبه وتعلقه بها)، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة!!!، فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب، فمكثت معها عشرين عاماً لم أعقب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالماً، ثم ماتت رحمها الله^(١).

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ، يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيَفْطِرُنِي إِذَا صُمْتُ، وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ - قَالَ: وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ - فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّا قَالَتْ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ فَتَعْطِلُنِي^(٢) وَقَدْ نَهَيْتُهَا عَنْهُمَا^(٣)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتْ سُورَةٌ وَاحِدَةً لَكَفْتُ النَّاسَ»، وَأَمَّا قَوْلُهَا: يُفْطِرُنِي، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَا أَصْبِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ: «لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا»، وَأَمَّا قَوْلُهَا: إِنِّي لَا أَصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ، لَا نَكَادُ نَسْتَقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ^(٤)، قَالَ: «فَإِذَا اسْتَقِظْتَ فَصَلِّ»^(٥). قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله: وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ حَقَّ الزَّوْجِ آكُدُ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنَ التَّطَوُّعِ بِالْخَيْرِ، لِأَنَّ حَقَّهُ وَاجِبٌ، وَالْقِيَامُ بِالْوَجِبِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْقِيَامِ

(١) ابن الجوزي: أحكام النساء (ص: ١٣٤)، وكيع الضبي في أخبار القضاة (٢/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) الصَّحِيحَةُ تحت حديث: (٣٩٥).

(٣) (ك) (١٥٩٤)، (حم) (١١٧٧٦)، انظر الصَّحِيحَةُ تحت حديث: (٣٩٥).

(٤) في رواية أحمد: «وَأَمَّا قَوْلُهَا: إِنِّي لَا أَصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنِّي ثَقِيلُ الرَّأْسِ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَعْرِفُونَ بِذَلِكَ بِثَقَلِ الرَّءُوسِ...» مسند أحمد (١/ ١١٨٠).

(٥) (د) (٢٤٥٩)، (حم) (١١٧٧٦)، (حب) (١٤٨٨)، وصححه الألباني في الإرواء تحت

حديث: (٢٠٠٤)، والصَّحِيحَةُ: (٢١٧٢).



بالتطوع^(١).

* كان ببغداد بزّاز^(٢) له ثروة، فبينما هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه، فبينما هي تحدثه كشفت عن وجهها في خلال ذلك، فتحير، وقال: قد والله تحيرت مما رأيت، فقالت: ما جئت لأشتري شيئاً، إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل لأتزوج، وقد وقعت أنت بقلبي، ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟ فقال لها: لى ابنة عم وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أغيرها، ولي منها ولد. فقالت: قد رضيت أن تجيء إليّ في الأسبوع نوبتين، فرضي، وقام معها فعقد العقد، ومضى إلى منزلها فدخل بها. ثم ذهب إلى منزله، فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده. ومضى، فبات عندها، وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها، فبقي على هذا ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟ فتبعته الجارية، فجاء إلى الدكان، فلما جاء الظهر قام، وتبعته الجارية، وهو لا يدري إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهن: لمن هذه الدار؟ فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزّاز. فعادت إلى سيدتها، فأخبرتها، فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد. ولم تظهر لزوجها شيئاً، فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض، ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة، وهي سبعة آلاف دينار، فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، فأعلميها أن الرجل مات،

(١) فتح الباري لابن حجر (٩/٢٩٦).

(٢) البزاز: بائع البز. والبز: الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها.

وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الأبْن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف
فقسمتها بيني وبينك، وهذا حقك، وسلميه إليها، فمضت الجارية، فطرقت
عليها الباب، ودخلت وأخبرتها خبر الرَّجل وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال،
فبكت، وفتحت صندوقها، وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلى
سيدتك وسلمي عليها عني، وأعلميها أنَّ الرَّجل طلقني، وكتب لي براءة، وردي
عليها هذا المال، فإنِّي ما استحق في تركته شيئاً^(١).



(١) صفة الصفوة - ط المعرفة ت فاخوري وقلعه جي (٢/ ٥٣٢).

٤٩. عقوبات التبرج

١. التبرج معصية لله ورسوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»^(٣). وَعَنْ أَبِي حَرِيرٍ، مَوْلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: خَطَبَ النَّاسَ مُعَاوِيَةُ، بِحِمَصٍ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «حَرَّمَ سَبْعَةَ أَشْيَاءَ، وَإِنِّي أُبَلِّغُكُمْ ذَلِكَ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ، مِنْهُنَّ: النَّوْحُ، وَالشَّعْرُ، وَالتَّصَاوِيرُ، وَالتَّبَرُّجُ، وَجُلُودُ السَّبَاعِ، وَالذَّهَبُ، وَالْحَرِيرُ»^(٤).

٢. التبرج كبيرة موبقة: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: جَاءَتْ أُمِّمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي، وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِيهِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ، وَلَا تَتَّبِعِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(٥).

(١) [النور: ٣١].

(٢) [الأحزاب: ٣٢].

(٣) البخاري (٧٢٨٠).

(٤) الضعيفة (٤٧٢٥)، رواه أحمد (١٦٩٣٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، ويشهد للنهي عن التبرج حديث فضالة بن عبيد في مسند أحمد رقم (٢٣٩٤٣).

(٥) رواه أحمد (١٩٦/٢)، وحسنه الألباني في جلاب المراءة المسلمة (ص: ١٢١)، ورواه أحمد

٣. اللعن والطرد من رحمة الله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ^(١)، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، لَخَدَمْنَ نِسَاؤَكُمْ نِسَاءَهُمْ كَمَا يَخْدُمُكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ»^(٢).

٤. الاتصاف بصفات أهل النار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٣). نَوْعٌ مِنَ النِّسَاءِ خَلَعْنَ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ ثَوْبَ الْعِفَّةِ وَالْحَيَاءِ، وَتَجَرَّدْنَ مِمَّا أَوْجَبَتْهُ عَلَيْهِنَّ الشَّرِيعَةُ مِنْ ثِيَابٍ سَاتِرَةٍ، وَخُلِقَ وَافِرٌ، مُخَالِفِينَ بِذَلِكَ اللَّهُ

(٦٨٥٠). وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(١) نَوْعٌ مِنَ الْجِمَالِ طَوَالَ الْأَعْنَاقِ.

(٢) (حم) (٧٠٨٣)، و(حب) (٥٧٥٣)، انظر الصَّحِيحَةُ: (٢٦٨٣)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٢٠٤٣).

(٣) مسلم (٢١٢٨). (صنفان الخ) هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين. (كاسيات عاريات) قيل معناه: تستر بعض بدنهن وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن. (مميلات) قيل: يعلمن غيرهن الميل، وقيل مميلات لأكتافهن. (مائلات) أي: يمشين متبخرات، وقيل: مائلات يمشين المشية المائلة وهي مشية البغايا، ومميلات يمشين غيرهن تلك المشية. (البخت) قال في اللسان: هي الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج. (والفالج البعير ذو السنامين وهو الذي بين البختي والعربي سُمِّيَ بذلك لأنَّ سنامه نصفان)، الواحد بختي، جمل بختي وناقعة بختية، ومعنى رؤسهنَّ كأسنمة البخت، أي يكبرنها ويعظمونها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.



ورَسُولُهُ، قال النَّبِيُّ ﷺ في وَصْفِهِنَّ: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ»، في الْحَقِيقَةِ، «عَارِيَاتٌ» في الْمَعْنَى؛ لَأَنَّهُنَّ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا رِقَاقًا تَصِفُ الْبَشْرَةَ، أَوْ يَسْتُرْنَ بَعْضَ بَدَنِهِنَّ وَيَكْشِفْنَ بَعْضَهُ؛ إِنْ ظَهَرَ لِلْجَمَالِ. وَإِنْ كُنَّ كَاسِيَاتٍ لِلثِّيَابِ عَارِيَاتٍ فِي الْحَقِيقَةِ، أَوْ كَاسِيَاتٍ بِالْحُلَى وَالْحُلِيِّ، عَارِيَاتٍ مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى، «مُمِيلَاتٌ» قُلُوبَ الرِّجَالِ إِلَيْهِنَّ، أَوْ مُمِيلَاتُ الْمَقَانِعِ -وَالْمِقْنَعُ الَّذِي تَغْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا وَظَهْرَهَا وَصَدْرَهَا- عَنْ رُؤُوسِهِنَّ؛ لِتُظْهَرَ وَجُوهُهُنَّ، وَقِيلَ: مُمِيلَاتٌ بِأَكْتَانِهِنَّ فَيَمْشِينَ مُتَبَخِّرَاتٍ مُمِيلَاتٍ لِأَكْتَانِهِنَّ، وَقِيلَ: يَمْلَنَ غَيْرَهُنَّ إِلَى فِعْلِهِنَّ الْمَذْمُومِ، «مَائِلَاتٌ» وَالْمِيلُ هُوَ الْانْحِرَافُ وَالزَّيْغُ، فَهِنَّ زَائِغَاتٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَلْزَمُهُنَّ مِنْ حِفْظِ حُدُودِهِ وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُنَّ أَيْضًا مَائِلَاتٌ إِلَى الرِّجَالِ بِقُلُوبِهِنَّ أَوْ بِقَوْلِهِنَّ، أَوْ مُتَبَخِّرَاتٌ فِي مَشْيِهِنَّ، أَوْ زَائِغَاتٌ عَنِ الْعَفَافِ، أَوْ مَائِلَاتٌ إِلَى الْفُجُورِ وَالْهَوَى، وَمِنْ صِفَاتِهِنَّ «رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ»، وَهِيَ جَمَالٌ طَوَالُ الْأَعْنَاقِ، وَالْأَسْنِمَةُ جَمْعُ سَنَامٍ، وَهِيَ الْجِزْعُ الْمُرْتَفِعُ النَّاتِي فَوْقَ ظَهْرِ الْجَمَلِ، وَكَلَّمَا كَانَ كَبِيرًا وَعَالِيًا كَانَ أَكْثَرَ مَيْلًا وَاهْتِزَازًا عِنْدَ الْحَرَكَةِ، فَهَؤُلَاءِ النِّسَاءُ يُعْظَمَنَّ حَجْمُ رُؤُوسِهِنَّ وَيَكْبُرَنَّهَا بِلَفِّ عِصَابَةٍ وَنَحْوِهَا، وَقِيلَ: يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَالِ لَا يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ، وَلَا يُنْكَسْنَ رُؤُوسِهِنَّ، وَمُرَادُ التَّشْبِيهِ بِأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ إِنَّمَا هُوَ لَارْتِفَاعِ الْغَدَائِرِ أَوْ الصَّفَائِرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِنَّ، وَتَكْسِرُهَا بِمَا يُضَفِّرُنَهُ حَتَّى تَمِيلَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الرَّأْسِ كَمَا يَمِيلُ سَنَامُ الْبَعِيرِ. فَمَنْ كُنَّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدَنَّ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي يُقَدَّرُ سَيْرُهَا بِزَمَنِ طَوِيلٍ وَيَمْتَدُّ فِي رِيحِ الْجَنَّةِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُنَّ لَا يَدْخُلْنَهَا وَلَا يَجِدَنَّ رِيحَهَا

حينما يدخلها ويجد ريحها العفائف المتورعات، لا أنهن لا يدخلن أبداً، ويمكن أن يكون محمولاً على أنهن إذا استحلن هذه الأفعال وهذه الذنوب، فيكون كفراً استحقوا به الحرمان من الجنة، أو المراد منه الزجر والتغليظ. وفي الحديث: علامة من علامات نبوته ﷺ. وفيه: بيان بعض صفات أهل النار. وفيه: تحذير للنساء من التبرج والسفور.

٥. سواد وظلمة يوم القيامة: عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ سَعْدٍ، وَكَانَتْ خَادِمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الرَّافِلَةِ^(١) فِي الزَّيْنَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا نُورَ لَهَا»^(٢).

٦. التبرج فيه شعبة من النفاق: عَنْ أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدْفِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوُدُودُ الْوُلُودُ، الْمَوَاتِيَةُ الْمَوَاسِيَةُ إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخِيلَاتُ»^(٣)، وَهُنَّ الْمُنافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ^(٤)»^(٥).

٧. التبرج فاحشة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦). وكشف العورة فاحشة ومقتة، والمتبرجة تنشر الفاحشة في المجتمع.

(١) الرافلة: أي المتبرجة بالزينة لغير زوجها.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (١١٦٧)، السلسلة الضعيفة (١٨٠٠)، ضعيف الجامع (٥٢٣٦).

(٣) المتخيلات: أي المعجبات المتكبرات. ينظر فيض القدير (٤٩٣/٣).

(٤) الْأَعْصَم: هُوَ الَّذِي فِي رَجُلِيهِ أَوْ فِي جَنَاحِيهِ أَوْ بَطْنِهِ بَيَاضٌ أَوْ حُمْرَةٌ. فتح الباري (٤٧/٦).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ت التركي (١٣٦٠٧)، انظر الصحيحة: (١٨٤٩)، صحيح الجامع (٣٣٣٠).

(٦) [النور: ١٩].



٨. التبرج شعبة من الزنا: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ^(١) فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا^(٢) فَهِيَ زَانِيَةٌ^(٣)»^(٤).

٩. التبرج تهتك وفضيحة: عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ الْهَذَلِيِّ: أَنَّ نِسْوَةً مِنْ أَهْلِ حِمَصَ اسْتَأْذَنَ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: لَعَلَّكَ مِنَ اللَّوَاتِي يَدْخُلْنَ الْحَمَامَاتِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ»^(٥). وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عَبِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ^(٦): رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ^(٧)، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبْقَى فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةُ الدُّنْيَا^(٨) فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ

(١) أَي: اسْتَعْمَلَتِ الْعِطْرَ.

(٢) أَي: لِأَجْلِ أَنْ يَشْمُوا رِيحَ عِطْرِهَا.

(٣) أَنَّهَا هَيَّجَتْ شَهْوَةَ الرِّجَالِ بِعِطْرِهَا، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَدْ زَنَى بِعَيْنَيْهِ، فَهِيَ سَبَبُ زَنَى الْعَيْنِ، فَهِيَ آثِمَةٌ. تحفة الأحوذى (٧/ ٩٥).

(٤) (س) (٥١٢٦)، (د) (٤١٧٣)، صحيح الجامع (٣٢٣)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٠١٩).

(٥) سنن ابن ماجه ت الأرئوط (٣٧٥٠)، صحيح الجامع (٢٧١٠)، صحيح الترغيب (١٦٥).
(٦) أَي: فَإِنَّهُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ. فيض القدير (٤٢٧/٣)، وقال السندي: أَي فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصْرِفَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَقُبْحِ الْمَالِ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ غَايَةِ شَنَاةِ حَالِهِمْ. أ.هـ. من حاشية المسند (٣٦٩/٣٩).

(٧) عَصَى إِمَامَهُ: إِذَا بَنَحُو بَدْعَةً، كَالْخَوَارِجِ الْمُتَعَرِّضِينَ لَنَا، وَالْمُتَمَتِّعِينَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ، الْمُقَاتِلِينَ عَلَيْهِ، وَإِذَا بَنَحُوا بَغْيًا، أَوْ حِرَابَةً، أَوْ صِيَالًا، أَوْ عَدَمَ إِظْهَارِ الْجَمَاعَةِ فِي الْفَرَائِضِ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ لِجَلِّ دِمَائِهِمْ. فيض (٤٢٧/٣).

(٨) الْمُؤْنَةُ أَوْ الْمُؤْنَةُ: الْقُوَّةُ، أَوْ النِّفْقَةُ، أَوْ الْكِفَايَةُ، أَوْ الْمَسْئُولِيَّةُ.

وإِزَارَةُ الْعِرَّةِ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»^(١).

١٠. التبرج جاهلية منتنة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢). أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه^(٣)، قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ تَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الرِّجَالِ، فَذَلِكَ تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا خَرَجْتُنَّ مِنْ بُيُوتِكُنَّ - وَكَانَتْ لِهِنَّ مِشْيَةٌ وَتَكْسُرُ وَتَغْنُجُ - فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ: التَّبَرُّجُ: أَنَّهَا تُلْقِي الْخِمَارَ عَلَى رَأْسِهَا، وَلَا تَشُدُّهُ فَيَوَارِي فَلَائِدَهَا وَقُرْطَهَا وَعُنُقَهَا، وَيَبْدُو ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا، وَذَلِكَ التَّبَرُّجُ، ثُمَّ عُمَّتْ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّبَرُّجِ^(٤).

١١. التبرج بغض إلى الله: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلِّبٌ دَمٍ أَمْرِي بِغَيْرِ حَقٍّ لِيَهْرِيْقَ دَمَهُ»^(٥).

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٣٩٤٣)، انظر صحيح الجامع: (٣٠٥٨)، الصحيح: (٥٤٢).

(٢) [الأحزاب: ٣٣].

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٦٤).

(٤) بتصرف يسير من: تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٤١٠).

(٥) البخاري (٦٨٨٢). (أبغض الناس) أكثرهم عقاباً منه وبعداً عن رحمته. (ملحد) ظالم مائل عن الحق والعدل بارتكاب المعصية. (مبتغ) طالب ومتبع. (سنة الجاهلية) طريقها وعاداتها وأخلاق أهلها. (مطلب) متكلف للطلب وساع وراءه في كل مكان. (بغير حق) يستبيح دمه. (ليهرق دمه) ليسيله وهو كناية عن القتل.



١٢. الوعيد بالويل للمتبرجة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَحْمَرَيْنِ: الذَّهَبِ، وَالْمَعْصَفِرِ»^(١) «وَالْوَيْلُ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ شَدِيدٌ حَرُّهُ، وَبَعِيدٌ قَعْرُهُ، وَقِيلَ: الْوَيْلُ بِمَعْنَى التَّحَسُّرِ وَالْهَلَكَةِ، وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لَهُنَّ، «مِنَ الْأَحْمَرَيْنِ» ثُمَّ فَسَّرَهُمَا بِقَوْلِهِ: «الذَّهَبِ وَالْمَعْصَفِرِ»، أَمَّا الذَّهَبُ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ أَنَّهُ الْحَلِيُّ، وَأَمَّا الْمَعْصَفِرُ، فَهُوَ: اللَّبَاسُ أَوِ الثِّيَابُ الْمَصْبُوغَةُ بِالْعُصْفَرِ، وَالْعُصْفَرُ: نَبَاتٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ صَبْغٌ أَصْفَرٌ أَوْ أَحْمَرٌ. وَمَعْنَاهُ: يَتَحَلَّلْنَ بِحَلِيِّ الذَّهَبِ، وَيَلْبَسْنَ الثِّيَابَ الْمَعْصَفَرَةَ وَيَتَبَرَّجْنَ مُتَعَطِّراتٍ مُتَبَخِّرَاتٍ ككَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي يَفْعَلْنَ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يُظْهِرُ الْفِتْنَ بِإِظْهَارِ الزِينَةِ الْمُفْلِتَةِ لِلنَّظَرِ وَالِدَاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ، وَتَتَجَّعُ عَنْهُ عَوَاقِبٌ وَخِيَمَةٌ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَمِنْ غَيْرِهَا حَتَّى لَا تَظْهَرَ الْمَفَاسِدُ وَالْفِتَنُ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِرْشَادٌ إِلَى الْعِفَّةِ، وَحَثُّ النِّسَاءِ عَلَى إِخْفَاءِ زِينَتِهِنَّ عَنِ الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ، مَعَ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ عَاقِبَةِ إِظْهَارِهَا.

١٣. التحذير من التبرج المعنوي والأخلاقي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوْجَةٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ الْمَشَيْبِ»^(٢). وَهِيَ الْمَرْأَةُ السَّوْءُ، وَهِيَ الَّتِي تَرَاهَا فَتَسُوُّكَ لِقَبْحِ ذَاتِهَا، أَوْ أَفْعَالِهَا، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ بِالْبِذَاءَةِ، وَإِنْ غَبْتَ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، فَيَنْشَأُ بِسَبَبِهَا الشَّيْبُ قَبْلَ وَقْتِهِ، بِسَبَبِ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْهَمِّ، وَالْغَمِّ، وَكَدْرِ الْعَيْشِ.

(١) (الْمَعْصَفِرُ): مَا صُبِغَ بِالْعُصْفَرِ.

(٢) (حب) (٥٩٦٨)، وَحَسَنُهُ مُحَقِّقُهُ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُط.

(٣) (الدعاء للطبراني) (١٣٣٩)، انظر الصَّحِيحَةَ: (٣١٣٧).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال ابن عابدين رحمته الله: وَحَيْثُ أَبْحَنَّا لَهَا الْخُرُوجَ فَإِنَّمَا يَبَاحُ بِشَرَطِ عَدَمِ الزَّيْنَةِ، وَعَدَمِ تَغْيِيرِ الْهَيْئَةِ إِلَى مَا يَكُونُ دَاعِيَةً لِنَظَرِ الرِّجَالِ وَالْإِسْتِمَالَةِ^(١).

* وَفِي الْفَوَاكِهِ الدَّوَانِي: لَا يَلْبَسُ النِّسَاءُ مِنَ الرَّقِيقِ مَا يَصِفُّهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، وَالْخُرُوجُ لَيْسَ بِقَيْدٍ، وَحَاصِلُ الْمَعْنَى: أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمَرْأَةِ لُبْسُ مَا يَرَى مِنْهُ جَسَدُهَا بِحَضْرَةِ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ النَّظَرُ^(٢).

* أفتى الشيخ صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية بما يلي: لا يجوز للمرأة أن تلبس ما فيه تشبه بالرجال أو تشبه بالكافرات، وكذلك لا يجوز لها أن تلبس اللباس الضيق الذي يُبين تقاطيع بدنها ويسبب الافتتان بها، والبناطيل فيها كل هذه المحاذير فلا يجوز لبسها.

* وكما أفتى الشيخ صالح العثيمين أنه: لا يجوز لبس البنطلون حتى لو كان البنطلون واسعاً فضفاضاً لأنَّ تَمَيُّزَ رَجُلٍ عَنْ رَجُلٍ يَكُونُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ عَدَمِ السَّتْرِ، وَلِأَنَّ الْبَنْطَالَ مِنْ لِبَاسِ الرِّجَالِ.

* وقد أفتت دار الإفتاء المصرية بما يلي: لبس المرأة للبنطلون الضيق المُفَصِّلُ لجسدها حرام شرعاً وأنَّ عقوبة التبرج والسفور في الآخرة عقوبة شديدة مثل عقوبة تارك الصلاة أو الزكاة؛ لأنَّ الحجاب واجب شرعي، والتبرج والسفور من الكبائر المحرمة شرعاً إذ أنَّهما يؤديان إلى انتشار الفساد والفاحشة.

(١) حاشية ابن عابدين (٢/ ٦٦٥)، والفواكه الدواني (٢/ ٤٠٩).

(٢) الفواكه الدواني (٢/ ٤٠٦). نقلاً عن: الموسوعة الفقهية الكويتية (٧/ ٨٨).



* قال الشيخ السَّعْدِيُّ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾؛ أي: اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة، ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾؛ أي: لا يطمعن في النكاح، ولا يطمعن فيهن، وذلك لكونها عجوزًا لا تشتهي ولا تستهي، أو دميمة الخلقة لا تستهي، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾؛ أي: حرج وإثم، ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾؛ أي: الثياب الظاهرة كالخمار ونحوه، الذي قال الله فيه للنساء: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾^(١)، فهو لاء يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لأن المحذور منها وعليها، ولما كان نفي الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما توهم منه جواز استعمالها لكل شيء، دفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾؛ أي: غير مظهرات للناس زينة، من تجميل بثياب ظاهرة؛ وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض برجلها؛ ليعلم ما تخفي من زيتها؛ لأن مجرد الزينة على الأنثى ولو مع تسترها، ولو كانت لا تستهي، يفتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج^(٢).

* قال الذهبي رحمه الله: وَمِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُلْعَنُ عَلَيْهَا الْمَرْأَةُ إِظْهَارُ الزَّيْنَةِ وَالذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ مِنْ تَحْتِ النِّقَابِ، وَتَطْيِيبُهَا بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالطِّيبِ إِذَا خَرَجَتْ، وَلِبْسُهَا الصَّبَاغَاتِ وَالْأَزْرِ وَالْحَرِيرِ وَالْأَقْيِيَةِ الْقَصَارِ، مَعَ تَطْوِيلِ الثَّوْبِ وَتَوْسِيعَةِ الْأَكْمَامِ وَتَطْوِيلِهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ إِذَا خَرَجَتْ، وَكُلِّ ذَلِكَ مِنَ التَّبَرُّجِ الَّذِي يَمَقَّتُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَمَقَّتُ فَاعِلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٣).

(١) [النور: ٣١].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٧٥).

(٣) الكبائر للذهبي (ص: ١٣٥).

* أجمع المسلمون على تحريم التبرج، كما حكاها العلامة الصنعاني في حاشيته^(١)، وبالإجماع العملي على عدم تبرج نساء المؤمنين في عصر النبي ﷺ، وعلى ستر أبدانهن وزينتتهن، حتى انحلال الدولة العثمانية في عام ١٣٤٢هـ، وتوزيع العالم الإسلامي وحلول الاستعمار فيه^(٢).



(١) منحة الغفار على ضوء النهار (٤ / ٢٠١١-٢٠١٢).

(٢) حراسة الفضيلة (ص: ٧٣).

٥٠. عقوبات عدم العمل بالعلم

١. **الاتصاف بصفات اليهود:** قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١). أي: كَمَثَلِ الْحِمَارِ إِذَا حُمِّلَ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، فَهُوَ يَحْمِلُهَا حَمَلًا حَسِيًّا وَلَا يَدْرِي مَا عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ فِي حَمْلِهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتُوهُ، حَفِظُوهُ لَفْظًا وَلَمْ يَفْهَمُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، بَلْ أَوَّلُوهُ وَحَرَفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، فَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَمِيرِ؛ لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فَهْمَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ فَهْمٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ^(٢).

٢. **فقدان راحة العقل:** قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣). فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للامر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه^(٤).

٣. **فقدان التوازن الأخلاقي:** قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٥).

(١) [الْجُمُعَةُ: ٥].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨ / ١١٧).

(٣) [البقرة: ٤٤].

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٨).

(٥) [هود: ٨٨].

أَي: لَا أَنهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَخَالِفُ أَنَا فِي السِّرِّ فَأَفْعَلُهُ خُفِيَةً عَنْكُمْ. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أَي: فِيمَا أَمْرُكُمْ وَأَنهَاكُمْ، إِنَّمَا مُرَادِي إِصْلَاحَكُمْ جُهْدِي وَطَاقَتِي ^(١).

٤. الإلجام بلجام من نار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سِئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢). أَي: كَعَالِمٍ يَمْنَعُ عِلْمَهُ وَفُتْيَاهُ عَمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، أَوْ كَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ فِيهِ مَنَفْعَةٌ لِلنَّاسِ، فَإِذَا مَنَعَهُ وَلَمْ يَنْشُرْهُ فِيهِمْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ أَوْ مَا شَابَهُ ... وَالْعِلْمُ أَمَانَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَهُمْ مُكَلَّفُونَ بِأَدَائِهَا لِمُسْتَحِقِّيْهَا، وَلَيْسَ مِلْكًا لَهُمْ فَيَكْتُمُوهُ، أَوْ يَنْشُرُوهُ مِنْهُ مَا لَا يُصَادِمُ أَهْوَاءَ الْعَامَّةِ؛ فَهَذَا مِنْ شِرَاءِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَمَا أَبْخَسَهَا مِنْ صَفْقَةٍ! وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ خَانَ الْأَمَانَةَ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّرْهِيْبُ الشَّدِيدُ مِنْ كِتْمِ الْعِلْمِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِنَشْرِ الْعِلْمِ بَيْنَ النَّاسِ وَتَعْلِيمِهِ لَهُمْ. وَفِيهِ: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّعَالُمِ وَالْقَوْلِ فِي الْقُرْآنِ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ، وَدُونَ اِكْتِسَابِ عِلْمٍ حَقِيقِيٍّ.

٥. سبيلٌ إلى النار - عِيَاذًا بِاللَّهِ تَعَالَى -: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» ^(٣). أَي: يَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ عَلَى هَيْئَةٍ حَلَقَةٍ تُحِيطُ

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤ / ٣٤٤).

(٢) سنن أبي داود ت الأرنبوط (٣٦٥٨)، وقال: إسناده صحيح.

(٣) البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (١٩٠٥). (فتندلق) تخرج وتنصب بسرعة. (أقتابه) جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء. (برحاه) حجر الطاحون التي يديرها.



به، فيسألونه: يا فلان، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟! فيقول: إِنِّي كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ. وذكر لهم قصّة الرَّجُلِ الَّذِي يُطْرَحُ فِي النَّارِ لكونه كان يأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ؛ لِيَتَبَرَّأَ مِمَّا ظَنُّوا به من سُكُوتِهِ عن عُثْمَانَ رضي الله عنه في أخيه. وفي الحديث: ذمُّ مُدَاهِنَةِ الْأَمْرَاءِ فِي الْحَقِّ وإظهار ما يَظُنُّ خِلافَهُ كَالْمَتَمَلِّقِ بِالْبَاطِلِ. وفيه: الأدبُ مع الْأَمْرَاءِ وَاللُّطْفُ بِهِمْ وَوَعظُهُمْ سِرًّا، وَتَبْلِيغُهُمْ قَوْلَ النَّاسِ فِيهِمْ؛ لِيَكْفُوا عَنِ فِعْلِ الْخَطَا.

٦. الرَّسُولُ ﷺ استعاذ من عدم منفعة العلم: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(١). وجاء عنه ﷺ: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(٢).

٧. أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ

(١) مسلم (٢٧٢٢).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرنبوط (٣٨٤٣)، وقال: صحيح لغيره، صحيح الجامع: (٣٦٣٥)، الصحيح: (١٥١١).

قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتَهُ وَقَرَأْتَ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتُ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتُ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ^(١). رجلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ وَعَلَّمَهُ النَّاسَ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ إِلَى مَحْضِرِ الْحِسَابِ عِنْدَ اللَّهِ، فَسُئِلَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ أَي: هَلْ صَرَفْتَهَا فِي مَرْضَاتِي أَمْ فِي غَيْرِهَا؟ فَأَجَابَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتَهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، ابْتِغَاءً لَوَجْهِكَ وَشُكْرًا لِنِعْمَتِكَ، فَيَكْذِبُهُ الْمَوْلَى ﷻ، وَأَنَّهُ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيَقُولَ النَّاسُ: إِنَّهُ عَالِمٌ، وَعَلَّمَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: إِنَّهُ مُعَلِّمٌ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ، «ثُمَّ أُمِرَ بِهِ»، أَي: قِيلَ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ: أَلْقُوهُ فِي النَّارِ، فَيَجْرُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يُقَذَفَ وَيُلْقَى بِهِ فِي النَّارِ. وفي الحديث: ضَرُورَةُ الْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ.

(١) مسلم (١٩٠٥). (ناتل أهل الشام) وفي الرواية الأخرى، فقال له ناتل الشامي، وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين، وهو تابعي، وكان أبوه صحابياً، وكان ناتل كبير قومه. قوله ﷻ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار - دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً.



٨. طلب العلم لغير وجه الله سبب في دخول النار: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ^(١)، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ^(٢)، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ^(٣)، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(٤). وهذا نهى عن طلب العلم وتعلّمه من أجل المفاخرة والمباهاة أمام العلماء، وهذا عكس المطلوب من المرء بأن يعرف للعلماء حقهم وتقديرهم واحترامهم، «أَوْ لِيُتَمَارَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ»، أي: لتخطبوا وتجادلوا به السفهاء، «أَوْ لِيَتَصْرِفُوا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ»، أي: لتلفتوا إليكم أنظار الناس؛ ليشار إليكم وينظر إليكم من أجل المراء والتعاضم، «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ»، أي: فجزاؤه أنه في النار؛ لأنه لم يخلص في طلب العلم ولم يجعله خالصاً لوجه الله تعالى، وهذا من الوعيد الشديد لمن فعل ذلك.. فليكن قصد طالب العلم رفع الجهل عن نفسه، وتعليم الناس ودعوتهم إلى الله. وفي الحديث: الحث على إخلاص النية لله في طلب العلم... وفيه: أن التفاخر والمباهاة بالعلم في غير موضعه من أسباب دخول النار والعياذ بالله.

(١) أي: يجري معهم في المناظرة والجدال، ليظهر علمه في الناس رياءً وسمعةً. تحفة الأحوذى (٤٥٤/٦).

(٢) (السُّفَهَاءُ): جمع السفيفه، وهو قليل العقل، والمراد به الجاهل، أي: ليجادل به الجهال، والمماراة من المرية، وهي الشك، فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه، ويشككه بما يورد على حجته. تحفة الأحوذى (٤٥٤/٦).

(٣) أي: يطلبه بنية تحصيل المال والجاه، وإقبال العامة عليه. تحفة (٤٥٤/٦).

(٤) (ت) (٢٦٥٤)، (ج) (٢٥٣)، صحيح الجامع: (٥٩٣٠)، (٦١٥٨)، (٦٣٨٢)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٠٦)، (١٠٩).

٩. **الاصابة بالجدل:** عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١)». أي: أصبَحُوا ضَالِّينَ عَنِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ. «إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»، أي: أُعْطُوا الْجَدَلَ، وَالْجَدَلَ هُوَ شِدَّةُ الْمُخَاصَمَةِ فِي الْبَاطِلِ، وَالتَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ الْفَاسِدَةِ، وَالِابْتِعَادُ عَنِ الْقُرْآنِ وَعَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْجَدَالِ كَشْفُ الْحَقَائِقِ وَتَبْيِينُهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى تَرْكِ الْجَدَالِ، وَبَيَانُ الْمَفَاسِدِ الَّتِي يُؤَدِّي إِلَيْهَا الْجَدَالُ فِي الْبَاطِلِ.

١٠. **صاحبه لا يشم رائحة الجنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). أي: هَذَا الْعِلْمُ الَّذِي تَعَلَّمَهُ كَانَ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَطْلُبَهُ اللَّهُ، «لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا»، أي: أَنَّهُ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُصِيبَ بِهِ مَتَاعَ الدُّنْيَا وَعَرَضُهَا وَزِينَتُهَا، أَوْ سُمْعَةً أَوْ رِيَاءً أَوْ ظُهُورًا أَوْ لِمَنْصِبٍ أَوْ مَنْزِلَةٍ أَوْ مَالٍ، فَإِنْ كَانَ حَالُهُ ذَلِكَ، «لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» -

(١) [الزخرف: ٥٨].

(٢) (ت) (٣٢٥٣)، (ج) (٤٨)، (حم) (٢٢٢٥٨)، صحيح الجامع رقم (٥٦٣٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٤١).

(٣) أي: رِيحَهَا، وَهَذَا مُبَالِغَةٌ فِي تَحْرِيمِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الشَّيْءِ، لَا يَتَنَاوَلُهُ قَطْعًا، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنَّهُ لَا يَدْخُلَ أَوْلًا ثُمَّ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَأَمْرِ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ كُلِّهِمْ إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ. عون المعبود (٨/ ١٦٢).

(٤) (د) (٣٦٦٤)، (ج) (٢٥٢)، انظر صحيح الجامع: (٦١٥٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٠٥).



يعني: **ريحها-**» وقيل: العَرَفُ: الطَّيِّبُ من كُلِّ شَيْءٍ، وهو كِنَايَةٌ عن عَدَمِ دُخُولِهِ الْجَنَّةَ، والمُرَادُ: أَنَّهُ لَنْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَلْ يُحْبِطُهُ اللَّهُ، وفي حديث ابنِ عَمَرَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لغيرِ اللَّهِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ غيرَ اللَّهِ، فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وفي الحديث: الحَثُّ على طَلَبِ الْعِلْمِ لَوَجْهِ اللَّهِ. وفيه: أَنَّ مَدَارَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ يَكُونُ عَلَى النِّيَّةِ.

١١. لا يُقْبَلُ من صاحبه عمل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْكَلَامِ لِيَسْبِي بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ، أَوْ النَّاسِ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»^(١). وقد أخرج الإمام أحمد في الزهد: عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْحَدِيثِ لِيَسْتَكْفِيَ بِهِ قُلُوبَ النَّاسِ لَمْ يَرْحَ رائِحَةُ الْجَنَّةِ»^(٢).

١٢. الحرص على الشهرة: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بَأْفَسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(٣)^(٤).

(١) سنن أبي داود (٥٠٠٦)، وضعفه محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط، ضعيف الجامع (٥٥٢٩).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٣٠٨)، رقم (٢٢٣٨).

(٣) أي: لَيْسَ ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ جَنْسِ الْغَنَمِ بِأَشَدَّ إِفْسَادًا لِتِلْكَ الْغَنَمِ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنَّ إِفْسَادَهُ لِدِينِ الْمَرْءِ أَشَدُّ مِنْ إِفْسَادِ الذُّبْيَيْنِ الْجَائِعَيْنِ لَجَمَاعَةٍ مِنْ الْغَنَمِ إِذَا أُرْسِلَا فِيهَا، أَمَّا الْمَالُ، فَإِفْسَادُهُ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْقُدْرَةِ، يُحَرِّكُ دَاعِيَةَ الشَّهَوَاتِ، وَيَجْرِي إِلَى التَّنَعُّمِ فِي الْمُبَاهَاتِ، فَيَصِيرُ التَّنَعُّمُ مَأْلُوفًا، وَرَبَّمَا يَشْتَدُّ أَنْسُهُ بِالْمَالِ، وَيَعْجِزُ عَنْ كَسْبِ الْحَلَالِ، فَيَقْتَحِمُ فِي الشُّبُهَاتِ، مَعَ أَنَّهَا مُلْهِيَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ لَا يَنْفَكُ عَنْهَا أَحَدٌ. وَأَمَّا الْجَاهُ، فَيَكْفِي بِهِ إِفْسَادًا أَنَّ الْمَالَ يُبْذَلُ لِلْجَاهِ، وَلَا يُبْذَلُ الْجَاهُ لِلْمَالِ وَهُوَ الشَّرْكُ الْخَفِيُّ، فَيَخُوضُ فِي الْمِرَاءَةِ وَالْمَدَاهِنَةِ، وَالنِّفَاقِ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، فَهُوَ أَفْسَدُ وَأَفْسَدُ. تحفة الأحوذى (١٦٢/٦).

(٤) (ت) (٢٣٧٦)، (حم) (١٥٨٢٢)، انظر صحيح الجامع: (٥٦٢٠)، صحيح الترغيب

١٣. السُّؤال عنه يوم القيامة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ^(١) وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ^(٢) وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ^(٣) وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ^(٤) وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عِلِمَ^(٥) وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ^(٦) وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ^(٧)»^(٨). لَا تَتَحَرَّكُ وَتَنْصَرِفُ قَدَمُ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ مَوْضِعِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ عِدَّةٍ أَشْيَاءَ... مَاذَا فَعَلَ بِهَذَا الْعِلْمِ؟ هَلْ تَعَلَّمَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ خَالِصًا أَمْ رِيَاءً وَسُمْعَةً؟ وَهَلْ عَمِلَ فِيْمَا عِلِمَ أَمْ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ؟ وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانٌ أَنَّ لِكُلِّ عَبْدٍ وَقْفَةً لِلْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. وَفِيهِ: بَيَانُ صِفَةِ سُؤَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالتَّرْهِيْبُ: (١٧١٠).

(١) أَي: صَرَفَهُ. تحفة الأحوذى (٢٠٦/٦).

(٢) فِيهِ تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ، وَإِشَارَةٌ إِلَى الْمُسَامَحَةِ فِي طَرَفِهِ مِنْ حَالِ صِغَرِهِ وَكِبَرِهِ. قَالَ الطَّبَّيْ: فَإِنْ قُلْتُ: هَذَا دَاخِلٌ فِي الْخُصْلَةِ الْأُولَى فَمَا وَجْهُهُ؟، قُلْتُ: الْمُرَادُ سُؤَالُهُ عَنْ قُوَّتِهِ، وَزَمَانِهِ الَّذِي يَتِمَكَّنُ مِنْهُ عَلَى أَقْوَى الْعِبَادَةِ. تحفة الأحوذى (٢٠٦/٦).

(٣) (ت) (٢٤١٧).

(٤) فِيهِ إِيْذَانٌ أَنَّ الْعِلْمَ مُقَدِّمَةُ الْعَمَلِ، وَهُوَ لَا يُعْتَدُّ بِهِ لَوْلَا الْعَمَلُ. تحفة (٢٠٦/٦).

(٥) (ت) (٢٤١٧).

(٦) أَي: مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ. تحفة الأحوذى (٢٠٦/٦).

(٧) أَي: فِي طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ. تحفة الأحوذى (٢٠٦/٦).

(٨) (ت) (٢٤١٦)، انظر صَحِيحَ الْجَامِعِ: (٧٢٩٩)، الصَّحِيْحَةُ: (٩٤٦).



من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ لُقْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُونِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيَقُولَ لِي: يَا عُوَيْمِرُ، فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، فَيَقُولَ لِي: مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟^(١).

* وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا، وَكَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لَا تَزَالَ مُخَاصِمًا، وَكَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لَا تَزَالَ مُمَارِيًا، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا أَنْ لَا تَزَالَ مُحَدِّثًا فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ^(٢).

* وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ^(٣).

* وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمته الله قَالَ: كَانَ يُقَالُ: الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ، يَخْشَى اللَّهَ، لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ، عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، يَخْشَى اللَّهَ، فَذَلِكَ الْعَالِمُ الْكَامِلُ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ، لَا يَخْشَى اللَّهَ، فَذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ^(٤).

* عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ، وَسَيَكُونُ قَوْمٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ، يُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْلَيْكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ إِلَى

(١) (هب) (١٨٥٢)، (ش) (٣٥٧٤١)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (١٢٩).

(٢) (مي) (٢٩٣)، إسناده حسن.

(٣) (مي) (٣٦٤)، (ش) (مرسلًا) (٣٤٣٦١)، وصحح الألباني (الموقوف) في هداية الرواة: (٢٦٠).

(٤) (مي) (٣٦٣)، (هب) (١٩١٩)، إسناده صحيح.

السَّمَاء^(١).

* والعلم بلا عمل لا ينفع، قال العلامة ابن القيم رحمته الله: لو نفع العلم بلا عمل؛ لما ذم الله سبحانه أخبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص؛ لما ذم المنافقين^(٢).

* قال بشر بن الحارث رحمته الله: العلم حسن لمن عمل به، ومن لم يعمل ما أضمره^(٣).

* قال ابن مسعود رضي الله عنه: ويل لمن لا يعلم، ولو شاء الله لعلمه، ويول لمن يعلم ثم لا يعمل سبع مرات^(٤).

* قال معاذ رضي الله عنه: اعلّموا ما شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بعلم حتى تعملوا^(٥).

* قال يحيى بن معاذ رحمته الله: والعلم والعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بصاحبه^(٦).

* عن ابن شاذب، عن مطر، قال: خير العلم ما نفع، وإنما ينفع الله بالعلم من علمه وعمله به، ولا ينفع به من علمه ثم تركه^(٧).

* قال مالك بن دينار رحمته الله: إنك إذا طلبت العلم لتعمل به سرك العمل،

(٥) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٢٢).

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٣١).

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٤٤).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣١).

(٤) الزهد لأبي داود (ص: ١٨٠).

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٧٢).

(٦) البيهقي: شعب الإيمان (٣/ ٢٨٦).



وَإِذَا طَلَبْتَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ لَمْ يَزِدْكَ إِلَّا فَخْرًا^(١).

* قال الخطيب البغدادي رحمته الله: وَكَمَا لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا بِإِنْفَاقِهَا، كَذَلِكَ لَا تَنْفَعُ الْعُلُومُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِهَا^(٢).

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: لَا يَكُونُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا، وَلَنْ يَكُونَ بِالْعِلْمِ جَمِيلًا حَتَّى يَكُونَ بِهِ عَامِلًا^(٣).

* قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عَيِينَةَ رحمته الله: إِنْ أَنَا عَمِلْتُ بِمَا أَعْلَمُ فَأَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمَا أَعْلَمُ فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ أَجْهَلُ مِنِّي^(٤).

* قال الخطيب البغدادي رحمته الله: فَإِنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ، وَالْعَمَلُ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ عَامِلًا^(٥).

* قَالَ أَحْمَدُ مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله «اِحْتَجَمَ وَأُعْطِيَ أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا»، فَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ احْتَجَمْتُ^(٦).

* قال الزُّهْرِيُّ رحمته الله: لَا يَرْضَيْنَ النَّاسُ قَوْلَ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ، وَلَا عَامِلٍ لَا يَعْلَمُ^(٧).

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَنْ

(٧) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٥٤٠).

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ١٦).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢١٣).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٩٠).

(٤) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ١٤).

(٥) ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢).

(٦) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٢٥).

تَكُونُ مُتَعَلِّمًا حَتَّى تَكُونَ بِمَا عَلِمْتَ عَامِلًا^(١).

* قال أحمد بن عطاء الروذباري رحمته الله: العلمُ موقوفٌ على العملِ به، والعملُ موقوفٌ على الإخلاص، والإخلاصُ لله يورثُ الفهمَ عن الله عزَّ وجلَّ^(٢).

* قال سهل بن عبد الله رحمته الله: العلمُ أحدُ لذاتِ الدنيا، فإذا عَمِلَ به صارَ لِلْآخِرَةِ^(٣).

* قال عباس بن أحمد رحمته الله، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٤). قال: الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ نَهْدِيَهُمْ إِلَى مَا لَا يَعْلَمُونَ^(٥).

* قال يوسف بن الحسين رحمته الله: فِي الدُّنْيَا طُغْيَانَانِ: طُغْيَانُ الْعِلْمِ وَطُغْيَانُ الْمَالِ، وَالَّذِي يُنْجِيكَ مِنْ طُغْيَانِ الْعِلْمِ الْعِبَادَةُ، وَالَّذِي يُنْجِيكَ مِنْ طُغْيَانِ الْمَالِ الزُّهْدُ فِيهِ^(٦).

* قال عبدالرحمن بن مهدي رحمته الله: سمعتُ سفيان يقول: ما بلغني من رسول الله ﷺ حديث قط، إلا عملت به ولو مرة.

* قال مخلد بن الحسين رحمته الله: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَمَعَ الْعِلْمَ الْيَسِيرَ فَيَسُودُ بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِ، يُعْرِفُ ذَلِكَ فِي صِدْقِهِ وَفِي وَرَعِهِ، وَإِنَّهُ لَيُرَوِّي الْيَوْمَ خَمْسِينَ أَلْفَ

(٧) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٢٦).

(١) الزهد والرفائق للخطيب البغدادي (ص: ٧١).

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٢٩).

(٣) [العنكبوت: ٦٩].

(٤) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٣٠).

(٥) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٣٠).



حَدِيثٌ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ عَلَى قُلُوبِهِ (١).

* قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ إِذَا لَقِيتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَقُولَ لِي: قَدْ عَلِمْتَ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ (٢).

* قَالَ الْجَنِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ رحمته الله: الْعِلْمُ يُشِيرُ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ، وَإِذَا لَمْ يُسْتَعْمَلِ الْعِلْمُ فِي مَرَاتِبِهِ رَحَلَتْ بَرَكَاتُهُ (٣).

* عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَنْفَعَكَ ضَرَّكَ (٤). يَعْنِي إِنْ لَمْ يَنْفَعِهِ بَأَنْ عَمَلَ بِهِ، ضَرَّهُ بِكَوْنِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ.

* قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رحمته الله: مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا، فَعَلِيهِ نَشْرُهُ وَبَثُّهُ فِي الْعِبَادِ، وَنَصِيحَتُهُمْ فِيهِ، فَإِنْ انْتَشَرَ الْعِلْمُ عَنِ الْعَالَمِ مِنْ بَرَكَتِهِ، وَأَجْرُهُ الَّذِي يُنَمَّى لَهُ (٥).

* قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رحمته الله: لَا تَأْتَسُ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا تَأْتَسُ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ، وَلَكِنْ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ قَلَّ نَصِيكَ مِنْهُمَا، وَمَا شَيْءٌ أَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسَ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ، وَجَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسَ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَالْقَلِيلُ مِنْ هَذَا مَعَ الْقَلِيلِ مِنْ هَذَا أَنْجَى فِي الْعَاقِبَةِ (٦).

* قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمته الله: وَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ فَيَكْثُرُ؟، قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ الْعَمَلُ بِهِ عَلَى قَدْرِ زِيَادَتِهِ فِي الطَّلَبِ، ثُمَّ قَالَ: سَبِيلُ الْعِلْمِ مِثْلُ

(٦) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٦).

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٢٥٩).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٢٦٩).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٧٧).

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٥).

(٥) اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي (ص: ١٤).

سَبِيلِ الْمَالِ، إِنَّ الْمَالَ إِذَا زَادَ زَادَتْ زَكَاتُهُ^(١).

* قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ الرَّوْذِبَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ خَرَجَ إِلَى الْعِلْمِ يُرِيدُ الْعِلْمَ، لَمْ يَنْفَعَهُ الْعِلْمُ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْعِلْمِ يُرِيدُ الْعَمَلَ بِالْعِلْمِ، نَفَعَهُ قَلِيلُ الْعِلْمِ^(٢).

* قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْمَعُ الْحَدِيثَ الْوَاحِدَ؛ فَنَرَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَمَنَهُ وَهَدِيَهُ^(٣).

* قَالَتْ أُمُّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيُّ: اذْهَبْ فَاطْلُبْ الْعِلْمَ حَتَّى أَعُولَكَ أَنَا بِمِغْزَلِي، فَإِذَا كَتَبْتَ عَشْرَةَ أَحَادِيثَ؛ فَانْظُرْ هَلْ فِي نَفْسِكَ زِيَادَةٌ فَابْتَغِهِ وَإِلَّا فَلَا تَتَعَنَّى^(٤).

* وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(٥).

* قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يَرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَهَدِيهِ وَفِي لِسَانِهِ وَبَصَرِهِ وَبِرِّهِ^(٦).

* قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: شُكْرُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ، وَشُكْرُ الْعَمَلِ زِيَادَةُ الْعِلْمِ^(٧).

(٦) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٨٩).

(١) الزهد والرفائق للخطيب البغدادي (ص: ٧١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٥٧).

(٣) ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥).

(٤) أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٤٩٥٩)، أبو نعيم: حلية الأولياء (١٥/ ١٠)، وابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/ ١٢٣)، ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (٢/ ٢٩٧).

(٥) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٤٤٥).

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ١٩٤).



- * قال ابن مسعود رضي الله عنه: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا^(١).
- * قال الحسن البصري رحمته الله: قَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَسْمَعُ بِالْبَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ فَيَتَعَلَّمُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ؛ فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٢).
- * قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ رحمته الله: من جمع بين العلم، والعمل، والتعليم، وبذل النفس للناس، كان إمامًا قدوة.
- * عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَخِيهِ، يَزِيدَ قَالَ: لَقِيتُ وَهْبَ بْنَ مُنْبِهِ بِالْمَوْسِمِ فَقَالَ لِي: أَلَاكَ عَهْدٌ بِالْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ أَنْكَرْتُمْ مِنْ عَقْلِهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ وَهْبٌ: إِنَّا لَنُحَدِّثُ، أَوْ قَالَ: لَنَجِدُ فِي الْكُتُبِ: أَنَّهُ مَا أُوتِيَ عَبْدٌ عِلْمًا فَسَلَكَهُ فِي سَبِيلِ هُدًى فَيَسْلُبُهُ اللَّهُ عَقْلَهُ أَبَدًا^(٣).
- * قَالَ أَبُو قَلَابَةَ لَأَيُّوبَ: إِذَا حَدَّثَ لَكَ عِلْمٌ فَأَحْدِثْ فِيهِ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ النَّاسَ^(٤).
- * قال الإمام ابن حزم رحمته الله: فرض على الناس تعلم الخير والعمل به، فمن جمع الأمرين جميعًا، فقد استوفى الفضلين معًا، ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعلم، وأساء في ترك العمل به، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهو خير من آخر لم يُعَلِّمه ولم يعمل به، وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالة وأقل ذمًا من آخر ينهى عن تعلم الخير ويصد عنه.
- * قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رحمته الله: وَأَنَّ الْعِلْمَ لَمْ يَرُدْ لِيُعْلَمَ، إِنَّمَا أُريدَ لِيُعْلَمَ وَيُعْمَلَ

(٧) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣١).

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٤٤٦).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٤٥٧).

(٣) ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥).



به^(١).

* وليس العلم بمجرد صورته هو النافع، بل معناه: وإنما ينال معناه من تعلّمه للعمل به، فكلما دلّه على فضل، اجتهد في نيّله، وكلّما نهاه عن نقص، بالغ في مباحثته، فحينئذ يكشف العلم له سرّه، ويسهل عليه طريقه، فيصير كمجذب يحث الجاذب، فإذا حرّكه، عجل في سيره^(٢).

* قَالَ الْفَضِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، فَإِذَا عَلِمُوا فَعَلَيْهِمُ الْعَمَلُ^(٣).
قَالَ قَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا بِبَابِ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا أَبَا نَصْرٍ، حَدِّثْنَا؟، فَقَالَ: أَتُودُّونَ زَكَاةَ الْحَدِيثِ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا نَصْرٍ، وَلِلْحَدِيثِ زَكَاةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ فَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ عَمَلٍ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ تَسْبِيحٍ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ^(٤).

* قَالَ الْعَلَّامَةُ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ابْذُلِ الْوَسْعَ فِي حِفْظِ الْعِلْمِ «حفظ رعاية» بالعمل والاتباع.

* قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يُقَالُ أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ، وَالثَّانِي الْإِسْتِمَاعُ لَهُ وَحِفْظُهُ، وَالثَّلَاثُ الْعَمَلُ بِهِ، وَالرَّابِعُ نَشْرُهُ وَتَعْلِيمُهُ^(٥).
* قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ^(٦).

* قَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةُ: فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٥٥).

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ١٧٢).

(٢) اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي (ص: ٣٧).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٤٣).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٦٢).

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ١٠).



* قال العلامة السَّعدي لتلميذه الشَّيخ عبدالرحمن العقيل: في هذه الأوقات يتعين على كل من عنده علم أن ينشره بحسب قدرته، ويلقيه على النَّاس على اختلاف طبقاتهم من طلبة وعوام وخواص على قدر ما تسنح الفرصة، فلو جرى أهل العلم هذا المجرى لحصل خير كثير، فما لا يُدرك كله لا يترك كله. ولا ينبغي لهم أن يملكهم اليأس ويعتذروا بكسل النَّاس، وليقتدوا بمعلم الخير وإمام الخلق صلوات الله وسلامه عليه، فإنَّه مازال يدعو الخلق في جميع الأوقات، ويكرر الدعوة مع إعراض المدعوين ومعارضتهم، ويدعو إلى سبيل ربه بالتي هي أحسن، ولا يمل ولا يسأم من الدعوة والتعليم سواء وافق إقبالاً من النَّاس ونجاحاً، أو صادف نفوراً وإعراضاً.

* قال العلامة السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ: من آداب العالم والمتعلم النَّصح وبث العلوم النَّافعة بحسب الإمكان، حتى لو تعلم الإنسان مسألة وبثها كان ذلك من بركة العلم، ولأنَّ ثمرات العلم أن يأخذ النَّاس عنك.

* قال الإمام ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللهُ: وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِخْفَاءُ الْعِلْمِ هَلَكَةٌ، وَإِخْفَاءُ الْعَمَلِ نَجَاةٌ^(٢).

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ رَحِمَهُ اللهُ: لَا يَحِلُّ لِعَالِمٍ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى عِلْمِهِ، وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى جَهْلِهِ^(٣).

(٦) تفسير القرطبي (٤/ ٣٠٤).

(١) ابن عبدالبر: الاستذكار (٢/ ١٤٣)، جامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان (١/ ٢٤٥)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١/ ١٥٠).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٣٠٤).

* قال الإمام مالك رحمته الله: ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر ^(١).
 * العلم لا يودع عند غير أهله، ولا يحدث به إلا من يعقله، ولا يحدث القليل الفهم بما لا يحتمله ^(٢).

* قال الإمام ابن حزم رحمته الله: الباخل بالعلم ألوم من الباخل بالمال؛ فالباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل. وقال: نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم، كإطعامك العسل والحلوى من به احتراق وحمى ^(٣).

* لا ينبغي نشر العلم عند من لا يحرص عليه، وفيه كراهة التحديث عند من لا يقبل عليه، ويحدث من يشتهي بسماعه لأنه أجدر أن ينتفع به ^(٤).
 * قال العلامة السعدي رحمته الله: من بث علمه كان له حياة ثانية وحفظاً لما علمه وجازاه الله بحسب عمله.

* عن أبي العالية رحمته الله: يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا ^(٥).
 * قال سفيان الثوري رحمته الله: من بخل بعلمه ابتلي بثلاث: إما أن ينساه ولا يحفظ، وإما أن يموت ولا ينتفع به، وإما أن تذهب كتبه ^(٦).
 * عن الزهري رحمته الله قال: إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العالم حتى

(٣) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٨٥).

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٥٤).

(٢) رسائل ابن حزم (١/ ٣٤٤).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٣٩).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٥٦٥)، تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٢٤٤).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٤٠).



يُذْهَبُ بِعِلْمِهِ، وَمِنْ غَوَائِلِهِ النَّسْيَانُ، وَمِنْ غَوَائِلِهِ الْكَذِبُ فِيهِ، وَهُوَ شَرُّ غَوَائِلِهِ^(١).
* قال العلامة السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: من شَحَّ بعلمه مات علمه بموته، وربما نسيه وهو حي.

* قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: لقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مأتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مأتي نفس، وكم سالت عين متحجر بوعظي لم تكن تسيل، ولقد جلست يوماً فرأيتُ حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رُقَّ قلبه، أو دمعت عينه... ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام^(٢).

* قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ: إِنْ الْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ؛ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزُلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصِّفَا^(٣).

* قال أبو إسحاق الشيرازي الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللهُ: الْعِلْمُ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِهِ صَاحِبُهُ: أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَالِمًا وَلَا يَكُونُ عَامِلًا. وَقَالَ: الْجَاهِلُ بِالْعَالِمِ يَقْتَدِي، فَإِذَا كَانَ الْعَالِمُ لَا يَعْمَلُ، فَالْجَاهِلُ مَا يَرْجُو مِنْ نَفْسِهِ؟ فَاللهُ اللَّهُ يَا أَوْلَادِي! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ يَصِيرُ حَجَّةً عَلَيْنَا^(٤).^(٥)

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٣٦٤)، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٤٢).

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ٢٤٩)، أدب الموعظة (ص: ١٠٣).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٥٣٩).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨/ ٤٥٧).

(٤) استفدتُ من هذه الأقوال من مقالة بعنوان/ من أقوال السلف في عمل طالب العلم بعلمه ونشره بين الناس، ل/ فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ، موقع صيد الفوائد. ولكنني عزوتُ أغلبها لمصادرهما.

* قال العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد رحمته الله: أدّ زكاة العلم صادقاً بالحق، أماراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، موازناً بين المصالح والمضار، ناشراً للعلم، وحب النفع.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ النَّاسَ قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه^(١).



(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة (١/١٥٦).



٥١. عقوبات شاربِي الخمر والمسكرات

١. **التلبس بعمل الشيطان:** قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(١). يذمُّ تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويُخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رِجْسٌ. ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإنَّ الفلاح لا يتم إلا بترك ما حَرَّمَ اللهُ، خصوصًا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبيين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفسادها الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رِجْسٌ، أي: خُبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حسًّا^(٢). وقد ذهب جمهورُ الفقهاء إلى أَنَّ الْخَمْرَ نَجِيسَةٌ نَجَاسَةٌ مُغَلَّظَةٌ، كَالْبَوْلِ وَالدَّمِ لِثُبُوتِ حُرْمَتِهَا وَتَسْمِيَّتِهَا رِجْسًا، وَالرَّجْسُ فِي اللَّغَةِ: الشَّيْءُ الْقَذِرُ وَالتَّنِيسُ^(٣).

(١) [المائدة: ٩٠، ٩١].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٣).

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٢٢/٤٨٦).

٢. دخول النار: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١). ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصب والسرقا، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة، بل لعله يدخل في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق. ثم إنه -لما حرم أكلها بالباطل - أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المشتملة على الشروط من التراضي وغيره. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل الإنسان نفسه، ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبته من الحدود^(٢). قلت: ومن ألوان قتل النفس تعاطي المسكرات فإنها تؤدي إلى التهلكة وفساد البدن والعقل.

٣. التلبس بمخالفة الشرع: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) [النساء: ٢٩-٣٠].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٥).



وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١). فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحلّه وحرّمه، فإنّه ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ من المطاعم والمشارب، والمناكح ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ من المطاعم والمشارب والمناكح، والأقوال والأفعال^(٢).

٤. الوقوع في التهلكة: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). وأي تهلكة أكبر من أن يلقي المرء بنفسه في غياهب المخدرات، فيصبح فاقداً لعقله غير مكترث بمستقبله، مُعرّض في أي لحظة إلى جرعة «زائدة» تُودي بحياته، وذلك هو الخسران المبين، إن حياة الإنسان في الشريعة «مقدسة» وحمايتها من التهلكة تعتبر من مقاصد التشريع الإسلامي، ومن هنا وجب على الفرد أن يتعهدا بالرعاية والإصلاح لا أن يتعاورها بالإفساد والمخدرات، وتغيب العقل عنها، لذا فإن الإحصاءات التي تصدر عن نسب تعاطي المخدرات في البلاد وتعاطيها والصادرة عن جهات أمنية دقيقة تفرع أجراس الخطر بأن على الجميع أن يتكاتف ويتعاون ويتحد من أجل إنقاذ فئة الشباب التي انحرف منها البعض إلى طريق غير قويم، طريق لا يعلم نهايته إلا المولى ﷻ^(٤).

(١) [الأعراف: ١٥٧].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٠٥).

(٣) [البقرة: ١٩٥].

(٤) نفلًا عن جريدة الصباح: <https://alsabahpress.com/articles/2022-07-14/3187>.

٥. موافقة الشيطان: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١). لَمَّا أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَسْطًا، ثُمَّ قَالَ: مُنْفِرًا عَنِ التَّبْذِيرِ وَالسَّرْفِ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أَي: أَشْبَاهَهُمْ فِي ذَلِكَ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: التَّبْذِيرُ: الْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَوْ أَنْفَقَ إِنْسَانٌ مَالَهُ كُلَّهُ فِي الْحَقِّ، لَمْ يَكُنْ مُبَذِّرًا، وَلَوْ أَنْفَقَ مَدًّا فِي غَيْرِ حَقِّهِ كَانَ تَبْذِيرًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: التَّبْذِيرُ: التَّفَقُّةُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي غَيْرِ الْحَقِّ وَفِي الْفَسَادِ^(٢). قُلْتُ: وَمِنَ الْفَسَادِ إِحْرَاقُ الْمَالِ بِالنَّارِ بِتَنَاوُلِ الْمُسْكِرَاتِ الَّتِي تُهْلِكُ الصَّحَّةَ وَتُذْهِبُ بِالَّذِينَ.

٦. انتشار العداوة والصَّدَّ عن ذكر الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٣). هَذِهِ مَوْجِبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَى بَثِّهَا، خُصُوصًا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ، لِيُوقِعَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مِنْ انْغِلَابِ الْعَقْلِ وَذَهَابِ حِجَاهِ، مَا يَدْعُو إِلَى الْبَغْضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، خُصُوصًا إِذَا اقْتَرَنَ بِذَلِكَ مِنَ السَّبَابِ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ شَارِبِ الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا أَوْصَلَ إِلَى الْقَتْلِ^(٤).

(١) [الإِسْرَافُ: ٢٦-٢٧].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٦٩).

(٣) [المائدة: ٩١].

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٣).



٧. التلبس بالحرام: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»^(١)، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»^(٢)، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»^(٣).

٨. التلبس بما يكرهه الله: عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَحْرِمُ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ^(٤) وَوَادَ الْبَنَاتِ^(٥) وَمَنْعَ، وَهَاتِ^(٦)، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ^(٧)، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ^(٨)، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(٩).

(١) (م) ٧٥ - (٢٠٠٣)، (ت) ١٨٦١، (س) ٥٥٨٢، (د) ٣٦٧٩.

(٢) (ت) ١٨٦٥، (د) ٣٦٨١، (ج) ٣٣٩٣، (حم) ١٤٧٤٤، انظر صحيح الجامع: ٥٥٣٠، الإرواء: ٢٣٧٥.

(٣) (خ) ٢٣٩، (م) ٦٧ - (٢٠٠١)، (ت) ١٨٦٣، (س) ٥٥٩١، (د) ٣٦٨٢، (حم) ٢٤١٢٨.

(٤) قِيلَ: خَصَّ الْأُمَّهَاتُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْعُقُوقَ إِلَيْهِنَّ أَسْرَعُ مِنَ الْآبَاءِ، لِضَعْفِ النِّسَاءِ، وَلِيُنْبَهَ عَلَى أَنَّ بَرَّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ عَلَى بَرِّ الْأَبِّ فِي التَّلَطُّفِ وَالْحَنُوِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فتح الباري (٧/ ٢٩٢).

(٥) الوأد: عادة جاهلية، كان إذا وُلِدَ لأحدهم في الجاهلية بنتٌ دفنَها في التراب وهي حية. الأدب المفرد للبخاري (١/ ٤٤٧).

(٦) «مَنْعَ» الْمُرَادُ: مَنْعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ لَا يُمْنَعَ، وَ«هَاتِ» فِعْلُ أَمْرٍ مَجْزُومٍ وَالْمُرَادُ: النَّهْيُ عَنْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ طَلَبَهُ. سبل السلام (٧/ ٦٦).

(٧) أَيُّ: حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ، وَالْبَحْثُ عَنْهَا، فَيَقُولُ: قَالَ فَلَانٌ كَذَا، وَقِيلَ كَذَا، وَالنَّهْيُ عَنْهُ إِمَّا لِلزَّجْرِ عَنْ الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَإِمَّا لِشَيْءٍ مَخْصُوصٍ مِنْهُ، وَهُوَ مَا يَكْرَهُهُ الْمُحْكِي عَنْهُ. فتح الباري (١٧/ ٩٨).

(٨) اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ مِنْهُ، هَلْ هُوَ سُؤَالُ الْمَالِ، أَوْ السُّؤَالُ عَنِ الْمَشْكَلَاتِ وَالْمُعْضَلَاتِ، أَوْ أَعَمٌّ مِنْ ذَلِكَ؟، وَالْأُولَى حَمْلُهُ عَلَى الْعُمُومِ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَثْرَةُ سُؤَالِ إِنْسَانٍ بَعِيْنِهِ عَنْ تَفَاصِيلِ حَالِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمَسْتُورُ غَالِبًا. فتح الباري (١٧/ ٩٨).

(٩) (خ) ٢٢٧٧، (م) ٥٩٣، (حم) ١٨١٧٢.

قَالَ الْجُمْهُورُ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ: السَّرْفُ فِي إِنْفَاقِهِ. وَالْأَفْوَى أَنَّهُ مَا أُنفَقَ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ الْمَأْذُونِ فِيهِ شَرْعًا، سَوَاءٌ كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً، فَمَنْعَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَالَ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَفِي تَبْذِيرِهَا تَفْوِيتُ تِلْكَ الْمَصَالِحِ، إِمَّا فِي حَقِّ مُضِيِّعِهَا، وَإِمَّا فِي حَقِّ غَيْرِهِ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ إِنْفَاقِهِ فِي وَجْهِهِ الْبِرِّ لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، مَا لَمْ يَفُوتْ حَقًّا أُخْرَوِيًّا أَهَمَّ مِنْهُ، وَالْحَاصِلُ فِي كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ: **الْأَوَّلُ**: إِنْفَاقُهُ فِي الْوُجُوهِ الْمَذْمُومَةِ شَرْعًا، فَلَا شَكَّ فِي مَنَعِهِ. **وَالثَّانِي**: إِنْفَاقُهُ فِي الْوُجُوهِ الْمَحْمُودَةِ شَرْعًا، فَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَطْلُوبًا بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ. **وَالثَّالِثُ**: إِنْفَاقُهُ فِي الْمُبَاحَاتِ بِالْأَصَالَةِ، كَمَلَاذِ النَّفْسِ، فَهَذَا يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ يَلِيقُ بِحَالِ الْمُتَنَفِقِ وَبِقَدْرِ مَالِهِ، فَهَذَا لَيْسَ بِإِسْرَافٍ. **وَالثَّانِي**: مَا لَا يَلِيقُ بِهِ عُرْفًا، وَهُوَ يَنْقَسِمُ أَيْضًا إِلَى قِسْمَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: مَا يَكُونُ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ، إِمَّا نَاجِزَةً أَوْ مُتَوَقَّعَةً، فَهَذَا لَيْسَ بِإِسْرَافٍ **وَالثَّانِي**: مَا لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْرَافٌ. وَجَزَمَ الْبَاجِي مِنْ الْمَالِكِيَّةِ بِمَنْعِ اسْتِيعَابِ جَمِيعِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ، قَالَ: وَيَكْرَهُ كَثْرَةَ إِنْفَاقِهِ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا، وَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا وَقَعَ نَادِرًا لِحَادِثٍ يَحْدُثُ، كَضَيْفٍ أَوْ عِيدٍ أَوْ وَلِيمَةٍ. وَمِمَّا لَا خِلَافَ فِي كَرَاهَتِهِ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى الْبِنَاءِ زِيَادَةً عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَالَغَةَ فِي الزَّخْرَفَةِ، وَأَمَّا إِضَاعَةُ الْمَالِ فِي الْمَعْصِيَةِ، فَلَا يَخْتَصُّ بِارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، بَلْ يَدْخُلُ فِيهَا سُوءُ الْقِيَامِ عَلَى الرَّقِيقِ وَالْبَهَائِمِ حَتَّى يَهْلِكُوا، وَدَفْعُ مَالٍ مَنْ لَمْ يُؤْنَسْ مِنْهُ الرُّشْدُ إِلَيْهِ، وَقَسْمُهُ مَا لَا يَنْتَفَعُ بِجُزْئِهِ، كَالْجَوْهَرَةِ النَّفِيسَةِ، فَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا



أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١﴾ أَنَّ الزَّائِدَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِحَالِ الْمُنْفِقِ إِسْرَافٌ. قَالَ الطَّبِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ، فَقَدْ تَبَعَ جَمِيعَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْخِلَالِ الْجَمِيلَةِ^(١).

٩. النَّبِيُّ ﷺ نَفَى عَنْهُ الْإِيمَانَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢). يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ تَقَعَّ مِنْهُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَلَكِنَّهُ حَالٌ إِيَّانٍ هَذِهِ الْكَبِيرَةُ وَارْتِكَابُهَا لَا يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ، بَلْ إِنَّ الْإِيمَانَ يَنْزِعُ مِنْهُ وَهُوَ يَرْتَكِبُ هَذِهِ الْكِبَائِرَ ... وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَنْفِيُّ هُوَ كَمَالُ الْإِيمَانِ وَلَيْسَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ. أَوْ الْمُرَادُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَحِلًّا لَهُ فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ؛ إِذَا اسْتَحْلَالَ الْحَرَامَ مِنْ مُوجِبَاتِ الْكُفْرِ. أَوْ كَلَامُهُ ﷺ مِنْ بَابِ الْإِنذَارِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ زَوَالِ الْإِيمَانِ إِذَا اعْتَادَ هَذِهِ الْمَعَاصِيَ وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي. وَفِيهِ: تَعْظِيمُ أَمْرِ الزَّانَا، وَالسَّرَقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

١٠. الْإِصَابَةُ بِاللَّعْنَةِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ لَعَنَ الْخَمْرَ وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا^(٣)، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَمُسْتَقِيَهَا»^(٤).

(١) فتح الباري (١٧/٩٨).

(٢) البخاري (٥٥٧٨)، مسلم (٥٧).

(٣) مَنْ يَطْلُبُ عَصْرَهَا لِنَفْسِهِ، أَوْ لِغَيْرِهِ. تحفة الأحمدي (٣/٤٠٩).

(٤) (حم) (٢٨٩٩)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، (د) (٣٦٧٤)، صحيح

وفي رواية: «وَأَكِلَ ثَمَنُهَا»^(١).

١١. حرمة المتاجرة فيها: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«...وَإِنَّ اللَّهَ ﻻ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكَلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ»^(٢).

١٢. سببٌ للمنع من دخول الجنة: عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا: الدِّيْوثُ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمُدْمِنْ
الْخَمْرِ»^(٣). وفي رواية: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَلْجُ
حَائِطُ الْقُدْسِ»^(٤) مُدْمِنْ خَمْرٍ، وَلَا الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَلَا الْمَنَانُ عَطَاءَهُ»^(٥). وفي
رواية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
الْجَنَّةَ: مُدْمِنْ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُ، وَالْدِّيْوثُ، الَّذِي يُقَرِّ فِي أَهْلِهِ الْخَبْثُ»^(٦). وفي

الْجَامِع: (٥٠٩١)، الصَّحِيحَةُ: (٨٣٩).

(١) (ج٢) (٣٣٨٠)، (ت) (١٢٩٥)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ: (٢٣٥٧).

(٢) (د) (٣٤٨٨)، (حم) (٢٢٢١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، انظر صحيح
الجامع: (٥١٠٧). قال النووي: هذا الحديث مَحْمُولٌ عَلَى مَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ الْأَكْلُ، بِخِلَافِ مَا
الْمَقْصُودُ مِنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ، كَالْعَبْدِ وَالْبَعْلِ وَالْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، فَإِنَّ أَكْلَهَا حَرَامٌ، وَبَيْعُهَا جَائِزٌ بِالْإِجْمَاعِ.
النَّوَوِيُّ (٤٣٩/٥).

(٣) صحيح الجامع (٣٠٦٢) وللمزيد انظر الصحيحة رقم (٦٧٣)، (٦٧٤)، (٦٧٥).

(٤) حَائِطُ الْقُدْسِ: الْجَنَّةُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُحَاطُ عَلَيْهِ.

(٥) (حم) (١٣٣٦٠)، وَإِنْ كَانَ فِي سَنَدِهِ مَقَالٌ كَمَا حَقَّقَهُ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ، فَقَدْ قَالَ الْأَلْبَانِيُّ
فِي الصَّحِيحَةِ تَحْتَ حَدِيثِ (٦٧٣): أَخْرَجَ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ» (ص: ٢٣٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ حَظِيرَةُ الْقُدْسِ سَكَّيرٌ، وَلَا عَاقٌ، وَلَا مَنَانٌ». وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَهُوَ
مَوْقُوفٌ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ، فَهُوَ شَاهِدٌ قَوِيٌّ لِحَدِيثِ أَنَسٍ هَذَا. وَانْظُرْ صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ:
(٢٣٦٣).

(٦) (حم) (٥٣٧٢)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٣٠٥٢)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ: (٢٣٦٦).



رواية: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»^(١)
 الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ^(٢) وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ^(٣).

١٣. سبب في عدم قربان الملائكة: عَنْ ابْنِ بَرِيدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرُبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: السَّكَرَانُ، وَالْمُتَضَمِّخُ بِالزَّعْفَرَانِ، وَالْحَائِضُ، وَالْجُنُبُ»^(٤). أي الملائكة النازلون بالبركة والرحمة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر وأصراهم، لا الكتبة؛ فإنهم لا يفارقون المكلفين طرفة عين في شيء من أحوالهم الحسنة والسيئة^(٥). وهؤلاء الثلاثة: «الجنُب»، وهو من جامع النساء أو نزل منه مني باحتلام أو غيره، وهذا تحذير واقع في حق كل من آخر الغسل لغير عذر تهاونا وكسلا، ويتخذ ذلك عادة، ويحتمل: أنه فيمن اجتنب (أي صار جنبا) من محرم، أما من حلال فلا تجنبه الملائكة، ولا البيت الذي هو فيه؛ فقد كان النبي ﷺ يصبح جنبا بغير حلم، ويصوم ذلك اليوم، وكان يطوف على نسائه بغسل واحد، ويحتمل: أنه فيمن اجتنب باحتلام، وترك الغسل مع وجود الماء فبات جنبا؛ لأن الحلم من الشيطان، فمن تلعب به في يقظة أو منام؛ تجنبه الملك الذي هو عدو الشيطان. والثاني: «السكران»، وهو من شرب الخمر حتى ذهب عقله؛ لأنه إذا سكر كان عرضة لأن يرتكب كل الموبقات والآثام، مع ما في الخمر من نجاسة، ولأنه لا يرتكب ذنبه هذا وهو

(٧) أي: لا يستحقون الدخول ابتداء. شرح سنن النسائي (٤/ ٤٨).

(١) (س) الأشربة (٥٦٦٤)، و (حم) ٦٨٥٤.

(٢) (س) ٢٥٦٢، (حم) ٦١٨٠، انظر صحيح الجامع: ٣٠٦٢، الصحيح: ٣٠٩٩، صحيح الترغيب والترهيب: ٢٠٧٠.

(٣) صحيح الجامع (٣٠٦٠)، والصحيح: (١٨٠٤).

(٤) المناوي: فيض القدير (٣/ ٣٢٥).

مُتَلَبِّسٌ بِكَامِلِ الْإِيمَانِ، بَلْ إِنَّهُ يُنَزَّعُ مِنْهُ حِينَ شُرِبِهِ لِلْخَمْرِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَثْنِ، كَمَا رَوَى ابْنُ مَاجَهٍ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِي التَّحْرِيمِ بَيْنَ شُرْبِ الْخَمْرِ وَعَابِدِ الْوَثْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَكُلُّ هَذَا يَمْنَعُ الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْاقْتِرَابِ مِنْهُ. «وَالْمُتَضَمِّنُ بِالْخَلْقِ»، وَالْخَلْقُ: طَيِّبٌ لَهُ صِبْغٌ يُتَّخَذُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ مِمَّا يَخْصُ النِّسَاءَ، وَالتَّضَمُّنُ: هُوَ التَّلَطُّخُ بِهَذَا الطَّيِّبِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ تَشْبِهٍِ بِالنِّسَاءِ، وَذَلِكَ يُشْعِرُ بِخِصَّةِ النَّفْسِ وَسُقُوطِهَا، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَعْصِيَةٍ تُغْضِبُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ وَتَقْتَرِبُ مِنَ النَّاسِ بِأَمْرِ اللَّهِ.

١٤. نَوَالِ مِفْتَاحِ كُلِّ شَرٍّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ» ^(١) «^(٢)».

١٥. الْعَطَشُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ عُبَادَةَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ أَتَى عَطْشَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا فَكُلُ مُسْكِرٍ خَمْرٍ» ^(٣).

١٦. الشَّرْبُ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ: عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ، وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَّةِ، يُقَالُ

(١) لِإِنَّهَا تُزِيلُ الْعَقْلَ، فَلَا يُبَالِي بِشَيْءٍ، فَقَدْ انْفَتَحَ لَهُ بَابُ الشَّرِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُغْلَقًا بِقَيْدِ الْعَقْلِ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ الْخَمْرُ أُمَّ الْخَبَائِثِ. حَاشِيَةُ السَّنَدِيِّ عَلَى ابْنِ مَاجَهٍ (٦/٣٥٤).

(٢) (ك) (٧٢٣١)، (هـ) (٥٥٨٨)، الصَّحِيحَةُ: (٢٧٩٨)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرهيبِ: (٢٣٦٨).

(٣) (حم)، (١٥٤٨٢)، وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبُ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَكَذَا ضَعْفُهُ مُحَقَّقٌ مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى (٢٦/٣) حَدِيثٌ (١٤٣٦)، ضَعِيفُ الْجَامِعِ (٥٦٤٢)، وَقَالَ عَنْهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ رَقْمَ (٢٣٧٢) صَحِيحٌ لغيره.



لَهُ: الْمِزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ» أَوْ «عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١).

١٧. سَبَبٌ فِي الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ»^(٢)، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ»^(٣) وَالْمَعَارِزُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ»^(٤).

١٨. يُقْتَلُ إِنْ لَمْ يَنْتَهَ مِنْ بَابِ السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ: عَلَى قَوْلِ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ»^(٥).

(١) مسلم (٢٠٠٢).

(٢) القذف: رمي بالحجارة من جهة السماء. فيض القدير (٤/ ٦٠٤).

(٣) القينات: جمع قينة، وهي: الجارية المغنية.

(٤) (ت) (٢٢١٢)، انظر صحيح الجامع: (٣٦٦٥)، الصحيحة (٢٢٠٣).

(٥) (حم) (١٦٨٩٣)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وقال الألباني في الصحيحة: وقد قيل إنه حديث منسوخ، ولا دليل على ذلك، بل هو محكم غير منسوخ، كما حققه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٩/ ٤٩ - ٩٢) واستقصى هناك الكلام على طرقه بما لا مزيد عليه، ولكننا نرى أنه من باب التعزير، إذا رأى الإمام قتل، وإن لم يره لم يقتل، بخلاف الجلد، فإنه لا بد منه في كل مرة، وهو الذي اختاره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، (ت) (١٤٤٤)، (س) (٥٦٦٢)، (د) (٤٤٨٤)، (ج) (٢٥٧٢)، انظر صحيح الجامع: (٦٠٣)، الصحيحة: (١٣٦٠).

١٩. **عدم قبول الصلاة:** عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ^(١) لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا^(٢)»^(٣) «وَأِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ»^(٤) «فَإِنْ تَابَ^(٥) تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٦) فَإِنْ عَادَ^(٧) لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٨) «وَأِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ»^(٩) «فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(١٠) «وَأِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ»^(١١) «فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ، لَمْ يَتَّبِ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١٢) «وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١٣) قَالُوا: وَمَا

(١) أَي: وَلَمْ يَتَّبِ مِنْهُ. تحفة الأحوذى (٥ / ٨١).

(٢) أَي: لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوَابٌ، وَإِنْ بَرَأَتْ الذِّمَّةُ وَسَقَطَ الْقَضَاءُ بِإِدَائِهِ أَرْكَانِهِ مَعَ شَرَائِطِهِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّ لِكُلِّ طَاعَةٍ اعْتِبَارَيْنِ: أَحَدُهُمَا: سُقُوطُ الْقَضَاءِ عَنِ الْمُؤَدِّي، وَثَانِيَهُمَا: تَرْتِيبُ حُصُولِ الثَّوَابِ، فَعَبَّرَ عَنْ عَدَمِ تَرْتِيبِ الثَّوَابِ بِعَدَمِ قَبُولِ الصَّلَاةِ. انْتَهَى. وَخَصَّ الصَّلَاةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا سَبَبُ حُرْمَتِهَا، أَوْ لِأَنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ أُمُّ الْعِبَادَاتِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. وَقَوْلُهُ «أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يُرَادُ بِهِ الْيَوْمُ»، أَي: صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا. تحفة الأحوذى (٥ / ٨١).

(٣) (ت) ١٨٦٢، (حم) ٦٦٤٤.

(٤) (ج) ٣٣٧٧.

(٥) أَي: مِنْ شَرِبِ الْخَمْرِ، بِالْإِفْلَاحِ وَالنَّدَامَةِ. تحفة الأحوذى (٥ / ٨١).

(٦) أَي: قَبْلَ تَوْبَتِهِ. تحفة الأحوذى (٥ / ٨١).

(٧) أَي: إِلَى شَرْبِهَا. تحفة الأحوذى (٥ / ٨١).

(٨) (ت) ١٨٦٢.

(٩) (ج) ٣٣٧٧.

(١٠) (ت) ١٨٦٢.

(١١) (ج) ٣٣٧٧.

(١٢) (ت) ١٨٦٢.



طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٢)». ^(٣) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٤)». ^(٥)

٢٠. **خسارة الدنيا:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ»، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «عَصَاةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ»^(٦).

(١٣) (س) ٥٦٧٠، (ج) ٣٣٧٧.

(١) **عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ:** صَدِيدُهُمْ، وَصَدِيدُ الْجُرْحِ: مَاؤُهُ الْمُخْتَلَطُ بِالْدَّمِ الرَّقِيقِ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ الْمِدَّةُ. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨/٢٩).

(٢) (حب) ٥٣٥٧، (ت) ١٨٦٢، (حم) ٤٩١٧، **صَحِيحُ الْجَامِعِ:** ٦٣١٢، **الصَّحِيحَةُ:** ٢٠٣٩، **صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ:** ٢٣٨٣، ٢٣٨٤.

(٣) **ذُكِرَ فِي حِكْمَةٍ ذَلِكَ أَنَّهَا تَبْقَى فِي عُرْوَقِهِ وَأَعْصَابِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.** شرح سنن النسائي (٧/٢٠٤).

(٤) (حب) ٥٣٥٧، (ت) ١٨٦٢، (حم) ٤٩١٧، **صَحِيحُ الْجَامِعِ:** ٦٣١٢، **الصَّحِيحَةُ:** ٢٠٣٩، **صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ:** ٢٣٨٣، ٢٣٨٤.

(٥) (حم) ٦٦٥٩، **الصَّحِيحَةُ:** ٣٤١٩، **صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ:** ٢٣٨٥.

٢١. تُؤدِّي إلى الوقوع في زنا المحارم: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ، وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا وَقَعَ ^(١) عَلَى أُمِّهِ وَخَالَتِهِ، وَعَمَّتِهِ ^(٢)» ^(٣).

٢٢. الحِرْمَانُ مِنْ خَمْرِ الْآخِرَةِ: عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ» ^(٤). وفي رواية: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٥) ^(٦).

(١) أي: جَامَعَ.

(٢) يظن أنها زوجته وهو لا يشعر، ومن ثم جعلها الله مفتاح كل إثم، كما جعل الغناء مفتاح الزنا، وإطلاق النظر في الصور مفتاح العشق، والكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، والمعاصي مفتاح الكفر، والكذب مفتاح النفاق، والحرص مفتاح البخل، وهذه أمور لا يُصدق بها إلا من له بصيرة صحيحة، ولب يعرف به ما في نفسه، وما في الوجود من خير وشر. أ.هـ. من فيض القدير (٦٧٦/٣).

(٣) (قط) (٢٤٧/٤) حديث (٣)، (طب) (١١٣٧٢)، صحيح الجامع: (٣٣٤٥)، الصحيحة: (١٨٥٣).

(٤) البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣). (حرمها) أي حرم من خمرة الجنة، وهي ليست كخمرة الدنيا في سكرها وضررها وكراهة مذاقها وخبث رائحتها؛ بل هي شرابٌ لذيقٌ ممتع من أشهى أشربة الجنة. والحرمان منها يعني عدم دخول الجنة حتى يعاقب على شرب خمر الدنيا، أو أنه يُحرم منها أبداً حتى ولو دخل الجنة.

(٥) (هـ) (٥٥٧٣)، (ج) (٣٣٧٣)، انظر الصحيحة: ٢٦٣٤.

(٦) قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»: مَعْنَى الْحَدِيثِ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، لِأَنَّ الْخَمْرَ شَرَابٌ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا حُرِمَ شَرْبُهَا، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ. وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ بَرٍّ: هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، يَدُلُّ عَلَى جُرْمَانِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ أَنْهَارَ الْخَمْرِ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ، وَأَنَّهُمْ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ، فَلَوْ دَخَلَهَا - وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فِيهَا خَمْرًا، أَوْ أَنَّهُ حُرِمَهَا عِقَابٌ لَهُ - لَزِمَ وَقُوعُ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا هَمَّ فِيهَا وَلَا حُزْنَ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِوُجُودِهَا فِي الْجَنَّةِ، وَلَا أَنَّهُ



٢٣. **الانهماك في الجهل والضلال**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءَيْنِ: فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»^(١).
(الفطرة) الاستقامة وهو دين الإسلام، وجُعِلَ اللبن علامة له لكونه سهلاً طيباً نافعاً سليم العاقبة. (غوت) انهمكت في الجهل والضلال.

٢٤. **مساواة الشرك بالله**: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَارِبُ الْخَمْرِ»^(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثْنٍ»^(٣)،^(٤) «وَشَارِبُ الْخَمْرِ، كَعَابِدِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى»^(٥). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، لَقِيَ اللَّهَ كَعَابِدِ وَثْنٍ»^(٦).

حُرْمَتُهَا عُقُوبَةٌ لَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي فَقْدِهَا أَلَمٌ فَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ مَنْ تَقَدَّمَ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَصَلاً. قَالَ: وَهُوَ مَذْهَبٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِالْعَفْوِ، ثُمَّ لَا يَشْرَبُ فِيهَا خَمْرًا، وَلَا تَشْتَهِيهَا نَفْسُهُ، وَإِنْ عَلِمَ بِوُجُودِهَا فِيهَا. فتح الباري (١٦ / ٤٤).

(١) البخاري (٣٣٩٤)، مسلم ٢٦٤ - (١٦٤).

(٢) مسند الحارث: ٥٤٠.

(٣) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ شُرْبَ الْخَمْرِ مَعَ عَابِدِ الْوَثْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ أَي: الْأَصْنَامُ الْمَنْصُوبَةُ حَوْلَ الْكُعْبَةِ، وَأَيْضًا هُمَا سَوَاءٌ فِي عَدَمِ قَبُولِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ لَوْ صَلَّى لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتُهُ. حاشية السندي على ابن ماجه (٦ / ٣٥٧). قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، لِأَنَّ عَابِدَ الْوَثْنِ أَشَدُّ الْكَافِرِينَ كُفْرًا، فَالْتَّشْبِيهُ لِفَاعِلِ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ بِفَاعِلِ الْعِبَادَةِ لِلْوَثْنِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُبَالَغَةِ وَالزَّجْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. نيل الأوطار (١٣ / ٩٥).
(٤) (ج٢) ٣٣٧٥.

(٥) مسند الحارث: ٥٤٠، وصححه الألباني في تخريج كتاب الإيمان لابن سلام ص ٩٦، وصحح الجامع: ٣٧٠١.

(٦) (طب) ١٢٤٢٨، (حم) ٢٤٥٣، انظر صحيح الجامع: ٦٥٤٩، الصحيح: ٦٧٧.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: مَا أَبَالِي شَرِبْتُ الْخَمْرَ أَوْ عَبَدْتُ هَذِهِ السَّارِيَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عز وجل (١). (٢).

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ مَشَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَقَالُوا: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، وَجُعِلَتْ عَدْلًا لِلشِّرْكِ (٣).

* عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: هَلْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ! فَقِيلَ: وَلَمْ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصُونُ عَرْضِي وَأَحْفَظُ مَرْوَعِي؛ فَإِنْ مِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ كَانَ مُضِيعًا فِي عَرْضِهِ وَمَرْوَعَتِهِ. قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ مَرَّتَيْنِ» (٤).

* وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لَا تَسْلَمُوا عَلَى شَرِبَةِ الْخَمْرِ (٥). وَقَالَ: لَا تَعُودُوا شَرَابَ الْخَمْرِ إِذَا مَرَضُوا (٦).

(١) يُرِيدُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ وَشَرِبِ الْخَمْرِ عِنْدَهُ. شرح سنن النسائي (٢٠٣/٧). وهذا محمولٌ على التغليظ، كما في حديث: «ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»، وذلك بنفي كمال الإيمان، وتشبيهه بعبادة الأوثان من حيث تقاربهما في نفي الاسم، حيث أن كلا منهما نفي عنه الإيمان، وإن كانت جهة النفي مختلفة. ذخيرة العقبى (٢٧٣/٤٠).

(٢) (س) (٥٦٦٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٣٦٥).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٢٣٩٩).

(٤) (أبو نعيم، وابن مردويه في المعرفة، وابن عساكر)، [كنز العمال ٣٥٥٩٨]، أخرجه ابن عساكر (٣٣٣/٣٠)، وأخرجه أيضًا: ابن جرير في الرياض النضرة (١٤٦/٢).

(٥) قول عبد الله بن عمرو: لا تسلموا على شراب الخمر. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٦٣ - ط السلفية)، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف كما في تحقيقه للأدب المفرد رقم (١٠١٧).

(٦) الأدب المفرد (٥٢٩). [قال الشيخ الألباني]: ضعيف.



* وأخرج عبد الرزاق، عن عبد الله بن عمرو قال: إنه في الكتاب مكتوب أن خطيئة الخمر تغلو الخطايا، كما تغلو شجرتها الشجر^(١).

* عن عائشة رضي الله عنها، قالت: حرم أبو بكر رضي الله عنه، الخمرة على نفسه فلم يشربها في جاهليته، ولا إسلام، وذلك أنه مر برجل سكران يضع يده في العذرة ويذنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صرف عنها!! فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا لا يدري ما يصنع، وهو يجد ريحها فحرمها^(٢).

* عروة بن الزبير رضي الله عنه: أصابته في رجله الأكلة، فأرادوا قطعها، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله، حتى لا يحس بالألم، ويتمكنوا من قطعها، فقال: ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عجل، ولكن هلموا فاقطعوها. فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم، ولا يسمع له حس. وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة^(٣).

* قال عباد المنقري رضي الله عنه: لو كان العقل علقة يشتري لتغالى الناس في شرائه، فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم^(٤). وفي رواية: قال الحسن رضي الله عنه: لو كان العقل يشتري لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده!!^(٥).

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني - ط التأصيل (٧/ ٤٦٩)، (١٨١٣٤).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ١٦٠)، [كنز العمال ٣٥٦٠٩].

(٣) البداية والنهاية ط هجر (١٢/ ٤٧٧).

(٤) شعب الإيمان (٧/ ٤١٨).

(٥) الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٤٦٨).

* ذكر الزبير بن بكار^(١): أنه في أحد الأيام كان قد اجتمع أبو غبشان مع قصي بن كلاب في الطائف للسكر، فلما سكر أبو غبشان اشترى منه قصي سدانة الكعبة بوعاء من جلد يستعمل في الشرب وغيره من الأمور؛ ثم قام قصي بأخذ مفاتيحه وذهب إلى مكة، وقال: يا معشر قريش، هذه مفاتيح أبيكم إسماعيل ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم. وعندما أفاق أبو غبشان ندم ندمًا شديدًا، وذهبت خزاعة إلى قصي، فطالبوه فغلبهم، (أي طالبوه أن يرد عليهم السدانة فأبى)، وانتقل شرف السدانة إلى قصي وقريش، وباعت خزاعة شرف السدانة بزق خمر!! فكان يضرب المثل في الحماقة والندم وخسارة الصفقة بندم أبي غبشان وحماقته وخسارة صفقته، فيقال: «أندم من أبي غبشان»، و«أخسر من أبي غبشان»، و«أحمق من أبي غبشان». كما قيل: «أخسر من صفقة أبي غبشان»، وقال بعض الشعراء:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت .. بزق خمر فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالخمير وانقرضت ... عن المقام وظل البيت والنادي

قصة:

* عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه قَالَ: اجْتَنَبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ، فَعَلَقَتْهُ^(٢) امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَاَنْطَلِقْ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ^(٣) عِنْدَهَا غُلَامٌ.

(١) في كتاب: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: ٦٥.

(٢) أي: عشقته وأحبته.

(٣) أي: حسناء.



وَبَاطِيَةٌ خَمْرٌ^(١) فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ^(٢) أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا فَسَقَّتْهُ كَأْسًا، فَقَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرْمِ^(٣) حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ^(٤). أي: أصل الشرور، ويتولد منها جميع المنكرات، ثم ذكر عثمان رضي الله عنه مثلاً يبين ما فيها من خبث يوقع شاربها فيما هو أشد تحريماً: «إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ»، أي: في الأمم السابقة، «تَعَبَّدَ»، أي: كان من أهل العبادة وأوقف نفسه عليها معتزلاً بذلك للناس، «فَعَلَّقَتْهُ»، أي: أحبته وتعلقت به، «امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ»، أي: غاوية، ومنهمكة في الذنوب والمعاصي والضلال والكبائر من الزنا وغيره، «فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ»، أي: إلى هذا الرجل العابد الناسك، «جَارِيَّتَهَا»، أي: لتدعوه إليها، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ لِلرَّجُلِ: «إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ»، أي: تعللت له بما يخرجُه عن مقامه كذباً وزوراً، «فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَّتِهَا»، أي: تبعها ليقضي لها حاجتها، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الْغَاوِيَةِ، «فَطَفِئَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ»، أي: شرعت الجارية في غلق الأبواب خلفه؛ لَتَمْنَعَهُ إِنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ، «حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ»، أي: بلغ ووصل إلى حجرة بها امرأة جميلة وحسنة، «عِنْدَهَا غُلَامٌ»، أي: وبحجرتها صبي صغير خادم لها، «وَبَاطِيَةٌ»، أي: إناء عظيم من خمر، فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «إِي وَاللَّهِ، مَا

(١) الْبَاطِيَةُ: إِنَاءٌ.

(٢) كَنَايَةٌ عَنِ الزَّانَا.

(٣) أَيُّ: فَلَمْ يَبْرَحْ.

(٤) (س) (٥٦٦٦)، وسنده صحيح.

دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ»، أَي: لَمْ نَطْلُبْكَ لَكِي تَشْهَدَ عَلَى شَيْءٍ، «وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ»، أَي: تَزْنِي بِي، وَتَفْعَلَ الْفَاحِشَةَ مَعِي، أَوْ «تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا»، إِذَا لَمْ تَقْبَلْ وَتَوَافِقْ عَلَى الزَّنا، «أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ»، إِذَا لَمْ تَوَافِقْ عَلَى الزَّنا أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ. قَالَ الرَّجُلُ: «فَاسْقِنِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا»؛ لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ شَرِبَهَا أَخَفُّ الْأَضْرَارِ وَالذُّنُوبِ، «فَسَقَتْهُ كَأْسًا»، أَي: وَافَقَتْ لَهُ عَلَى طَلَبِهِ، قَالَ الرَّجُلُ: «زَيْدُونِي»، أَي: أَعْطُونِي مَزِيدًا مِنَ الْخَمْرِ أَشْرَبُهُ، «فَلَمْ يَرَمْ»، أَي: لَمْ يَبْرَحْ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الرَّجُلُ يَشْرَبُ مِنَ الْخَمْرِ، «حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا»، أَي: زَنَى بِالْمَرْأَةِ، «وَقَتَلَ النَّفْسَ»، أَي: قَتَلَ الْغُلَامَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْمَرْأَةِ، قَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: «فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ»، أَي: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اجْتَنِبُوهَا وَلَا تَقْرَبُوهَا؛ لِأَنَّهَا تُفْضِي بِشَارِبِهَا إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ وَأَشْرُّ مِنْهَا بَتَغْيِيبِهَا لِلْعَقْلِ؛ «فَإِنَّهَا»، أَي: فَإِنَّ الْحَالَ وَالشَّأْنَ «وَاللَّهُ، لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ»، أَي: فِي قَلْبِ عَبْدٍ، «وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ»، أَي: وَهُوَ مَدْمِنٌ لِلْخَمْرِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْلَعَ عَنْ شَرِبِهَا، «إِلَّا لَيُوشِكُ»، أَي: يَقْرُبُ، «أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ»، أَي: إِمَّا أَنْ يُخْرِجَ الْخَمْرُ الْإِيمَانَ إِنْ لَمْ يَتَبَّ مِنْ شَرِبِهِ، أَوْ يُخْرِجَ الْإِيمَانُ إِدْمَانَ الْخَمْرِ إِنْ تَابَ وَأَقْلَعَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَا يَبْقَى أَحَدُهُمَا مَعَ الْآخَرِ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْخَمْرَ مَنْبَعُ الشُّرُورِ. وَفِيهِ: التَّنْبِيهُ عَلَى سَدِّ الذَّرَائِعِ. وَفِيهِ: أَنَّ الْإِيمَانَ وَإِدْمَانَ الْخَمْرِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ. وَفِيهِ: أَنَّ الْإِيمَانَ يَضْعُفُ بِشَرِبِ الْخَمْرِ.



* سَكَرَ فزنا بأمه وانتحر: وقريبٌ من هذا في زماننا، ما ذكره الشيخ ابن عثيمين^(١) قصة غريبة قرأها بنفسه.. فقال: حَيْثُ نَشَرْتُ إِحْدَى الْجَرَائِدِ اللَّبْنَانِيَّةِ خَبْرًا عَنْ شَابٍّ تَعَاطَى الْخَمْرَ، وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا لِيَفْعَلَ بِهَا الْفَاحِشَةَ فَاُمْتَنَعَتْ، فَهَدَّدَهَا إِنْ لَمْ تُمْكِنَهُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ، فَتَرَدَّدَتْ ثُمَّ لَمَّا رَأَتْهُ مُصِرًّا رَضِخَتْ لِمَصِيرِهَا الْأَلِيمِ، وَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ هَذَا الْخَاسِرُ كَانَتْهُ أَحْسَنُ أَنَّهُ فَعَلَ شَيْئًا قَبِيحًا وَهُوَ سَكْرَانٌ، فَسَأَلَ أُمَّهُ وَحَلَفَهَا بِاللَّهِ وَأَصْرَّ عَلَيْهَا أَنْ تُخْبِرَهُ مَاذَا فَعَلَ؟ فَلَمَّا أَخْبَرَتْهُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى مَحْطَّةٍ وَقَوْدٍ قَرِيبَةٍ، وَاشْتَرَى جَالُونَ بَنْزِينَ، وَدَخَلَ الْحَمَّامَ وَأَغْلَقَهُ، ثُمَّ صَبَّ عَلَى جِسْمِهِ الْبَنْزِينَ، وَأَحْرَقَ نَفْسَهُ حَسْرَةً وَالْمَا عَلَى مَا فَعَلَ بِأُمِّهِ!! فتأملوا: ثَلَاثَةُ ذُنُوبٍ كَبَائِرٍ مُتَوَالِيَةٍ، شَرِبَ الْخَمْرَ ثُمَّ زَنَى بِأُمِّهِ ثُمَّ قَتَلَ نَفْسَهُ! فَهَكَذَا تَفْعَلُ الْمُسْكِرَاتُ بِصَاحِبِهَا، وَهَكَذَا هِيَ مَجَالِسُ الْخَمْرِ، وَهَذِهِ نَتِيجَتُهَا، وَهَكَذَا هِيَ ثَمَارُ الْانْحِرَافِ عَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ.

* أنواع المخدرات: يمكن تقسيم المخدرات وتصنيفها بطرق مختلفة عديدة منها:

١. مخدرات طبيعية وأهمها وأكثرها انتشارًا: الحشيش والأفيون والقات والكوكا.
٢. المخدرات المصنعة وأهمها المورفين والهروين والكوداين والسيدول والديوكامفين والكوكايين والكراك.

(١) في شرحه على بلوغ المرام (٥٣٦٨).

٣. المخدرات التخليقية وأهمها عقاقير الهلوسة والعقاقير المنشطة والمنبهات والعقاقير المهدئة.

* **أضرار المسكرات:** أثبتت الإحصاءات أن ثلث عدد الحوادث في الانتحار ومحاولاته تكون بين المدمنين:

١. أن ١٣ - ٧٢٪ من حوادث الاغتصاب سببها المخدرات.

٢. أن ١٣ - ٥٠٪ من حوادث القتل سببها المخدرات.

٣. في استراليا أكثر من ٥٠٪ من الجرائم سببها المخدرات.

٤. ثلثي وفيات حوادث الطرق بسبب المخدرات.

* **ذكر العلماء أن في شرب الخمر عشرة خصال مذمومة:**

أولها: أن شاربها يصير بمنزلة المجنون، كما يصير مضحكة للصبيان، ومذموماً عند العقلاء، كما ورد عند بن أبي الدنيا أنه قال: رأيت سكراناً في سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه، ويقول: اللهم اجعلني من التوابين ومن المتطهرين!

ثانيها: أنها مذهبة للعقل، متلفة للمال.

ثالثها: أن شربها سبب للعداوة بين الأخوة والأصدقاء وعامة الناس.

رابعها: أن شربها يمنع من ذكر الله ومن الصلاة.

خامسها: أن شربها يحمل على الزنا، وعلى طلاق الزوجة وهو لا يدري.

سادسها: أن الخمر مفتاح كل شر، لأنها تسهل ارتكاب المعاصي.

سابعها: أن شربها يؤذي الحفظة الكرام الكاتبين بالرائحة الكريهة.

ثامنها: أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة، فإن لم يضرب في الدنيا



فإنَّما يُضْرَبُ بَسِيَّاطٍ مِنْ نَارٍ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَالْآبَاءُ وَالْأَصْدِقَاءُ وَالْأَبْنَاءُ.

تاسعها: أَنْ شَارِبَهَا أَغْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَلَا تُرْفَعُ حَسَنَاتُهُ وَلَا يُرْفَعُ دَعَائِهِ.

عاشرها: أَنْ شَارِبَهَا يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَزِعَ الْإِيمَانَ مِنْ عِنْدِ مَوْتِهِ.



٥٢. عقوبات أكل الربا

١. سبب لحرب الله ورسوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَي: اسْتَيْقِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢).

٢. سبب لمحق البركة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٣). يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَمْحَقُ الرِّبَا، أَي: يَذْهَبُهُ، إِمَّا بِأَنْ يَذْهَبَهُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ يَدِ صَاحِبِهِ، أَوْ يَحْرِمَهُ بَرَكَةَ مَالِهِ فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ، بَلْ يُعَذِّبُهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَيُعَاقِبُهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤).

٣. ظلم لا يحبه الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٥). أَي: بِأَخْذِ الزِّيَادَةِ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أَي: بِوَضْعِ رُءُوسِ الْأَمْوَالِ أَيْضًا، بَلْ لَكُمْ مَا بَدَلْتُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ وَلَا نَقْصٍ مِنْهُ^(٦).

(١) [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ٧١٦).

(٣) [البقرة: ٢٧٦].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ٧١٣).

(٥) [البقرة: ٢٧٩].

(٦) تفسير ابن كثير ت سلامة (١ / ٧١٧).



٤. **أَنَّ آكَلَ الرَّبَا مُتَشَبِّهٌ بِالْيَهُودِ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١). قَالَ مِقَاتِل: كَانَ اللَّهُ ﷻ حَرَّمَ عَلَى أَهْلِ التَّوْرَةِ أَنْ يَأْكُلُوا الرَّبَا، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ ظُلْمًا، فَأَكَلُوا الرَّبَا وَأَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَصَدَّوْا عَنْ دِينِ اللَّهِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عِقَابَهُ لَهُمْ^(٢).

٥. **أَنَّ آكَلَ الرَّبَا مُتَشَبِّهٌ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مُوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مُوْضُوعٌ كُلُّهُ»^(٣).

٦. **آكَلَ الرَّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرَّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرَّبَا﴾^(٤). عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: يُبْعَثُ آكِلُ الرَّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ^(٥).

٧. **لَعْنَةُ الْمَشْرُكِ فِيهِ:** عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرَّبَا، وَمُؤْكَلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيَهُ»، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ»^(٦). نَهَى ﷺ عَنِ التَّعَامُلِ بِالرَّبَا، وَمَنْعَهُ عَلَى الطَّرَفَيْنِ مَعًا؛ فَمَنْعَ آخِذِ الرَّبَا أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَمَنْعَ مُعْطِيِ الرَّبَا أَنْ يَدْفَعَهُ وَيُعْطِيَهُ لِغَيْرِهِ.

(١) [النساء: ١٦٠، ١٦١].

(٢) التفسير الوسيط للواحدى (١٣٨ / ٢).

(٣) مسلم (١٢١٨).

(٤) [البقرة: ٢٧٥].

(٥) تفسير الطبري، ط هجر (٤٠ / ٥).

(٦) مسلم (١٥٩٨).

والرِّبَا هو التَّعَامُلُ بَيْنَ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ عَلَى أَصْلِ الدِّيُونِ وَالْإِقْرَاضِ، سَوَاءٌ كَانَ رِبَا الزِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ، أَوْ رِبَا التَّأْجِيلِ وَالنَّسِيئَةِ. وَالنَّهْيُ هُنَا عَنْ أَخْذِ الرِّبَا وَإِعْطَائِهِ وَإِنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْأَكْلُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ النَّهْيُ كَانَتْ طُعْمَتُهُمْ مِنَ الرِّبَا، أَوْ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْإِنْتِفَاعِ، وَالْأَغْلَبُ وَالْأَعْظَمُ.

٨. خطره أشد من الزنا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دِرْهَمُ رِبَا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ زَنِيَةً»^(١). أَكَلَ الرِّبَا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، وَقَدْ أَعْلَنَ سُبْحَانَهُ الْحَرْبَ عَلَى مَنْ تَعَامَلَ بِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ ضِيَاعٍ لِأَمْوَالِ النَّاسِ، وَأَكَلَ لِحَقْوِقِهِمْ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ بَيْنَ النَّاسِ، وَفَسَادِ الْمُجْتَمَعَاتِ. «دِرْهَمُ رِبَا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ»، أَي: يَأْخُذُهُ أَوْ يَنْتَفِعُ بِهِ، «وَهُوَ يَعْلَمُ» أَنَّهُ رِبَا، سَوَاءٌ كَانَ هُوَ الْكَاسِبَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ. «أَشَدُّ» فِي الْعُقُوبَةِ، «مِنْ سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ زَنِيَةً»، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْعَدَدِ قِيل: الْمُبَالِغَةُ لَا الْحَصْرُ، وَحِكْمَةُ الْعَدَدِ الْخَاصِّ مُفَوَّضَةٌ إِلَى الشَّارِعِ. وَإِنَّمَا كَانَ الرِّبَا أَشَدَّ مِنَ الزَّنَا؛ لِأَنَّ مَنْ أَكَلَهُ فَقَدْ حَاوَلَ مُخَالَفَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُحَارَبَتَهُمَا بِعَقْلِهِ الزَّائِعِ، فَيُودِي بِصَاحِبِهِ إِلَى خَاتِمَةِ السُّوءِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى،.. وَأَمَّا قُبْحُ الزَّنَا فَظَاهِرٌ عَقْلًا وَشَرْعًا، وَلَهُ وَازِعٌ وَزَوَاجِرُ سِوَى الشَّرْعِ، فَأَكَلَ الرِّبَا يَهْتِكُ حُرْمَةَ اللَّهِ ﷻ، وَفَاعِلُ الزَّنَا يَخْرِقُ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أُريدَ بِهِ الْمُبَالِغَةُ؛ زَجْرًا عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَحَثًّا عَلَى طَلَبِ الْحَلَالِ وَاجْتِنَابِ حَقِّ الْعِبَادِ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الرِّبَا.

(١) (حم) (٢٢٠٠٧)، انظر صحيح الجامع: (٣٣٧٥)، الصحيح: (١٠٣٣).



٩. **سبب في حلول العذاب:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ظَهَرَ الرَّبَا وَالزَّانَا فِي قَوْمٍ إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ ﷻ»^(١). وهو التعامل بين الناس بأخذ الزيادة على رؤوس الأموال دون وجه حق، سواء أكان في المال أم السلع، والتحذير هنا يبدأ بالمقرض والمقترض، وينتهي بالمجتمع الذي يرضى بمثل هذا ولا يحاربه؛ «فقد أحلوا»، أي: أنزلوا وأوجبوا «بأنفسهم عذاب الله»، وهذا العذاب يكون في الدنيا وفي الآخرة، إذا لم يتوبوا إلى الله؛ ففي الدنيا تنتشر الأمراض والعلل والعداوات وإراقة الدماء بسبب الزنا، وتمحق البركة بسبب الربا، وفي الآخرة يكون العذاب من الله جزاءً على هذه الكبائر، وفي إضافة العذاب إلى الله تفضيع لشأنه، وتعظيم لقدره، وتهويل لأمر هاتين المعصيتين.

١٠. **الصيرورة إلى قلة:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قِلَّةٍ»^(٢). وفي رواية: «الرَّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ»^(٣). أي: وإن زاد في نظر صاحبه فإنه يؤول إلى النقص والمحق آجلاً. أي: كانت نهاية أموال الربا القلة والنقصان، فيمحق الله الربا، أي: ينقصه ويذهب بركته.

(١) (حم) (٣٨٠٩)، (حب) (٤٤١٠)، (يع) (٤٩٨١)، صحيح الجامع: (٥٦٣٤)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٨٦٠).

(٢) (حم) (٣٧٥٤)، (ك) (٢٢٦٢)، انظر صحيح الجامع: (٣٥٤٢)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٨٦٣).

(٣) (ج) (٢٢٧٩).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٣٧٥٤). قال ابن الأثير: القل، بالضم: القلة، كالذل والذلة، أي إنه وإن كان زيادة في المال عاجلاً، فإنه يؤول إلى نقص.

وفي الحديث: التحذير من التعامل بالربا، وبيان سوء عاقبته.

١١. سبب في الهلاك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(١). والرابع: أكل الربا، والربا زيادة أحد البدلين المتجانسين من غير أن يقابل هذه الزيادة عوض، وهو ظلم للإنسان، وأكل لماله بالباطل، ومحاربة لله ورسوله، كما حكى القرآن.

١٢. سبب في عذاب القبر: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسْطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ أَكَلَ الرَّبَا»^(٢). وكان النبي ﷺ قد أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى مِنْ نَعِيمِهَا وَصِفَاتِ أَصْحَابِهَا، وَأُطْلِعَ عَلَى بَعْضِ عَذَابَاتِ النَّارِ وَصِفَاتِ أَصْحَابِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ رَأَى «رَجُلًا يَسْبَحُ فِي نَهْرٍ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ»، كَانَ صُورَةُ عِقَابِهِ وَتَعْذِيْبِهِ أَنْ تُوَضَعَ الْحِجَارَةُ فِي فَمِهِ؛ لِأَكْلِهَا وَهُوَ فِي مَاءِ النَّهْرِ، وَلَعَلَّ هَذَا النَّهْرَ مِنْ نَارٍ وَحَمِيمٍ، «فَسَأَلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: أَكَلَ الرَّبَا»، وَهُوَ آخِذُهُ.. وَهَذَا مِنَ التَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ مِنْ عَاقِبَةِ التَّعَامُلِ بِالرِّبَا لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ ضَيَاعِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

(١) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) البخاري (٢٠٨٥).



١٣. من علامات الساعة: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يَظْهَرُ الرَّبَا، وَالزَّنا، وَالْخَمْرُ»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: لَأَنْ أَرْنِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُلَ دِرْهَمَ رَبًّا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي أَكَلْتُهُ حِينَ أَكَلْتُهُ رَبًّا^(٢).

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَكِلِ الرَّبَا: خُذْ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ^(٣).

* ذكر القرطبي في تفسيره قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا سَكْرَانًا يَتَعَاقَرُ (يشرب الخمر، لعب الخمر برأسه) يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْقَمَرَ، (الذي يشرب الخمر يذهب عقله يُصبح مثل المجنون أضحوكة للناس، شرب الخمر يريد أن يقفز إلى الأعلى ليأخذ القمر)، فَقُلْتُ: (لَمَّا رَأَيْتُ الْمَنْظَرَ وَتَأَثَّرْتُ بِهِ) امْرَأَتِي طَالِقٌ إِنْ كَانَ يَدْخُلُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ أَشْرٌ مِنَ الْخَمْرِ (يقول الرجل: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم أشد من الخمر، يعتقد الرجل أن أشد ما يدخل جوف ابن آدم هو الخمر). فَقَالَ: ارْجِعْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ. (مسألة عظيمة تحتاج إلى تفكير)، فَأَتَاهُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ فَأَتَاهُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ: امْرَأَتُكَ طَالِقٌ، إِنِّي تَصَفَّحْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَسَنَّةَ نَبِيِّهِ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَشْرَ مِنَ الرَّبَا، لِأَنَّ اللَّهَ أَذِنَ فِيهِ بِالْحَرْبِ^(٤).

(١) المعجم الأوسط (٧٦٩٥)، الصحيحة (٣٤١٥)، صحيح الترغيب والترهيب (١٨٦١).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢١٩٥٨)، قال في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٥٤): (صحيح موقوف).

(٣) تفسير الطبري ط هجر (٣٩/٥).

(٤) تفسير القرطبي (٣/٣٦٤).

* قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الرَّبَا لَا يَنْزِعُ عَنْهُ؛ فَحَقَّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَشِيهَ، فَإِنْ نَزَعَ وَإِلَّا ضَرَبَ عُنُقَهُ ^(١).

* وَأَمَّا الْحَيْلُ عَلَى الرَّبَا فَأَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ قَدِيمَةٌ وَحَدِيثَةٌ، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعِثِمِيُّ رحمته الله: فَمِنْ أَنْوَاعِا الْحَدِيثَةِ: أَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى سَيَّارَةٍ مِثْلًا فَيَأْتِي إِلَى التَّاجِرِ فَيَقُولُ لَهُ التَّاجِرُ: اذْهَبْ إِلَى أَيِّ مَعْرَضٍ أَوْ إِلَى الْمَعْرَضِ الْفُلَانِيِّ وَاخْتَرِ السَّيَّارَةَ الَّتِي تُرِيدُ، وَائْتَنِي بِمَا يَلْزَمُ مِنْ إِجْرَاءَاتِ الْبَيْعِ، فَإِذَا فَعَلَ الْمَحْتَاجُ ذَلِكَ اشْتَرَاهَا التَّاجِرُ مِنَ الْمَعْرَضِ بِثَمَنِ حَاضِرٍ، ثُمَّ بَاعَهَا عَلَى الْمَحْتَاجِ بِأَكْثَرٍ مِنْ ثَمَنِهَا مِنْ أَجْلِ التَّقْسِيطِ، وَهَذِهِ حِيلَةٌ وَاضِحَةٌ لَا يَمْتَرِي فِيهَا مَنْ تَأَمَّلَهَا. وَلَقَدْ صَدَرَتْ عَنِ اللِّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ بِالْمَمْلَكَةِ بِرِئَاسَةِ مُفْتِي عَامِ الْمَمْلَكَةِ بِرَقْم ٢١٢٨٦ وَتَارِيخ ١٨ / ١ / ١٤٢١ هـ بِتَحْرِيمِ هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا حِيلَةً لِلتَّوَصُّلِ إِلَى الرَّبَا الْمَحْرَمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، فَالْوَاجِبُ تَرْكُ التَّعَامُلِ بِهَا طَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.



(١) أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم بسند حسن. التفسير الصحيح، حكمت بشر (١ / ٣٨٧).

٥٣. عقوبات الزنا

١. النبي ﷺ نفى عنه الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١). زاد النسائي: «فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢). وفي هذا الحديث يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ تَقَعَّ مِنْهُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَلَكِنَّهُ حَالُ إِتْيَانِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ وَارْتِكَابِهَا لَا يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ، بَلْ إِنَّ الْإِيمَانَ يُنَزَعُ مِنْهُ وَهُوَ يَرْتَكِبُ هَذِهِ الْكِبَائِرَ، فَمَنْ يَزْنِي لَا يَزْنِي وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِالْإِيمَانِ. أَوْ يُنَزَعُ مِنْهُ نُورُ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ، وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، فَإِذَا زَنَى الْمُسْلِمُ، أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ، أَوْ سَرَقَ؛ ذَهَبَ نُورُ الْإِيمَانِ وَبَقِيَ صَاحِبُهُ فِي ظُلْمَةٍ. وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَنْفِيُّ هُوَ كَمَالُ الْإِيمَانِ وَلَيْسَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الْإِيمَانِ. أَوْ الْمُرَادُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَحِلًّا لَهُ فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ؛ إِذَا اسْتَحْلَالَ الْحَرَامَ مِنْ مُوجِبَاتِ الْكُفْرِ. أَوْ كَلَامُهُ ﷺ مِنْ بَابِ الْإِنذَارِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ زَوَالِ الْإِيمَانِ إِذَا اعْتَادَ هَذِهِ الْمَعَاصِيَ وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي. وَفِيهِ: تَعْظِيمُ أَمْرِ الزَّانَا، وَالسَّرَقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

(١) البخاري (٥٥٧٨)، مسلم (٥٧).

(٢) سنن النسائي (٤٨٧٢)، وهي موقوفة على أبي هريرة وحكم بنكارتها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم الحديث (٣٠٠٠).

٢. العذاب في القبر: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللَّهُ» فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، .. قَالَا: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، ... وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ...»^(١).

٣. سبب في خروج الإيمان من العبد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ، خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ^(٢) فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ، رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ^(٣)»^(٤). أي: كان الإيمان قريباً منه مُظَلَّلًا عَلَيْهِ، وفي هذا إشارة إلى أنه لا يزول عنه حُكْمُ الْإِيمَانِ، (فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ) أي: إِنْ تَابَ وَأَنَابَ وَحَدَّ- أَيِ: أَقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ- مِنْ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ، رَجَعَ إِلَيْهِ إِيْمَانُهُ فَاسْتَكْمَلَهُ، وَأَخَذَ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِزْدِيَادِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَاعِزٍ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْ سَعَتْهُمْ».

(١) البخاري (١٣٨٦)، (٧٠٤٧). (فإنهم الزناة) قال في الفتح مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عاداتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك. والحكمة في إتيان العذاب لهم من تحتهم كون جنائتهم من أعضائهم السفلى.

(٢) أي: كَالسَّحَابَةِ. عون المعبود (٢٠٩/١٠).

(٣) اعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ بَيَّنُّوا لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ تَأْوِيلَاتٍ كَثِيرَةً، وَهَذِهِ إِحْدَاهَا، وَهُوَ أَنَّهُ يُسَلَبُ الْإِيمَانُ حَالَ تَلَبُّسِ الرَّجُلِ بِالزُّنَا، فَإِذَا فَارَقَهُ عَادَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ. عون المعبود (٢٠٩/١٠).

(٤) (د) (٤٦٩٠)، (ك) (٥٦)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٥٨٦)، الصَّحِيحَةُ: (٥٠٩).



ولعلَّ أمثالَ هذا الحديثِ خَرَجَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَخْرَجَ الوَعِيدِ وَالرَّدْعِ وَالزَّجْرِ لِمَنْ يَقْتَرِفُ هَذِهِ الْفَاحِشَةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَفْعَلَهَا، فَسُلِبَ مِنْهُ كَمَالُ الْإِيمَانِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْإِيمَانَ يُسَلَبُ مِنَ الْعَبْدِ حَالُ التَّلَبُّسِ بِالْكَبِيرَةِ، فَإِذَا فَارَقَهَا وَتَابَ مِنْهَا عَادَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ.

٤. سَمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ قَاذُورَاتٍ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، أَنَّ رَجُلًا اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزَّانَاءِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ﷺ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَوْطٍ، فَأَتَى بِسَوْطٍ مَكْسُورٍ، فَقَالَ: «فَوْقَ هَذَا»، فَأَتَى بِسَوْطٍ جَدِيدٍ لَمْ تَقْطَعْ ثَمَرَتُهُ، فَقَالَ: «بَيْنَ هَذَيْنِ»، فَأَتَى بِسَوْطٍ قَدْ رُكِّبَ بِهِ فَلَانٌ، «فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهَوْا عَنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْءٌ فَلْيَسْتَرِ بِسِتْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمَ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). وَالْمُرَادُ بِالْقَاذُورَاتِ: الْأَفْعَالُ الْقَبِيحَةُ وَالسَّيِّئَةُ الَّتِي نَهَى عَنْهَا الشَّرْعُ، وَمِنْهَا الزَّانَا؛ «فَمَنْ أَلَمَ بِشَيْءٍ مِنْهَا»، أَي: وَقَعَ فِيهَا وَفَعَلَهَا، «فَلْيَسْتَرِ بِسِتْرِ اللَّهِ»، أَي: يَمْتَنِعَ أَنْ يَتَحَدَّثَ أَوْ يُخْبِرَ أَحَدًا، «وَلْيَتَّبِعْ إِلَى اللَّهِ»، أَي: وَلْيَسَارِعْ فِي التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ الَّذِي أَذْنَبَهُ؛ «فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ»، بَأَنْ أَظْهَرَ لَنَا وَأَطْلَعَنَا عَلَى فَعْلَتِهِ وَذَنْبِهِ، «نُقِمَ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ»، أَي: نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ، وَنُقِمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْعَبْدَ يُؤَاخِذُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُظْهَرُهُ، وَأَمَّا مَا خَفِيَ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(١) السنن الصغير للبيهقي (٣/ ٣٤٥)، (٢٧١٩)، موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني (ص: ٢٤٤)، (٦٩٨)، صحيح الجامع (١٤٩)، الصحيحة (٦٦٣).

٥. عقوباته أليمة في الآخرة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»^(١). «يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» كَلَامًا يَسْرُّهُمْ؛ اسْتِهَانَةً بِهِمْ وَغَضَبًا عَلَيْهِمْ، وَهَذِهِ عُقُوبَةٌ لَهُمْ عَلَى جُرْمٍ قَدْ وَقَعُوا فِيهِ، «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ»، وَهَذِهِ مُبَالِغَةٌ فِي الْعُقُوبَةِ؛ فَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ فَيَرْحَمُهُمْ، «وَلَا يُزَكِّيهِمْ»، فَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَا يَغْسِلُهُمْ مِنْ دَنَاءَتِهِمْ وَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ، «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، أَي: فَوْقَ كُلِّ تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ فَسَوْفَ يَذْخِرُ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا فِي الْآخِرَةِ، فَيُضَاعِفُ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ. أَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرُ السِّنِّ قَدْ وَقَعَ فِي فَاحِشَةِ الزَّنا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الرُّشْدِ وَالْعَقْلِ وَذَهَابِ الشَّهْوَةِ مَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَالشَّابُّ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ شَهْوَةٌ وَيَعْجِزُ أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ، لَكِنَّ الشَّيْخَ قَدْ بَرَدَتْ شَهْوَتُهُ وَزَالَتْ أَوْ نَقَصَتْ كَثِيرًا؛ فَالْفَاحِشَةُ لَيْسَ لَهَا سَبَبٌ قَوِيٌّ. وَمِثْلُهُ الْمَرْأَةُ الْبَالِغَةُ الْعَجُوزُ إِذَا زَنَتْ، فَمَعْصِيَةُ الشَّيْخِ وَالشَّيْخَةِ الْعَجُوزِ مَعْصِيَةٌ تَفُوقُ مَعْصِيَةَ الزَّنا مِنَ الشَّابِّ، وَالزَّنا كُلُّهُ فَاحِشَةٌ وَمِنَ الْكِبَائِرِ، سَوَاءٌ مِنَ الشَّابِّ أَوْ مِنَ الشَّيْخِ، لَكِنَّهُ مِنَ الشَّيْخِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ. وَقَدْ خُصِّصَ الْمَذْكُورُونَ بِالْوَعِيدِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ التَّزَمَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ عَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَعْفِ دَاعِيَتِهَا عِنْدَهُ، فَأَشْبَهَ إِقْدَامَهُمْ عَلَيْهَا الْمُعَانَدَةَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللَّهِ، وَقَصَدَ مَعْصِيَتَهُ لَا لِحَاجَةٍ غَيْرَهَا.



٦. **البغض من الله:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ»^(١).
 أي: يكرههم الله، وَمَنْ كَرِهَهُ يُعَذِّبُهُ وَيُحِلُّهُ دَارَ الْهَوَانِ. قال: «وَالشَّيْخُ الزَّانِي»، أي: الشَّخْصُ الَّذِي طَعَنَ فِي السَّنِّ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الزَّانَا؛ فَصُدُّوا الزَّانَا مِنْهُ أَقْبَحُ مِنْ صُدُورِهِ مِنَ الشَّبَابِ؛ لِأَنَّهُ فِي سِنٍّ قَدْ انْكَسَرَتْ مَعَهَا مِنْهُ قُوَّةُ الشَّهْوَةِ وَدَنَتْ مِنْهُ الْمَنِيَّةُ، وَذَهَبَ مِنْهُ الشَّبَابُ الَّذِي هُوَ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ، وَقُوَّةُ الشَّهْوَةِ الدَّاعِيَةُ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي الْأَمْرِ، عَلَى أَنَّ الزَّانَا مُحَرَّمٌ عَلَى الْجَمِيعِ. وفي الحديث: التحذير الشديد مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ، خُصُوصًا لِمَنْ ضَعُفَ عِنْدَهُ الدَّاعِي إِلَى الْوُقُوعِ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِبُغْضِ اللَّهِ ﷻ لَهُؤَلَاءِ.

٧. **سبب في كثرة الأمراض:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَذَرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ^(٢) فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاغُوتُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...»^(٣). أي: إِذَا ظَهَرَ فِيهِمُ الزَّانَا وَجَاهَرُوا بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعَاقِبُهُمْ بِفُشُو الطَّاغُوتِ وَانْتِشَارِهِ، «وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا»، أي: أَنَّ تِلْكَ الْأَمْرَاضَ وَأَوْجَاعَهَا لَمْ تَكُنْ ظَهَرَتْ مِنْ قَبْلُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

(١) سنن النسائي (٢٥٧٦)، صحيح ابن حبان (٥٥٥٨)، الصحيحة (٣٦٣)، صحيح الجامع (٨٨٠)، صحيح الترغيب والترهيب (١٧٩٠).

(٢) والمراد الْفَاحِشَةُ: الزَّانَا. حاشية السندي على ابن ماجه (٣٨٢ / ٧).

(٣) سنن ابن ماجه (٤٠١٩) وحسنة الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه، السلسلة الصحيحة (١٠٦).

٨. الحرمان من دخول الجنة إلا أن يتوب: عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْكَذَّابُ، وَالْعَائِلُ الْمَزْهُوُّ»^(١). أَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرُ السِّنِّ قَدْ وَقَعَ فِي فَاحِشَةِ الزَّنا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الرُّشْدِ وَالْعَقْلِ وَذَهَابِ الشَّهْوَةِ مَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَالشَّابُّ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ شَهْوَةٌ وَيَعْجِزُ أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ، لَكِنَّ الشَّيْخَ قَدْ بَرَدَتْ شَهْوَتُهُ وَزَالَتْ أَوْ نَقَصَتْ كَثِيرًا؛ فَالْفَاحِشَةُ لَيْسَ لَهَا سَبَبٌ قَوِيٌّ. وَمِثْلُهُ الْمَرْأَةُ الْبَالِغَةُ الْعَجُوزُ إِذَا زَنَتْ، فَمَعْصِيَةُ الشَّيْخِ وَالشَّيْخَةِ الْعَجُوزِ مَعْصِيَةٌ تَفُوقُ مَعْصِيَةَ الزَّانِ مِنَ الشَّابِّ، وَالزَّانِ كُلَّهُ فَاحِشَةٌ وَمِنَ الْكِبَائِرِ، سَوَاءٌ مِنَ الشَّابِّ أَوْ مِنَ الشَّيْخِ، لَكِنَّهُ مِنَ الشَّيْخِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ. وَقَدْ خُصِّصَ الْمَذْكُورُونَ بِالْوَعِيدِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ التَّزَمَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ عَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا، وَضَعْفِ دَاعِيَتِهَا عِنْدَهُ، فَأُشْبِهَ إِقْدَامُهُمْ عَلَيْهَا الْمَعَانِدَةَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللَّهِ، وَقَصِدَ مَعْصِيَتُهُ لَا لِحَاجَةٍ غَيْرِهَا. وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا يَعْنِي الْحَصْرَ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ وُجُودِ أَصْنَافٍ أُخْرَى اسْتَحَقَّتْ نَفْسَ الْعَذَابِ، كَالْمُسْبِلِ إِزَارَهُ، وَالَّذِي يَحْلِفُ لِيُرْجَ سِلْعَتُهُ وَيَبِيعَهَا، وَالْمَنَانِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩. سَبَبٌ فِي حُلُولِ الْعَذَابِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ظَهَرَ الزَّنا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحْلَوْا بَأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»^(٢). أَي: انْتَشَرَ وَعَمَّ «الزَّنا» وَهُوَ إِيْتَانُ النِّسَاءِ فِي الْحَرَامِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْفَوَاحِشِ وَأَكْثَرِهَا مَفَاسِدَ.. قَالَ: «فِي قَرْيَةٍ»، وَالْمَقْصُودُ بِهَا أَيُّ بَلَدٍ أَوْ دَوْلَةٍ «فَقَدْ أَحْلَوْا»، أَي:

(١) مسند البزار = البحر الزخار (٦/٤٩٣)، رقم (٢٥٢٩)، الصحيحة (٣٤٦١).

(٢) (حم) (٣٨٠٩)، (حب) (٤٤١٠)، (يع) (٤٩٨١)، صحيح الجامع: (٦٧٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٨٥٩).



أَنْزَلُوا وَأَوْجَبُوا «بأنفسهم عذاب الله» وهذا العذاب يكون في الدنيا وفي الآخرة، إذا لم يتوبوا إلى الله؛ ففي الدنيا تنتشر الأمراض والعِللُ والعَدَاوَاتُ وإِراقةُ الدِّماءِ بسببِ الزَّنا، وتُمَحِّقُ البركة بسببِ الرِّبَا، وفي الآخرة يكون العذاب من الله جزاءً على هذه الكبائر، وفي إضافة العذاب إلى الله تَفْطِيعٌ لِشأنه، وتَعْظِيمٌ لِقَدْرِهِ، وتَهْوِيلٌ لِأمرِ هاتينِ المَعْصِيَتَيْنِ.

١٠. من أعظم الذنوب عند الله: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا^(١) وَهُوَ خَلْقَكَ»، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ^(٢)» فَأَنْزَلَ اللَّهُ سبحانه تَصَدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾^(٣) «(٤)».

(١) أَي: مِثْلًا وَنَظِيرًا فِي دُعَائِكَ أَوْ عِبَادَتِكَ. عون المعبود (٥/ ١٨١).

(٢) أَي: زَوْجَةَ جَارِكَ، وَمَعْنَى «تُزَانِي» أَي: تُزْنِي بِهَا بِرِضَاهَا، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الزَّنا، وَهُوَ مَعَ امْرَأَةِ الْجَارِ أَشَدُّ قُبْحًا، وَأَعْظَمُ جُرْمًا، لِأَنَّ الْجَارَ يَتَوَقَّعُ مِنْ جَارِهِ الذَّبَّ عَنْهُ وَعَنْ حَرِيمِهِ، وَيَأْمَنُ بِوَأَثِقِهِ، وَيُطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَقَدْ أُمِرَ بِإِكْرَامِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَإِذَا قَابَلَ هَذَا كُلَّهُ بِالزَّنا بِامْرَأَتِهِ وَإِفْسَادِهَا عَلَيْهِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ لَا يَتِمَكَّنُ غَيْرُهُ مِنْهُ، كَانَ فِي غَايَةِ مِنَ الْقُبْحِ. شرح النووي (١/ ١٨٧). وَرَوَى أَحْمَدُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رَقْمَ (٥٠٤٣)، مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَقُولُونَ فِي الزَّنا؟، قَالُوا: حَرَامٌ، قَالَ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بَعْشَرَةَ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ». فتح الباري (١٣/ ٢٧٦).

(٣) [الفرقان: ٦٩].

(٤) البخاري (٦٤٦٨)، مسلم (٨٦).

١١. الوقوع في مخالفة أمر الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١). يَقُولُ تَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ عَنِ الزَّانَا وَعَنْ مُقَارَبَتِهِ، وَهُوَ مُخَالَطَةُ أَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ أَي: ذَنْبًا عَظِيمًا ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أَي: وَبِئْسَ طَرِيقًا وَمَسْلَكًا^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالزَّانَا؛ فَإِنَّ فِيهِ سِتُّ خِصَالٍ: ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ، فَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الدُّنْيَا؛ فَيَذْهَبُ الْبَهَاءُ، وَيَعْجَلُ الْفَنَاءُ، وَيَقْطَعُ الرِّزْقُ؛ وَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الْآخِرَةِ: فَيَسْحَاطُ الرَّبُّ، وَسُوءُ الْحِسَابِ، وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ^(٣).

* قِيلَ: إِنَّ رَاهِبًا تَعَبَّدَ سِتِّينَ سَنَةً، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَرَادَهُ فَأَعْيَاهُ، فَعَمَدَ إِلَى امْرَأَةٍ فَأَجْنَهَا، وَلَهَا إِخْوَةٌ، فَقَالَ لِإِخْوَتِهَا: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقِسِّ فَيَدَاوِيهَا، فَجَاءُوا بِهَا، قَالَ: فَدَاوَاهَا، وَكَانَتْ عِنْدَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عِنْدَهَا إِذْ أَعْجَبَتْهُ، فَأَتَاهَا فَحَمَلَتْ، فَعَمَدَ إِلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَجَاءَ إِخْوَتُهَا، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلرَّاهِبِ: أَنَا صَاحِبُكَ، إِنَّكَ أَعْيَيْتَنِي، أَنَا صَنَعْتُ بِكَ هَذَا فَاطْعِنِي أَنْجِكَ مِمَّا صَنَعْتُ بِكَ، اسْجُدْ لِي سَجْدَةً، فَسَجَدَ لَهُ؛ فَلَمَّا سَجَدَ لَهُ قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).^(٥)

(١) [الإشراء: ٣٢].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٧٢).

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٣٦١). إسناده ضعيف جدًا.

(٤) [الحشر: ١٦].

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢/ ٥٤١).



* وفي واقعنا وفي زماننا هذا كثيرٌ من مآسي الزناة والزواني، يحكى أن شاباً سافر إلى بلاد الكفر والفجور والفسق والسفور، من أجل الزنا وشرب الخمر، سافر هذا الشاب إلى تلك البلاد، وفي يوم من الأيام وبينما هو في غرفته ينتظر تلك العاهرة أن تأتيه، إذا بها قد تأخرت عن مواعدها، وعندما أتت ودخلت عليه غرفته، شهق شهقة عالية وسجد لها، فكانت هذه السجدة هي السجدة الأولى والأخيرة في حياته، لكن لمن كانت هذه السجدة؟ وما سببها؟ وما نتائجها؟ أخي الحبيب: إنه سوء الخاتمة، أعاذنا الله من ذلك.

* وقيل إنَّ عابداً من بني إسرائيل عبدَ الله في صومعته ستين عاماً، فأمرت الأرض فاخضرت، فنظر من صومعته ومعه رغيفان من الخبز فقال: لو نزلت فأذكر الله فأزداد من الخير، فلما نزل لقيته امرأة فأخذ يكلمها وتكلمه حتى وقع (زنا) بها، فأغمي عليه من شدة ما فعل، فنزل الغدير ليستحم ووضع الرغيفان، فمرَّ سائلٌ فأعطاه الرغيفان، ثم مات ذلك العابد، فعندما وُزِنَت عبادة ستين سنة بتلك الزنية، رجحت الزنية بحسناته فخسر خسراناً مبيئاً، إلا أن الله تغمده برحمته فوضع الرغيفان، في ميزانه فرجحت حسناته.

* وفي قصة الثلاثة الذين سدَّت عليهم الصخرة باب الغار، قال أحدهم: إنه كانت لي بنت عم فدعاها إلى الزنا فأبت، وفي يوم من الأيام حصلت لها حاجة ماسة إلى المال فأتته تستقرضه فأبى إلا أن تخلي بينه وبينها، فرضيت نظراً لحاجتها الشديدة للمال، فعندما جلس منها كما يجلس الرجل من أهله قالت له: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتذكر قدرة الله عليه وأن الله سبحانه يراه، قام عنها وأعطاه المال لوجه الله، فقال:

اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا ما نحن به، فانفرجت الصخرة فخرجوا جميعاً.

* وفي زماننا هذا ذهب شاب إلى إحدى الدول المجاورة للنزهة والتمتع ولم يخطر بباله الزنا نهائياً، وفي يوم من الأيام إذا به يقع فيما لم يكن في الحسابان فوقع في الزنا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يقع فيها في الزنا، فندم ندماً شديداً، وحزن حزناً كبيراً، وعاهد الله على التوبة، وعاد إلى بلده والحزن يملأ قلبه، والندم يملأ جوارحه وعاد إلى الله وبدأ الصلاة، وأخذ يكثّر من النوافل لعل الله أن يغفر له، وفي يوم من الأيام وهو ساجد لله ﷻ أتاه الزائر الذي لا تقفل له الأبواب والأقفال، أتاه هادم اللذات ومُفرّق الجماعات، أتاه ملك الموت، وهو على أحسن حال وهو ساجد لله تعالى، فانظر كيف ختم الله له بهذه الخاتمة الحسنة.

* وقال بن الجوزي في كتابه «ذم الهوى»: كَانَتْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةً بِمَكَّةَ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ، فَظَرَّتْ يَوْمًا إِلَى وَجْهِهَا فِي الْمَرْأَةِ؛ فَقَالَتْ لِرِزْوَجِهَا: أَتَرَى أَحَدًا يَرَى هَذَا الْوَجْهَ لَا يُفْتَنُ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: مَنْ؟ قَالَ: عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ. قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي فِيهِ فَلَأُفْتِنَنَّهُ؟ قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ. قَالَ: فَأَتَتْهُ كَالْمُسْتَفْتِيَةِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: فَأَسْفَرَتْ عَنْ مِثْلِ فَلَقَةِ الْقَمَرِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّةَ اللَّهِ؟ قَالَتْ: إِنِّي قَدْ فُتِنْتُ بِكَ، فَاَنْظُرْ فِي أَمْرِي؟ قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ أَنْتِ صَدَقْتَنِي نَظَرْتُ فِي أَمْرِكَ؟ قَالَتْ: لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا صَدَقْتُكَ، قَالَ: أَخْبِرْنِي لَوْ أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ أَتَاكَ لِيَقْبِضَ رُوحَكَ أَكَانَ يَسْرُوكَ أَنِّي قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَلَوْ أَدْخَلْتَ فِي قَبْرِكَ وَأَجْلَسْتَ



لِلْمُسَاءَلَةِ أَكَانَ يَسْرُكُ أَنِّي قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أُعْطُوا كُتُبَهُمْ وَلَا تَدْرِينَ تَأْخُذِينَ كِتَابَكَ بِيَمِينِكَ أَمْ بِشِمَالِكَ أَكَانَ يَسْرُكُ أَنِّي قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَلَوْ جِئَ بِالْمَوَازِينِ وَجِئَ بِكَ لَا تَدْرِينَ تَخْفِينِ أَمْ تَثْقِلِينَ أَكَانَ يَسْرُكُ أَنِّي قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَلَوْ وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْمُسَاءَلَةِ أَكَانَ يَسْرُكُ أَنِّي قَضَيْتُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: اتَّقِي اللَّهَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى زَوْجِهَا، فَقَالَ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَتْ: أَنْتَ بَطَّالٌ وَنَحْنُ بَطَّالُونَ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعِبَادَةِ، قَالَ: فَكَانَ زَوْجُهَا يَقُولُ: مَالِي وَلِعَبِيدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَفْسَدَ عَلَيَّ امْرَأَتِي، كَانَتْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَرُوسًا فَصَيَّرَهَا رَاهِبَةً^(١).

* حَدَّثَ أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ بِالْبَصْرَةِ لَهُ أَكَّارٌ (أَي رَجُلٌ يَحْرَثُ لَهُ الْأَرْضُ) وَكَانَتْ لِلْأَكَّارِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ حَسَنَاءُ كَثِيرَةُ اللَّحْمِ، فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِ الرَّجُلِ الْغَنِيِّ (أَي أَحْبَبَهَا)، فَرَكِبَ قَارِبَهُ إِلَى قَصْرِهِ، وَقَالَ لِلْأَكَّارِ: الْقَطْ لَنَا مِنَ الرُّطْبِ وَصَيِّرْهُ فِي الدَّوَاخِلِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِيَّتَ بِهِ فَلَانًا وَفَلَانًا، فَذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا مَضَى، قَالَ لَامْرَأَةِ الْأَكَّارِ: أَغْلِقِي بَابَ الْقَصْرِ، فَأَغْلَقَتْهُ. ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَغْلِقِي كُلَّ بَابٍ، فَفَعَلَتْ، فَقَالَ لَهَا: هَلْ بَقِيَ بَابٌ لَمْ تَغْلِقِيهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ بَابٌ وَاحِدٌ لَمْ أَغْلِقْهُ. قَالَ: وَأَيُّ بَابٍ هُوَ؟ قَالَتْ: الْبَابُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ ﷻ. فَبَكَى ثُمَّ قَامَ عَرَقًا وَانصَرَفَ وَلَمْ يَوَاقِعِ الْخَطِيئَةَ.

(١) ذم الهوى (ص: ٢٦٥).



* وَذِكْرُ أَنْ قَصَابًا وَلَعَ بِجَارِيَةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِهِ، فَأَرْسَلَهَا أَهْلُهَا فِي حَاجَةٍ لَهُمْ إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَتَبِعَهَا فَرَاوِدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، لَأَنَا أَشَدُّ حُبًّا مِنْكَ لِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. قَالَ: فَأَنْتِ تَخَافِينَ اللَّهَ وَأَنَا لَا أَخَافُهُ؟ فَرَجَعَ تَائِبًا.



١. التلبس بصفات المنافقين: قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١). وَهُمْ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ بِالْسِتِّهِمْ وَيُسِرُّونَ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. يَقُولُ: هُمْ صِنْفٌ وَاحِدٌ، وَأَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، فِي إِعْلَانِهِمُ الْإِيمَانَ وَاسْتِبْطَانِهِمُ الْكُفْرَ، يَأْمُرُونَ مَنْ قَبْلَ مِنْهُمْ بِالْمُنْكَرِ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَتَكْذِيبِهِ. وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ يَقُولُ: وَيُمْسِكُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ النِّفْقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَكْفُونَهَا عَنِ الصَّدَقَةِ، فَيَمْنَعُونَ الَّذِينَ فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ مَا فَرَضَ مِنَ الزَّكَاةِ حُقُوقَهُمْ^(٢).

٢. التشبه بأهل الكتاب في الضلال: قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣). لَا يَتَنَهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، وَلَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَيَعْنِي بِالْمُنْكَرِ: الْمَعَاصِي الَّتِي كَانُوا يَعْصُونَ اللَّهَ بِهَا. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: كَانُوا لَا يَتَنَهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ أَتَوْهُ^(٤).

(١) [التوبة: ٦٧].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١/٥٤٨).

(٣) [المائدة: ٧٩].

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٨/٥٩٢).

٣. عدم وجوده سبب في انتفاء وصف الخيرية عن الأمة المحمدية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). ويجب على أولي الأمر، وهم علماء كل طائفة وأمرائها ومشايخها أن يَقُومُوا عامتهم ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله، وينهونهم عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ^(٢).

٤. تركه سبب في عدم إجابة الدعاء: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(٣).

(١) [آل عمران: ١٠٤].

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٢/ ٣٨٢).

(٣) (ت) (٢١٦٩)، (حم) (٢٣٣٤٩)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٧٠٧٠)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٣١٣). قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ حَدِيثُ (٧٢٩٦): قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَتَبَّتْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، فَتَبَّتْ بِذَلِكَ أَنَّ أَحَصَّ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَقْوَاهَا دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ عَقْدِهِمْ، وَسَلَامَةِ سِرِيرَتِهِمْ، هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ بَيْنَ فَضْلِ الْعِلْمِ وَصَلَاحِ الْعَمَلِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوا إِلَى الْمَعْرُوفِ، وَيُزْجِرَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِمِقْدَارِ طَاقَتِهِ، إِلَّا مَا كَانَ طَرِيقَهُ طَرِيقَ الْحُدُودِ وَالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ دُونَ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُطِيقُ إِلَّا الْقَوْلَ قَالَ، وَإِنْ لَمْ يُطِيقْ إِلَّا الْإِنْكَارَ بِالْقَلْبِ أَنْكَرَ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، مِثْلُ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. أ.هـ.



أي: مُقسِّمًا بالله ﷻ؛ وذلك لأنَّ الله هو الَّذِي يَمْلِكُ الْأَنْفُسَ، وكثيرًا ما كان يُقسِّمُ النَّبِيُّ ﷺ بهذا القسم، فيقول: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»، أي: إمَّا أَنْ تَحْرِصُوا عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، والمعروف: هو كُلُّ مَا حَسَنَ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وأدَّى إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَإِعَانَةِ النَّاسِ؛ فَهُوَ اسْمٌ شَامِلٌ لَجَمِيعِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، والمنكر: هو كُلُّ مَا قَبَحَ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ وأدَّى إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ﷻ، وهو اسمٌ شَامِلٌ لَجَمِيعِ أَبْوَابِ الشَّرِّ، «أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ»، أي: إِذَا تَوَقَّعْتُمْ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَدْ اقْتَرَبْتُمْ مِنْ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ؛ عِقَابًا لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ، «ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»، أي: مُبَالِغَةً فِي الْعُقُوبَةِ لَكُمْ إِنْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ فَلَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ وَلَنْ يَرْفَعَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ. وفي الحديث: التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهيبُ مِنْ تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

٥. تركه سببٌ في عقاب الله تعالى: عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ وَلَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا»^(١). وله شاهد بنحوه: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٢)،

(١) (د) (٤٣٣٩)، (حب) (٣٠٢)، (ج) (٤٠٠٩)، الصَّحِيحَةُ: (٣٣٥٣)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٣١٦).

(٢) [المائدة: ١٠٥]. أي: إِنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْهَا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُطَالِبِينَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ السَّعْيَ فِي إِصْلَاحِ النَّفْسِ فَقَطْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ فِي أَقْوَامٍ كَانُوا قَدْ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَوْا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْ نَصَحِهِمْ، فَكَادَتْ أَنْفُسُهُمْ تَذْهَبُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ تِلْكَ الْآيَةَ اسْتِرْضَاءً لَهُمْ.

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١). أي: يوشك أن يعمَّ الله ﷻ الجميع بعقابٍ من عنده الفاعل للمُنكر والذي لم ينهه عن فعله. وفي الحديث: التحذير والترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيه: ترشيد أمر العامة وإفهامهم النصوص على الوجه الصحيح لها.

٦. الإصابة بسواد القلب: عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمَ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»... قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًا؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَحِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا»^(٢). «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ» تُوَضَّعُ وَتُبْسَطُ وَتَلْتَصِقُ، وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ الْامْتِحَانُ وَالْاِخْتِبَارُ؛ فَالْفِتْنَةُ الَّتِي يُضَيِّفُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ، أَوْ يُضَيِّفُهَا رَسُولُهُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى الْامْتِحَانِ وَالْاِخْتِبَارِ وَالْاِبْتِلَاءِ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

(١) سنن الترمذي ت بشار (٣٠٥٧)، صحيح الجامع (١٩٧٣).

(٢) مسلم (١٤٤).



بالنعم والمصائب، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون، وفتنة المشركين لون آخر، والفتنة التي تقع بين أهل الإسلام فيتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر، ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن. «على القلوب عرض الحصر عوداً عوداً»؛ قيل: عوداً: بضم العين؛ بمعنى أن الفتن تلصق بعرض القلوب؛ أي: بجانبها، كما يلصق الحصر بجانب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقه به، وقيل: بفتح العين؛ ومعناه: تعاد الفتن على القلب وتكرر، والعود: تكرار الشيء، «فأي قلب أشربها» استجاب لها وخالطها، واستقرت في قلبه، وحلت فيه محل الشراب كما يستقر الماء بالأعضاء، «نكتت فيه نكتة سوداء» ترك في قلب صاحبها نقطة وعلامة سوداء من أثر تلك الفتنة، فلا يزال هكذا حتى يسود قلبه كله من جميع جوانبه، «وأي قلب أنكرها» فلم يستجب لها، وعمل على إنكارها بالقلب أو اللسان أو اليد، «نكتت فيه نكتة بيضاء» ترك في قلب صاحبها نقطة وعلامة بيضاء أثراً لهذا الإنكار؛ «حتى يصير القلب أبيض» وهو الذي كثرت فيه العلامات البيضاء من أثر تكرار إنكاره لتلك الفتن، «مثل الصفا» وهو الحجر المرمر الأملس الذي هو في غاية البياض والصفاء، من شدته على عقد الإيمان، وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به، ولم تؤثر فيه كالصفا، «لا تضربه فتنة ما دامت السموات والأرض» جعل الله لهذا القلب بصيرة يرى فيها بنور الله فلا يختلط عليه الحق والباطل، «والآخر أسود» وهو القلب الذي كثرت فيه العلامات السوداء من أثر تكرار استجابته لتلك الفتن، «مربداً كالكوز مجحياً» والربدة لون بين السواد والغبرة، فأصبح القلب أسود كالرماد، وكالإناء المائل المنكوس لا يستقر فيه شيء، ولا يعلق به خير ولا حكمة، فيخلو ويفرغ عما

أودع فيه من المعارف ومحاسن الأخلاق والآداب، «لا يعرفُ معروفًا، ولا يُنكرُ منكرًا» لا يُميز بين المعروف والمنكر، ويخلط بينهما قصدًا وعمدًا، «إلا ما أشرب من هواه» إلا ما يتبع فيه هواه أن يجعل هذا معروفًا فيفعله، وهذا منكرًا فينكره، وإن خالف تمييزه هذا القواعد التي ينطلق منها الحق والباطل.

٧. براءة النبي ﷺ من تاركه: عن ابن عباس، يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر»^(١). حرص الإسلام على البر ومراعاة حقوق الناس على اختلاف أعمارهم وأحوالهم. وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «ليس منا»، أي: ليس على طريقتنا وهدينا وسنتنا.

من أقوال العلماء في الباب:

* قال سفيان الثوري رحمه الله: إني لأرى الشيء يجب علي أن آمر فيه وأنهى عنه، فلا أفعل، فأبول دما^(٢).

* سئل حذيفة رحمه الله: ما ميت الأحياء؟ قال: لا ينكر المنكر بيده، ولا بلسانه ولا بقلبه^(٣).

* قال مالك بن دينار رحمه الله: اضطلحنا على حب الدنيا، فلا يأمر بعضنا بعضًا، ولا ينهى بعضنا بعضًا، ولا يذرنا الله تعالى على هذا، فليت شعري أي عذاب ينزل؟^(٤).

(١) الترمذي (٢٠٣٤)، مسند أحمد ط الرسالة (٢٣٢٩)، السلسلة الضعيفة (٥٠٣٣)، ضعيف الترغيب والترهيب (٨٠).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٤/٧).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٧١٨٤).

(٤) البيهقي: شعب الإيمان (٧١٩٠).



* قَالَ الإمام النَوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: الْقِيَامُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ فَرَضُ كِفَايَةٍ، فَإِنْ خَافَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهِ، سَقَطَ الْإِنْكَارُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَوَجِبَتْ كَرَاهَتُهُ بِقَلْبِهِ، هَذَا مَذْهَبُ الْجَمَاهِيرِ^(١).

* قَالَ الشيخ ناصر بن سعد الشثري: قد دلت نصوص... على أن هناك أسباباً... لمنع إجابة الدعاء منها: التوسع في المعاصي... وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

* قَالَ إسماعيل بن عمر رَحِمَهُ اللهُ: من ترك الأمر بالمعروف خوفاً للمخلوقين، نَزَعَتْ مِنْهُ الْهَيْبَةُ، فَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ لَا سَتَخَفَ بِهِ^(٢).

* وَيُذَكَّرُ أَنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مَرَّ فِي الشَّامِ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ عَلَى قَوْمٍ مِنَ التَّتَارِ - وَالتَّتَارُ أُمَّةٌ مَعْرُوفَةٌ تَسَلَّطَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي سَنَةٍ مِنَ السَّنَوَاتِ، وَحَصَلَ بِهِمْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ - وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فَسَكَتَ وَمَا نَهَاهُمْ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: لِمَاذَا لَمْ تَنْهَ عَنْ هَذَا الْمُنْكَرِ؟ قَالَ لَهُ: إِنْ نَهَيْتَهُمْ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ ذَهَبُوا يَفْسِدُونَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِالزَّانَا، وَيَسْتَبِيحُونَ أَمْوَالَهُمْ، وَرَبَّمَا يَقْتُلُونَهُمْ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ أَهْوَنَ، وَهَذَا مِنْ فِقْهِهِ - رَحِمَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ -، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَخْشَى أَنْ يَزُولَ الْمُنْكَرُ وَيَتَحَوَّلَ إِلَى مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْوَاجِبَ الصَّمْتُ.

* قَالَ الإمام ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: الذُّنُوبُ مِنْهَا مَا يَعَجِّلُ اللهُ عِقَابَهُ، وَمِنْهَا مَا يَمْهَلُ بِهَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَالسَّكُوتُ عَلَى الْمُنْكَرِ تَتَعَجَّلُ عِقَابُهُ فِي الدُّنْيَا بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ.

(١) شرح النووي على مسلم (٦/٣١٣).

(٢) شرح الأربعين النووية - اللهيمد (ص: ١٠٣).

* قال القرطبي رحمه الله: وَقِيلَ: كُلُّ بَلَدَةٍ يَكُونُ فِيهَا أَرْبَعَةٌ فَأَهْلُهَا مَعْصُومُونَ مِنَ الْبَلَاءِ: إِمَامٌ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ، وَعَالِمٌ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى، وَمَشَائِخُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحْرِضُونَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، وَنِسَاؤُهُمْ مَسْتُورَاتٌ لَا يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^(١).

* قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أَفْضَلُ الْجِهَادِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَشَتَانُ^(٢) الْفَاسِقِينَ، فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهْرَ الْمُؤْمِنِ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ، وَمَنْ شَتَّى الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ اللَّهُ، غَضِبَ اللَّهُ لَهُ. وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عليه السلام: لِتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لِيَسْلُطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ظَالِمًا، لَا يَجِلُّ كِبِيرَكُمْ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يَسْتَجَابُ لَهُمْ، وَيَسْتَنْصِرُونَ فَلَا يَنْصُرُونَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ فَلَا يَغْفِرُونَ. وَقَالَ حَذِيفَةُ عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَأَنْ يَكُونَ فِيهِمْ حَيْفَةٌ حَمَارٌ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ مُؤْمِنٍ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ^(٣).

* وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ رحمه الله: أَمَرَ رَجُلٌ بِالْمَعْرِفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عليه السلام: كَذَبْتَ؟ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ قَالَ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْحُبَارَى لَتَمُوتُ هُزْلًا فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ. وَقَالَ الثُّمَالِيُّ وَيَحْيَى بْنُ سَلَامٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَحْبِسُ اللَّهُ الْمَطَرَ فِيهِلِكَ كُلُّ شَيْءٍ^(٤).

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٤٩).

(٢) شَتَّى الشَّيْءَ وَشَتَاهُ: أَبْغَضَهُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٢٠٧).

(٣) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير (٩/ ١٢٩).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٦١)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٥٧٨).



* قال الإمام الشاطبي رحمته الله: وَقَدْ نُقِلَ عَنْ سَيِّدِ الْعِبَادِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ (أُوَيْسٍ) الْقَرْنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَدْعَا لِلْمُؤْمِنِ صَدِيقًا: نَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ، فَيَشْتُمُونَ أَعْرَاضَنَا، وَيَجِدُونَ فِي ذَلِكَ أَعْوَانًا مِنَ الْفَاسِقِينَ، حَتَّى وَاللَّهِ لَقَدْ رَمَوْنِي بِالْعِظَائِمِ، وَإِنَّمِ اللَّهُ، لَا أَدْعُ أَنْ أَقُومَ فِيهِمْ بِحَقِّهِ ^(١).

* قال أبو عبد الرحمن العمريُّ الزاهدُ رحمته الله: إِنْ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ إِعْرَاضُكَ عَنِ اللَّهِ، بَأَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُهُ فَتَجَاوِزُهُ وَلَا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ خَوْفًا مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لَكَ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَخَافَةَ الْمَخْلُوقِينَ؛ نَزَعَتْ مِنْهُ هَيْبَةُ اللَّهِ، فَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ أَوْ بَعْضَ مَوَالِيهِ لَا يُؤْبَهُ بِهِ ^(٢).

* قال ابن القيم رحمته الله: إنكارُ المنكرِ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ: الْأُولَى: أَنْ يَزُولَ وَيَخْلُفَهُ ضِدُّهُ، **الثَّانِيَّةُ**: أَنْ يَقُلَّ وَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِجُمْلَتِهِ، **الثَّالِثَةُ**: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ، **الرَّابِعَةُ**: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ؛ فَالدرجتانِ الْأُولَيَانِ مَشْرُوعَتَانِ، وَالثَّالِثَةُ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ، وَالرَّابِعَةُ مُحَرَّمَةٌ ^(٣).

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: تَرَكَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ خَشْيَةُ الْوُقُوعِ فِي أَنْكَرٍ مِنْهُ، وَجُوبُ التَّائِي عَنِ الْإِنْكَارِ فِي الْمُحْتَمَلَاتِ ^(٤).

(١) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (١/ ٣٩).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٨٤).

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٢).

(٤) بتصرف من: فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٢)، (١/ ٢٢٥).

* قال الإمام البقاعي رحمته الله: اعلّموا أيها الإخوان...أنّه لا يقدم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من جعل نفسه هدفاً للحتوف، وتجرع مرّ الكلام ما هو أمرٌ من السهام، فإنّ النّاهي عن المنكر يعاني الهوان الأكبر، بمعادة كل شيطان من الإنس والجان يقوم عليه الجيلان، ويرشقه بسهام الأذى القبيلان، شياطين الإنس ظاهراً بالمقال والفعال وشياطين الجن باطناً بما يوحون إليهم من الضلال.

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: فِيهِ التَّغْيِبُ فِي احْتِمَالِ الْأَذَى عِنْدَ بَذْلِ النَّصِيحَةِ وَنَشْرِ الْمَوْعِظَةِ ^(١).

* قال ابن حجر رحمته الله: وَإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِإِظْهَارِ الْغَضَبِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَكْثَرَ مِنْهُ ^(٢).



(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٣٨).

٥٥. عقوبات البخل والشح

١. استعاذ النبي ﷺ منه: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١). «وَالْبُخْلُ» وهو مَنعُ مَا يَجِبُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَالِ مَعَ تَوَفُّرِهِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ هُمَا أَخَوَانِ؛ لِأَنَّ بَهُمَا يُحْبَسُ الْخَيْرُ عَنِ الْعَبْدِ وَالنَّفْعُ لِنَفْسِهِ وَلِبَنِي جَنْسِهِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَنعُ نَفْعِهِ بِيَدِهِ - وَهُوَ الْجُبْنُ - أَوْ بِمَالِهِ - وَهُوَ الْبُخْلُ - وَلِهَذَا قَرَنَ فِي الْأَحَادِيثِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ.

٢. سببٌ فِي هَلَاكِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ»^(٢). وَفِي رَوَايَةٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ»^(٣)، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ:

(١) مسلم (٢٧٠٦).

(٢) مسلم (٢٥٧٨). (واتقوا الشح فإن الشح أهللك من كان قبلكم) قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا، بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكتهم في الدنيا والآخرة. قال جماعة: الشح أشد البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور، والشح عام، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده.

(٣) البخل: أَنْ يَضْنَ بِمَالِهِ وَبِمَعْرُوفِهِ، وَالشُّحُّ: أَنْ يَبْخُلَ بِمَالِهِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الشُّحُّ أَشَدُّ الْبُخْلِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْمَنَعِ مِنَ الْبُخْلِ. وَقِيلَ: هُوَ الْبُخْلُ مَعَ الْحَرَصِ. وَقِيلَ: الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ

أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطّعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»^(١).

٣. من أسوأ ما يتصف به الإنسان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ، شُحُّ هَالِعٍ^(٢) وَجُبْنٌ خَالِعٍ^(٣)». أي: من الأفعال المتصفة بالشَّرِّ الحاضرة على نقيض الخير المُجَنِّبة له، «شُحٌّ» وهو أَشَدُّ البخل؛ فيه لا يَفْعَلُ الحقوق التي عليه، وقيل: البخل يَصْلُحُ وصفه لأشياء بعينها، أمَّا الشُّحُّ فهو عامٌّ؛ فيكون مثلاً البخل في المال والشُّحُّ في كلِّ شيءٍ، فيكون الشُّحُّ صفةً لازمةً للشَّخص، بخلاف البخل؛ فيكون صفةً لبعض أفعال الشَّخص، «هالِعٌ»، أي: يَجْعَلُ عند صاحبه جزعاً وخوفاً إنْ فَعَلَ ما بُخِلَ به. والذي يَنْبَغِي للمُسْلِمِ أن يكون مُتَّصِفًا بِحَسَنِ الْأَخْلَاقِ وَأَوْسَطِهَا، غيرَ مُتَطَرِّفٍ الْخَلْقِ. وفي الحديث: الزَّجْرُ عَنِ الشُّحِّ.

٤. الشُّحُّ سَبَبٌ فِي الْهَلَاكِ: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَّاتٌ: خَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَى وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوَى مُتَّبَعٌ، وَشُحُّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ

وَآحَادَهَا، وَالشُّحُّ عَامٌّ. وَقِيلَ: الْبُخْلُ بِالْمَالِ، وَالشُّحُّ بِالْمَالِ وَالْمَعْرُوفِ. عون المعبود (٤/١٠٦). قال تعالى: ﴿أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

(١) (حم) (٦٨٣٧)، (٦٧٩٢)، (د) (١٦٩٨)، صحيح الجامع: (٢٦٧٨)، الصحيحة تحت حديث: (٨٥٨).

(٢) الْهَالِعُ: أَشَدُّ الْجَزَعِ وَالضَّجَرِ. عون المعبود (٥/٤٠٥).

(٣) أي: شَدِيدٍ، كَأَنَّهُ يَخْلَعُ فُؤَادَهُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: مَا يَعْزِضُ مِنْ نَوَازِعِ الْأَفْكَارِ وَضَعْفِ الْقَلْبِ عِنْدَ الْخَوْفِ. عون المعبود (٥/٤٠٥).

(٤) (د) (٢٥١١)، (حم) (٧٩٩٧)، صحيح الجامع: (٣٧٠٩)، والصحيحة: (٥٦٠).



بِنَفْسِهِ»^(١). وفي رواية: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَشَحُّ مَطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ»^(٢). والشح هو: شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه، والشح يدعو إلى البخل، فمن بخل فقد أطاع شح نفسه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

٥. الله تعالى ييغض البخلاء: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَثَلَاثَةٌ يَسْنُوهُمُ اللَّهُ: الرَّجُلُ يَلْقَى الْعَدُوَّ فِي الْفِتَّةِ فَيَنْصِبُ لَهُمْ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، أَوْ يَفْتَحَ لِأَصْحَابِهِ، وَالْقَوْمُ يُسَافِرُونَ فَيَطُولُ سُرَاهُمْ حَتَّى يُجِبُوا أَنْ يَمْسُوا الْأَرْضَ، فَيَنْزِلُونَ فَيَنْتَحِيَ أَحَدُهُمْ، فَيَصْلِي حَتَّى يُوقِظَهُمْ لِرَحِيلِهِمْ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ يُؤْذِيهِ جَوَارُهُ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتَ أَوْ ظَعْنَ، وَالَّذِينَ يَسْنُوهُمْ اللَّهُ: التَّاجِرُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْبَخِيلُ الْمَنَانُ»^(٤). وهو الذي يبخل بماله، ولا ينفق منه - كما يحبُّ الله - بالصدقات، وعمل البر، وإذا أنفق منه شيئاً فإنه يَمْنُ على الآخذ، والصنف الثالث: «وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ»، وهو الفقير المتكبر المعجب بنفسه، والاختيال والتكبر منهيه عنهما، وخصَّ الفقير مع أنه مُحَرَّمٌ على الغني أيضاً، إلا أنه من الفقير أقبح؛ إذ الفقر يقتضي الانكسار والذلة والمسكنة؛ فالتكبر منه أقبح من التكبر من الغني. وفي الحديث:

(١) صحيح الجامع (٣٠٣٩)، (٣٠٤٥)، الصحيحة (١٨٠٢).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣١٥)، مسند البزار = البحر الزخار (٣٣٦٦).

(٣) [الحشر: ٩].

(٤) مسند أحمد (٢١٣٤٠)، صحيح الجامع (٣٠٧٤).

تحذير من الأخلاق السيئة، مثل البخل والكذب والحلف الكاذب.

٦. الملائكة تدعوا عليه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»^(١). وفي هذا الحديث يحث النبي ﷺ على الصدق والإنفاق في وجوه الخير ويبين الجزاء الحسن لذلك، ويحذر من البخل والإمساك ويبين سوء عاقبته، فيخبر ﷺ أنه ما من يوم يصبح العباد فيه إلى قيام الساعة إلا وينزل الله ملكين من ملائكته المكرمين في السماء، يدعو أحدهما بأن يعطي الله للمتصدق المنفق في وجوه الخير والبر خلفًا وعوضًا عما أنفقه وأعطاه، ويدعو الملك الآخر بأن يعطي الله للممسك البخليل تلف ماله أو نفسه، أو هلاكه وضياعه. ومعلوم أن دعاء الملائكة مجاب؛ فهذا وعد بالتيسير لمن ينفق في وجوه البر، ووعيد بالتعسير للبخليل الممسك. وقيل: الإنفاق الممدوح هو ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيافان والتطوع، وكان عن طيب نفس، وطيب كسب، لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء، إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ولو أخرجه. وأيضًا الدعاء للمنفق عام بأن يخلف الله عليه في الدنيا أو الآخرة، وأما الدعاء بالتلف فيحتمل تلف ذلك المال بعينه، أو تلف نفس صاحب المال، والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها. وفي الحديث: الحظ على الإنفاق في الواجبات؛ كالنفقة على الأهل، وصلة الرحم، ويدخل فيه صدقة التطوع والفرض. وفيه: أن الممسك البخليل يستحق تلف ماله.

(١) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).



٧. **البخل داءٌ حَذَرَ منه النبي ﷺ**: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قُلْنَا: جُدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَا نَبْخُلُهُ^(١)، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَذْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»، وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُولِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ^(٢). أَيُّ عَيْبٍ أَقْبَحُ مِنْ أَنْ يُصَابَ الْإِنْسَانُ بِصِفَةِ الْبُخْلِ، فَاخْتَارَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدًا آخَرَ غَيْرَ هَذَا السَّيِّدِ الْبَخِيلِ، فَقَالَ: «بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»، وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَادَنًا وَخَادِمًا لَهَا، وَلَكِنَّهُ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَمِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ كَانَ يُولِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ، أَيُّ: يَقُومُ بِعَمَلِ الْوَلِيمَةِ عَنْهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: تَصْحِيحُ النَّبِيِّ ﷺ مَفَاهِيمَ النَّاسِ الْخَاطِئَةِ فِي الْحَيَاةِ. وَفِيهِ: مَنْقِبَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْجَمُوحِ.

٨. **البخل يُؤدِّي إلى الفتنَة**: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ فِي إِعْطَاءِ هَذَا الْمَالِ فِتْنَةٌ، وَفِي إِمْسَاكِهِ فِتْنَةٌ»^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* فِي الصَّحِيحِينَ: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ ثَلَاثَةٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ^(٤) وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَلِيَهُمْ^(٥) فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا،

(١) أَيُّ: نَتَهَمُهُ بِالْبُخْلِ.

(٢) الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ (٢٩٦) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٣) (حَم) (٢٠٦٠٥)، وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٤) الْبَرَصُ: بَيَاضٌ يَصِيبُ الْجِلْدَ.

(٥) الْإِبْتِلَاءُ: الْإِخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ بِالْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ.

وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَرَنِي ^(١) النَّاسُ، فَمَسَحَهُ ^(٢) فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ، وَأَعْطِي لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْإِبِلُ، فَأَعْطِي نَاقَةً عَشْرَاءَ ^(٣) فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَاتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَدَرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْبَقَرُ، فَأَعْطِي بَقْرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَاتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسُ، فَمَسَحَهُ ^(٤) فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطِي شَاةً وَالِدًا ^(٥) فَاتَّجَعَ هَذَانِ ^(٦) وَوَلَدَ هَذَا ^(٧) فَكَانَ لَهُذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَهُذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلَهُذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ ^(٨) أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ^(٩) فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ^(١٠) فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ،

(١) أَيُّ: إِشْمَازُوا مِنْ رُؤْيِي. فتح الباري (١٠/ ٢٦٥).

(٢) أَيُّ: مَسَحَ عَلَى جِسْمِهِ.

(٣) الْعَشْرَاءُ: هِيَ الْحَامِلُ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا فِي حَمْلِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ طَرَقَهَا الْفَحْلُ. فتح الباري (١٠/ ٢٦٥).

(٤) أَيُّ: مَسَحَ عَلَى عَيْنَيْهِ. فتح الباري (١٠/ ٢٦٥).

(٥) أَيُّ: ذَاتَ وَلَدٍ، وَيُقَالُ: حَامِلٌ. فتح الباري (١٠/ ٢٦٥).

(٦) أَيُّ: صَاحِبِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ.

(٧) أَيُّ: صَاحِبِ الشَّاةِ. فتح الباري (١٠/ ٢٦٥).

(٨) أَيُّ: الْمَلَكُ.

(٩) أَيُّ: فِي الصُّورَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا لَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ وَهُوَ أَبْرَصٌ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ. فتح الباري (١٠/ ٢٦٥).

(١٠) أَيُّ: تَقَطَّعَتْ بِهِ الْأَسْبَابُ الَّتِي يَقْطَعُهَا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ. فتح (١٠/ ٢٦٥).



وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ^(١) فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحَقُّوْ كَثِيْرَةً، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(٢) فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيِّرْكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَآتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيِّرْكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَآتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، شَاءَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصْرِي^(٣) وَفَقِيْرًا فَقَدْ أَغْنَانِي^(٤) فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ اللهُ^(٥) فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمُ^(٦) وَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ^(٧) عَلَى صَاحِبَيْكَ^(٨).

* قَالَ حُبَيْشُ بْنُ مُبَشِّرٍ الثَّقَفِيُّ الْفَقِيْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَعَدْتُ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَالنَّاسُ مُتَوَافِرُونَ فَأَجْمَعُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ رَجُلًا صَالِحًا بَخِيْلًا^(٩).

(١) أَي: أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُرَادِي.

(٢) الكابر: العظيم الكبير بين الناس، والمراد أنه وَرِثَ عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَجْدَادِهِ.

(٣) (م) (٢٩٦٤)، (خ) (٣٢٧٧).

(٤) (خ) (٣٢٧٧).

(٥) أَي: لَا أَشُقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ مِنِّي أَوْ تَأْخُذُهُ. فتح (١٠ / ٢٦٥).

(٦) أَي: اْمُتَحِّتُمْ. فتح الباري (١٠ / ٢٦٥).

(٧) أَي: غَضِبَ.

(٨) (م) (٢٩٦٤)، (خ) (٣٢٧٧).

(٩) ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣ / ٣١٣).

* قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: الْبَخْلُ جِلْبَابُ الْمَسْكِنَةِ، وَرُبَّمَا دَخَلَ السَّخِيُّ بِسَخَائِهِ الْجَنَّةَ ^(١).

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ رحمته الله: كَانَ يُقَالُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شَرَارَهُمْ، وَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ بِأَيْدِي بَخْلَائِهِمْ ^(٢).

* قَالَ الشَّعْبِيُّ رحمته الله: لَا أَذْرِي أَيُّهُمَا أَبْعَدَ غَوْرًا فِي النَّارِ؛ الْكَذِبُ، أَمْ الشُّحُّ ^(٣).

* قَالَ ابْنُ قِدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ رحمته الله: وَأَشَدُّ دَرَجَاتِ الْبَخْلِ أَنْ يَبْخُلَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْحَاجَةِ، فَكَمْ مِنْ بَخِيلٍ يُمْسِكُ الْمَالَ، وَيَمْرُضُ فَلَا يَتَدَاوَى، وَيَشْتَهِي الشَّهْوَةَ فَيَمْنَعُهُ مِنْهَا الْبَخْلُ. فَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْحَاجَةِ، وَبَيْنَ مَا يُوْثِّرُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْحَاجَةِ، فَالْأَخْلَاقُ عَطَايَا يَضَعُهَا اللَّهُ تعالى حَيْثُ يَشَاءُ ^(٤).

* قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ رحمته الله: أَبْخُلَ النَّاسُ بِمَالِهِمْ أَجُودَهُمْ بَعْرُضُهُ. وَقَالَ أَيْضًا: بَشَّرَ مَالَ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ، أَوْ وَارِثٍ ^(٥).

* قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته الله: فَإِنَّ الْبَخْلَ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَهُوَ مَنَعَ الْوَاجِبَاتِ: مِنَ الزَّكَاةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَقُرَى الضَّيْفِ، وَتَرْكِ الْإِعْطَاءِ فِي النَّوَائِبِ، وَتَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٦).

(١) ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/٣١٢).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/٤٦٦).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٦/٥١٣).

(٤) ابن قدامة: مختصر منهاج القاصدين (ص: ٢٦٥).

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/٤٦٨).

(٦) المستدرک على فتاوى ابن تيمية، جمع: ابن قاسم (١/١٢٥).



- * قال يحيى بن معاذ رحمته الله: ما في القلب للأسخياء إلا حب؛ ولو كانوا فجاراً، وللبخلاء إلا بغض؛ ولو كانوا أبراراً^(١).
- * قال ابن القيم رحمته الله: وَالْجَبْنُ وَالْبُخْلُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ عَدَمَ النَّفْعِ مِنْهُ إِنْ كَانَ بِيَدِنِهِ فَهُوَ الْجَبْنُ، وَإِنْ كَانَ بِمَالِهِ فَهُوَ الْبُخْلُ^(٢).
- * قال الماوردي رحمته الله: الحرص والشح أصل لكل ذم، وسبب لكل لؤم؛ لأن الشح يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق.
- * البخل أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً.
- * إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه.
- * اليد المضمومة لا تستطيع أن تصافح أحداً.
- * البخيل لماله، أما ماله فليس له.
- * قمة الجنون أن يعيش المرء فقيراً ليموت غنياً!!
- * عندما تشيخ كل العيوب يبقى البخل شاباً.
- * غني بخيل أفقر من متسول.
- * البخيل فقير لا يؤجر على فقره.
- * البخيل على استعداد دائم حتى لبيع حصته من الشمس.
- * البخل جامع المساوىء والعيوب، وقاطع المودات من القلوب.
- * لا يُحمد البخل إن دان الأنام به.. وحامد البخل مذموم ومدحور.

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/٤٦٨).

(٢) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الدواء والدواء (ص: ٧٣).

* أبخل امرأة في التاريخ: هيتي جرين.. أكثر امرأة بخيلة في التاريخ ^{تقدر} ثروتها بأكثر من ٢,٣ مليار دولار، ولدت هيتي جرين في أمريكا عام ١٨٣٥م، وكانت الابنة الوحيدة لرجل أعمال ثري، ورثت عن والدها ثروة ^{تقدر} بـ ٧,٥ مليون دولار، وعندما بلغت الحادية والعشرين من عمرها، انتقلت للعيش في نيويورك لتستثمر أموالها في وول ستريت، ولقبت بساحرة وول ستريت الشريرة. تزوجت من مليونير مثلها، لكنّها ما زالت تعيش على بقايا الكعك والبسكويت المكسور في محلات البقالة، وتطالب بالحصول على عظمة مجانية لكلبها كل يوم!! كانت هيتي جرين امرأة بائسة للغاية، قامت بخياطة الملابس الداخلية وعمرها ١٦ سنة ولم ^{تغير}ها أو تشتري غيرها حتى يوم وفاتها. لم ^{تفق} فلساً قط، فقبل ^{إنها} لم تستخدم الماء الساخن أبداً، وأنّها ارتدت ثوباً أسوداً لم ^{تغيره} حتى اهترئ تماماً، وأنّها عاشت على أكل فطيرة ثمنها سنتان فقط، تسببت هيتي في بتر ساق ابنها لأنّه عندما ^{كسر} تأخرت في علاجها، لأنّها ^{أصرت} على عدم القيام بذلك، ولم ^{تفق} أي أموال، وظلّت تبحث عن رعاية طبية مجانية!! توفيت هيتي غرين عام ١٩١٦م عن عمر يناهز ٨١ عاماً في مدينة نيويورك، ودخلت موسوعة غينيس للأرقام القياسية باعتبارها: أكثر شخص بخيلة في العالم، وكان سبب وفاتها سكتة ^{دماغية} بسبب مشاجرة مع خادمتها لأنّ الخادمة طلبت زيادة في راتبها الضئيل، ماتت وتركت وراءها ثروة ضخمة ولم يرث أبناؤها بخلها الشديد بل كانوا كرماء لدرجة أن ابنتها قامت ببناء مستشفى مجاني بأموالها.



٥٦. عقوبات التسول والشحاذة

١. فتح باب من أبواب السُّحت: عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمَّ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ، تَحْمَلُ حِمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاكَ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»^(١). «تَحَمَّلْتُ حِمَالَةً»، أَي: تَكَفَّلْتُ دَيْنًا، وَالْحِمَالَةُ:

(١) مسلم (١٠٤٤). (تحملت حمالة) الحمالة هي المال الذي يتحملة الإنسان أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك. (حتى يصيبها ثم يمسك) أي إلى أن يجد الحمالة ويؤدي ذلك الدين ثم يمسك نفسه عن السؤال. (ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله) قال ابن الأثير: الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة واجتاحت أي أهلكته. (قواما من عيش) أي إلى أن يجد ما تقوم به حاجته من معيشة. (سدادا من عيش) القوام والسداد بمعنى واحد وهو ما يغنى من الشيء وما تسد به الحاجة، وكل شيء سددت به شيئاً فهو سداد، ومنه سداد الثغر وسداد القارورة، وقولهم سداد من عوز. (فاقة) أي فقر وضرورة بعد غنى. (حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه) هكذا هو في جميع النسخ، حتى يقوم ثلاثة، وهو صحيح أي يقومون بهذا الأمر فيقولون لقد أصابته فاقة، والحجا مقصور وهو العقل، وإنما قال ﷺ من قومه لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى في العادة، فلا يعلمه إلا من كان خبيراً بصاحبه. (سحتا يأكلها صاحبها) هكذا هو في جميع النسخ سحتاً، وفيه إضمار؛ أي أعتقده سحتاً، أو يؤكل سحتاً، والسحت هو الحرام.

هي المال الذي يتحمّله الإنسان ويستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين، كالإصلاح بين قبيلتين، ونحو ذلك. ولو سأل المتحمّل من يعينه في تلك الحِمالة، لم يعد ذلك نقصاً في قدره، بل شرفاً وفخراً، ولذلك سأل هذا الرجل رسول الله ﷺ في أن يعينه على حمالته تلك على عادتهم، فأجابه النبي ﷺ إلى ذلك بحكم المعونة على المكرمة، فطلب منه النبي ﷺ أن ينتظر حتى تأتيه الصدقة من زكوات الناس، فيعطيه النبي ﷺ منها.

وإنما حلت له المسألة واستحق أن يعطى من الزكاة؛ لأنه استدان لغير معصية، ولأنه غارم من جملة الغارمين المذكورين في آية الصدقات. ثم وضح له النبي ﷺ له الأصناف التي تحل لها أن تسأل الناس؛ فأما **الصنف الأول**: فمن تحمّل ديناً على نفسه للإصلاح بين الناس، فهذا يطلب من الناس ما لا، حتى يصيب ويأخذ ما تحمّله من الحِمالة، فيأخذ من الصدقة بقدرها، ثم يمسيك ويمتنع عن المسألة والطلب. **والصنف الثاني** الذي تحل له المسألة:

«**رجل أصابته جائحة**» والجائحة: الآفة التي تهلك الثمار والأموال، وتستأصلها، فمن أصابته الآفة السماوية، واستأصلت ثماره أو أمواله، فهذا حلت له المسألة حتى يحصل على ما يقوم بحاجته الضرورية، وما يتقوم به من العيش، والقوام والسداد: هما ما يغني عن الشيء، وما تسد به الحاجة، وكل شيء يسد به شيء فهو سداد. **والصنف الثالث** الذي تحل له المسألة: رجل أصابه الفقر الشديد، واتضح وظهر، حتى يشهد ثلاثة من قومه من ذوي الفهم والعقل يقولون: «**لقد أصابت فلاناً فاقة**»، وقيدهم بذوي العقول تنبهاً على أنه يشترط في الشهادة التيقظ.



فلا تُقبلُ من مُغفلٍ، وجعلهم من قومِهِ؛ لأنَّهم أعلمُ بحالِهِ. وهؤلاءِ هم الذين تحلُّ لهم المسألةُ كما وردَ في الحديثِ، وغير ذلك من المسألةِ يكونُ سُحْتًا، يأكلُها صاحبُها سُحْتًا، والسُّحْتُ: هو الحرامُ الذي لا يحلُّ كَسْبُهُ؛ لأنَّه يُسحِتُ البركةَ، أي: يذهبُها. والمرادُ بالأكلِ مُطلقُ الانتفاعِ. وقوله: «يأكلُها صاحبُها سُحْتًا» يُفيدُ أنَّ أكلَ السُّحْتِ لا يجدُ للسُّحْتِ الذي يأكلُه شبهةً تجعلُها مُباحةً لنفسِهِ، بل يأكلُها من جهةِ السُّحْتِ والحرامِ. وفي الحديثِ: النهيُ عن مسألةِ الناسِ إلَّا للضرورةِ المُلجئةِ. وفيه: بيانُ أصنافٍ من تحلُّ لهم المسألةُ مع بيانِ الأسبابِ المُلجئةِ لذلك. وفيه: أنَّ من أخذَ أموالَ الناسِ بغيرِ حقٍّ، فإنَّه يأكلُ سُحْتًا وحرامًا.

٢. فتح باب من أبواب الفقر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفتحُ الإنسانُ على نفسه بابَ مسألةٍ، إلَّا فتحَ اللهُ عليه بابَ فقرٍ»^(١). وفي رواية: عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من فتحَ على نفسه بابَ مسألةٍ من غيرِ فاقةٍ نزلتْ به، أو عيالٍ لا يطيقُهم، فتحَ اللهُ عليه بابَ فاقةٍ من حيث لا يحتسبُ»^(٢).

٣. الوقوع في بغض الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ ﻻ يُبغضُ السائلَ المُلحفَ»^(٣) ويحبُّ الحيَّ العفيفَ المُتَعَفِّفَ»^(٤). أي:

(١) (حم) (٩٤١١)، (ت) (٢٣٢٥)، صحيح الجامع: (٣٠٢٤)، والصحيحة: (٢٥٤٣).

(٢) (هب) (٣٥٢٦)، (٣٥٢٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٧٢).

(٣) الإلحاف في اللغة: الإلحاح في المسألة. عون المعبود (٤/ ٤١).

(٤) (هب) (٦٢٠٢)، صحيح الجامع: (١٧١١)، الصحيحة: (١٣٢٠)، صحيح الترغيب

والترهيب: (٨١٩).

المِلْحُ الْمُلَازِمَ لسؤالِ الناسِ، «وَيُحِبُّ الْحَيَّ»، أي: كثيرَ الحياءِ، «العَفِيفَ»، أي: الذي يَكْفُفُ نفسه عن الحرامِ وسؤالِ الناسِ، «الْمُتَعَفِّفَ»، يعني: الْمُتَكَلِّفَ العِفَّةَ. وفي الحديث: اتَّخَذَ نِعْمَةُ اللَّهِ طَرِيقًا إِلَى شُكْرِهِ بِإِظْهَارِهَا. وفيه: بَيَانُ سَعَةِ الإسلامِ وتيسيره على النَّاسِ في المباحاتِ، دونَ إفراطٍ مُخِلٍّ بِالمالِ، أو النَّفسِ، أو الدُّنْيَا والآخرة.

٤. الحرمان من الجنة: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ» ^(١) النَّارِ أَوْلَى بِهِ» ^(٢). وفي رواية: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ» ^(٣).

٥. الحرمان من البركة في المال: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ:

(١) أي: حَرَامٌ.

(٢) (حم) (١٤٤٨١)، (ت) (٦١٤)، (حب) (٥٥٦٧)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (١٧٢٨).

(٣) (طس) (٤٤٨٠)، (كنز) (٣٥٦٩٥)، انظر صَحِيح الْجَامِعِ: (٤٥١٩)، الصَّحِيْحَةُ تَحْتَ حَدِيثِ: (٢٦٠٩)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (٢٢٤٢).



إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفِيءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوَفِّي^(١). يعني: كَالْفَاكِهَةِ الْخَضِرَةِ فِي الْمَنْظَرِ، الْحُلْوَةِ فِي الْمَذَاقِ؛ وَلِذَلِكَ تَرْغِبُهُ النَّفُوسُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ وَتَحْرِصُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْأَخْضَرَ مَرْغُوبٌ مِنْ حَيْثُ النَّظَرُ، وَالْحُلْوُ مِنْ حَيْثُ الذَّوْقُ، فَإِذَا اجْتَمَعَ زَادًا فِي الرَّغْبَةِ؛ «فَمَنْ أَخَذَهُ بَسْخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ»، أَي: إِنْ مَنْ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي يُبْذَلُ لَهُ بِغَيْرِ إِلْحَاحٍ فِي السُّؤَالِ، وَلَا طَمَعٍ وَلَا حِرْصٍ، وَلَا إِكْرَاهٍ أَوْ إِحْرَاجٍ لِلْمُعْطِي؛ كَثُرَ وَنَمَا، وَكَانَ رِزْقًا حَلَالًا يَشْعُرُ بِلَذَّتِهِ، «وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ»، يعني:

وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِلْحَاحٍ فِي السُّؤَالِ، وَتَطَلَّعَ لِمَا فِي أَيْدِي غَيْرِهِ، وَشِدَّةَ حِرْصٍ عَلَى تَحْصِيلِهِ، مَعَ إِكْرَاهِ الْمُعْطِي وَإِحْرَاجِهِ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ بَرَكَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ نَفْسَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي هِيَ مَذْمُومَةٌ شَرْعًا، فَعُوقِبَ بَعْدَمَ الْبَرَكَةِ فِيمَا أَخَذَ، «وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»، فَلَا يَقْنَعُ بِمَا يَأْتِيهِ؛ فَكُلَّمَا أَزْدَادَ أَكَلًا أَزْدَادَ جُوعًا، وَكُلَّمَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا أَزْدَادَ رَغْبَةً فِي غَيْرِهِ، وَأَزْدَادَ شُحًّا وَبُخْلًا بِمَا فِي يَدِهِ وَحِرْصًا عَلَيْهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ سُؤَالَ السُّلْطَانِ أَوْ الْإِمَامِ لَيْسَ بِعَارٍ. وَفِيهِ:

(١) البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥). (خضرة حلوة) كالفاكهة الخضرة في المنظر الحلوة في المذاق ولذلك ترغبه النفوس وتميل إليه وتحرص عليه. (بسخاوة نفس) بغير إلحاح في السؤال ولا طمع ولا حرص ولا إكراه أو إحراج للمعطي. (بورك له فيه) كثر ونما وكان رزقًا حلالًا يشعر بلذته. (بإشراف نفس) بإلحاح في السؤال وتطلع لما في أيدي غيره وشدة حرصه على تحصيله مع إكراه المعطي وإحراجة. (كالذي يأكل ولا يشبع) لا يقنع بما يأتيه وأصبح كمن أصيب بمرض الجوع الكاذب الذي كلما ازداد أكلًا ازداد جوعًا فكلما جمع من المال شيئًا ازداد رغبة في غيره وازداد شحًا وبخلًا بما في يده وحرصًا عليه. (لا أرزأ) لا أنقص ماله بالطلب والمعنى لا آخذ. (الفيء) ما أخذ من الكفار من غير قتال.

أَنَّ السَّائِلَ إِذَا أَلْحَفَ لَا بَأْسَ بِرَدِّهِ وَوَعْظِهِ وَأَمْرِهِ بِالتَّعَفُّفِ وَتَرْكِ الْحِرْصِ. وفيه: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْأَلُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ. وفيه: أَنَّ الْأَخْذَ مَعَ سَخَاوَةِ النَّفْسِ يَحْصُلُ مَعَهُ أَجْرُ الزُّهْدِ، وَالْبَرَكَةُ فِي الرِّزْقِ. وفيه: دَمُ الْحِرْصِ وَالشَّرَّهِ إِلَى الْاسْتِكْثَارِ مِنَ الْمَالِ. وفيه: التَّرْغِيبُ فِي الْاسْتِعْفَافِ عَنِ السُّؤَالِ وَالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِالْقَلِيلِ. وفيه: أَنَّ الْيَدَ الْمُعْطِيَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْيَدِ السَّائِلَةِ.

٦. يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهَهُ لَا لَحْمَ عَلَيْهِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ» ^(١) لَحْمٌ ^(٢).

٧. الْمُتَسَوِّلُ يُحْصِلُ جَمْرًا مِنَ النَّاسِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» ^(٣). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ ذَهَبًا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي، «فَأَعْطَاهُ»، ثُمَّ قَالَ: زِدْنِي، «فَزَادَهُ»، ثُمَّ قَالَ: زِدْنِي، «فَزَادَهُ» - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ وَلَّى مُدْبِرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيَسْأَلُنِي، فَأَعْطِيهِ، ثُمَّ يَسْأَلُنِي، فَأَعْطِيهِ، ثُمَّ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، ثُمَّ يُوَلِّي مُدْبِرًا إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ جَعَلَ فِي ثَوْبِهِ نَارًا» ^(٤). وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أي قطعة، أو نتفة لحم علامة على ذله بالسؤال. قال القاضي: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً لا وجه له عند الله، وقيل هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم فيه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه.

(٢) البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

(٣) مسلم (١٠٤١).

(٤) (حب) (٣٢٦٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (٨٤٣)، صحيح موارد الظمان: (٧٠١).



«إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ يَأْتِنِي لِيَسْأَلَنِي فَأَعْطِيهِ، فَيَنْطَلِقُ وَمَا يَحْمِلُ فِي حِضْنِهِ إِلَّا النَّارَ»^(١).

٨. يأتي بوجه شائن يوم القيامة: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ»^(٢) يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَتَقَى عَلَى وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ يَسْأَلَ فِي الْأَمْرِ لَا يَحِدُّ مِنْهُ بُدًّا»^(٣). وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ، كَانَتْ شَيْنًا»^(٤) فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

٩. الإصابة بدنو المنزلة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَأَنْ يَغْدُو أَحَدُكُمْ، فَيَخْطُبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»^(٦). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفَقَةُ، وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ»^(٧).

(١) (حب) (٣٣٩٢)، عبد بن حميد رقم (١١١٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٨٤٢).

(٢) الكدح بمعنى الجرح، أو هي آثار الخموش. عون المعبود (٤/ ٥٠).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٠٢٦٥)، صحيح ابن حبان (٣٣٩٧)، صحيح الجامع (٦٦٩٥)، صحيح الترغيب والترهيب (٧٩٢).

(٤) الشين: العيب، والنقيصة، والقبح.

(٥) (حم) (٢٢٤٧٣)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٧٩٩).

(٦) مسلم (١٠٤٢).

(٧) البخاري (١٤٢٩)، مسلم (١٠٣٣).

١٠. **حرمته للغني القوي المكتسب:** عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ قَالَ: أَتَى رَجُلَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلَانِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَلَّبَ فِيهِمَا بَصَرَهُ، فَرَأَاهُمَا جُلْدَيْنِ^(١)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُكُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيِّيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ»^(٢). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّيٍّ، إِلَّا لَخَمْسَةٍ: لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيْهَا، أَوْ لِغَارِمٍ، أَوْ لِرَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ، أَوْ لِرَجُلٍ كَانَ لَهُ جَارٌ مِسْكِينٌ، فَتُصَدَّقَ عَلَى الْمِسْكِينِ، فَأَهْدَاهَا الْمِسْكِينُ لِلْغَنِيِّ»^(٣).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال البغوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ السَّلَفِ الْمَسْأَلَةَ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ لَا يَرَى أَنْ يُتَصَدَّقَ عَلَى السَّائِلِ الْمُتَعَرِّضِ فِي الْمَسْجِدِ^(٤).

* قال أبو حامد الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْأَصْلُ فِي السُّؤَالِ التَّحْرِيمُ لثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ: **الأول:** شَكْوَى اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ: إِذَا إِنَّ السُّؤَالَ إِظْهَارٌ لِلْفَقْرِ، وَإِنْ نِعْمَةُ اللَّهِ قَصُرَتْ عَنْهُ، وَذَلِكَ عَيْنُ الشَّكْوَى. **الثاني:** أَنَّ السَّائِلَ يَذِلُّ نَفْسَهُ لغيرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَفِي السُّؤَالِ ذِلٌّ لِلْسَّائِلِ، **الثالث:** أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ عَنِ إِيْذَاءِ الْمُسْتَوَلِّ غَالِبًا، لِأَنَّهُ رُبَّمَا لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِالْبَذْلِ عَنْ طَيِّبِ قَلْبٍ مِنْهُ^(٥).

(١) الْجَلْدُ: الْقُوَّةُ وَالصَّبْرُ.

(٢) (د) (١٦٣٣)، (س) (٢٥٩٨)، (حم) (١٨٠٠١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٥/٥) رقم (١٤٤٣).

(٣) (د) (١٦٣٥)، (١٦٣٧)، (ج) (١٨٤١)، (حم) (١١٥٥٥)، انظر صحيح الجامع: (٧٢٥٠)، والإرواء: (٨٧٠).

(٤) شرح السنة (٣٧٥/٢).

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (١٦٨/٦).



* قال الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي: اتفق علماء الإسلام على أنَّ التسول حرام لغير ضرورة، ولا يجوز إعطاء المتسولين في المساجد، لأنَّ فيه تشجيع لاستمرارهم في هذا المسلك القبيح، وفيه تعطيل للطاقت البشرية عن الكسب المشروع، ويعتمد التحريم على دلالة النصوص الشرعية من الكتاب والسنة^(١).

* قال **الحنابلة** رحمهم الله: يكره سؤال الصدقة في المسجد، ويكره إعطاء السائل فيه. وقال **الشافعية** رحمهم الله: يكره السؤال في المسجد، وإذا كان فيه تهوئش ورفع صوت فيحرم. وقال **المالكية** رحمهم الله: ينهى عن السؤال في المسجد، ويكره إعطاء السائل فيه. وقال **الأحناف** رحمهم الله: يحرم السؤال في المسجد، ويكره إعطاء السائل فيه^(٢). وأكثر السلف لا يرون جواز التصديق على من يسأل في المسجد. وقال أحد السلف: لو كنت قاضياً لم أقبل شهادة من يتصدق على من يسأل في المسجد.

* قال ابن القيم **رحمته الله**: وَالْمَسْأَلَةُ فِي الْأَصْلِ حَرَامٌ. وَإِنَّمَا أُبِيحَتْ لِلْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ. لِأَنَّهَا ظُلْمٌ فِي حَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ. وَظُلْمٌ فِي حَقِّ الْمَسْئُولِ. وَظُلْمٌ فِي حَقِّ السَّائِلِ. أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلِأَنَّهُ بَذَلٌ سُوْأَلُهُ وَفَقْرُهُ وَذُلُّهُ وَاسْتِعْطَاءُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَذَلِكَ نَوْعٌ عِبُودِيَّةٌ. فَوَضَعَ الْمَسْأَلَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

وَأَنْزَلَهَا بِغَيْرِ أَهْلِهَا. وَظَلَمَ تَوْحِيدَهُ وَإِخْلَاصَهُ. وَفَقَرَهُ إِلَى اللَّهِ، وَتَوَكَّلَهُ عَلَيْهِ وَرِضَاهُ بِقَسَمِهِ. وَاسْتَغْنَى بِسُؤَالِ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَةِ رَبِّ النَّاسِ. وَذَلِكَ كُلُّهُ يَهْضِمُ مِنْ حَقِّ التَّوْحِيدِ، وَيُطْفِئُ نُورَهُ وَيُضْعِفُ قُوَّتَهُ.

(١) جريدة الجزيرة - ١٤ / ٦ / ١٤٢٠ هـ.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٢٨٣).

وَأَمَّا ظُلْمُهُ لِلْمَسْئُولِ: فَلِأَنَّهُ سَأَلَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَأَوْجِبَ لَهُ بِسُؤَالِهِ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ. وَعَرَّضَهُ لِمَشَقَّةِ الْبَذْلِ، أَوْ لَوَمِ الْمَنَعِ. فَإِنْ أَعْطَاهُ، أَعْطَاهُ عَلَى كَرَاهَةٍ. وَإِنْ مَنَعَهُ. مَنَعَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وَإِغْمَاضٍ. هَذَا إِذَا سَأَلَهُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا إِذَا سَأَلَهُ حَقًّا هُوَ لَهُ عِنْدَهُ: فَلَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ. وَلَمْ يَظْلِمَهُ بِسُؤَالِهِ. وَأَمَّا ظُلْمُهُ لِنَفْسِهِ: فَإِنَّهُ أَرَأَقَ مَاءَ وَجْهِهِ. وَذَلَّ لِغَيْرِ خَالِقِهِ. وَأَنْزَلَ نَفْسَهُ أَذْنَى الْمُنْزِلَتَيْنِ. وَرَضِيَ لَهَا بِأَبْخَسِ الْحَالَتَيْنِ. وَرَضِيَ بِإِسْقَاطِ شَرَفِ نَفْسِهِ، وَعِزَّةِ تَعَفُّفِهِ، وَرَاحَةِ قَنَاعَتِهِ. وَبَاعَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ وَتَوَكُّلَهُ، وَقَنَاعَتَهُ بِمَا قُسِمَ لَهُ، وَاسْتِغْنَاءَهُ عَنِ النَّاسِ بِسُؤَالِهِمْ. وَهَذَا عَيْنُ ظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ. إِذْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا. وَأَخْمَلَ شَرَفَهَا. وَوَضَعَ قَدْرَهَا. وَأَذْهَبَ عِزَّهَا. وَصَغَّرَهَا وَحَقَّرَهَا. وَرَضِيَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ تَحْتَ نَفْسِ الْمَسْئُولِ. وَيَدُهُ تَحْتَ يَدِهِ. وَلَوْ لَا الضَّرُورَةُ لَمْ يَبَحْ ذَلِكَ فِي الشَّرْعِ^(١).



(١) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٢٢).

٥٧. عقوبات الكذب

١. الحرمان من نعمة الهداية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(١). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: لَوْ كَانَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ الْكَذَّابِينَ لَمَا هَدَاهُ اللَّهُ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى مَا تَرَوْنَ مِنْ انْتِظَامِ أَمْرِهِ وَفِعْلِهِ^(٢).

٢. الطرد من رحمة الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣). أَيُّ: نَلْتَعِنُ ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أَيُّ: مِنَّا أَوْ مِنْكُمْ^(٤).

٣. الكذب طريق إلى النار: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(٥). وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ:

(١) [غافر: ٢٨].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ١٤١).

(٣) [آل عمران: ٦١].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٤٩).

(٥) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

«... وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا». الكَذِبُ يُوصِلُ إِلَى الْفُجُورِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْبِرِّ، وَهُوَ الْمِيلُ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ. وَقِيلَ: الْفُجُورُ: الْإِنْبِعَاثُ فِي الْمَعَاصِي، وَأَنَّ الْفُجُورَ يُوصِلُ إِلَى النَّارِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ يَكْذِبُ وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا، وَيُحْكَمَ لَهُ بِذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ فِي الصِّدْقِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْكَذِبِ.

٤. الكذب مفتاح النفاق: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١). إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَشْتَهَرَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بِالْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ. وَفِي الْحَدِيثِ: تَنْبِيهُ عَلَى صِفَاتِ النَّفَاقِ الْمَذْمُومَةِ لِلتَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا.

٥. الكذب طريق إلى الخيانة: عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَبُرَتْ خِيَانَةٌ تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ»^(٢). وَالْمُرَادُ خِيَانَةً عَظِيمَةً مِنْكَ إِذَا حَدَّثْتَ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَعْتَمِدُ عَلَيْكَ اعْتِمَادًا عَلَى أَنَّكَ مُسْلِمٌ لَا تَكْذِبُ فَيُصَدِّقُكَ وَالْحَالُ أَنَّكَ كَاذِبٌ.

(١) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٧٦٣٥). وجود إسناده العراقي. الضعيفة (٢١٥١)، انظر حديث

رقم: (٤١٦٢) في ضعيف الجامع.



٦. **انعدام الراحة في الدنيا:** عَنْ أَبِي الْحَوَرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: مَا حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعُ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ» ^(١) فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبةٌ ^(٢)» ^(٣).

٧. **زوال البركة والنماء من بيعه وشرائه:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، رَفَعَهُ إِلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» ^(٤). أَي: إِنْ كَلَّا مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي يَحِلُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فسخُ الْعَقْدِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا بِأَبْدَانِهِمَا عَنْ مَكَانِهِمَا الَّذِي تَبَايَعَا فِيهِ، فَإِنْ صَدَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الثَّمَنِ وَوَصَفِ الشَّيْءِ الْمُبَاعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّا مَا يُحْتَاجُ إِلَى بَيَانِهِ مِنْ عَيْبٍ وَنَحْوِهِ فِي السَّلْعَةِ وَالثَّمَنِ؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، فَكَثُرَ نَفْعُ الْمَبِيعِ وَالثَّمَنِ وَحَلَّتْ الْبَرَكَةُ لِلطَّرَفَيْنِ؛ لِلْبَائِعِ فِي الثَّمَنِ، وَلِلْمُشْتَرِي فِي السَّلْعَةِ الَّتِي اشْتَرَاهَا، وَلَكِنْ إِنْ كَتَمَ الْبَائِعُ عَيْبَ السَّلْعَةِ، وَكَتَمَ الْمُشْتَرِي عَيْبَ الثَّمَنِ، وَكَذَبَا عَلَى بَعْضِهِمَا؛ بِأَنْ كَذَبَ الْبَائِعُ فِي وَصْفِ السَّلْعَةِ بِمَا فِيهَا، وَكَذَبَ الْمُشْتَرِي فِي الْوَفَاءِ بِالثَّمَنِ.

(١) أَي: أَتْرَكَ مَا تَشْكُ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ أَنَّهُ مِنْهِيَ عَنْهُ أَوْ لَا، أَوْ سُنَّةً، أَوْ بَدْعَةً، وَاعْدِلْ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ مِنْهُمَا، وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَبَيِّنَ الْمُكَلَّفُ أَمْرَهُ عَلَى الْيَقِينِ الْبَحْثِ، وَالتَّحْقِيقِ الصَّرْفِ، وَيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي دِينِهِ. تحفة الأحوذى (٦/ ٣١٠).

(٢) أَي: أَنْ كُونَ الْأَمْرَ مَشْكُوكًا فِيهِ مِمَّا تَقْلَقُ لَهُ النَّفْسُ، وَكَوْنُهُ صَحِيحًا صَادِقًا مِمَّا تَطْمَئِنُّ لَهُ. تحفة الأحوذى (٦/ ٣١٠).

(٣) (ت) (٢٥١٨)، (س) (٥٧١١)، (حم) (٢٧٨١٩)، صحيح الجامع: ٣٣٧٨، وصحيح الترغيب والترهيب: (١٧٣٧)، الإرواء: (١٢).

(٤) البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

أَوْ ادَّعَى أَنَّهُ وَاثَقَ الْبَائِعَ عَلَى الشِّرَاءِ بِأَقْلَ مِمَّا اتَّفَقَا عَلَيْهِ وَاحْتَالَ حَتَّى أَتَى
وَقْتُ الْبَيْعِ، أَوْ كَذَبَ الْمُشْتَرِيَ عَلَى الْبَائِعِ فِي ذِكْرِ سَبَبِ شِرَاءِ السَّلْعَةِ؛ لِيُنْزَلَ لَهُ
الْبَائِعُ فِي الثَّمَنِ، وَالْحَقِيقَةُ غَيْرُ ذَلِكَ، فَيَكُونَا بِذَلِكَ قَدْ أَخْفَى كُلُّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ
مَا فِي الْبَدَلِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ جِهَتِهِ، وَغَشَّ كُلُّ الْآخَرِ فِيمَا عَلَيْهِ الْبَدَلُ، وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ
الشَّائِعَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَذِبِ الْمُشْتَرِيَ: كَمَنْ سَاوَمَ عَلَى سِعْرِ أَرْضٍ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ
سَيَبْنِيهَا مَسْجِدًا لِيُنْزَلَ لَهُ الْبَائِعُ فِي الثَّمَنِ، وَبَعْدَ الْإِتِمَامِ بَنَاهَا لِنَفْسِهِ، وَكَانَ فِي
الْأَصْلِ يَنْوِي بِكَذِبِهِ إِنْزَالَ الثَّمَنِ فَقَطْ؛ «مُحِقَّتْ بَرَكَةٌ بَيْعَهُمَا»، وَأُذْهِبَتْ زِيَادَتُهُ
وَنَمَاؤُهُ بِسَبَبِ هَذَا الْكَذِبِ وَالْغَشِّ الْمُتَبَادِلِينَ مِنْهُمَا. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانٌ وَجُوبُ
الصَّدَقِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. وَفِيهِ: أَنَّ الدُّنْيَا لَا يَتِمُّ حُصُولُهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ،
وَأَنَّ شَوْمَ الْمَعَاصِي يُذْهِبُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَفِيهِ: بَيَانُ فَضْلِ الصَّدَقِ،
وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِبَرَكَةِ كَسْبِ الْعَبْدِ. وَفِيهِ: ذَمُّ الْكَذِبِ، وَالْحَثُّ عَلَى
تَرْكِهِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لَذَهَابِ الْبَرَكَةِ مِنْ كَسْبِ الْعَبْدِ. وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ عَمَلَ الْآخِرَةِ
يُحْصَلُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٨. سَبَبٌ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي، قَالَا: الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ
تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١). لِمَا يَنْشَأُ عَنْ تِلْكَ
الْكَذْبَةِ مِنَ الْمَفَاسِدِ. وَفِيهِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الْكَذِبِ وَالرَّوَايَةُ بِغَيْرِ الْحَقِّ.



٩. **مِن أَبْغَضِ الْأَخْلَاقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:** عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَوْ غَيْرِهِ: أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا كَانَ خُلُقُ أَبْغَضَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَذِبَةَ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً^(١).

١٠. **الويل والهلاك لصاحبه:** عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ الْقَوْمَ بِالْحَدِيثِ، فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ، وَيَلُ لَه، وَيَلُ لَه»^(٢). وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا الْقَوْمَ فَيَسْقُطُ بِهَا أَبْعَدُ مِنَ السَّمَاءِ، أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا أَصْحَابَهُ، فَيَسْخَطُ^(٣) اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، لَا يَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ»^(٤). أَي: يَكُونُ غَرَضُهُ مُنْحَصِرًا فِي الْإِضْحَاكِ؛ «فَيَكْذِبُ»، أَي: فَيَتَجَاوَزُ بِالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ إِلَى الْكَذِبِ؛ رَغْبَةً فِي إِضْحَاكِهُمْ، «وَيْلٌ لَه، وَيَلُ لَه»، أَي: لَه الْهَلَاكُ وَالْعَذَابُ وَالْخُسْرَانُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ، وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ لَغَرَضٍ مِثْلِ الْإِضْحَاكِ يَزِيدُهُ تَحْرِيمًا؛ فَهُوَ مَوْضِعٌ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ حَاجَةٌ فِيهِ إِلَى الْكَذِبِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا صِدْقًا. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الصِّدْقِ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ. وَفِيهِ: التَّحْذِيرُ وَالتَّخْوِيفُ مِنَ الْكَذِبِ وَآثَارِهِ.

(١) (ت) (١٩٧٣)، (حم) (٢٥٢٢٤)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٤٦١٨)، الصَّحِيحَةُ: (٢٠٥٢).

(٢) (حم) (٢٠٠٣٥)، (ت) (٢٣١٥)، (د) (٤٩٩٠)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٧١٣٦)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: (٢٩٤٤).

(٣) سَخَطَ: غَضِبَ، وَأَسْخَطَهُ: أَغْضَبَهُ.

(٤) (حم) (٩٢٠٩)، (حب) (٥٧١٦)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: (٢٨٧٧).

١١. دخول جهنم مع المتكبرين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(١). يُخْبِر تعالى عن خزي الذين كذبوا عليه، وأنَّ وجوههم يوم القيامة مسودةٌ كأنَّها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف، فالحق أبلغ واضح كأنَّه الصَّبح، فكما سَوَّدُوا وجه الحق بالكذب، سَوَّدَ اللهُ وجوههم، جزاء من جنس عملهم، فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشَّدِيد في جهنم^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

- * عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَا يَصْلَحُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزَلٍ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزَ لَهُ^(٣).
- * عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: الْمُؤْمِنُ يُطَبِّعُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا غَيْرَ الْخِيَانَةِ، وَالْكَذِبِ^(٤).
- * عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يَقُولُ: اتَّقُوا الْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ^(٥).
- * قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: لَيْسَ يَضَعِنِي الصَّدْقُ - وَقَلَّمَا يَفْعَلُ -، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ - وَقَلَّمَا يَفْعَلُ -.
- * قَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَعِيشَ حَيَاةً سَعِيدَةً ابْتَعدْ عَنِ الْكَذِبِ.
- * كُنْ صَادِقًا؛ وَلَوْ كَانَ الصَّدْقُ فِيهِ مَوْتٌ.

(١) [الزمر: ٦٠].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢٨).

(٣) (خد) (٣٨٧)، (ش) (٢٥٦٠١)، انظر صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَد: (٢٩٩).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٥/٢٣٦)، (٤/٢٥٦٠).

(٥) (حم) (١٦)، وصححه الشيخ الألباني موقوفًا.



* وكان ابن عباس يقول: الكذب فجور، والنميمة سحر، فمن كذب فقد فجر، ومن نم فقد سحر^(١).

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جَدٌّ وَلَا هَزْلٌ^(٢).

* قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ رضي الله عنه: مَا خَانَ شَرِيفٌ، وَلَا كَذَبَ عَاقِلٌ، وَلَا اغْتَابَ مُؤْمِنٌ^(٣).

* قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَيْمُونٍ رضي الله عنه: مَنْ عَرَفَ بِالصِّدْقِ، جَازَ كَذِبُهُ، وَمَنْ عَرَفَ بِالْكَذِبِ، لَمْ يَجْزُ صِدْقُهُ^(٤).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته الله: إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يَفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَيَفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَهَا وَتَعْلِيمُهَا لِلنَّاسِ^(٥).

* وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: مَنْ اسْتَحْلَى رِضَاعَ الْكَذِبِ عَسَرَ فِطَامُهُ. وَقِيلَ فِي مَثْوَرِ الْحِكَمِ: لَا يَلْزَمُ الْكَذَّابَ شَيْءٌ إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ^(٦).

* قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: قَدْ يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ، مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِاحْتِيَالِهِ^(٧).

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٢/ ٣١).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٤/ ٥٦٠). (خد) ٣٨٧، (ش) ٢٥٦٠١، انظر صحيح الأدب المفرد: ٢٩٩.

(٣) الدينوري: المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٥١٥)، رقم (١١٢٨).

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٢/ ٣٣).

(٥) الفوائد لابن القيم (ص: ١٣٥).

(٦) الماوردي: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦٤).

(٧) غرر الحکم ودرر الکلم: ٢١٩، حديث رقم (٤٣٥٧).

* قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: مَا كَذَبْتُ كَذِبَةً مِنْذُ شَدَدْتُ عَلَيَّ إِزَارِي - أي: بَلَغْتُ - (١).

* كتب أعرابي لابنه وقد سمعه يكذب: يا بني عَجِبْتُ مِنَ الْكَذَابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَيْبِهِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ، فَالْآثَامُ لَهُ عَادَةٌ، وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ، إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ، فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ، وَالذَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ، فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ، وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبٍ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ!!.

* قال ابن عباس رضي الله عنهما: أَرْبَعٌ مِنْ كُنْ فِيهِ فَقَدْ رُبِحَ: الصَّدَقُ وَالْحَيَاءُ وَحَسَنُ الْخَلْقِ وَالشُّكْرُ (٢).

قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ رحمته الله: يُرْزَقُ الصَّدُوقُ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الْحَلَاوَةُ، وَالْمَلَا حَةً، وَالْمَهَابَةُ (٣).

* قَالَ مُطَرِّفٌ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: قَلَّمَا كَانَ رَجُلٌ صَادِقًا لَا يَكْذِبُ إِلَّا مُتَّعَ بِعَقْلِهِ، وَلَمْ يُصِبهْ مَا يُصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ (٤).

* قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رحمته الله: مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فَهُوَ صَادِقٌ. مَا أَنْجَى اللَّهُ مِنْ أَنْجَاهٍ إِلَّا بِالصَّدَقِ وَلَا أَهْلَكَ مِنْ أَهْلِكَ إِلَّا بِالْكَذِبِ (٥).

(١) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/ ٢٢٩).

(٢) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٧/ ١٥).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٦/ ٥١٧).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٧٠)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٨٨).

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٧/ ١٨).



* قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَيْفَ تَخَلَّصْتَ مِنْ سَيْفِ الْمُعْتَصِمِ وَسَوْطِ الْوَائِقِ؟ فَقَالَ: لَوْ وُضِعَ الصَّدْقُ عَلَى جُرْحِ لَبْرِيءٍ^(١).

* قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا تَزَيَّنَ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدْقِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ، مِنْهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَيْفَ بِالْكَذَّابِينَ الْمَسَاكِينِ؟! ثُمَّ بَكَى^(٢).

* قَالَ سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْدَلُ الْعَدْلِ: كَلِمَةُ صِدْقٍ عِنْدَ مَنْ تَرْجُوهُ وَتَخَافُهُ^(٣).

* قَالَ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصُورُ لِهَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ: يَا أَبَا الْمُنْدَرِ! تَذْكُرُ يَوْمَ دَخَلْتُ عَلَيْكَ أَنَا وَإِخْوَتِي مَعَ أَبِي، وَأَنْتَ تَشْرَبُ سَوِيقًا بِقَصَبَةِ يَرَاعٍ، فَلَمَّا خَرَجْنَا، قَالَ أَبُوْنَا: اعْرِفُوا لِهَذَا الشَّيْخِ حَقَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ فِي قَوْمِكُمْ بَقِيَّةً مَا بَقِيَ؟ قَالَ: لَا أَذْكُرُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَلَيْمَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: لَمْ يَعُوذْنِي اللَّهُ فِي الصَّدْقِ إِلَّا خَيْرًا^(٤).

* قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَاضٍ صَدَقَ اللَّهُ، فَأَجْرَى الْحِكْمَةَ عَلَى لِسَانِهِ، فَالْفَضِيلُ مِمَّنْ نَفَعَهُ عِلْمُهُ^(٥).

* قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمَرْوَزِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ حَفِظَ قَلْبَهُ مَعَ اللَّهِ بِالصَّدْقِ؛ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ الْحِكْمَةَ^(٦).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٣٢٠)، ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٢٢).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٠٨).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٣٥).

(٤) تاريخ بغداد ت بشار (١٦/ ٥٦)، الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ٤٤).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٤٢٥).

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٣٨٠).

* قال أبو العالية الرياحي رحمه الله: أنتم أكثر صلاةً وصياماً ممن كان قبلكم، ولكن الكذب قد جرى على ألسنتكم.

* قال الأصمعي: أتى رجل الحجاج، فقال: إن ربي بن حراش زعموا لا يكذب، وقد قدم ولداه عاصيين. قال: فبعث إليه الحجاج، فقال: ما فعل ابنك؟ قال: هما في البيت - والله المستعان - . فقال له الحجاج بن يوسف: هما لك. وأعجبه صدقة^(١).

* الكذب والخداع توأمان في الحياة.



(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٣٦٠).

٥٨. عقوبات الغفلة عن ذكر الله

١. **النَّدَم على الخير الذي فاته يوم القيامة:** عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وذلك لأنَّهم لَمَّا عُرِضَتْ عليهم أيام الدنيا، وماذا خرج لهم من ذكر الله تعالى، ثم نظروا إلى السَّاعَةِ الأخرى التي حُرِّموا فيه الذِّكْر، مما تركوه من ذكره، فأخذتهم الحسرات. لكن هذه الحسرات إِنَّمَا هي في الموقف، لا في الجنة. والغرض من السياق أن تعلم أَنَّ كل حركة ظهرت منك، بغير ذكر الله؛ فهي عليك، لا لك. وَأَنَّ أدوم الناس على الذِّكْر، أوفرهم حظًا، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة^(٢).

٢. **الاتصاف بالموت حال الحياة:** عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٣). معنى الحديث: أَنَّ الذي يَذْكُر الله تعالى قد أَحْيَا الله قلبه بذكره وشرح له صدره، فكان كالحي بسبب ذكر الله تعالى والمداومة عليه، بخلاف من لَا يَذْكُر الله تعالى، فهو كالميت الذي لَا وجود له. فهو حَيٌّ ببدنه مَيِّتٌ بقلبه. وهذا مَثَلٌ ينبغي للإنسان أن يعتبر به وأن يَعْلَم أَنَّهُ كلما غَفَلَ عن ذكر الله ﷻ.

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٢٠)، الصحيحة (٢١٩٧).

(٢) المناوي: فيض القدير (٣٩٠ / ٥).

(٣) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩). (مثل الحي والميت) من حيث النفع والنصرة والاعتداد

٣. **يُلازمه الشيطان:** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١). نُسَلِّطُ ظِلْمَةَ الْجِنِّ عَلَى ظِلْمَةِ الْإِنْسِ^(٢). قال العلامة السَّعْدِي رحمته الله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ أي: يُعرض ويصد ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والרגائب، ومن أعرض عنها وردّها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقِيضَ له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزّه إلى المعاصي أزا^(٣).

٤. **الاتصاف بصفات المنافقين:** قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤). عَنْ كَعْبٍ قَالَ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ بَرِيَ مِنَ النَّفَاقِ^(٥). قال العلامة السَّعْدِي رحمته الله: متناقلين لها متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أَنَّ قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم الكسل، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم، فلهذا ﴿لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا امتلاء قلوبهم من الرياء، فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته^(٦).

(١) [الزُّخْرُف: ٣٦].

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٣٣٩).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦٦).

(٤) [النِّسَاء: ١٤٢].

(٥) البيهقي: شعب الإيمان (٥٧٢).

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٠).



٥. الإصابة بالحسرة والندامة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ^(١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢) وَمَا مِنْ رَجُلٍ مَشَى طَرِيقًا فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ^(٣). لَمْ يَتْرِكِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَحَضَّ أَمْتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا تَرَكَ مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَحَذَّرَهَا مِنْهُ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ اضْطَجَعَ» فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، «مَضْجَعًا»، أَي: لِأَجْلِ النَّوْمِ، «لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ»، أَي: فِي هَذَا الْاضْطِجَاعِ، «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ»، أَي: حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ، أَوْ نَقْصًا مِنَ الثَّوَابِ، أَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِ تَبِعَةً وَمَسْئُولِيَّةً يُسْأَلُ عَنْهَا «يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى دَوَامِ ذِكْرِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى الْأَوْقَاتِ وَشَغْلُهَا بِالْعِبَادَاتِ.

٦. الإصابة بالخسران: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤). يَقُولُ: لَا تُوجِبْ لَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ اللَّهْوَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ. وَمَنْ يُلْهِهِ مَالُهُ وَأَوْلَادُهُ عَنْ

(١) قَالَ أَبُو عِيْسَى: مَعْنَى قَوْلِهِ: تِرَةٌ يَعْنِي: حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ (التَّرَةُ) هُوَ: الثَّأْرُ.

(٢) (د) (٥٠٥٩)، (٤٨٥٦)، (ن) (١٠٢٣٧)، انظر صحيح الجامع: (٦٠٤٣)، والصحيحة: (٧٨).

(٣) (حم) (٩٥٨٠)، ابن السني (٣٧٥)، انظر الصحيحة: (٧٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٥١٣).

(٤) [الْمُنَافِقُونَ: ٩].

ذَكَرَ اللهُ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: هُمُ الْمَغْبُوتُونَ حُطُّوْظُهُمْ^(١).

٧. الإِصَابَةُ بِالْغَفْلَةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢). الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حُرِّمُوا خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ كُلِّ السَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ فِي ذِكْرِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مِنْ كُلِّ الشَّقَاوَةِ وَالْخِيَةِ فِي الْإِشْتَغَالِ بِهِ، وَهَذِهِ مِنَ الْأَدَابِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُرَاعِيَهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَهِيَ الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، خُصُوصًا طَرَفِي النَّهَارِ، مُخْلِصًا خَاشِعًا مُتَضَرَّعًا، مُتَذَلِّلًا سَاكِنًا، وَتَوَاطًُّا عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، بِأَدَبٍ وَوَقَارٍ، وَإِقْبَالٍ عَلَى الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ، وَإِحْضَارٍ لَهُ بِقَلْبِهِ وَعَدَمِ غَفْلَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ^(٣).

٨. الْعَذَابُ فِي الْقَبْرِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٤). أي: كِتَابِي الَّذِي يَتَذَكَّرُ بِهِ جَمِيعُ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَأَنْ يَتْرَكَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، أَوْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، بَأَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ لَهُ، وَالْكَفْرِ بِهِ. فَإِنْ جَزَاءَهُ، أَنْ نَجْعَلَ مَعِيشَتَهُ ضَيْقَةً مَشَقَّةً، وَلَا يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا عَذَابًا. وَفُسِّرَتِ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ، وَيُحْصِرُ فِيهِ وَيُعَذِّبُ، جَزَاءً لِإِعْرَاضِهِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ^(٥).

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٢ / ٦٧٠).

(٢) [الأعراف: ٢٠٥].

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٤).

(٤) [طه: ١٢٤].

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٥).



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ لَفِي رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ، وَيُرْحَبُ^(١) لَهُ قَبْرُهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيَسْلَطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تَنِيًّا، أَتَدْرُونَ مَا التَّنِي؟ سَبْعُونَ حَيَّةً، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَلْسَعُونَهُ وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، قَالَ: عَذَابُ الْقَبْرِ»^(٣).

٩. مشاركة الشيطان في الطعام والمبيت: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ^(٤): لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ»^(٥) وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»^(٦).

(١) أَي: يُوسَّع.

(٢) (حب) (٣١٢٢)، (يع) (٦٦٤٤)، انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: (٣٥٥٢)، وصحیح موارد الظمان: (٦٥١)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) (حب) (٣١١٩)، (ش) (٣٤٨٣٧)، (ك) (١٤٠٥)، صحیح موارد الظمان: (١٤٦٧).

(٤) أَي: لِإِخْوَانِهِ وَأَعْوَانِهِ وَرَفَقَتِهِ. عون المعبود (٢٧٤/٨).

(٥) أَي: لَا يَحْصُلُ لَكُمْ مَسْكَنٌ وَطَعَامٌ، بَلْ صِرْتُمْ مَحْرُومِينَ بِسَبَبِ التَّسْمِيَةِ. عون المعبود (٢٧٤/٨).

(٦) (م) (٢٠١٨)، (د) (٣٧٦٥).

في هذا الحديث يُعَلِّمُنَا الرَّسُولُ ﷺ ذَكَرَ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ وَذَكَرَهُ قَبْلَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ؛ وَأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، وَمَسَّكَنَهُ الَّذِي يَبِيتُ فِيهِ فَذَكَرَ اللَّهُ كَقَوْلِهِ: (بِاسْمِ اللَّهِ) عِنْدَ أَوَّلِ دُخُولِهِ لِبَيْتِهِ وَعِنْدَ بَدْءِ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لِأَتْبَاعِهِ وَإِخْوَانِهِ وَأَعْوَانِهِ وَرَفَقَتِهِ: «لَا مَبِيتَ»، أَي: لَا مَكَانَ لَكُمْ تَبِيتُونَ فِيهِ وَلَا مَقَامَ وَلَا مَرْقَدَ وَلَا عِشَاءَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؛ فَإِنَّكُمْ حُرِّمْتُمْ مِنْهُمَا؛ فَقَدْ تَحَصَّنَ صَاحِبُهُ مِنْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ الْبَيْتَ وَلَا عِنْدَ تَنَاوُلِهِ الطَّعَامِ، فَيُخَبِّرُ الشَّيْطَانُ أَعْوَانَهُ أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا الْمَبِيتَ، وَالْمَرْقَدَ وَالْعِشَاءَ فِي هَذَا الْبَيْتِ. وَيَتَضَمَّنُ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ وَعِنْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ اعْتِرَافًا مِنَ الْعَبْدِ بِأَنَّ هَذَا الْبَيْتَ، وَهَذَا الطَّعَامَ لَيْسَ لَهُ فِيهِ سَبِيلٌ إِلَى تَحْصِيلِهِ إِلَّا بِفَضْلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَيْسِيرٍ وَتَسْخِيرٍ مِنْهُ، وَمَتَى فَعَلَ ذَلِكَ صَارَ فِعْلُهُ كُلُّهُ طَاعَةً لِلَّهِ ﷻ وَعِبَادَةً، وَأَصْبَحَ وَثِيقَ الْعَلَاقَةِ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَصَارَ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لَصَرْفِ الشَّيْطَانِ. وَفِيهِ: انْتِهَارُ الشَّيْطَانِ حَالَ الْغَفْلَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَفِيهِ: ثَبُوتُ أَكْلِ الشَّيْطَانِ.

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَنْ عَوَّدَ لِسَانَهُ ذَكَرَ اللَّهِ؛ صَانَ لِسَانَهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَاللَّغْوِ، وَمَنْ يَسَّ لِسَانَهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ تَرْتَّبَ بِكُلِّ بَاطِلٍ وَلَغْوٍ وَفَحْشٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (١).

* وَقَالَ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (٢): وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَبْدَانَ الْغَافِلِينَ قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ وَقُلُوبُهُمْ فِيهَا كَالْأَمْوَاتِ فِي الْقُبُورِ، كَمَا قِيلَ:

(١) ابن القيم: الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص: ٤٣).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠٢).



فَنَسِيَانُ ذَكَرِ اللَّهِ مَوْتُ قُلُوبِهِمْ وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ
* وقال: الذِّكْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: ذِكْرٌ يَتَوَاطَأُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، وَهُوَ أَعْلَاهَا،
وَذِكْرٌ بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ الْمُجَرَّدِ، وَهُوَ فِي
الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ^(١).



(١) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٤٠٣).

٥٩. عقوبات الإسراف في الشبع

١. مخالفة أمر الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١). أي: مما رزقكم الله من الطيبات ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشتة، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما^(٢).

٢. مخالفة أمر الرسول ﷺ: عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»^(٣).

٣. المساهمة في تكثير الشر: عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرَبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقِيْمَاتٌ يَقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفْسِ»^(٤).

(١) [الأعراف: ٣١].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٧).

(٣) مسلم (٢٩٥٨).

(٤) (جدة) (٣٣٤٩)، (ت) (٢٣٨٠)، (حم) (١٧٢٢٥)، صححه الألباني في الإرواء: (١٩٨٣)،



من الوسائل التي تحفظ للإنسان صحته ونشاطه ألا يبلغ في طعامه إلى الشبع المفرط؛ وذلك حتى لا يضيق به التنفس، فيؤثر سلباً في باقي الأعضاء والجسد مادياً ومعنوياً بتثاقفه عن الطاعات، وفي هذا الحديث يشبه النبي ﷺ البطن بما تحفظه من طعام وشراب، بمثل الوعاء الذي يتخذ لحفظ الطعام والشراب، وأن الإنسان يحرس على امتلائه كما يحرس على امتلاء أوعيته وأوانيه، ووصفه ﷺ بالشر؛ لأنه إذا ما امتلأ أفضى إلى الفساد في دين المرء ودنياه، فإذا كان لا بد له أن يستزيد من الطعام ويتجاوز فيه فوق هذا القدر، يجعله ثلاثة أثلاث، وخص ﷺ النفس بالذكر؛ لأن الرثة تحتاج إلى مساحة للتنفس، وامتلاء البطن يحجم أمرها ويقلل من أدائها، وفي هذا صحة الإنسان وسلامته من الآفات، وهذا ليس فيه منع من الشبع في بعض المرات، ولكنه إرشاد للأفضل والأنفع للبدن والقلب؛ فإن البطن إذا امتلأت من الطعام ضاقت عن الشراب، فإذا ورد عليها الشراب ضاقت عن النفس وعرض لها الكرب والتعب بحمله.

٤. الحرمان من سنة النبي ﷺ: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»^(١). وعن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: «لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع من خبز، وزيت في يوم واحد مرتين»^(٢). وعن عائشة، أنها كانت تقول:

والصحيحة: (٢٢٩٥).

(١) مسلم (١٠٥٥). (قوتاً) قيل هو كفايتهم من غير إسراف وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى كفافاً وقيل هو سد الرمق.

(٢) مسلم (٢٩٧٤).

وَاللَّهُ يَا ابْنَ أَخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أَوْقَدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَهُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَانِهَاءِ، فَيَسْتَقِينَاهُ»^(١). وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَابَعَيْنِ، حَتَّى قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

٥. التَّشْبَهُ بِأَهْلِ الدُّنْيَا وَتَرْكُ هَدْيِ الصَّحَابَةِ: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الْحَبْلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ، حَتَّى إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ^(٣). وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الْعِزَّةُ، مَا يَخْلُطُهُ بِشَيْءٍ^(٤). وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عَمِيرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، «فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كُصْبَابَةٌ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُتَتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللَّهُ لَتَمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟

(١) مسلم (٢٩٧٢). (منايح) في المصباح المنحة في الأصل الشاة أو الناقة يُعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعماله حتى أُطلق على كل عطاء.

(٢) مسلم (٢٩٧٠).

(٣) مسلم (٢٩٦٦). (ورق الحبلَة وهذا السمر) هما نوعان من شجر البادية.

(٤) مسلم (٢٩٦٦).



وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِينَ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ مِنَ الزَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بَرْدَةً فَشَقَّقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخْتُ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبِرُونَ وَتَجْرِبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا»^(١).

٦. الجوع يوم القيامة: عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَكَلْتُ لَحْمًا كَثِيرًا وَثَرِيدًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقَعَدْتُ حِيَالَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلْتُ أَتَجَشَّأُ، فَقَالَ: «أَقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا»^(٢) أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). قَالَ الطَّبْرِيُّ: غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا فَإِنَّ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ سَرْفٌ، فَالْمَطْلُوقُ مِنْهُ مَا أَعَانَ الْأَكْلَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ وَلَمْ يَشْغَلْهُ ثَقْلُهُ عَنْ أَدَاءِ وَاجِبٍ عَلَيْهِ... فَالْحَقُّ لِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَتَعَدَّى فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ مَاسِدًا الْجُوعِ وَكَسَرَ الظَّمَا»^(٤).

(١) مسلم (٢٩٦٧). (أذنت) أي أعلمت (بصرم) الصرم الانقطاع والذهاب. (حذاء) مسرعة الانقطاع. (صباغة) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء. (يتصاها) في القاموس تصابيت الماء شربت صبايته. (قعرا) قعر الشيء أسفله. (كظيظ) أي ممتلئ. (قرحت) أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته. (سعد بن مالك) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
(٢) (ك) (٧٨٦٤)، صحيح الجامع: (١١٧٩)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢١٣٦).
(٣) (ت) (٢٤٧٨)، (ك) (٧٨٦٤)، (ج) (٣٣٥٠)، انظر صحيح الجامع: (١١٩٩)، الصحيحة: (٣٤٣).
(٤) شرح صحيح البخاري - لابن بطال (٩/ ٤٦٥).

٧. من شرار الأمة: عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عليها السلام قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ شَرَارِ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ، وَنَبَتَ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، وَيَتَشَدَّقُونَ بِالْكَلَامِ»^(١). أي: يأكلون الكثير من الطعام، وَيَتَوَعَّوْنَ فِي أَكْلِهِمْ؛ وَهَذَا لِتَرْفِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ وَاقِعُونَ فِي شَهْوَةِ الْبَطْنِ، «وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ»، أي: يَلْبَسُونَ الْأَلْوَانَ النَّفِيسَةَ مِنْ كُلِّ لِبَاسٍ، مُشْتَغِلِينَ بِتَحْصِيلِهَا، مُعْرِضِينَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَأَكُلَ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لَيْسَ بِحَرَامٍ، بَلْ هُوَ مُبَاحٌ، لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُدَاوِمَ عَلَيْهِ يُرِي نَفْسَهُ عَلَى النَّعِيمِ، وَيَأْنَسُ بِالْدُّنْيَا، وَيَأْنَسُ بِاللَّذَاتِ، وَيَسْعَى فِي طَلِبِهَا، فَيَجْرُهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَعَاصِي، فَيَكُونُ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ، «وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ» وَالمُتَشَدِّقُونَ: الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ، وَيَلُوبُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِهِ، وَيَفْتَخِرُونَ بِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِالنَّاسِ بِلَيِّ أَشْدَاقِهِمْ، وَالشَّدَقُ هُوَ جَانِبُ الْفَمِ، وَالْكُلُّ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى التَّكْلُفِ فِي الْكَلَامِ بِغَيْرِ احْتِيَاظٍ وَتَحَرُّزٍ؛ لِإِمَالَةِ قُلُوبِ النَّاسِ وَأَسْمَاعِهِمْ، «فَأُولَئِكَ»، أي: هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الَّذِينَ تَوَفَّرَتْ فِيهِمْ تِلْكَ الْأَمَارَاتُ، «شَرَارُ أُمَّتِي»، أي: أَكْثَرُ أُمَّتِي شَرًّا؛ وَهَذَا لِأَنَّهُمْ تَوَسَّعُوا فِي نِعَمِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ بِهِمْ إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَالتَّنَطُّعِ بِهِ، فَضْلًا أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّوَسُّعُ مِنْ حَرَامٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي الدُّنْيَا، وَعَدَمُ إِعْطَاءِ الْأُمُورِ نِصَابَهَا، وَالنَّهْيُ عَمَّا ذَكَرَ مِنَ الصِّفَاتِ.

(١) أخرجه البزار (ص ٣٢٤ - زوائد ابن حجر)، (هب) (٥٦٦٩)، ابن أبي الدنيا في (الصمت) (١٥٠)، انظر صحيح الجامع: (٣٧٠٥)، والصحيح: (١٨٩١)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٢١٤٧).



٨. **شر مآل الطعام:** عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَزَحَهُ ^(١) وَمَلَّحَهُ، فَاَنْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ ^(٢)» ^(٣).

٩. **ذم الشبع لغير حاجة:** في المسند أن النبي ﷺ: رَأَى رَجُلًا سَمِينًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمِي إِلَى بَطْنِهِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: «لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا لَكَانَ خَيْرًا لَكَ» ^(٤). «لَوْ كَانَ هَذَا» أي: الطعام الذي حصل به هذا السمن، لو صرفه في غير الأكل، لكان خيرًا له.

١٠. **تحذير النبي ﷺ من الشبع:** عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ، شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى» ^(٥). في هذا الحديث الشريف بين الرسول ﷺ مرضان خطيران يجمعان سائر الآفات، وهما الشهوات والشبهات، وهما منبع الآفات كلها، فشهوة البطن من المهلكات، وسبب كثير من الآفات والأمراض البدنية والقلبية، إذ تتبعها شهوة الفرج، ثم الرغبة في الجاه والمال لتحقيق هاتين الشهوتين، ويتولد من ذلك من أمراض القلوب: منها الرياء والحسد والتفاخر والكبر، بسبب الانشغال بالدنيا، وغالبًا ما يدفعه ذلك إلى المنكر والفحشاء والبغي، كله بسبب هذه الشهوات.

(١) أي: وضع فيه القرح وهو التابل.

(٢) قَالَ الْحَسَنُ: وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يُطَيَّبُونَهُ بِالْأَفَاوِيهِ وَالطِّيبِ، ثُمَّ يَرْمُونَ بِهِ حَيْثُ رَأَيْتُمْ.

(٣) (حم) (٢١٢٧٧)، (حب) (٧٠٢)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (١٧٧٨)، الصَّحِيحَةُ: (٣٨٢).

(٤) مسند أحمد (١٥٨٦٨) وقال الشيخ شعيب في تحقيقه: وقد صححه الحافظ في التهذيب في ترجمة جعده، وانظر السلسلة الضعيفة رقم (١١٣١).

(٥) (حم) (١٩٧٨٨)، انظر صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: (٥٢).

١١. التشبه بغير المسلمين: عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ، لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا، فَقَالَ: يَا نَافِعُ، لَا تَدْخُلْ هَذَا عَلَيَّ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعِي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»^(١). والمراد: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ بِأَدَبِ الشَّرْعِ، فَيَأْكُلُ فِي مَعِي وَاحِدٍ، وَيُبَارِكُ لَهُ فِي الْقَلِيلِ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ بِمُقْتَضَى الشَّهْوَةِ وَالشَّرِّ وَالنَّهَمِ، فَيَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، حَتَّى يَمْلَأَ طَبَقَاتِ أَمْعَائِهِ كُلِّهَا، وَهَذَا تَمَثِيلٌ لِرِضَا الْمُؤْمِنِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا، وَحِرْصِ الْكَافِرِ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا، وَهُوَ إِعْلَامٌ بِأَنَّ هَمَّ الْمُؤْمِنِ مَرْضَاةُ رَبِّهِ تَعَالَى لَا التَّوَسُّعُ فِي الْمَأْكُولِ؛ فَيَكْفِيهِ الْقَلِيلُ، وَعَكْسُهُ الْكَافِرُ؛ فَهَمُّهُ الْإِسْتِمْتَاعُ بِالطَّيِّبَاتِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، فَيَأْكُلُ بَنَهِمٍ وَشَرَاهَةٍ وَلَا يَكْتَفِي؛ فَكَأَنَّهُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ مَعَ عَدَمِ وَجُودِ الْبَرَكَةِ. وَقَدْ حَمَلَ ابْنُ عُمَرَ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَكَرِهَ دُخُولَهُ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَاهُ مَتَّصِفًا بِصِفَةٍ وَصِفَ بِهَا الْكَافِرُ.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْ خُبْزٍ بَرٍّ فَوْقَ ثَلَاثٍ^(٢). وَقَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْزٍ بَرٍّ إِلَّا وَاحِدَهُمَا تَمَرٌ^(٣). وَقَالَتْ: إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بَنَارًا، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمَرُ وَالْمَاءُ^(٤).

(١) البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠)، (٢٠٦١). (معي) والجمع أمعاء وهي المصارين. (سبعة أمعاء) هو كناية عن الشره والرغبة في متاع الدنيا وملذاتها والحرص على التشبع من شهواتها التي من جملتها تنوع المأكول والمشارب والامتلاء منها وقيل في معناه غير ذلك.

(٢) مسلم (٢٩٧٠).

(٣) مسلم (٢٩٧١).

(٤) مسلم (٢٩٧٢).



* عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامٍ بَرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ ^(١).

* قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: إِنَّمَا هُوَ طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ، وَصَبْرٌ أَيَّامٌ قَلِيلٌ ^(٢).

* الْأَخْنَفُ، الضَّحَّاكُ وَيُقَالُ صَخْرٌ، وَيُقَالُ الْحَارِثُ، وَيُقَالُ حُصَيْنٌ بْنُ أَنَسٍ ابْنُ قَيْسٍ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَبُو بَحْرٍ السَّعْدِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَخْنَفِ سَيِّدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِلْمِ وَالْوَقَارِ، أَدْرَكَ عَصْرَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَرَهُ ... قَالَ: جَنَّبُوا مَجْلِسَنَا ذِكْرَ الطَّعَامِ وَالنِّسَاءِ، فَإِنِّي أَبْغُضُ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ وَصَافًا لِفَرْجِهِ وَبَطْنِهِ وَإِنْ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَتْرِكَ الرَّجُلَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ ^(٣).

* وَجَاءَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الشُّكْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي ضَيْفٌ ^(٤).

* عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَقِيَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ وَقَدْ ابْتَعْتُ ^(٥) لَحْمًا بِدَرْهِمٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَابِرُ؟ قُلْتُ: قَرِمٌ ^(٦) أَهْلِي، فَابْتَعْتُ لَهُمْ لَحْمًا بِدَرْهِمٍ، فَجَعَلَ عُمَرُ يُرَدِّدُ: قَرِمَ الْأَهْلُ ... حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنَّ الدَّرْهَمَ سَقَطَ مِنِّي وَلَمْ أَلْقَ عُمَرَ ^(٧).

(١) مسلم (٢٩٧٠).

(٢) الورع لأحمد رواية المروزي (ص: ٨٠)، مجموع الفتاوى (١٠/٦٤٢).

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ط إحياء التراث (١٦/٢٠٦).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/٣٨٧).

(٥) أي: اشتريت.

(٦) القرم: شدة الشهوة إلى اللحم. لسان العرب (١٢/٤٧٣).

(٧) (هب) (٥٦٧٣)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٢١٤٤).

* عَنْ ابْنِ سِيرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ عُمَرَ: أَلَا نَجْعَلُ لَكَ جَوَارِشَ؟ قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ جَوَارِشُ. قَالَ: شَيْءٌ إِذَا كَطَّكَ الطَّعَامُ فَأَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئًا يَذْهَبُ عَنْكَ مَا تَجِدُ. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا شَبِعْتُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَمَا ذَاكَ أَنْ لَا أَكُونَ لَهُ وَاجِدًا، وَلَكِنِّي عَهَدْتُ أَقْوَامًا يَشْبَعُونَ مَرَّةً وَيَجُوعُونَ مَرَّةً ^(١).

* قَالَ الْفُضَيْلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَصَلَتَانِ تُقْسِيَانِ الْقَلْبَ: كَثْرَةُ الْكَلَامِ، وَكَثْرَةُ الْأَكْلِ ^(٢).
* قَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقِيَ عَالِمٌ عَالِمًا هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَا الطَّعَامِ الَّذِي نُصِيبُهُ لَا إِسْرَافَ فِيهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: مَا سَدَّ الْجُوعَ وَدَوَّنَ الشَّبْعَ ^(٣).

* قَالَ الطَّبْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشَّبْعُ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا فَإِنَّ لَهُ حِدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ سَرْفٌ، وَالْمُطْلَقُ مِنْهُ مَا أَعَانَ الْأَكْلَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ ثَقْلُهُ عَنْ أَدَاءِ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ. وَذَكَرَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْإِحْيَاءِ»: أَنَّ مَرَاتِبَ الشَّبْعِ تَنْحَصِرُ فِي سَبْعَةٍ: **الأول**: مَا تَقُومُ بِهِ الْحَيَاةُ. **الثاني**: أَنْ يَزِيدَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَنْ قِيَامٍ وَيَصُومَ وَهَذَانِ وَاجِبَانِ. **الثالث**: أَنْ يَزِيدَ حَتَّى يُقْوِيَ عَلَى أَدَاءِ النَّوَافِلِ. **الرابع**: أَنْ يَزِيدَ حَتَّى يَقْدِرَ عَلَى التَّكْسِبِ، وَهَذَانِ مُسْتَحْبَانِ. **الخامس**: أَنْ يَمْلَأَ الثُّلُثَ وَهَذَا جَائِزٌ. **السادس**: أَنْ يَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ وَبِهِ يَثْقُلُ الْبَدَنُ وَيَكْثُرُ النَّوْمُ وَهَذَا مَكْرُوهٌ. **السابع**: أَنْ يَزِيدَ حَتَّى يَتَضَرَّرَ وَهِيَ الْبَطْنَةُ الْمُنْهِي عَنْهَا وَهَذَا حَرَامٌ ^(٤).

(١) الزهد لأبي داود (ص: ٢٧٤)، حلية الأولياء (١/ ٣٠٠).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٤٤٠).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٧/ ٤٩٩).

(٤) بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٣٣).



* قال أبو عوانة الإسفرائيني رحمته الله: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ إِلَّا مَرَّةً، فَأَدْخَلْتُ يَدِي فَتَقَيَّأْتُهَا. لِأَنَّ الشَّبْعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيَزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ عَنِ الْعِبَادَةِ^(١).

* هذا؛ ويحسن التنبيه هنا على أن الأكل يأخذ الأحكام التكليفية الخمسة، بحسب الحال، قال ابن الحاج رحمته الله في «المدخل»: ثُمَّ الْأَكْلُ فِي نَفْسِهِ عَلَى خَمْسِ مَرَاتِبٍ: **وَاجِبٌ وَمَنْدُوبٌ وَمُبَاحٌ وَمَكْرُوهٌ وَمَحْرَمٌ**، فَالْوَاجِبُ مَا يُقِيمُ بِهِ صَلَبُهُ لِأَدَاءِ فَرَضِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ مَا لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى الْوَاجِبِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ **وَاجِبٌ**، وَالْمَنْدُوبُ مَا يُعِينُهُ عَلَى تَحْصِيلِ النَّوَافِلِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَالْمُبَاحُ الشَّبْعُ الشَّرْعِيُّ وَالْمَكْرُوهُ مَا زَادَ عَلَى الشَّبْعِ قَلِيلًا وَلَمْ يَتَضَرَّرْ بِهِ، وَالْمَحْرَمُ الْبُطْنَةُ وَهُوَ الْأَكْلُ الْكَثِيرُ الْمُضِرُّ لِلْبَدَنِ^(٢).

* قال زين الدين الرازي رحمته الله في «تحفة الملوك»: الْأَكْلُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ: **فَرَضٌ** وَهُوَ قَدْرٌ مَا يَنْدَفِعُ بِهِ الْهَلَاكُ وَيُمْكِنُ مَعَهُ الصَّلَاةُ قَائِمًا، **وَمُبَاحٌ** وَهُوَ أَدْنَى الشَّبْعِ بَنِيَّةٌ أَنْ يَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ وَيَحَاسِبَ فِيهِ حَسَابًا يَسِيرًا إِنْ كَانَ مِنْ حَلٍ، وَحَرَامٌ وَهُوَ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا لِلصَّوْمِ فِي غَدٍ أَوْ لِمُوَافَقَةِ الضَّيْفِ^(٣).

* يقول الذهبي رحمته الله: وَتَرَكَ فُضُولَ الدُّنْيَا، وَجُوعٌ بِلَا إِفْرَاطٍ. أَمَّا مَنْ بَالَعَ فِي الْجُوعِ - كَمَا يَفْعَلُهُ الرَّهْبَانُ - وَرَفَضَ سَائِرَ الدُّنْيَا وَمَأْلُوفَاتِ النَّفْسِ مِنَ الْغِذَاءِ وَالنَّوْمِ وَالْأَهْلِ، فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِبَلَاءٍ عَرِيضٍ، وَرَبَّمَا خَوَّلَ فِي عَقْلِهِ، وَفَاتَهُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/٣٦).

(٢) المدخل لابن الحاج (١/٢١٨).

(٣) تحفة الملوك (ص: ٢٧١).

وَالسَّعَادَةُ فِي مُتَابَعَةِ السُّنَنِ، فَرَزَ الْأُمُورَ بِالْعَدْلِ، وَصُمَّ وَأَفْطَرَ، وَنَمَّ وَقَمَّ، وَأَلْزَمَ الْوَرَعَ فِي الْقُوَّةِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ، وَاصْمِتْ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ^(١).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا فَضُولُ الطَّعَامِ فَهُوَ دَاعٍ إِلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ يُحَرِّكُ الْجَوَارِحَ إِلَى الْمَعَاصِي وَيُثْقِلُهَا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَحَسْبُكَ بِهِذِينَ شَرًّا، فَكَمْ مِنْ مَعْصِيَةٍ جَلَبَهَا الشَّبَعُ وَفَضُولُ الطَّعَامِ، وَكَمْ مِنْ طَاعَةٍ حَالَ دُونَهَا، فَمَنْ وَقَى شَرَّ بَطْنِهِ؛ فَقَدْ وَقَى شَرًّا عَظِيمًا، وَالشَّيْطَانُ أَعْظَمُ مَا يَتَحَكَّمُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا مَلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ.. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ سَاعَةً وَاحِدَةً جُثِمَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَوَعْدُهُ وَمَنَاهُ وَشَهَاهُ وَهَامُ بِهِ فِي كُلِّ وَادٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا شَبِعَتْ تَحَرَّكَتْ وَجَالَتْ وَطَافَتْ عَلَى أَبْوَابِ الشَّهَوَاتِ، وَإِذَا جَاعَتْ سَكَنْتْ وَخَشَعَتْ وَذَلَّتْ^(٢).

* الْقَاضِي النَّخَعِيُّ، شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي شَرِيكَ الْحَارِثِ بْنِ أَوْسٍ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ الْفَقِيهَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَحَدُ الْأَعْلَامِ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَتُوفِيَ فِيْمَا قِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً... دَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ: لَا بُدَّ لَكَ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تَلِيَ الْقَضَاءَ، أَوْ تُؤَدِّبَ أَوْلَادِي وَتُحَدِّثَهُمْ، أَوْ تَأْكُلَ عِنْدِي أَكْلَةً، فَقَالَ الْأَكْلَةُ أَخْفَى عَلَيَّ، فَعَمِلَ لَهُ أَلْوَانُ الْأَطْعِمَةِ مِنَ الْمَخِ الْمَعْقُودِ بِالسَّكْرِ فَأَكَلَ، فَقَالَ الطَّبَّاخُ لَيْسَ يُفْلَحُ بَعْدَهَا، قَالَ: فَحَدَّثَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَلَّمَهُمُ الْعِلْمَ وَوَلَّى الْقَضَاءَ، وَلَقَدْ كُتِبَ لَهُ بَرَزَقُهُ عَلَى الصَّيْرِ فِي فَمَطْلِهِ، وَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَبِعْ بِهِ بَرًّا، فَقَالَ: بَلْ وَاللَّهِ بَعْتُ بِهِ دِينِي!!^(٣).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤ / ٦٩).

(٢) ابن القيم: بدائع الفوائد (٢ / ٤٩٨).

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات (١٦ / ٨٧).



* والله در من قال: ربع ما تأكله يكفيك كي تعيش، والثلاثة أرباع الأخرى تجعل الأطباء يعيشون!!

* وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا تَأْكُلْ حَتَّى تَقْضِيَهَا، فَإِنَّ الْأَكْلَ يُغَيِّرُ الْعَقْلَ. وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ بَطْنُهُ أَكْبَرَ هَمِّهِ، وَأَنْ تَكُونَ شَهْوَتُهُ هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَيْهِ^(١).

* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة، نتن في الممات^(٢).

* في كثرة الأكل ست خصال مذمومة: يذهب خوف الله من قلبه - يذهب رحمة الخلق من قلبه، لأنه يظن أنهم كلهم شباع - يثقل عن الطاعة - إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة - إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس - أنه يهيج الأمراض.



(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (٢/ ٤٧١).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٤/ ١٢٦).

٦٠. عقوبات ترك الصلاة على النبي ﷺ

١. **الاتصاف بالبخل:** عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»^(١). لَقَدْ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)؛ فَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ الْحِفَاظُ عَلَيْهَا، سَوَاءً ابْتِدَاءً مِنْهُ أَوْ عِنْدَمَا يَسْمَعُ اسْمَهُ؛ حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِي جُمْلَةِ الْبُخْلَاءِ، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**الْبَخِيلُ**»، أَيِ: الْكَامِلُ فِي بُخْلِهِ «**الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»، أَيِ: ذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَانٍ هُوَ فِيهِ، فَلَمْ يُبَادِرْ فِيصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَهَذَا هُوَ الْبَخِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْعِبَادَةِ هِيَ دُعَاءُ اللَّهِ وَطَلَبُ ثَنَائِهِ عَلَى نَبِيِّهِ، وَتَكْرِيمُهُ، وَالتَّنْوِيهِ بِهِ، وَرَفْعُ ذِكْرِهِ، وَزِيَادَةُ حُبِّهِ، وَتَقْرِيْبِهِ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ لِلَّهِ، فَكَأَنَّ الْمَصْلِيَّ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِيدَ فِي حَمْدِهِ وَمَجْدِهِ، كَمَا أَنَّ فِيهَا مَعْنَى تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاءِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ وَفِي الْآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ، وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَثُوبَةٌ لِلْعَبْدِ وَكَفَايَةٌ لِهَمِّهِ وَرَفْعٌ لِدَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ.

(١) (ن) (٨١٠٠)، (ت) الدعوات (٣٥٤٦)، (حم) (١٧٣٦)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٢٨٧٨)،

صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: (١٦٨٣).

(٢) [الأحزاب: ٥٦].



٢. **يُخْطِئُ فِي طَرِيقِهِ الْجَنَّةِ:** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذَكَرْتُ عَنْدهُ فَنَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(١). أي: تَرَكَهَا عَمْدًا، أَوْ تَرَكَهَا عِنْدَ وُجُودِ سَبَبٍ؛ مِنْ ذِكْرِهِ ﷺ أَوْ نَحْوِهِ؛ فَقَدْ أَثِمَ وَأَخْطَأَ، وَسَلَكَ سَبِيلَ الْخَطَا، أَوْ فَعَلَ غَيْرَ الصَّوَابِ، «خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»، وَمَنْ أَخْطَأَ طَرِيقَهَا؛ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا الطَّرِيقُ إِلَى النَّارِ.. وَالْمَقْصُودُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَقَضَاءِ حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْنَا، وَلَيْسَتْ صَلَاتُنَا عَلَيْهِ شَفَاعَةً لَهُ؛ فَإِنْ مِثَّلْنَا لَا يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا؛ كَأَفَانَاهُ بِالْدُّعَاءِ، فَأَرْشَدَنَا اللَّهُ لَمَّا عَلِمَ عَجَزْنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَفَائِدَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْهِ، لِدَلَالَةِ ذَلِكَ عَلَى نُصُوعِ الْعَقِيدَةِ، وَخُلُوصِ النِّيَّةِ، وَإِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ، وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالاحْتِرَامِ لِلْوَاسِطَةِ الْكَرِيمَةِ ﷺ.

٣. **الِاتِّصَافُ بِالشَّح:** عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِهِ شُحًّا، أَنْ أَذْكَرَ عَنْدهُ ثُمَّ لَا يُصَلِّي عَلَيَّ»^(٢).

٤. **الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ:** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنْبَرَ فَلَمَّا رَفِيَ الدَّرَجَةَ الْأُولَى قَالَ: آمِينَ، ثُمَّ رَفِيَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ رَفِيَ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: آمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: آمِينَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ قَالَ:

(١) (جة) (٩٠٨)، (طب) (٢٨٨٧)، انظر صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٦٢٤٥)، الصَّحِيحَةُ: (٢٣٣٧)، وقال

الألباني: ومعنى ذلك أن ترك الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عند ذكره معصية.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٥٣)، (٨٧٠١)، وضعفه الشيخ الألباني في تعليقه على فضل

الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ للقاضي إسماعيل رقم (٣٩).

«لَمَّا رَقِيتُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى، أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ ^(١) فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ قَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» ^(٢). الدعاء عليه بالبعد، ومعناه الطرد من رحمة الله، وبذلك يحرم من الخير.

٥. الاتصاف بالشقاء: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَى الْمُنْبِرَ، فَلَمَّا رَفَى الدَّرَجَةَ الْأُولَى قَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «آمِينَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: «آمِينَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ قَالَ: «... شَقِيَّ عَبْدٌ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» ^(٣).

٦. الدعاء عليه برغم الأنف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ» ^(٤).

(١) أي: لَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ لِعُقُوبَةٍ وَتَقْصِيرِهِ فِي حَقِّهِمَا، وَالْإِسْنَادُ مَجَازِيٌّ، فَإِنَّ الْمُدْخَلَ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ، يَعْنِي: لَمْ يَخْدُمَهُمَا حَتَّى يَدْخُلَ بِسَبَبِهِمَا الْجَنَّةَ. تحفة الأحوذى (٨/ ٤٤٢).

(٢) (حب) (٩٠٧)، (٤٠٩)، (خد) (٦٤٤)، وانظر صحيح الأدب المفرد، (ك) (٧٢٥٦)، صحيح الأدب المفرد: (٥٠١)، صحيح الجامع: (٧٥)، صحيح الترغيب والترهيب: (٩٩٥).

(٣) الأدب المفرد (٦٤٤) وقال الشيخ الألباني في تعليقه على الأدب المفرد: صحيح لغيره.

(٤) (حم) (٨٥٣٨)، (ت) (٣٥٤٥).



أَيُّ: لَصِقَ أَنْفُهُ بِالتُّرَابِ، كِنَايَةً عَنْ حُصُولِ الدَّلِّ (١).

٧. الإصابة بالحسرة والندامة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» (٢). وَمَعْنَى قَوْلِهِ: تَرَةٌ: يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً.

٨. الإصابة بالتتن: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَصَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا قَامُوا عَنْ أَتْنٍ جِيفَةٍ» (٣). ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى كُلِّ حِينٍ مِنْ صِفَاتِ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَى الذِّكْرِ وَتَرْطِيبِ اللِّسَانِ بِهِ، وَكُلِّ الْمَجَالِسِ يَنْبَغِي أَنْ تَحْتَوِيَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ بِأَيِّ صُورَةٍ؛ حَتَّى يَكْتَمِلَ لَهُمُ الْأَجْرُ، وَلَا يَكُونُوا غَافِلِينَ.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٍ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِ مُحَمَّدٍ» (٤).

* وَقَدْ تَكَلَّمَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» عَلَى حَكْمِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا. فَقَالَ: أَمَّا حُكْمُهَا فَحَاصِلُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ: عَشْرَةٌ مَذَاهِبَ:

(١) تحفة الأحوذى (٨/ ٤٤٢).

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٣٣٨٠)، الصحيحة (٧٤).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي بالحواشي (نسخة مقابلة) (٣/ ٣١٤)، (١٨٦٣)، الدعاء للطبراني - نسخة مقابلة (٣/ ١٦٦٣)، (١٩٢٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٦)، والصحيحة (٨٠).

(٤) المعجم الأوسط (٧٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٢٣)، الصحيحة (٢٠٣٥).

أولها: قول بن جرير الطبري إنها من المستحبات، وأدعى الإجماع على ذلك. ثانيها: مقابلة، وهو نقل ابن القصار، وغيره الإجماع على أنها تجب في الجملة بغير حصر، لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة.

ثالثها: تجب في العمر في صلاة، أو في غيرها، وهي مثل كلمة التوحيد. قاله أبو بكر الرازي من الحنفية، وبن حزم وغيرهما. وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوبها في العمر مرة، وأنها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة، وسبقه بن عطية. رابعها: تجب في القعود آخر الصلاة، بين قول التشهد، وسلام التحلل. قاله الشافعي، ومن تبعه.

خامسها: تجب في التشهد. وهو قول الشافعي، وإسحاق بن راهويه. سادسها: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل. نقل ذلك عن أبي جعفر الباقر. سابعها: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد. قاله أبو بكر بن بكير من المالكية. ثامنها: كلما ذكر قاله الطحاوي، وجماعة من الحنفية، والحلي، وجماعة من الشافعية. وقال بن العربي من المالكية إنه الأحوط، وكذا قال الزمخشري. تاسعها: في كل مجلس مرة، ولو تكرّر ذكره مرارا. حكاه الزمخشري. عاشرها: في كل دعاء. حكاه أيضا (١).



(١) فتح الباري لابن حجر (١١/١٥٢).

٦١. عقوبات قاطع الرحم

١. سبب لعنة الله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(١). قال العلامة السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ: ذكر تعالى حال المتولي عن طاعة ربه، وأنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شرٍّ، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتنثال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتولٍ عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله. ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إدعان وقبول، وإنما تسمع سماعاً تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين والبيانات^(٢).

٢. تلقيبه بالفاسق مع الخسران في الآخرة: ﴿... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣). وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته.

(١) [محمد: ٢٢: ٢٣].

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٧٨٨).

(٣) [البقرة: ٢٦، ٢٧].

وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبتة وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب، وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها. فأما المؤمنون فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق، وقاموا بها أتم القيام، وأما الفاسقون، فقطعوها، ونبذوها وراء ظهورهم، معتاضين عنها بالفسق والقطيعة، والعمل بالمعاصي، وهو: الإفساد في الأرض^(١). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٢).

٣. الانقطاع من رحمة الله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ»^(٣).

٤. الحرمان من دخول الجنة: قَالَ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(٤). وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «... وَإِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٥).

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨).

(٢) [الرعد: ٢٥].

(٣) البخاري (٥٩٨٨). (شجنة) يجوز في الشين الضم والكسر والفتح وهي في الأصل عروق الشجر المشتبكة. (من الرحمن) اشتق اسمها من هذا الاسم الذي هو صفة من صفات الله تعالى، والمعنى أن الرحم أثر من آثار رحمته تعالى مشتبكة بها فمن قطعها كان منقطعاً من رحمة الله ﷻ ومن وصلها وصلته رحمة الله تعالى.

(٤) البخاري (٥٩٨٤)، مسلم (٢٥٥٦). (لا يدخل الجنة قاطع) أي قاطع رحم والمراد به هنا من استحل القطيعة أو أي قاطع، والمراد لا يدخلها قبل أن يحاسب ويُعاقب على قطيعته، وقطع الرحم هو ترك الصلة والإحسان والبر بالأقارب.

(٥) مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ١٩٠)، رقم (١٦٥١).



٥. **التعجيل بالعقوبة في الدنيا:** عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(١). أي: ليس هناك من الذنوب ذنباً أولى بتعجيل العقوبة لصاحب الذنب في الدنيا «مع ما يدَّخِرُ له في الآخرة»، أي: مع ما يكون له من عقوبة في الآخرة على هذا الذنب، والمراد: أن عقوبة الدنيا لا ترفع عنه عقوبة الآخرة، بل هي من باب مزيد العذاب والوعيد لصاحبه، «مثل البغي»، أي: مثل ذنب البغي وهو الظلم والجور، «وقطيعه الرحم»، أي: وكذلك ذنب قطيعة الرحم، والرحم هي الصلة التي تكون بين الشخص وغيره، والمراد بها هنا: الأقارب، ويطلق عليهم: أولو الأرحام. وفي الحديث: التحذير من الظلم وقطع الرحم. وفيه: الحث على العدل وصلة الرحم.

٦. **عدم رفع العمل:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعَ رَحِمٍ»^(٢).

٧. **الرحم إما تدعو لك أو عليك:** عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»^(٣). فأيهما تختار قرر مصيرك الآن؟؟! والرحم نوعان: عامة، وخاصة؛ فالعامة: رحم الدين، وتجب صلتها بالتواضع والتناصح والعدل والإنصاف.

(١) رواه الترمذي (٢٥١١)، سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٤٢١١)، صحيح ابن حبان (٤٥٥). قال صاحب الجامع الصحيح للسنن والمسند: (خد) (٦٧)، (د) (٤٩٠٢)، (حم) (٢٠٣٩٠)، انظر الصحيحة: (٩١٨).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٩١/١٦) رقم (١٠٢٧٢)، قال المحقق: شعيب الأرنؤوط إسناده حسن. صحيح الترغيب والترهيب: (٢٥٣٨).

(٣) مسلم (٢٥٥٥).

وَأَمَّا الرَّحِمُ الْخَاصَّةُ فْتَزِيدُ بِالنَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيبِ، وَتَفْقَدُ أَحْوَالَهُمْ، وَتَتَغَافَلُ عَنْ زَلَّاتِهِمْ، وَتَتَفَاوَتْ مَرَاتِبُ اسْتِحْقَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَهْمِيَّةِ صَلَاةِ الْأَرْحَامِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ قَطْعِهَا.

٨. يَأْتِي بِأَبْغَضِ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ صَلَاةُ الرَّحِمِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَيَّ؟ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْأَمْرُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ»^(١).

٩. إِطْعَامُ الرَّمَادِ الْحَارِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفُهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢). بَذَلَ الْإِحْسَانُ فِي الْأَقَارِبِ مِنْ جَمِيلِ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ وَالِدَيْنُ الْإِسْلَامِيَّ، وَمِنْ مَظَاهِيرِ هَذَا التَّشْرِيعِ أَنَّهُ حَضَّ عَلَى صَلَاةِ الرَّحِمِ وَالبَذْلِ فِيهِمْ.

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٢٢٩/١٢)، رقم (٦٨٣٩)، وصحيح الجامع: (١٦٦)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٢٥٢٢).

(٢) مسلم (٢٥٥٨). (ويجهلون علي) أي يسيئون، والجهل هنا القبيح من القول، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم. (تسفهم الممل) الممل هو الرماد الحار، أي كأنما تطعمهموه. (ظهير) الظهير المعين والدافع لأذاهم.



وإن لم يجد الإنسان ما يرضيه عند أقاربه من الوصل له وحرصهم عليه. وكأن الرجل يسأل عن حكم وصل تلك الرحم بعد ما بينه من أسباب توجب مقاطعتهم، فأخبره ﷺ أنه إن كان الأمر مثل ما قلت من حرصك على وصلهم والإحسان إليه مع ما فيهم من جفاء وجهالة؛ «فكأنما تسفهم»، أي: تطعمهم في أفواههم «المل» وهو: الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، وقيل: معناه: إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، ولا يزال معك من عند الله «ظهير عليهم»، أي: معين لك عليهم ودافع عنك أذاهم ما دمت على ما ذكرت من إحسانك إليهم وظلوا هم على إساءتهم إليك، فوافقه النبي ﷺ على وصله لهم، وكل ما ذكره من مظاهر إحسانه فيهم. وفي الحديث: الحث على صلة الرحم. وفيه: الصبر على الإيذاء، خصوصاً من الأقارب، وأن من كان كذلك أعانه المولى سبحانه وتعالى. وفيه: مقابلة الإساءة بالإحسان مع الأقارب أو غيرهم.

١٠. يرى وبال القطيعة قبل أن يموت: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَطَعَ رَحِمًا، أَوْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَاجِرَةٍ، رَأَى وَبَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ»^(١).

١١. قَطَعَ الرَّحِمَ مِنَ الْكِبَائِرِ: وأشار لذلك العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه «الكبائر» فقال: «الْكَبِيرَةُ الثَّلَاثَةُ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ: قَطْعُ الرَّحِمِ»^(٢).

(١) (تخ) (٢٠٧/٦)، حديث (٢١٨٩)، (هق) (١٩٦٥٦)، صحيح الجامع: (٦٤٧٥)، الصحيحة: (١١٢١).

(٢) ابن حجر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/١٢٣).

وساق الأدلة الكثيرة على ذلك.

من أقوال العلماء في الباب:

* قال علي بن الحسين لولده: لَا تَصْحَبَنَّ قَاطِعَ رَحِمٍ؛ فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ ^(١).

* وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أَظْهَرَ النَّاسُ الْعِلْمَ، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ، وَتَحَابَّبُوا بِاللِّسَنِ، وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ، وَتَقَاطَعُوا بِالْأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ^(٢).

* فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ سُلَيْمَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ قَالَ: جَاءَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «أُخْرِجْ عَلَيَّ كُلَّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا» فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ حَتَّى قَالَ ثَلَاثًا، فَأَتَى فَتَى عَمَّةٍ لَهُ قَدْ صَرَمَهَا مِنْذُ سَتَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. قَالَتْ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ: لِمَ قَالَ ذَاكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعِ رَحِمٍ». هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ. «فَأَتَى فَتَى عَمَّةٍ لَهُ قَدْ صَرَمَهَا»؛ أَي: هَجَرَهَا وَقَطَعَ حَبْلَ وَصَالِهَا وَتَرَكَهَا مِنْذُ سَتَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْهَجْرَانِ؟ قَوْلُهُ ﷺ: «تُعْرَضُ»: مَعْنَى الْعُرْضُ: الْإِظْهَارُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقْرَأُ الصُّحُفَ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٨٤).

(٢) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ): تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (ص: ١٣٧).



فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه حَرَجَ -أَي: أَوْقَعَ فِي الصَّيْقِ وَالْإِثْمِ- عَلَى كُلِّ قَاطِعٍ رَحِمَ لَمَّا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

* حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا غَنِيًّا حَجَّ فَأَوْدَعَ آخَرَ -مُؤَسَّوْمًا بِالْأَمَانَةِ وَالصَّلَاحِ- أَلْفَ دِينَارٍ حَتَّى يَعُودَ مِنْ عَرَفَةَ، فَلَمَّا عَادَ وَجَدَهُ قَدْ مَاتَ، فَسَأَلَ ذَرِيَّتَهُ عَنِ الْمَالِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَسَأَلَ عُلَمَاءَ مَكَّةَ عَنْ قَضِيَّتِهِ فَقَالُوا لَهُ: إِذَا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ فَاتِ زَمْزَمَ فَانْظُرْ فِيهَا وَنَادِ يَا فُلَانُ بِاسْمِهِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ فَيُجِيبُكَ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ، فَذَهَبَ وَنَادَى فِيهَا فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَأَخْبَرَهُمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ نَخْشَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ اذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ فِيهَا بَيْتٌ تَسْمَى بَيْتُ بَرّهوت يُقَالُ إِنَّهُ عَلَى فَمِ جَهَنَّمَ فَانْظُرْ فِيهِ بِاللَّيْلِ وَنَادِ يَا فُلَانُ فَيُجِيبُكَ مِنْهَا، فَمَضَى إِلَى الْيَمَنِ وَسَأَلَ عَنِ الْبَيْتِ فَدَلَّ عَلَيْهَا، فَذَهَبَ إِلَيْهَا لَيْلاً وَنَادَى فِيهَا: يَا فُلَانُ فَأَجَابَهُ، فَقَالَ أَيْنَ ذَهَبِي؟ فَقَالَ دَفَنْتَهُ فِي الْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ مِنْ دَارِي وَلَمْ أَتَمَنَّ عَلَيْهِ وَلَدِي فَأَتَيْتُهُمْ وَاحْفَرُ هُنَاكَ تَجِدُهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي أَنْزَلَكَ هَاهُنَا وَقَدْ كُنْتَ يُظَنُّ بِكَ الْخَيْرُ؟ قَالَ: كَانَ لِي أُخْتُ فَقِيرَةٌ هَجَرَتْهَا وَكُنْتُ لَا أَحْنُو عَلَيْهَا فَعَاقَبَنِي اللَّهُ - تَعَالَى - بِسَبَبِهَا وَأَنْزَلَنِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ^(١).



(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ١٣٧)، الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٢٩، ١٣٠).

٦٢. عقوبات إتيان الكهان والسحرة والدجالين

١. الوقوع في مخالفة الرسول ﷺ: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَانَ»^(١). وهذا نهْي، ومفاده التحريم كما قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان)^(٢).

٢. ليس من رسول الله ﷺ ولا رسول الله ﷺ منه: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيرَ لَهُ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تُكْهَنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ...»^(٣). وهو من أحاديث الوعيد التي تجرى على ظاهرها ولا تفسر.

٣. أن من فعل ذلك فقد وقع في شعبة من شعب الكفر: فعند أهل السنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(١) مسلم (٥٣٧). قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَتْ الْكِهَانَةُ فِي الْعَرَبِ ثَلَاثَةً أَضْرِبُ، أَحَدُهَا: يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ وَلِيِّ مِنَ الْجِنِّ يُخْبِرُهُ بِمَا يَسْتَرْفُهُ مِنَ السَّمْعِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهَذَا الْقِسْمُ بَطْلٌ مِنْ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا ﷺ. الثَّانِي: أَنْ يُخْبِرُهُ بِمَا يَطْرَأُ أَوْ يَكُونُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَمَا خَفِيَ عَنْهُ مِمَّا قَرُبَ أَوْ بَعُدَ، وَهَذَا لَا يَبْعُدُ وَجُودَهُ. الثَّالِثُ: الْمُتَجَمُّونَ، وَهَذَا الضَّرْبُ يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لِبَعْضِ النَّاسِ قُوَّةً مَا، لَكِنَّ الْكَذِبَ فِيهِ أَغْلَبُ، وَمِنْ هَذَا الْفَنِّ الْعِرَافَةُ، وَصَاحِبُهَا عَرَّافٌ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَدِلُّ عَلَى الْأُمُورِ بِأَسْبَابٍ وَمُقَدِّمَاتٍ يَدْعِي مَعْرِفَتَهَا بِهَا... وَهَذِهِ الْأَضْرِبُ كُلُّهَا تُسَمَّى كِهَانَةً، وَقَدْ أَكْذَبَهُمْ كُلُّهُمْ الشَّرْعُ وَنَهَى عَنْ تَصْدِيقِهِمْ وَإِتْيَانِهِمْ. شرح النووي على مسلم (٢٢٣/١٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢٢٣/١٤).

(٣) (بز) (٣٥٧٨)، (طب) (١٦٢/١٨)، حديث (٣٥٥)، صحيح الجامع: (٥٤٣٥)، الصحيح:

(٢٦٥٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (٣٠٤١).



«مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١). وبنحوه عن جابر في البزار بسند جيد وثبت موقوفًا على ابن مسعود في أبي يعلى^(٢). وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى التَّغْلِيظِ وَالتَّشْدِيدِ كَمَا قَالَه التِّرْمِذِيُّ. وَقِيلَ: إِنْ كَانَ الْمَرَادُ الْإِثْبَانُ بِاسْتِحْلَالٍ وَتَصْدِيقٍ، فَالْكُفْرُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَإِنْ كَانَ بِدُونِهِمَا، فَهُوَ عَلَى كُفْرَانِ النِّعْمَةِ^(٣).

٤. **عدم قبول صلاته أربعين يومًا:** عَنْ نَافِعٍ، عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٤). قَضَى الْإِسْلَامُ عَلَى كُلِّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الْخُرَافَةِ وَالتَّلَاعِبِ بِأَمَالِ النَّاسِ وَالْأَمِهِم، وَشَدَّدَ فِي تَحْرِيمِهَا، فَغَرَسَ فِي قُلُوبِ أَتْبَاعِهِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى النَّفْعِ وَالضَّرِّ أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ ﷻ، وَوَاجِبُ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِاللَّهِ وَخَدَهُ، وَأَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ طَلَبُهُ لِلْحَقَائِقِ وَالْأَشْيَاءِ مِنْ خِلَالِ الْأَدْعِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي أَذِنَ اللَّهُ ﷻ فِيهَا وَرَضِيَهَا لِعِبَادِهِ، فَهَذَا دَلِيلُ إِيْمَانِهِ، وَعَلَامَةُ تَصَدِيقِهِ لِرَبِّهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «مَنْ أَتَى عَرَّافًا» وَهُوَ الْكَاهِنُ وَالْمَنْجَمُ، وَقِيلَ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ: أَنَّ الْكَاهِنَ هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى الْخَبَرَ عَنِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، فَيَدَّعِي عِلْمَ مَا يَكُونُ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، وَيَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ، وَالْعَرَّافُ:

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٩٥٣٦)، (ت) (١٣٥)، (د) (٣٩٠٤)، صَحِيحُ الْجَامِعِ: (٥٩٣٩)،

الصَّحِيحَةُ: (٣٣٨٧)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ: (٣٠٤٤).

(٢) (٢٨٠ / ٩)، رقم (٥٤٠٨).

(٣) تحفة الأحوذي (١ / ١٦٢).

(٤) مسلم (٢٢٣٠).

يَخْتَصُّ بِالْمَاضِي، فَيَدَّعِي مَعْرِفَةَ الشَّيْءِ الْمَسْرُوقِ، وَمَكَانِ الضَّالَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَحَدِ هَؤُلَاءِ الْكَذَابِينَ، «فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ» وَطَلَبَ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ مِنْهُمْ، «لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» مِنَ الْأَزْمَنَةِ اللَّاحِقَةِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي إِسْقَاطَ الصَّلَاةِ عَنْهُ، بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَدَائِهَا، فَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ بِحَالٍ، وَأَمَّا عَدَمُ قَبُولِ صَلَاتِهِ فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا ثَوَابَ لَهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَةً فِي سُقُوطِ الْفَرَضِ عَنْهُ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى إِعَادَةٍ. وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» أَي: الْقُرْآنَ، فَهَذِهِ عَقُوبَةٌ مَنْ سَأَلَ الْكَاهِنَ أَوْ الْعَرَّافَ مُعْتَقِدًا صِدْقَهُ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ جَزَاءِ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ.

٥. **الحرمان من دخول الجنة إلا أن يتوب:** عَنْ أَبِي بَرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرِ وَلَا قَاطِعِ رَحِمٍ»^(١). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ: مُدْمِنٌ خَمْرٍ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرِ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا كَاهِنٌ، وَلَا مَنَّانٌ»^(٢). رَغَبَ الشَّرْعُ الْمَطْهَرُ فِي الْأُمُورِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تُقَرِّبُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنَ الْجَنَّةِ، كَمَا حَذَّرَ مِنَ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ، الَّتِي تَبْعُدُ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الْجَنَّةِ، وَتُقَرِّبُ مِنَ النَّارِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ» خَمْسٍ خِصَالٍ، كُلُّهُنَّ أَوْ إِحْدَاهُنَّ، وَذَكَرَ مِنْهُنَّ: «وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرِ» وَهُوَ مَنْ اعْتَقَدَ وَصَدَّقَ السَّاحِرَ فِي قَلْبِهِ لِحَقِيقَةِ الْأَشْيَاءِ.

(١) ابن حبان في صحيحه (١٢/١٦٥) رقم (٥٦٤٦)، وقال الشيخ شعيب بعدما أورد له شاهداً عن أبي سعيد: فلعل حديث الباب يتقوى به ويحسن.

(٢) مسند أحمد (١١١٠٧). تخريج المسند لشعيب، خلاصة حكم المحدث: حسن لغيره.



أَوْ صَدَّقَهُ فِي عِلْمِهِ الْغَيْبَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. «وَلَا كَاهِنٌ» وَهُوَ الَّذِي يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ، وَيُخْبِرُ النَّاسَ بِزَعْمِهِ عَنِ الْكَائِنَاتِ الْغَيْبِيَّةِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ مَنْ يَدَّعِي ذَلِكَ مِنْ مُنْجِمٍ وَضَرَّابٍ بِالْحَصَا، وَنَحْوِهِمَا. وَالْمُرَادُ بَعْدَ دُخُولِ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةِ نَفْيُ الدُّخُولِ مُطْلَقًا لِمَنْ اسْتَحَلَّ تِلْكَ الْمَعَاصِيَ مَعَ عِلْمِهِ بِتَحْرِيمِهَا؛ لِأَنَّهُ يَكْفُرُ بِذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَسْتَحِلِّهَا وَمَاتُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانُوا عَصَاةً؛ فَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَهُمْ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهيبُ مِنَ عَاقِبَةِ الْمَنِّ بِالْعَطَايَا، وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالسَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، أَوْ تَصْدِيقِهِمَا.

٦. **الحرمان من الدرجات العلى:** عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَلِجَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنْ تَكْهَنٍ، أَوْ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطِيرًا»^(١).
٧. **التلبس بعمل الشيطان:** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ النُّشْرَةِ^(٢) فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(٣).

(١) (مسند الشاميين) (٢١٠٤)، صحيح الجامع: (٥٢٢٦)، الصحيحة: (٢١٦١).

(٢) **النُّشْرَةُ:** حُلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حُلُّ سِحْرِ بِسِحْرِ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ السَّحْرَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ بِمَا يُحِبُّ، فَيَبْطُلُ عَمَلُهُ عَنِ الْمَسْحُورِ. وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّفْيَةِ وَالتَّعَوِّذَاتِ، وَالدَّعَوَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ، وَعَلَى النَّوعِ الْمَذْمُومِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ: «لَا يَحُلُّ السَّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ». فَتَحَ الْبَارِي (٢٩٩/١٦).

(٣) (د) (٣٨٦٨)، (حم) (١٤١٦٧) وقال الشيخ الألباني في المشكاة (٢/١٢٨٤)، رقم (٤٥٥٣)

إسناده صحيح.

من أقوال العلماء في الباب:

* قال شيخ الإسلام رحمته الله: وَالْكَهَّانُ كَانَ يَكُونُ لِأَحَدِهِمُ الْقَرِينُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، يُخْبِرُهُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَغِيَّاتِ بِمَا يَسْتَرْفُهُ مِنَ السَّمْعِ، وَكَانُوا يَخْلُطُونَ الصَّدْقَ بِالْكَذِبِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكَهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ^(١).

* في فتاوى الشيخ ابن باز رحمته الله قال: لا يجوز الاعتماد على الكهنة والمشعوذين والعرافين، بل يجب أن يُقضى عليهم عن طريق الدولة، إذا كانت مسلمة تخاف الله، يجب عليها أن تقضي عليهم وأن تلتمسهم، وأن تؤدبهم وتُعاقبهم حتى يتركوا هذا العمل، وقد صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام «أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْكَهَّانِ فَقَالَ: لَا تَأْتَوْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ قَدْ يَصْدُقُونَ فِي بَعْضِ الشَّيْءِ، فَقَالَ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ يَسْمَعُهَا الْجَنِيُّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا اسْتَرْقَ السَّمْعَ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ أَوْلَئِكَ الْكَهَنَةِ فَيَصْدُقُ الْكَاهِنُ، وَالسَّاحِرُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي كَذِبِهِمُ الْكَثِيرِ، وَيَقُولُونَ: قَدْ قَالَ كَذَا وَكَذَا، وَصَدَقَ فَيَصْدُقُونَ فِيمَا يَكْذِبُ فِيهِ مِنْ مِائَاتِ الْكَذِبَاتِ، الَّتِي لَا أُسَاسَ لَهَا. فَهَؤُلَاءِ لَا يَصْدُقُونَ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا صَمَّمُوا وَأَقْرَأُوا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، أَوْ يَدْعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ صَارُوا كَفَّارًا بِذَلِكَ، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ الْمَغِيَّاتِ يَكُونُ كَافِرًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.



فمن زعم أنه يعلم الغيب فإنه مكذبٌ لله، ومشاركٌ لله فيما اختص فيه سبحانه وتعالى، وهذا كفرٌ أكبر، وضلالٌ بعيدٌ، علم الغيب لا يعلمه إلا الله حتى الأنبياء لا يعلمونه، حتى محمد عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل الخلق لا يعلم الغيب، إلا ما علمه الله إياه، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْءُ إِنَّا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

* وفي فتاوى اللجنة الدائمة: ولا يجوز أن يذهب إلى الكهنة الذين يزعمون معرفة الغيب؛ ليعرف منهم مرضه، ولا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب أو يستحضرون الجن؛ ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء شأنهم الكذب، والاستعانة بالجن شركٌ أكبر... ولا يجوز له أن يخضع لما يزعمونه علاجاً من صب رصاص ونحوه على رأسه فإن هذا من الكهانة، ورضاه بذلك مساعدة لهم على الكهانة والاستعانة بشياطين الجن، كما لا يجوز لأحد أن يذهب إلى من يسأله من الكهان من سيتزوجه ابنه، أو عما يكون من الزوجين أو أسرتيهما من المحبة والعداوة والوفاق والفراق، فإن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله^(٢).



(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٣/ ٣٦٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (١/ ٥٥٩).

٦٣. عقوبات الهجر والخصام والقطيعة

١. عدم رفع الصلاة إلى الله: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرْتَفِعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شَبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَأَخْوَانٌ مُتَصَارِمَانِ»^(١).

٢. إرضاء الشيطان: عَنْ أَبِي سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(٢). في هذا الحديث بيان أن الشيطان قد آيس أن يعبداه المصلون في جزيرة العرب؛ فإنه لا يجتمع في العبد الصلاة وعبادة الشيطان، وقد يئس الشيطان من أهل الإيمان أن يعبدوه لما رأى كثرتهم وانتشارهم في البلاد فأيس أن ينتكس الأمر ويعود كما كان الناس من قبل لعبادة الأصنام ويستبدل دين الإسلام ويهدم من الأساس، ويستمر الشرك ويظهر، ولكن في التحريش بينهم، أي: إنه لم يئأس من التحريش بينهم، والمعنى أنه يوقع بينهم الخصومات والشحناء، والحروب والفتن ونحوها.

٣. الحرمان من المغفرة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٩٧١)، وقال: إسناده حسن من أجل يحيى الأرحبي وعبدة بن الأسود، وباقي رجاله ثقات. وأخرجه ابن حبان (١٧٥٧)، والطبراني (١٢٢٧٥) من طريق يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي، بهذا الإسناد.

(٢) مسلم (٢٨١٢). (ولكن في التحريش بينهم) أي ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها.



رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(١). والخصومة المنهي عنها هي التي تكون لحظ النفس ومعايش الدنيا، وأما إذا كانت للدين - كهجران أهل البدع ونحوهم - فهي ثابتة، ومُجَانِبَتُهُمْ أَوْلَى، فيُقَالُ للملائكة: «أَنْظِرُوا»، أي: أَمْهَلُوا هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَأَخْرُوا مَغْفِرَتَهُمَا مِنْ ذُنُوبِهِمَا حَتَّى يَتَصَالِحَا، وَيَزُولَ عَنْهُمَا الشَّحْنَاءُ، فَلَا يُفِيدُ التَّصَالِحُ لِلشُّعْمَةِ وَالرِّيَاءِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَغْفِرَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مُتَوَقَّفَةٌ عَلَى صَفَائِهِ، وَزَوَالِ عِدَاوَتِهِ، سَوَاءً صَفَا صَاحِبُهُ أَمْ لَا، فَاللَّهُ ﷻ يُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ تَكُونَ قُلُوبُهُمْ مُجْتَمِعَةً غَيْرَ مُتَفَرِّقَةٍ، مُتَحَابَّةً غَيْرَ مُتَبَاغِضَةٍ. وفي الحديث: النَّهْيُ عَنِ التَّهَاجُرِ وَالشَّحْنَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

٤. **الحرمان من دخول الجنة:** عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ، مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا يَكُونُ سَبْقُهُ بِالْفِيءِ كَفَّارَةً لَهُ، وَإِنْ سَلَّمَ فَلَمْ يَقْبَلْ وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامُهُ، رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَرَدَّ عَلَى الْآخِرِ الشَّيْطَانُ، وَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ جَمِيعًا أَبَدًا»^(٢). «فإنهما ناكبان عن الحق» مُتَنَحِّيانِ وَبَعِيدَانِ وَمُعْرِضَانِ عَنِ الْحَقِّ «ما داما على صُرَامِهِمَا» مِنَ الْهَجْرِ وَالتَّدَابُرِ «وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا» بِالرُّجُوعِ إِلَى الصُّلْحِ «يَكُونُ سَبْقُهُ بِالْفِيءِ كَفَّارَةً لَهُ» فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ إِثْمَ الْقَطِيعَةِ وَالْهَجْرِ «وَإِنْ سَلَّمَ» أَحَدُهُمَا «فَلَمْ يَقْبَلْ» الْآخَرُ «وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامُهُ» بَرَفْضِهِ وَعَدَمِ قَبُولِ إجابة السَّلامِ

(١) مسلم (٢٥٦٥). (شحناء) أي عداوة وبغضاء (أنظروا هذين) أي أخروهما.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٦٢٥٨)، صَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ (٤٠٧)، وَالصَّحِيحَةُ (١٢٤٦)، وَالْأُسْتَاذُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ ابْنِ جِبَانَ بِرَقْم: (٥٦٦٤).

«رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَرَدَّ عَلَى الْآخِرِ الشَّيْطَانُ»، وَالْمَعْنَى أَجَابَتْ الْمَلَائِكَةُ تَحِيَّةَ الَّذِي بَدَأَ بِالسَّلَامِ وَحَيَّتَهُ، أَمَّا مَنْ رَفَضَ إِجَابَةَ السَّلَامِ، فَإِنَّهُ يُجِيبُهُ شَيْطَانٌ، فَيُوسِسُ لَهُ بِالشَّرِّ «وإنَّ مَا نَا عَلَى صُرَامِهِمَا» مِنَ الْهَجْرِ، وَقَطَعَ الصَّلَاتِ، وَمَاتَا وَهُمَا مُصِرَّانِ عَلَى التَّهَاجُرِ وَقَطَعَ الصَّلَاتِ «لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ جَمِيعًا أَبَدًا»، وَهَذَا مِنَ التَّغْلِيظِ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّدَابُرِ، وَالتَّقَاطُعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ الْخُصُومَةِ وَالْهَجْرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

٥. سَبَبٌ فِي دُخُولِ النَّارِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ»^(١).
 أَي: يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَقْطَعَ وَيُخَاصِمَ أَخَاهُ فِي الدِّينِ، قَاصِدًا قَطْعَ مُوَاسَلَتِهِ عَازِمًا عَلَيْهَا، وَالْهَجْرُ: تَرْكُ الشَّخْصِ مُكَالِمَةَ الْآخِرِ إِذَا تَلَاقَيَا؛ مِنْ أَجْلِ خُصُومَةٍ، وَتَرْكُ زِيَارَتِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالِ الْهَجْرِ، «فَوْقَ ثَلَاثٍ»، أَي: أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْهَجْرَةَ عَفَا الشَّرْعُ عَنْهَا إِذَا كَانَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَإِنَّمَا عَفِيَ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْآدَمِيَّ مَجْبُولٌ عَلَى الْغَضَبِ، فَسُومِحَ بِذَلِكَ الْقَدْرِ؛ لِيَرْجِعَ وَيَزُولَ ذَلِكَ الْعَارِضُ، «فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ»، أَي: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِغَيْرِ عَذْرِ شَرْعِيٍّ - مِثْلُ أَنْ يَهْجُرَهُ لِبُدْعَةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ، فَلَهُ مُجَانِبَتُهُ وَالْبُعْدُ عَنْهُ، وَرُبَّ هَجْرٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُخَالَطَةٍ مُؤْذِيَةٍ - «فَمَاتَ»، أَي: وَهُوَ مُقَاطِعٌ لِأَخِيهِ؛ «دَخَلَ النَّارَ»، أَي: كَانَ جَزَاؤُهُ النَّارَ، فَالْوَاقِعُ فِي الْإِثْمِ كَالْوَاقِعِ فِي الْعُقُوبَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ الْهَجْرِ وَالْقَطِيعَةِ.

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٤٩١٤)، وانظر صحيح الجامع رقم (٧٦٥٩)، والإرواء رقم (٢٠٢٩).



٦. ارتكاب الحرام: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»^(١). فمفهوم هذا النهي أنه حرام.

٧. عدم رفع الأعمال إلى الله: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ إِنْتِنِ أَوْ خَمِيسٍ إِلَّا يُرْفَعُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ إِلَّا أَعْمَالُ الْمُتَهَاجِرِينَ»^(٢).

٨. الرقي إلى سفك الدماء: عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السَّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ»^(٣). أَي كَارَاقَةِ دَمِهِ فِي اسْتِحْقَاقِ مَزِيدِ الْإِثْمِ لَا فِي قَدْرِهِ^(٤). أَقَامَ الْإِسْلَامُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأُخُوَّةِ وَالْمُودَّةِ، وَالْوَحْدَةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَذَمَّ التَّشَاخُنَ وَالتَّهَاجُرَ وَالتَّبَاغُضَ؛ لِأَنَّهُ يُنَافِي رُوحَ الْإِسْلَامِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ»، أَي: مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ وَقَطَعَ وَصْلَهُ لِمُدَّةِ سَنَةٍ دُونَ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ لِلْهَجْرِ، فَكَأَنَّهُ قَطَعَ عُرُوقَ أَخِيهِ وَأَسَالَ دَمَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ، وَخَيْرُهُمَا مَنْ يَبْدَأُ بِالصُّلْحِ وَالسَّلَامِ، فَمَنْ زَادَ مُدَّةَ الْهَجْرِ إِلَى سَنَةٍ فَكَأَنَّهُ قَتَلَهُ، أَوْ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَعَلَيْهِ إِثْمٌ مِثْلُ إِثْمِ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَالْقَتْلِ، وَهَذَا مِنَ التَّغْلِيظِ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ الْخُصُومَةِ وَالْهَجْرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

(١) البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٨).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٣٩٧٢) وفيه راو اسمه عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر الليثي، قال فيه ابن حجر في التقریب رقم (٣٤٤٤) ضعيف واختلط بآخره.

(٣) سنن أبي داود (٤٩١٥)، الأدب المفرد (٤٠٤)، وصححه الألباني في الترغيب (٢٧٦٢)، «الصحيحة» (٩٢٨).

(٤) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/١٧٦).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال ابن عبد البر رحمته الله: وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث؛ إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه أو يؤلّد (به) على نفسه مضرّة في دينه أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانته وبعده، ورب صرم جميل خير من مخالطة مؤذية^(١).

* وقد عدّ الهجر من الكبائر ابن عبد البر في «التمهيد»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الآداب الشرعية»، وابن حجر الهيتمي، فقال في «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: [الكبيرة السادسة والسابعة والثامنة والسبعون بعد المائتين التهاجر]، بأن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيامٍ لغير غرض شرعي، والتدابّر وهو الإعراض عن المسلم بأن يلقاه فيعرض عنه بوجهه، والتشاحن وهو تغيير القلوب المؤدّي إلى أحد ذينك^(٢).

* قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: هجر المسلم لا يجوز؛ ولا سيما إذا كان المؤمن قريباً لك أخاً، أو ابن أخ، أو عمّاً، أو ابن عم فإن الهجر في حقه يكون أشدّ إثماً، اللهم إلا إذا كان على معصية، وكان في هجره مصلحة، بحيث يقطع عن هذه المعصية فلا بأس به؛ لأنّ هذا من باب إزالة المنكر، والأصل أن هجر المؤمن لأخيه المؤمن محرّم، حتى يوجد ما يقتضي الإباحة^(٣).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٦/١٢٧).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/٦٧).

(٣) فتاوى منار الإسلام لابن عثيمين (٣/٧٣٢).



* قَالَ الْبَهَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْهَجْرُ الْمَنْهِي عَنْهُ) وَهُوَ هَجْرُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ (يَزُولُ بِالسَّلَامِ) لِأَنَّهُ سَبَبُ التَّحَابِّ لِلْخَيْرِ، فَيَقْطَعُ الْهَجْرُ^(١).

* **أحداث قصة الخصومة بين العمرين:** وهذه القصة يرويها أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَقُولُ: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مُحَاوَرَةً، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ» قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتُ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: غَامَرَ: سَبَقَ بِالْخَيْرِ^(٢).

وفي رواية عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ أَخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَاتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثُمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَاتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ

(١) كشف القناع عن متن الإقناع (٢/ ١٥٤).

(٢) البخاري (٤٦٤٠).

اللَّهُ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُؤْذِي بَعْدَهَا^(١).

شرح ألفاظ حديث الخصومة بين العمرين: هذا الحديث فيه وقوع شيء من الخلاف - كما يقع بين البشر - بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخطأ أبو بكر في حق عمر، ثم ندم أبو بكر فأراد أن يستسمح من عمر فأبى عليه، فذهب أبو بكر إلى النبي ﷺ حاسراً ثوبه عن ركبتيه، فلما رآه النبي ﷺ على هذه الحالة قال: أما صاحبكم فقد غامر، أي: دخل في غمرة الخصومة، وقيل: سبق بالخير، فسلم أبو بكر على النبي ﷺ وجلس إليه وقص عليه القصة، وقال: كان بيني وبين ابن الخطاب شيء - أي: محاورة، أو مراجعة، أو مقابلة، أو معاتبة - فأسرعتُ إليه - أي: فأغضبته - فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه مغضباً فاتبعه أبو بكر، قال أبو بكر: ثم ندمتُ على ما كان، فسألته أن يغفر لي - أي: أن يستغفر لي - فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهي فأبى عليّ، وفي رواية: فتبعته إلى البقيع حتى خرج من داره وتحرّز مني بداره، فاعتذر أبو بكر إلى عمر فلم يقبل منه فقال: النبي ﷺ: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثة - أي: أعاد هذه الكلمة ثلاث مرات - ثم إنَّ عمر ندم فذهب إلى بيت أبي بكر الصديق لكي يُصافيه ويعتذر منه فسأل عنه، فقالوا: خرج من المنزل، فذهب إلى النبي ﷺ ليجده عنده، فلما سلم عمر وجلس جعل وجه النبي ﷺ يتمعر - أي: تذهب نضارته من الغضب - وكان النبي ﷺ أبيض جميلاً كأن القمر يجري في وجهه ﷺ، فجعل وجهه يحمر من الغضب وغضب رسول الله ﷺ، وفي رواية:

(١) البخاري (٣٦٦١).



فجلس عمر فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله! ما أرى إعراضك إلا لشيءٍ بلغك عني، فما خير حياتي وأنت معرض عني؟ -أي: أي خير لي في هذه الدنيا وفي هذه الحياة إذا كنت معرضاً عني - فقال: أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه -أي: طلب أخوك أن تستغفر له فلا تفعل! - فقال: والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له، وما خلق الله من أحدٍ أحب إليّ منه بعدك، فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق كذلك.

ولما تمعر النبي ﷺ أشفق أبو بكر أن يكون من رسول الله ﷺ على عمر ما يكره، فجثا أبو بكر - أي: برك - على ركبتيه، ويقول للنبي ﷺ: والله أنا كنت أظلم، وقال ذلك؛ لأنه كان هو البادئ، فجعل أبو بكر يعتذر حتى لا يجد النبي ﷺ في نفسه على عمر، ثم إن النبي ﷺ بين فضل الصديق، وقال: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسي وماله. وواساني من المواساة، وسميت مواساة لأنَّ صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه في ماله سواء، ثم يقول النبي ﷺ: فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ (في رواية): تاركو، وجزم بعضهم بأنها خطأ، ووجه بعضهم بوجه من وجوه اللغة لما قال النبي ﷺ: فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ فما أؤذي بعدها.



٦٤. عقوبات الرياء

١. موافقة الشيطان: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا، وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾^(١). يَعْنِي: يُنْفِقُهُ مُرَاءَاةَ النَّاسِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ غَيْرِ سَبِيلِهِ، وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ^(٢).

٢. مجانبة الطريق المستقيم: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٣). يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ، مِنْ قَبِيحِ الصِّفَاتِ وَشَنَائِعِ السَّمَاتِ، وَأَنَّ طَرِيقَتَهُمْ مَخَادَعَةُ اللَّهِ تَعَالَى، أَي: بِمَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَبْطَنُوهُ مِنَ الْكُفْرَانِ، ظَنُّوا أَنَّهُ يَرُوجُ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَعْلَمُهُ وَلَا يَبْدِيهِ لِعِبَادِهِ، وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ خَادِعُهُمْ، فَمَجْرَدُ وُجُودِ هَذِهِ الْحَالِ مِنْهُمْ وَمَشِيهِمْ عَلَيْهَا، خِدَاعٌ لَأَنْفُسِهِمْ. وَأَيُّ خِدَاعٍ أَكْبَرُ مِمَّنْ يَسْعَى سَعْيًا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْهَوَانِ وَالذُّلِّ وَالْحَرَمَانِ؟، وَيَدُلُّ بِمَجْرَدِهِ عَلَى نَقْصِ عَقْلِ صَاحِبِهِ، حَيْثُ جُمِعَ بَيْنَ الْمَعْصِيَةِ، وَرَأَاهَا حَسَنَةً، وَظَنُّهَا مِنَ الْعَقْلِ وَالْمَكْرِ، فَلِلَّهِ مَا يَصْنَعُ الْجَهْلُ وَالْخِذْلَانُ بِصَاحِبِهِ^(٤).

(١) [سورة النساء: ٣٨-٣٩].

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٦/٧).

(٣) [النساء: ١٤٢-١٤٣].

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١١).



٣. **أنه سبب في دخول النار:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١). الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ هُوَ كُلُّ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الشَّرْعُ مِمَّا هُوَ ذَرِيعَةٌ إِلَى الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ، وَوَسِيلَةٌ لِلْوُقُوعِ فِيهِ، وَهُوَ غَيْرُ مُخْرِجٍ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ هَذَا الشُّرْكِ: الرِّيَاءُ. وَهُوَ مِنْ صَنِيعِ الْمُنَافِقِينَ. وَلَا يَتَعَارَضُ هَذَا مَعَ حَدِيثِ النَّسَائِيِّ - وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِينَ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) مسلم (١٩٠٥). قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار - دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً.

«أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ»؛ وذلك أَنَّهُ سَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعِبَادَاتِ وَحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى؛ الصَّلَاةِ، وَفِي حُقُوقِ الْعِبَادِ الدِّمَاءِ، وَهَكَذَا كُلُّ فِي بَابِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: ضَرُورَةُ الْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ.

٤. يُحْرَمُ مِنَ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّئَاءِ^(١) وَالرَّفْعَةِ، وَالدِّينِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمَكُّينِ فِي الْأَرْضِ... فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»^(٢). كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أُمَّتَهُ بِالْخَيْرِ؛ تَرْغِيبًا لَهُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَحَثًّا لَهُمْ عَلَى إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرْكِ الْمُرَاءَةِ بِهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ»، بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَسِّرُ لَهَا أَمْرَهَا، وَذَلَّلَ لَهَا الصَّعَابَ، وَالْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ؛ أُمَّةُ الْإِجَابَةِ، لَا أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، «وَالسَّئَاءِ وَالرَّفْعَةِ بِالْدِّينِ»، وَهُمَا عُلُوُّ الْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِدِينِهِ، «وَالتَّمَكُّينِ فِي الْبِلَادِ، وَالنَّصْرِ»، وَذَلِكَ بِالْغَلْبَةِ عَلَى النَّاسِ، وَبِفَتْحِ الْبِلَادِ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، «فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»، وَالْمُرَادُ التَّحْذِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَعَدَمِ إِخْلَاصِهَا لِوَجْهِ اللَّهِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ الْمُسْلِمُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ لِطَلَبِ الْآخِرَةِ، فَيَتَغَيَّرُ بِنِيَّتِهِ طَلَبَ الْأَجْرِ فِي الدُّنْيَا، بِأَيِّ صُورَةٍ كَانَتْ، مِثْلَ طَلَبِ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالْمَالِ بِهَذَا الْعَمَلِ، فَمَنْ عَمِلَ ذَلِكَ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى أَجْرِهِ فِي الدُّنْيَا.

(١) السَّئَاءُ: ارْتِفَاعُ الْمَنْزِلَةِ وَالْقَدْرِ.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢١٢٢٠)، صحيح الجامع رقم (٢٨٢٥)، صحيح التَّزْهِيْبِ وَالتَّزْهِيْبِ: (٢٣).



وليس له في الآخرة أجرٌ عند الله؛ كالمجاهد الذي يحارب لأخذ الغنيمه؛ فإنه يطلب طلباً خسيساً، ولكن الذي يقبل على الله ويعمل لله، حاز الفلاح في دنياه وآخرته، ويجمع هذه المعاني قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(١).

٥. الفضيحة على رؤوس الأشهاد في الآخرة: عن أبي هند الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، رَأَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمْعَ»^(٢). وعند البخاري: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يَرَانِي يَرَانِي اللَّهُ بِهِ»^(٣). وعند مسلم قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُسَمِّعُ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَانِي يُرَانِي اللَّهُ بِهِ»^(٤). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، إِلَّا سَمِعَ اللَّهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥). جعل الله سبحانه وتعالى الجزاء من جنس العمل؛ فمن أخلص في علمه ونوى به وجه الله، فله الجزاء الأوفى، ومن عمل بنية مغايرة لذلك، فإن الله سبحانه يعامله بما يناقض مقصوده، وبما يخالف نيته في هذا العمل حتى يرتدع في نفسه. وفي الحديث «مَنْ يُسَمِّعُ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ»، أي: من أعلن عيوب الناس وفضحهم ولم يستر عليهم بما أمره الله ﷻ، يفضحه الله ﷻ.

(١) [الشورى: ٢٠].

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢٣٢٢)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٢٤).

(٣) البخاري (٦٤٩٩).

(٤) مسلم (٢٩٨٧).

(٥) (طب) (٢٣٧)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٢٨)، (١٣٣٢).

ويكشف سِتْرَهُ في الدنيا ويوم القيامة أمام الخلائق، ويظهر ما كان يَخْفِيهِ عنهم، وكذلك مَنْ طَلَبَ بِعَمَلِهِ الثَّناءَ والمدحَ من الناسِ وطلبَ السُّمعةَ والشُّهرةَ بأمرٍ ما بينَ الناسِ. «وَمَنْ يُرَائِي» فيطلبُ بِعَمَلِهِ غيرَ الإخلاصِ، وليتحدثَ الناسُ به طلباً للثَّناءِ والمدحِ، والرياءُ: تَرْكُ الإخلاصِ في الأقوالِ والأعمالِ؛ بأن يقولَ قولاً أو يعملَ عملاً لا يُريدُ به وجهَ الله ﷻ، «يُرَائِي اللهُ بِهِ»، والمعنى: أن الله ﷻ يجعلُ ثوابَ المرائي وعَمَلَهُ للناسِ ولا يُجازيه عليه، فالله ﷻ لا يقبلُ عَمَلاً إلا ما كان خالصاً لوجهِ الكريمِ. وقيل: إِنَّ السُّمعةَ والرياءَ مُتشابهانِ، والفرقُ بينهما أَنَّ السُّمعةَ تَتَعَلَّقُ بِحَاسَةِ السَّمْعِ، والرياءُ يَتَعَلَّقُ بِحَاسَةِ البَصَرِ، وهذا الجزء المذكورُ هنا لِمَنْ سَمِعَ أو رَأَى مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، حيثُ يُظْهِرُ اللهُ سِرِّيَّتَهُ وفسادَ نيَّتِهِ أمامَ الناسِ في الدنيا أو في الآخرة، وربما يكونُ المرادُ أَنَّ اللهَ يُشْهِرُ عَمَلَهُ في الدنيا ويُعَرِّفُهُ للناسِ ثم يُؤَاخِذُهُ عليه في الآخرة. وفي الحديث: التحذيرُ مِنْ طَلَبِ الرِّياءِ والسُّمعةِ في الأعمالِ، وأنَّ على الإنسانِ إِخلاصَ النِّيَّةِ لله وحده.

٦. أَنَّهُ شُعْبَةٌ مِنَ الشَّرْكِ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «الشَّرْكَ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيَ فَيَزِينُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»^(١). حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنْ كُلِّ يُبْطِلُ أَجْرَ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ: طَلَبُ الرِّياءِ بِالْأَعْمَالِ. أَي: يَكُونُ عَلَيْكُمْ أَشَدُّ فِي الْفِتْنَةِ مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ الَّذِي فَتَنَتْهُ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ؟ فَقَالَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم: «بَلَى»، أَي: أَخْبَرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط (٤٢٠٤)، انظر صحيح الجامع رقم (٢٦٠٧).



«الشُّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيَ فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»، وهذا هو الرِّياءُ بالأعمالِ حتَّى يَراه النَّاسُ، وهذا يُنافي الإخلاصَ المأمورَ به، وهذا الرِّياءُ يُحِبُّطُ الْعَمَلَ، وَسُمِّيَ شُرْكَاً خَفِيّاً لِأَنَّهُ يَكُونُ غَيْرَ ظَاهِرٍ، بَلْ يَكُونُ فِي خَفَايَا النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا يُظْهِرُهُ الْعَبْدُ لِلنَّاسِ؛ بَلْ يُضْمِرُهُ فِي قَلْبِهِ وَيَفْرَحُ بِنَظَرِ النَّاسِ إِلَى عَمَلِهِ دُونَ مُرَاعَاةِ لِنَظَرِ اللَّهِ وَدُونَ قَصْدِ وَجْهِ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ. وَشَوَائِبُ الرِّياءِ الْخَفِيِّ كَثِيرَةٌ لَا تَنْحَصِرُ؛ فَمَتَى أَدْرَكَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ تَفْرِقَةً بَيْنَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَى عِبَادَتِهِ أَوْ لَا يُطْلَعَ، فَفِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ الرِّياءِ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ شَائِبَةٍ مُحْبِطَةً لِلْأَجْرِ، وَمُفْسِدَةً لِلْعَمَلِ، وَلَيْسَ كُلُّ سُرُورٍ بِرُؤْيَا النَّاسِ لِلْعَمَلِ مُحْبِطاً لِلْأَجْرِ؛ لِأَنَّ السُّرُورَ يَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ؛ فَالْمَحْمُودُ أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الْإِنْسَانِ إِخْفَاءَ الطَّاعَةِ، مَعَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَلَكِنْ لَمَّا أُطْلِعَ عَلَيْهِ الْخَلْقُ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَطْلَعَهُمْ، وَأَظْهَرَ الْجَمِيلَ مِنْ أَحْوَالِهِ، فَيَسَّرَ بِحُسْنِ صُنْعِ اللَّهِ، وَلُطْفِهِ بِهِ؛ فَيَكُونُ فَرَحُهُ بِذَلِكَ، لَا بِحَمْدِ النَّاسِ وَقِيَامِ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ فَرَحُهُ بِاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ لِقِيَامِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُمْ حَتَّى يَمْدَحُوهُ، وَيُعْظَمُوهُ فَهَذَا مَذْمُومٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»، فَأَمَّا إِذَا أَعْجَبَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ فِيهِ الْخَيْرَ وَيُكْرِمُوهُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا الرِّياءُ الْمَنْهِي عَنْهُ.

٧. براءة الله منه يوم القيامة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»^(١). فالله تعالى هو الغني عن كل شيء، لا ند له، ومُعْطِي إِلَّا هُوَ، وأنه إذا عَمِلَ الْإِنْسَانُ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ وَلِغَيْرِ اللَّهِ، تَرَكَهُ اللَّهُ فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ ثَوَابًا عَلَيْهِ، فَلَوْ صَلَّى الْإِنْسَانُ لِلَّهِ وَلِلنَّاسِ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ صَلَاتَهُ؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، فَكَيْفَ يَقَابِلُونَ نِعَمَهُ وَأَفْضَالَهُ عَلَيْهِمْ بِإِشْرَاكِ غَيْرِهِ مَعَهُ فِي التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ؟! بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ. فَأَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي لَمْ يُخْلِصْ فِيهِ صَاحِبُهُ النِّيَّةَ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَشَابَتْهُ شَائِبَةُ الشُّرْكِ؛ فِيرُدُّهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَلَا يَقْبَلُهُ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً تُخَالِطُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الرِّيَاءَ إِذَا دَخَلَ فِي الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ.

من أقوال العلماء في الباب:

* ضرب عمر رضي الله عنه رجلاً بالدرة، ثم قال له: اقْتَصِصْ مِنِّي. فقال: لا، بل أَدْعُهَا لله ولك. فقال له عمر: ما صنعتَ شيئاً، إِمَّا أَنْ تَدْعُهَا لِي فَأَعْرِفَ ذَلِكَ، أَوْ تَدْعُهَا لله وحده. فقال: ودعتها لله وحده. فقال: فَنَعَمْ إِذَا^(٢).

(١) مسلم (٢٩٨٥). (تركته وشركه) معناه أنه غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرء باطل لا ثواب فيه، ويأثم به.

(٢) الغزالي: الإحياء (٣/١٩٦).



* روى الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة رضي الله عنه، قال: أقرب الناس إلى الرباء آمنهم منه ^(١).

* عن الربيع بن صبيح قال: وعظ الحسن يومًا فانتحب عنده رجل فقال: أما والله ليسألك الله ما أردت بهذا ^(٢).

* رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا يطأ طيء رقبتة فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب ^(٣).

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم ^(٤).

* قال ابن الأعرابي رحمه الله: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من جبل الوريد ^(٥).

* يقال: إن المرائي ينأى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غادر، يا خاسر، يا فاجر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندنا ^(٦).

* قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: من خان الله عجل الله في السر هتك الله ستره في العلانية ^(٧).

(١) نزهة الفضلاء (١/ ٤٨٥).

(٢) شعب الإيمان، مكتبة الرشد (٩/ ٢٢٢).

(٣) الإحياء (٣/ ٢٩٦).

(٤) الإحياء (٣/ ٢٩٦).

(٥) شعب الإيمان، مكتبة الرشد (٩/ ٢٣٠).

(٦) الإحياء (٣/ ٢٩٦).

(٧) شعب الإيمان، مكتبة الرشد (٩/ ٢٣٠).

* قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَعْرِفُ الرَّيَاءَ إِلَّا مُخْلِصٌ، وَلَا يَعْرِفُ النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْجَهْلَ إِلَّا عَالِمٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَعْصِيَةَ إِلَّا مُطِيعٌ^(١).

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: خَوْفُوا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، وَخَوْفُوا الْمُنَافِقِينَ بِالسُّلْطَانِ، وَالْمُرَائِينَ بِالنَّاسِ^(٢).

* عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ زَيْدٍ قَالَ: إِذَا كَانَتْ سَرِيرَةُ الرَّجُلِ أَفْضَلَ مِنْ عِلَانِيَتِهِ فَذَلِكَ الْفَضْلُ، وَإِذَا كَانَتْ سَرِيرَةُ الرَّجُلِ، وَعِلَانِيَتُهُ سَوَاءً فَذَلِكَ النِّصْفُ، وَإِذَا كَانَتْ عِلَانِيَتُهُ أَفْضَلَ مِنْ سَرِيرَتِهِ فَذَلِكَ الْجَوْرُ^(٣).

* قَالَ الطَّبِيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ مِنْ أَضْرَ غَوَائِلِ النَّفْسِ، وَبَوَاطِنِ مَكَائِدِهَا، يُتَلَى بِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْعِبَادُ، وَالْمُشْمِرُونَ عَنْ سَاقِ الْجَدِّ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُمْ مَهْمَا قَهَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَفَطَمَوْهَا عَنْ الشَّهَوَاتِ، وَصَانَوْهَا عَنْ الشَّبَهَاتِ، عَجَزَتْ نَفُوسُهُمْ عَنِ الطَّمَعِ فِي الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ، الْوَاقِعَةِ عَلَى الْجَوَارِحِ، فَطَلَبَتْ الْإِسْتِرَاحَةَ إِلَى التَّظَاهَرِ بِالْخَيْرِ، وَإِظْهَارِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَوُجِدَتْ مُخْلِصًا مِنْ مَشَقَّةِ الْمَجَاهِدَةِ إِلَى لَذَّةِ الْقَبُولِ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَلَمْ تَقْنَعْ بِاطْلَاعِ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفَرَحَتْ بِحَمْدِ النَّاسِ، وَلَمْ تَقْنَعْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَأَحَبَّ مَدْحَهُمْ، وَتَبَرَّكَهُمْ بِمُشَاهَدَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَإِكْرَامِهِ وَتَقْدِيمِهِ فِي الْمَحَافِلِ، فَأَصَابَتْ النَّفْسُ فِي ذَلِكَ أَعْظَمَ اللَّذَاتِ، وَأَعْظَمَ الشَّهَوَاتِ^(٤).

(١) شعب الإيمان، مكتبة الرشد (٩/ ١٨٨).

(٢) شعب الإيمان، مكتبة الرشد (٩/ ٢٢١).

(٣) شعب الإيمان، مكتبة الرشد (٩/ ٢٢٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٦٠).



* قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا عَلِمَ الَّذِي يُفْسِدُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَزِينُ لَهُ مَا هُوَ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُهُ الشَّهْوَةُ^(١).

* كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعُمِائَةِ رَكْعَةٍ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَهْزُهَا وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ وَهَل رَضِيَتْكَ لِلَّهِ طَرْفَةٌ عَيْنٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: آفَةُ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بَاسْتِحْسَانٍ شَيْءٍ مِنْهَا، فَقَدْ أَهْلَكَهَا وَمَنْ لَمْ يَتَّهَمِ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مَغْرُورٌ.

* قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَصْلُ الرِّيَاءِ حُبُّ الْمَحْمَدَةِ^(٢).

* قَالَ سَهْلٌ قَالَ لِقَمَانٍ لِابْنِهِ: الرِّيَاءُ أَنْ تَطْلُبَ ثَوَابَ عَمَلِكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا عَمَلُ الْقَوْمِ لِلْآخِرَةِ. قِيلَ لَهُ: فَمَا دَوَاءُ الرِّيَاءِ؟ قَالَ كِتْمَانُ الْعَمَلِ، قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ يُكْتَمُ الْعَمَلُ؟ قَالَ: مَا كَلَّفَتْ إِظْهَارُهُ مِنَ الْعَمَلِ فَلَا تَدْخُلْ فِيهِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وَمَا لَمْ تُكَلِّفْ إِظْهَارُهُ أَحَبُّ أَلَّا يَطَّلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: وَكُلُّ عَمَلٍ اطَّلَعَ عَلَيْهِ الْخَلْقُ فَلَا تَعُدَّهُ مِنَ الْعَمَلِ^(٣).

* سَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ بْنِ الْمَسِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: إِنْ أَحَدُنَا يَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ يُحِبُّ أَنْ يُحَمَّدَ وَيُؤْجَرَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ تُمَقَّتْ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِذَا عَمِلْتَ لِلَّهِ عَمَلًا فَأَخْلَصْهُ^(٤).

(١) الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/٥٢٨).

(٢) الأولياء لابن أبي الدنيا (ص: ٢٥).

(٣) تفسير القرطبي (٥/١٨٢).

(٤) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٥/٤٢).

* قَالَ بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: الرِّياءُ أَنْ يَعْمَلَ لِغَيْرِ اللهِ، وَالسُّمْعَةُ أَنْ يَخْفِيَ عَمَلَهُ لِلَّهِ ثُمَّ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ ^(١).

* قَالَ أبو الحسن البوشنجي رَحِمَهُ اللهُ: النَّاسُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ: الْأَوْلِيَاءُ وَهُمْ الَّذِينَ بَاطِنُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ ظَاهِرِهِمْ، وَالْعُلَمَاءُ وَهُمْ الَّذِينَ سِرُّهُمْ وَعَلَانِيَتُهُمْ سَوَاءٌ، وَالْجَهَّالُ وَهُمْ الَّذِينَ عَلَانِيَتُهُمْ تُخَالِفُ أَسْرَارَهُمْ وَلَا يُنْصَفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَيَطْلُبُونَ الْإِنْصَافَ مِنْ غَيْرِهِمْ ^(٢).



(١) فتح الباري لابن حجر (١١/٣٣٦).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/٣٧٩).

٦٥. عقوبات ترك الصلاة

١. التلبس بشعبة من شعب الكفر: قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(١). أي فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتهم بقتالهم عن شركهم بالله، إلى الإيمان به وبرسوله وأنابوا إليه وأطاعوه، فأقاموا الصلاة أي أدوها بشروطها وأركانها، وآتوا الزكاة المفروضة؛ فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم به، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وبهذه الأخوة يزول كل ما كان بينكم من إحن وعداوات، ولا تعارف أجمل من التعارف في المساجد لإقامة الصلوات وأداء الصدقات بمواساة الغنى للفقير، وهذه المزية الدنيوية كانوا محرومين منها، إذ كان بعضهم حرباً لبعض إلا ما كان من عهد أو جوار^(٢).

وفي مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٣). حَذَرَ الرَّسُولُ ﷺ تَحْذِيرًا شَدِيدًا مِنْ تَرْكِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَتَرْكُ الصَّلَاةِ جُحُودًا لَوْجُوبِهَا كُفْرٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ تَرْكُ الصَّلَاةِ بِالْكُلِّيَّةِ تَهَاوُنًا أَوْ كَسَلًا، كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ فِي قَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَحُكِيَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ يُصَلِّيْهَا مَرَّةً وَيَتْرُكُهَا مَرَّةً؛ فَهَذَا غَيْرُ مُحَافِظٍ عَلَيْهَا، وَهُوَ تَحْتَ الْوَعِيدِ؛ وَهَذَا يَتَّفَقُ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

(١) [التوبة: ١١].

(٢) تفسير المراغي (١٠/٦٥).

(٣) مسلم (٨٢).

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾^(١)؛ فقد ذمَّ الله تعالى في الآية مَنْ أَضَاعَ الصَّلَاةَ؛ إمَّا بتركها بالكليَّة، أو ترك بعض أركانها وشروطها، أو التفريط في واجباتها، أو تأخيرها عن مَوَاقِيتِها، وغير ذلك، وأقبل على شَهَوَاتِ نَفْسِهِ، وانهَمَك في تحقيق رَغْبَاتِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ، وآثَرَهَا على طاعة الله وجَنَّتِهِ الْآخِرَوِيَّةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِلْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَنْ تَدَارَكَ أَمْرَهُ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فَأَلْزَمَهَا طَرِيقَ الْحَقِّ، فَتَابَ عَنْ إِضَاعَةِ الصَّلَوَاتِ، وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ، وَآمَنَ وَأَطَاعَ؛ فَإِنَّهُ يَنْجُو مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. وهذا كُلُّهُ يُوجِبُ الْحَذَرَ الشَّدِيدَ مِنْ تَرْكِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ أَوْ التَّهَاقُوتِ فِيهَا وَعَدَمِ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا. ثُمَّ إِنَّ الشَّرْكَ وَالْكَفْرَ قَدْ يُطْلَقَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْكَفْرُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا، فَيُخَصُّ الشَّرْكَ بِعَبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ كَكُفَّارِ قَرِيشٍ، فَيَكُونُ الْكَفْرُ أَعَمَّ مِنَ الشَّرْكِ فِي هَذِهِ الْحَالِ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ وَإِضَاعَتِهَا.

٢. تارك الصَّلَاةِ يُحْشَرُ مَعَ رُؤُوسِ الْكُفْرِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ: ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ»^(٢). تأمل ما أسوأ هذه الصَّحْبَةُ؟!!!

(١) [مريم: ٥٩، ٦٠].

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٦٥٧٦)، وحسنه الشيخ شعيب، وجوَّده الإمام المنذري في الترغيب والترهيب (١٨٢/١)، رقم (٨٢٠).



٣. **شعار أهل النار:** قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٢)، وَقَالَ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾^(٣).

٤. **سبب في استحواذ الشيطان على المسلم:** عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا فِي بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ»^(٤). أي: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْمُسْلِمِينَ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّ وُجُوبَ الْجَمَاعَةِ خَاصٌّ بِهِمْ، دُونَ النِّسَاءِ، وَتَقْيِيدُهُ بِالثَّلَاثَةِ يُفِيدُ أَنَّ الْأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنَ الْجَمَاعَةِ بِالْأَوَّلَى؛ نَظَرًا إِلَى أَنَّ أَقَلَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ يَكُونُونَ كَذَلِكَ غَالِبًا؛ وَلِأَنَّهُ أَقَلُّ صُورِ الْكَمَالِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَتْ تَحْصُلُ بَاثْنَيْنِ، وَقَوْلُهُ: «فِي قَرْيَةٍ» هِيَ الضَّيْعَةُ، وَكُلُّ مَكَانٍ اتَّصَلَتْ بِهِ الْأَبْنِيَّةُ، وَاتَّخَذَ قَرَارًا لِلْإِقَامَةِ، «وَلَا بَدْوٍ»: أَي: وَلَا فِي بَادِيَةِ الصَّحَرَاءِ، «لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ»، أَي: صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ «إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ»، أَي: اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ وَغَلَبَهُمْ، وَحَوَّلَهُمْ إِلَيْهِ، فَيَنْسَوْنَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَتْرَكُونَ الشَّرِيعَةَ، وَالْعَمَلَ بِهَا. ثُمَّ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِقَوْلِهِ: «فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ»، أَي: الزَّمُوا صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ، إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ حَتَّى لَا يَتَسَلَّطَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ.

(١) [المدثر: ٤١: ٤٣]

(٢) [القيامة: ٣١].

(٣) [مريم: ٥٩].

(٤) سنن أبي داود ت الأرناؤوط (٥٤٧). وانظر حديث رقم (٥٧٠١) في صحيح الجامع.

وفي الحديث: حثُّ المسلمين على التَّجَمُّع على الخير في الصَّلَاةِ وغيرها. وفيه: أنَّ المنفرد عن الجماعة يكون أقرب إلى تسلُّط الشَّياطين والمغوين عليه.

٥. ترك الصَّلَاة خيانة للأمانة: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢).

٦. ترك الصَّلَاة يهدم الدين: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُرْوَةٌ، فَكَلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا، وَأَوَّلَهُنَّ نَقْضُ الْحُكْمِ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»^(٣). أي: تَنَحَّلُ وَتَنَفَّكُ عَنْهُ، «عُرَى الْإِسْلَامِ»، (العُرَى) جمع عُرْوَةٍ، وهي في الأصل: ما يُعَلَّقُ بِهِ مِنْ طَرَفِ الدَّلْوِ وَنَحْوِهِ، فَعَبَّرَ بِهِ عَنْ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَأَرْكَانِهِ، «عُرْوَةُ عُرْوَةٌ»، أي: تَنَحَّلُ مُتَتَابِعَةً وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى؛ «فَكَلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ»، أي: تَمَسَّكُوا «بِالتِّي تَلِيهَا»، والمعنى: أَنَّ النَّاسَ لَا يَتْرُكُونَ الْإِسْلَامَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَذَلِكَ بَأَنْ يُهْمِلُوا بَعْضَ أَرْكَانِهِ، ثُمَّ بَعْضًا آخَرَ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ؛ «فَأَوَّلَهُنَّ نَقْضُ الْحُكْمِ»، أي: تَرَكَ الْحُكْمِ بِشَرَعِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَبْدَالَ أَحْكَامَ وَضْعِيَّةٍ مِنْ حُكْمِ الْإِنْسَانِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ، وَقِيلَ: الْمَقْصُودُ بِالْحُكْمِ هُوَ الْقَضَاءُ خَاصَّةً، «وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»، أي:

(١) [الأنفال: ٢٧].

(٢) [الأحزاب: ٧٢].

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢١٦٠)، وجود إسناده محققه الشيخ شعيب، وانظر صحيح الجامع رقم (٥٠٧٥).



آخِرُ شَيْءٍ يَتْرُكُهُ النَّاسُ مِنَ الدِّينِ هِيَ الصَّلَاةُ، حَتَّى إِنْ أَتَوْا بِهَا أَتَوْا بِهَا عَلَى صِفَةٍ لَا تُقْبَلُ. وَفِي الْحَدِيثِ: عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النَّبَوَّةِ، حَيْثُ أَخْبَرَ عَنْ أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ وَقَعَ بَعْضُهَا، وَسَيَقَعُ الْبَعْضُ الْآخَرُ كَمَا أَخْبَرَ.

٧. تَارَكَ الصَّلَاةَ لَا ذِمَّةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعَتْ وَحُرِّقَتْ، وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ»^(١). قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ: «الذِّمَّةُ» بِمَعْنَى الْعَهْدِ، وَالْأَمَانِ، وَالضَّمَانِ، وَالْحَرَمَةِ، وَالْحَقِّ. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَيُّ: إِنْ لَكُلِّ أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ عَهْدًا بِالْحِفْظِ وَالْكَلَاءَةِ، فَإِذَا أُلْقِيَ بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، أَوْ فَعَلَ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ، أَوْ خَالَفَ مَا أُمِرَ بِهِ خَذَلَتْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

٨. تَارَكَ الصَّلَاةَ يُعَذَّبُ فِي الْبَرْزَخِ: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقْصُصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصُصَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْتَلِعُ رَأْسُهُ، فَيَتَدَهَّدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ» ... قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ:

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٤٠٣٤)، وانظر صحيح الجامع (٧٣٣٩).

(٢) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (١٦٨/٢).

«قَالَ لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ...»^(١).

٩. الإِصَابَةُ بِالْخِيَّةِ: عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ ثَمَانِيَةٌ أَسْهُمٌ: الْإِسْلَامُ سَهْمٌ، وَالصَّلَاةُ سَهْمٌ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ، وَحَجُّ الْبَيْتِ سَهْمٌ، وَالصَّيَامُ سَهْمٌ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَهْمٌ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ»^(٢). أَي: ثَمَانِيَةٌ أَقْسَامٌ، أَوْ ثَمَانِيَةٌ أُمُورٌ: «وَالصَّلَاةُ سَهْمٌ» وَهُوَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، وَالْمُرَادُ بِهَا: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ الَّتِي هِيَ الْفَرَائِضُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

١٠. تَرْكُ الصَّلَاةِ مُصِيبَةٌ وَبَلَاءٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ الصَّلَاةِ صَلَاةٌ، مَنْ فَاتَتْهُ؛ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»^(٣). وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ، فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»^(٤). أَي: نَقَصَ وَسَلَبَ، فَبَقِيَ وَتَرًا بِلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ، فَلْيَكُنْ حَذَرُهُ مِنْ فَوْتِهَا؛ كَحَذَرِهِ مِنْ ذَهَابِ أَهْلِهِ وَمَالِهِ. وَالْمَوْتُورُ: هُوَ مَنْ أَخَذَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَشَدُّ لُغْمًا. وَمَنْ فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ أَشْبَهَهُ؛ لِاجْتِمَاعِ غَمِّ الْإِثْمِ، وَغَمِّ فَقْدِ الثَّوَابِ.

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِينَ لَهُ^(٥).

(١) البخاري (٧٠٤٧).

(٢) (يع) (٥٢٣)، انظر صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ: (٧٤١)، (٢٣٢٤).

(٣) البخاري (٣٦٠٢). (وتر) من وتره حقه إذا نقصه والمراد أنه خسر الخير الكثير.

(٤) مسلم (٦٢٦).

(٥) شعب الإيمان (١/١٤٧)، (٤٢).



* قال إبراهيم النخعي رحمته الله: من ترك الصلاة فقد كفر^(١).

* قال الإمام مسلم في صحيحه: باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة^(٢).

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة^(٣).

* قال المزني: قال الشافعي: يقال لمن ترك الصلاة لا يعملها: فإن صليت، وإلا استبتناك، فإن ثبت، وإلا قتلناك، كما تكفر، فنقول: إن آمنت، وإلا قتلناك^(٤).

* وقال أيوب السخيتاني رحمته الله: ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه^(٥).
يعني: لا يختلف في وصفه بأنه كفر.

* قال الإمام أحمد رحمته الله: أخشى أن لا يحل لرجل أن يقيم مع امرأة لا تصلي، ولا تغسل من جنابة، ولا تتعلم القرآن^(٦).

* قال ابن الجوزي رحمته الله: والعلماء لهم اصطلاح في تارك الصلاة الذي لا عذر له، يقولون: تارك الصلاة على صحة البدن لا تجوز شهادته، ولا يحل لمسلم أن يؤاكله، ولا يزوجه ابنته، ولا يدخل معه تحت سقف واحد^(٧).

* قال الإمام ابن حزم رحمته الله: لا ذنب عند الله تعالى بعد الشرك أعظم من

(١) الكبائر للذهبي (ص: ٢٠).

(٢) صحيح مسلم (١/٨٧)، رقم (٣٥).

(٣) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١/٤٤)، (١٠١).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/٣٣).

(٥) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (١/١٤٧).

(٦) المغني لابن قدامة (٧/٣١٩).

(٧) ابن الجوزي: بحر الديموع (ص: ١٥٢).

شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَعَمُّدُ تَرْكِ صَلَاةٍ فَرَضٍ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا، الثَّانِي: قَتْلُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ عَمْدًا بِغَيْرِ حَقٍّ^(١).

* قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: لا يختلف المسلمون أنَّ ترك الصَّلَاةِ المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأنَّ إثمَهُ عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنَّه مُتَعَرِّضٌ لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة^(٢).

* وقد يتأفف تارك الصَّلَاةِ من أن يفعل فاحشة الزنا مثلاً، أو أن يسرق، أو أن يُرابي، أو يقذف المحصنات، أو يقتل النفس، أو يسرق الأموال، أو يشرب الخمر، ولا يدري المسكين أنَّ ترك الصَّلَاةِ أخطر وأشدَّ إهلاكاً له من هذه الكبائر، فترك الصَّلَاةِ أكبر وزراً بعد الشُّرك بالله تبارك وتعالى^(٣).

* قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: فمؤخر الصَّلَاةِ عن وقتها صاحب كبيرة، وتاركها بالكلية - يعني: تارك الصَّلَاةِ الواحدة بالكلية - كمن زنى وسرق؛ لأنَّ ترك كل صلاة أو تفويتها كبيرة، فإن فعل ذلك مرَّات فهو من أهل الكبائر إلا أن يتوب، فإن لازم ترك الصَّلَاةِ فهو من الأخسرين الأشقياء المجرمين^(٤).

* وأخيراً: علماء المسلمين عام ٧٠٠ هجرياً، عندما ذكروا مسألة حكم تارك الصَّلَاةِ، قالوا: هذه مسألة افتراضية لا وجود لها في الواقع!! لم يتصوروا مُسْلِمًا لا يُصَلِّي!!

(١) ابن حزم: المحلى بالآثار (٢١٣/١٠).

(٢) ابن القيم: الصلاة وحكم تاركها - ابن حزم (ص: ٢٩).

(٣) لماذا نصلي - المقدم (٨/٣).

(٤) الذهبي: الكبائر - ت آل سلمان (ص: ١١٤).

٦٦. عُقُوبَاتُ الْمَنِّ

تعريف المَنِّ شرعاً: هو تذكير المُنعم بالمنعم عليه بإنعامه، مَن صاحب الفضل والإنعام هو الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢)، بل إن الله نهى نبيه عن المَنِّ قائلاً له: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾^(٣)، ومعنى الآية على وجه من التفسير: لَا تَسْتَغْظِمَ مَا تُعْطِيهِ^(٤). قال القرطبي رحمه الله: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لَا تُعْطِ مَالَكَ مُصَانَعَةً^(٥).

١. الْمَنُّ مُبْطِلٌ لِلْعَمَلِ: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٦). (تبطلوا) تذهبوا ثوابها. (بالمَنِّ والأذى) بأن تمنوا على من تصدقتم عليه أو تلحقوا به أذى، أي شيئاً يكرهه^(٧). قال الرازي رحمه الله: يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا: لَا تَأْتُوا بِهِ بَاطِلًا، وَذَلِكَ أَنْ يَنْوِيَ بِالصَّدَقَةِ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ، فَتَكُونُ هَذِهِ الصَّدَقَةُ حِينَ وَجَدَتْ حَصَلَتَ بَاطِلَةً، وَهَذَا التَّأْوِيلُ لَا يَضُرُّنَا الْبَتَّةَ. الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْإِبْطَالِ أَنْ يُؤْتَى بِهَا عَلَى وَجْهِ يُوجِبُ الثَّوَابَ.

(١) [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٤].

(٢) [إِبْرَاهِيمَ: ١١].

(٣) [الْمَدَّثَرِ: ٦].

(٤) التحرير والتنوير (٢٩ / ٢٩٩).

(٥) تفسير القرطبي (١٩ / ٦٧).

(٦) [البقرة: ٢٦٤].

(٧) صحيح البخاري (٢ / ١٠٨).

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أُتِيعَتْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى صَارَ عِقَابُ الْمَنْ وَالْأَذَى مُزِيلًا لِثَوَابِ تِلْكَ الصَّدَقَةِ^(١). قَالَ السَّمْعَانِي: الْمَنْ فِي الصَّدَقَةِ بِمَنْزِلَةِ الْحَدَثِ فِي الصَّلَاةِ، يُبْطِلُهَا وَيُحِبِّطُهَا^(٢).

٢. الحرمان من دخول الجنة إلا أن يتوب: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ»^(٣). أَي: الَّذِي يَمُنُّ عَلَى النَّاسِ فِي عَطَائِهِ؛ بِذِكْرِهِ لَهُمْ، وَإِظْهَارِهِ فِي النَّاسِ. وَالْمَرَادُ بَعْدَ دُخُولِ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ نَفْيُ الدُّخُولِ مُطْلَقًا لِمَنْ اسْتَحَلَّ تِلْكَ الْمَعَاصِيَ مَعَ عِلْمِهِ بِتَحْرِيمِهَا؛ لِأَنَّهُ يَكْفُرُ بِذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَسْتَحِلَّهَا وَمَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَ عَاصِيًا؛ فَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَهُمْ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهيبُ مِنَ عَاقِبَةِ الْمَنْ بِالْعَطَايَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ.

٣. المَنَّان له عدة عقوبات: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(٤). أَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ الْمَنَّانُ الَّذِي يَمُنُّ بِالْعَطَاءِ بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَهُ، وَالْمَنْ فِي الْعَطِيَّةِ هُوَ التَّفَاضُلُ وَالتَّعَالِي عَلَى الْآخِذِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُنْفِقِ الْإِمْتِنَانُ عَلَى الْمُنْفِقِ عَلَيْهِ.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤٦/٧).

(٢) تفسير السمعاني (٢٦٩/١).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٦٥٣٧)، انظر صحيح الجامع رقم (٣٠٧١).

(٤) مسلم (١٠٦). (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) معناه الإعراض عنهم. (ولا يزكيهم) لا يظهرهم من دنس ذنوبهم. (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم، قال الواحدي هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعة. (المُسْبِل) هو المُرخي إزاره الجار طرفة خيلاء.



سواءً بقلبه أو بلسانه؛ كأن يُخبره بأنه تَفَضَّلَ عليه بَمَنْحِهِ شَيْئًا، وأنه مَدِينٌ له لِقَاءَ مَعْرُوفِهِ، ولا يَقُولُ أو يَفْعَلُ أيضًا مَكْرُوهًا لِلْمُنْفِقِ عَلَيْهِ يُنَافِي ما قَدَّمَهُ له من إِحْسَانٍ، فذلك مَحْظُورٌ؛ لما فيه من تَكَبُّرِ الْمُنْفِقِ واستِعْلَائِهِ، واستِعْبَادِ الْمُنْفِقِ عَلَيْهِ، وكَسْرِ قَلْبِهِ وإِذْلَالِهِ، بل على الْمُعْطِي في سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى أن يَشْهَدَ دَائِمًا أَنَّ الْمُتَفَضَّلَ وَالْمُنْعَمَ حَقِيقَةٌ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ، وعليه أن يَتَفَكَّرَ أيضًا في أن أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بأُضْعَافٍ ما أُعْطِيَ، فأَيُّ حَقٍّ بَقِيَ له عَلَى الْإِخْذِ الْمُحْتَاجِ حَتَّى يَمْتَنَّ عَلَيْهِ، أو يُؤْذِيَهُ بِصَنَائِعِ مَعْرُوفِهِ؟! قِيلَ: إِنَّمَا جَمَعَ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ وَقَرْنَهَا؛ لِأَنَّ الْمُسْبِلَ هُوَ الْمُتَكَبِّرُ الْمُرْتَفِعُ بِنَفْسِهِ عَلَى النَّاسِ وَيَحْتَقِرُهُمْ، وَالْمَنَّانُ إِنَّمَا مَنْ بَعَطَائِهِ لِمَا رَأَى مِنْ عُلوِّهِ عَلَى الْمُعْطَى له، وَالْحَالِفُ الْبَائِعُ يُرَاعِي غِبْطَةَ نَفْسِهِ، وَهَضْمَ صَاحِبِ الْحَقِّ؛ فَتَحَصَّلَ مِنَ الْمَجْمُوعِ احْتِقَارُ الْغَيْرِ، وَإِثَارُ النَّفْسِ؛ وَلِذَلِكَ يُجَازِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِاحْتِقَارِهِ لَهُمْ، وَعَدَمِ التَّفَاتِهِ إِلَيْهِمْ. وَذِكْرُ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا يَعْنِي الْحَصْرَ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ وُجُودِ أَصْنَافٍ أُخْرَى اسْتَحَقَّتْ نَفْسَ الْعَذَابِ، كَالشَّيْخِ الزَّانِي، وَالْمَلِكِ الْكَذَّابِ، وَالْعَائِلِ الْمُسْتَكْبِرِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الْمَنِّ، وَالْحَلْفُ الْكَاذِبُ، وَالْإِسْبَالُ؛ فَقَدْ تَوَعَّدَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَشَدِّ الْعُقُوبَةِ.

٤. **يَبُوءُ بِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى:** عَنِ ابْنِ الْأَحْمَسِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلِّغْنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَحَدَّثُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَا تَخَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا سَمِعْتَهُ مِنْهُ، فَمَا الَّذِي بَلَّغَكَ عَنِّي؟ قُلْتُ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَثَلَاثَةٌ يَسْنُؤُهُمُ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: وَسَمِعْتَهُ.

قُلْتُ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ يَلْقَى الْعَدُوَّ فِي الْفِتْنَةِ فَيَنْصِبُ لَهُمْ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، أَوْ يَفْتَحَ لِأَصْحَابِهِ، وَالْقَوْمُ يُسَافِرُونَ فَيَطُولُ سَرَاهُمْ حَتَّى يُحِبُّوا أَنْ يَمْسُوا الْأَرْضَ، فَيَنْزِلُونَ فَيَتَنَحَّى أَحَدُهُمْ، فَيُصَلِّي حَتَّى يُوقِظَهُمْ لِرَحِيلِهِمْ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ يُؤْذِيهِ جَوَارُهُ، فَيَضْرِبُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ ظَعْنٌ» قُلْتُ: وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَشْنُوهُمْ اللَّهُ؟ قَالَ: «التَّاجِرُ الْحَلَّافُ، أَوْ قَالَ: الْبَائِعُ الْحَلَّافُ، وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ»^(١).

٥. المَنَّانُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ طَاعَةً: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ»^(٢). أَي: الَّذِي يَمُنُّ عَلَى النَّاسِ فِي عَطَائِهِ؛ بِذِكْرِهِ لَهُمْ، وَإِظْهَارِهِ فِي النَّاسِ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهيبُ مِنْ عَاقِبَةِ الْمَنِّ بِالْعَطَايَا، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ.

من أقوال العلماء في الباب:

* سمع ابن سيرين رجلاً يقول لرجل: وفعلت إليك وفعلت! فقال له: اسْكُتْ فَلَا خَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ، إِذَا أَحْصَيْ^(٣).

* المن: أن يذكر المحسن إحسانه لمن أحسن إليه ويظهر به تفضله عليه، والأذى: أن يتناول عليه بسبب إنعامه عليه كأن يقول له: إني قد أعطيتك فما شكرت^(٤).

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢١٣٤٠)، وانظر صحيح الجامع (٣٠٧٤).

(٢) (حسن): صحيح الجامع (٣٠٦٥)، والصحيحة (١٧٨٥).

(٣) تفسير القرطبي (٣/٣١٢).

(٤) تفسير المراغي (٣/٢٩).



* قال بعض البلغاء: مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شُكْرُهُ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ.

* وقال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: والمفضل في قوله: ﴿مَنَّا وَلَا أَدَى﴾ هو أن يقول: أعطيتك فما شكرت ^(١).

* وقال الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ: أن لا ينفق الرجل ماله خيراً؛ من أن ينفقه ثم يتبعه مناً وأذى ^(٢).

* وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: مثل الله تعالى الذي يمن ويؤذي بصدقته بالذي ينفق ماله رياء الناس لا لوجه الله تعالى، وبالكافر الذي ينفق ليُقَالَ جَوَادٌ وَلِيُثْنَى عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الثَّنَاءِ. ثُمَّ مَثَلُ هَذَا الْمُنفِقِ أَيْضاً بِصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَيَظْنُهُ الظَّانُّ أَرْضاً مُنْبَتَةً طَيِّبَةً، فَإِذَا أَصَابَهُ وَابِلٌ مِنَ الْمَطَرِ أَذْهَبَ عَنْهُ التُّرَابَ وَبَقِيَ صَلْدًا، فَكَذَلِكَ هَذَا الْمُرَائِي. فَالْمَنْ وَالْأَذَى وَالرِّيَاءُ تَكْشِفُ عَنِ النِّيَّةِ فِي الْآخِرَةِ فَتَبْطُلُ الصَّدَقَةُ كَمَا يَكْشِفُ الْوَابِلُ عَنِ الصَّفْوَانِ، وَهُوَ الْحَجَرُ الْكَبِيرُ الْأَمْلَسُ ^(٣).



(١) ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٦٥).

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٣١٢).

٦٧. عقوبات الاستدانة من الناس

١. **الدِّينُ خَوْفٌ لِلنَّفْسِ بَعْدَ أَمْنِهَا:** عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُخَيِّفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا»، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينُ»^(١).

٢. **من آفات الدِّين أَنَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْكَذْبِ:** عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْبَرَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(٢). يَلْجَأُ إِلَى الْكَذْبِ وَمُخَالَفَةِ الْوَعْدِ مُتَعَذِّرًا مَعَ مَنْ يَقَاضِيهِ فِي دَيْنِهِ. قِيلَ: وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ مِنْ بَابِ التَّوَاضُّعِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَرُبَّمَا تَقَعُ مِنْهُ تَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمُورِ قَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَصَمَ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنَ الدُّيُونِ وَهُمْومِهَا.

٣. **الدِّينُ فِيهِ حَرَمَانٌ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»^(٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(٤).

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٧٣٢٠)، السلسلة الصحيحة (٢٤٢٠).

(٢) البخاري (٢٣٩٧).

(٣) مسلم (١٨٨٦).

(٤) (ت) (١٠٧٨)، (ج) (٢٤١٣)، (حم) (٩٦٧٧)، (حب) (٣٠٦١)، وانظر صحيح الجامع



وذلك لأنَّ دَيْنَ الْآدَمِيِّ لَا بُدَّ مِنْ إِيْفَائِهِ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ؛ وَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَسَاهَلَ فِي أَمْرِ الدِّينِ، وَمَا يَكُونُ فِي مَعْنَاهُ مِنْ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: تَنْبِيهُ عَلَى جَمِيعِ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ، وَأَنَّ الْجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ لَا يَكْفُرُ حُقُوقَ الْآدَمِيِّينَ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُ حُقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى. وَفِيهِ: التَّشْدِيدُ فِي أَمْرِ الدِّيُونِ، وَأَنَّهُ يَعْلَقُ عَلَى الْمَدِينِ بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ بِأَيِّ صُورَةٍ. وَفِيهِ: حِمَايَةُ الْإِسْلَامِ لِحُقُوقِ النَّاسِ الْمَالِيَّةِ.

٤. الدِّينُ يُؤَدِّي إِلَى إِفْلَاسِ الْعَبْدِ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ، قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثُمَّ^(١) دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»^(٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٣). وَذَكَرَ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ لَيْسَ لِلْحَصْرِ، بَلْ هُوَ تَمَثِيلٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ، وَلَكِنَّهُ يَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، أَيْ: وَقَعَ مِنْهُ شَتْمٌ وَسَبٌّ لِأَحَدٍ، وَقَذَفَ هَذَا، وَهُوَ الْإِتِّهَامُ بِالزُّنَا وَنَحْوِهِ، «وَأَكَلَ مَالَ هَذَا» بِالْبَاطِلِ، «وَسَفَكَ دَمَ هَذَا» فَأَرَأَقَ دَمَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، «وَضَرَبَ هَذَا»

(٦٧٧٩)

(١) أي: ليس هناك في أرض المحشر.

(٢) (ج٢) (٢٤١٤)، (حم) (٥٣٨٥)، وانظر صحيح الجامع رقم (٦٥٤٦).

(٣) مسلم (٢٥٨١).

من غير استحقاق، أو زيادة على ما يستحقه، وذكر هذه السيئات ليس للحصر، بل هو تمثيل يشمل جميع المعاصي، والمقصود جميع حقوق العباد، والمعنى: من جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات، فيعطى هذا المظلوم بعض حسنات الظالم، ويعطى المظلوم الآخر بعض حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يؤدي ما عليه من الحقوق، أخذ الظالم من سيئات أصحاب الحقوق، فطرح على هذا الظالم ووضعته عليه، ثم ألقى ورمي في النار؛ كي يعذب بها بقدر استحقاقه إن لم يغفر له، وفيه إشعار بأنه لا عفو ولا شفاعة في حقوق العباد إلا أن يشاء الله، فيرضي المظلوم بما أراد، حتى إذا انتهت عقوبة تلك الخطايا رُدَّ إلى الجنة إن كانت هناك حسنات باقية، وإلا فبركة الإيمان وبما كتب له من الخلود. وفي الحديث: بيان معنى المفلس الحقيقي، وهو من أخذ غراموه أعماله الصالحة. وفيه: أن القصاص في الآخرة قد يأتي على جميع الحسنات، حتى لا يبقى منها شيئاً.

٥. الدين سبب في عذاب القبر: عن جابر، قال: توفي رجل فغسلناه، وحطّناؤه، وكفّناؤه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه؟ فخطأ خطي، ثم قال: «أعليه دين؟» قلنا: ديناران، فأنصرف، فتحملهما أبو قتادة، فأتيانه، فقال أبو قتادة: الديناران عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «حق الغريم، وبرئ منهما الميت؟» قال: نعم، فصلّى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: «ما فعل الديناران؟» فقال: إنّما مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد، فقال: لقد قضيتهما، فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»^(١). أي:

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٤٥٣٦)، وصححه الألباني في الإرواء: (١٤١٦)، صحيح الجامع: (٢٧٥٣).



نَجَا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانَ سَيَقَعُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ هَذَا الدِّينِ. وَفِي الْحَدِيثِ:
حَرَصُ الصَّحَابَةِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَحَمُّلُهُمْ لِأَعْبَاءِ إِخْوَانِهِمْ. وَفِيهِ: السَّعْيُ
فِي قَضَاءِ الدِّينِ وَتَحَمُّلِهِ عَنِ الْمَيِّتِ إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ يُقْضَى بِهِ عَنْهُ.

٦. الرَّسُولُ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْهُ بَلْ وَقَرَنَهُ بِالْكَفْرِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنَ الْكُفْرِ، وَالِدِّينِ» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْدِلُ الدِّينَ بِالْكَفْرِ؟، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»^(١).

٧. مَنْ لَا يَعْزِمُ عَلَى قَضَاءِ الدِّينِ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ سَارِقٌ: عَنْ صُهَيْبِ بْنِ
سِنَانٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَدِينُ دِينًا وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لَا يُؤْفِيَهُ إِلَّاهُ
لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا»^(٢).

٨. الاستدانة بلا حاجة تفتح باب فقر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(٣). وَعَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ مِنْ غَيْرِ
فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ، أَوْ عِيَالٍ لَا يُطِيقُهُمْ، فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَاقَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ»^(٤).

(١) سنن النسائي (٥٤٧٣)، تحقيق الألباني: ضعيف غاية المرام (٣٤٨)، التعليق الرغيب (٣ / ٣٢).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط (٢٤١٠)، انظر صحيح الجامع: (٢٧٢٠)، صحيح الترغيب والترهيب: (١٨٠٢)، وقال عنه في صحيح ابن ماجه رقم (٢٤٤٠)، حسن صحيح فالله أعلم.

(٣) (حم) (٩٤١١)، (ت) (٢٣٢٥)، صحيح الجامع: (٣٠٢٤)، والصحيحه: (٢٥٤٣).

(٤) (هب) (٣٥٢٦)، (٣٥٢٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٧٢).

٩. **أَتْلَفَهُ اللَّهُ ﷻ فِي الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي مَعَاشِهِ^(١):** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّ أَوَّلَهُ هُمْ وَآخِرُهُ حَرْبٌ^(٣).

* قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما لِحُمْرَانَ: يَا حُمْرَانُ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَمُتْ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ فَيُؤْخَذَ مِنْ حَسَنَاتِكَ، لَا دِينَارَ ثُمَّ وَلَا دِرْهَمَ^(٤).

* **قال علماءنا:** وإنما كان شيئاً ومذلة لما فيه من شغل القلب والبال، والهم اللازم في قضائه، والتدلل للغريم عند لقائه، وتحمل منته بالتأخير إلى حين أوانه، وربما يعد من نفسه القضاء فيخلف، أو يحدث الغريم بسببه فيكذب، أو يحلف له فيحنت، إلى غير ذلك، وأيضاً فربما قد مات ولم يقض الدين فيرتهن به.

* اشترط العلماء لجواز الدين شروطاً ثلاثة:

١. أن يكون المستدين عازماً على الوفاء.

٢. أن يعلم أو يغلب على ظنه قدرته على الوفاء.

(١) ظَاهِرُهُ أَنَّ الْإِتْلَافَ يَقَعُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ فِي مَعَاشِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ. فتح الباري (٧/ ٢٥٧).
(٢) (يريد أداؤها) قاصداً أن يردّها إلى المقرض. (أدى الله عنه) يسر له ما يؤدي منه من فضله، وأرضى غريمه في الآخرة إن لم يستطع الوفاء في الدنيا. (إتلافها) لا يقصد قضاءها. (أتلفه الله) أذهب ماله في الدنيا وعاقبه على الدين في الآخرة. صحيح البخاري (٣/ ١١٦)، رقم (٢٣٨٧).
(٣) (ط) ١٤٦٠، (ش) ٢٢٩١٥، (هق) ٢٠٢٧٧، وضعفه الألباني في الإرواء: ١٤٣٦.
(٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٥٧).



٣. أن يكون في أمرٍ مشروع.

* قال ابن عبد البر رحمته الله: والدين الذي يُحبس به صاحبه عن الجنة، -والله أعلم-، هو الذي قد ترك له وفاءً ولم يوص به، أو قدر على الأداء فلم يؤد، أو أدّاه في غير حق، أو في سرفٍ ومات ولم يؤده، وأما من أدّان في حقٍ واجبٍ لفاقةٍ وعسرةٍ، ومات ولم يترك وفاءً، فإن الله لا يحبس به عن الجنة إن شاء الله ^(١).

* ومع عظم خطر الدين فإن كثيراً من الناس اليوم يتساهلون فيه تساهلاً عظيماً، والتساهل في هذا الباب على وجوه:

١. الإكثار من الاقتراض في كل مناسبة.
٢. الاقتراض لأي أمرٍ ولو كان من الكماليات والتحسينات.
٣. التسويف والتأخير في قضاء الدين مع القدرة على السداد.
٤. إشغال الذمة بديون متجددة مع عدم سداد الديون المتأخرة عليه.
٥. اقتراض المال العظيم مع أنه يوقن على عدم قدرته على السداد في المستقبل.

٦. اقتراض المال لغرضٍ محرّم وفعل المعاصي.



(١) ابن عبد البر: التمهيد (٢٣/ ٢٣٨).

٦٨. عُقُوبَاتُ الْمَدِينِ الْمَمَاطِلِ

١. تسجيل وصف الظلم عليه: في البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ»^(١). إِذَا فَالْغَنِيِّ الْمَمَاطِلُ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْوَفَاءِ ظَالِمٌ، وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ.

٢. المماطل أكل سحت: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَأَيَّسَرَهُ، فَلَمْ يَقْضِهِ فَهُوَ كَأَكْلِ السُّحْتِ^(٢).

٣. الله تعالى يبغض الغني المماطل: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، ... وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ»^(٣).

٤. ملازمة صاحب الحق له: وهي لون من ألوان التضييق عليه حتي يصل الحق إلى أهله، قال الإمام البخاري في صحيحه: باب الملازمة في المسجد، وتارة يقول: **بَابُ فِي الْمُلَازِمَةِ**^(٤) بإطلاق، ثم ذكر حديث ابن أبي حدرد.

(١) البخاري (٢٢٨٧)، مسلم (١٥٦٤). (مطل) المطل التسويف وعدم القضاء. (الغني) المتمكن من قضاء ما عليه. (ظلم) محرم ومذموم. (أتبع) أحيل. (ملي) واجد لما يقضي به الدين.

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، ط التأصيل (٩١/٧)، (١٦١٨٢)، مسند إسحاق بن راهوية (١/٢٨١)، (٢٥٤)، وفي مصنف ابن أبي شيبة (عوامة) (٧٠٨/١١) رقم (٢٣٨٣٣) عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِلَى أَجَلٍ فَأَيَّسَرَ وَلَمْ يَقْضِهِ، فَقَدْ هَلَكَ.

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٢٥٦٨)، وقال هذا حديث صحيح، وانظر (حم) (٢١٣٥٥).

(٤) صحيح البخاري، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، (١٢٣/٣).



وعند أبي داود عن ابن عباس، أَنَّ رَجُلًا لَزِمَ غَرِيمًا ^(١) لَهُ بَعْشَرَةٌ دَنَانِيرَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ أَفَارِقُكَ حَتَّى تَقْضِيَنِي، أَوْ تَأْتِيَنِي بِحَمِيلٍ ^(٢) فَتَحْمَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَاهُ بِقَدْرٍ مَا وَعَدَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَ هَذَا الذَّهَبَ؟» قَالَ: مِنْ مَعْدِنٍ ^(٣)، قَالَ: «لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا، وَلَيْسَ فِيهَا خَيْرٌ» فَقَضَاهَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(٤). قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَمَّا رَدُّهُ الذَّهَبَ الَّذِي اسْتَخْرَجَهُ مِنَ الْمَعْدِنِ وَقَوْلُهُ (لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَيْهِ) فَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِسَبَبٍ عَلِمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ خَاصَّةٌ لَا مِنْ جِهَةٍ أَنَّ الذَّهَبَ الْمُسْتَخْرَجَ لَا يُبَاحُ تَمَوُّلُهُ وَتَمَلُّكُهُ، فَإِنَّ عَامَّةَ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنَ الْمَعَادِنِ، وَقَدْ أَقْطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمَعَادِنَ الْقَبِيلِيَّةَ وَكَانُوا يُؤَدُّونَ عَنْهَا الْحَقَّ، وَهُوَ عَمَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ إِلَى الْيَوْمِ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَصْحَابَ الْمَعَادِنِ يَبِيعُونَ تَرَابَهَا مِمَّنْ يُعَالِجُهُ فَيَحْصِلُ مَا فِيهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَهُوَ غَرَرٌ لَا يُدْرَى هَلْ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُمَا أَوْ لَا، وَقَدْ كَرِهَ بَيْعَ تَرَابِ الْمَعَادِنِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ: عَطَاءُ وَالشَّعْبِيُّ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْةَ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ الْحِمَالَةِ وَالضَّمَانِ، وَفِيهِ إِثْبَاتُ مُلَازِمَةِ الْغَرِيمِ وَمَنْعِهِ مِنَ التَّصَرُّفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ ^(٥).

(١) الغريم: الذي له الدين والذي عليه الدين، جميعاً.

(٢) أي: كفيل.

(٣) المعادن: المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك، واحداً معدن. النهاية في غريب الأثر (٣/ ٤٢٠).

(٤) سنن أبي داود (٣٣٢٨)، وصححه الألباني في الإرواء: (١٤١٣).

(٥) عون المعبود (٧/ ٣١٢).

٥. سقوط عدالته: وردَّ شهادته وهي عقوبة أدبية فتسقط بمطله وتردَّ شهادته باعتباره فاسقًا، والقول بفسقه قول الجمهور فيما حكاه الحافظ في الفتح، واختلفوا هل يثبت فسقه بمطله مرة أم لا بدَّ من التكرار؟ ويرى فريق من أهل العلم أن المطل قد يكون من الكبائر العظام.

٦. المعاقبة بالحبس: فعن الشَّريد بن سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِي الْوَاجِدِ^(١) يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ^(٢)». (٣). يُقال فلان ظلمني وأكل حقي والعقوبة هي الحبس وعليه جمع من العلماء، وحبس كثير من القضاة والسلف في قضايا مختلفة، قال وكيع: ما أدركنا أحدًا من قضاتنا ابن أبي ليلى وغيره إلا وهو يحبس في الدين، وأما عن مدة الحبس فهي موكولة إلى القاضي. وَعَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ: «حَجَرَ عَلَى مُعَاذٍ مَالَهُ وَبَاعَهُ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَيْهِ»^(٤).

(١) (اللي): هُوَ الْمَطْلُ، (وَالْوَاجِدُ) الْمُؤَسِّر. شرح النووي على مسلم (٥/٤١٣).
(٢) يُحِلُّ عِرْضَهُ بِأَنْ يَقُولَ: ظَلَمَنِي وَمَطَّلَنِي، وَعُقُوبَتُهُ الْحَبْسُ وَالتَّعْزِيزُ. شرح النووي على مسلم (٥/٤١٣).

(٣) (س) ٤٦٨٩، (د) ٣٦٢٨، (ج) ٢٤٢٧، (حم) ١٧٩٧٥، (حب) ٥٠٨٩، انظر صحيح الجامع: ٥٤٨٧، صحيح الترغيب والترهيب: ١٨١٥.

(٤) أخرجه الطبراني والدارقطني وغيرهما، يُنظر: المعجم الأوسط للطبراني (٥٩٣٩)، سنن الدارقطني (٤٥٥١)، المستدرک على الصحيحين للحاكم (٢٣٤٨)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، السنن الصغير للبيهقي (٢٠٥١)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٦/٦٤٥)، وأثبت الحديث بعض العلماء وذكروا أنَّ له أصلاً وشاهداً عند مسلم وغيره من حديث أبي سعيد. يُنظر: التلخيص الحبير (٣/٩٨-٩٩)، نيل الأوطار (٥/٢٩٢)، وضعف الحديث الألباني في إرواء الغليل (٥/٢٦٠).



وجه الدلالة: الحديث دليل على أنه يجوز للحاكم الحجر على المدين من تصرفه في ماله، وأن الحاكم يبيعه عنه لقضاء غرمائه، وهذا الحكم في كل مديون من غير تفريق بين من كان ماله مستغرفاً بالدين ومن لم يكن ماله كذلك^(١).

٧. المعاقبة بالضرب: قال شيخ الإسلام رحمته الله: **وَاللَّيُّ: هُوَ الْمَطْلُ وَالْوَجْدُ: هُوَ الْقَادِرُ. فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مَطْلَ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَأَنَّ ذَلِكَ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ فَثَبَّتَ أَنَّ عُقُوبَةَ الْمُمَاطِلِ مُبَاحَةٌ^(٢).** إلى أن قال: **وَقَدْ ذَكَرُوا بِأَنَّ الْمُمْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الْوَاجِبِ مِنَ الدِّينِ وَغَيْرِهِ إِذَا أَصَرَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ فَإِنَّهُ يُعَاقَبُ وَيُضْرَبُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يُؤَدِّيَهُ وَلَا يُقْتَصَرُ عَلَى ضَرْبِهِ مَرَّةً؛ بَلْ يُفَرَّقُ عَلَيْهِ الضَّرْبُ فِي أَيَّامٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى يُؤَدِّيَ.** وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ التَّعْزِيرَ مَشْرُوعٌ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا وَلَا كَفَّارَةَ وَالْمَعَاصِي فَرَعَانِ: تَرَكَ وَاجِبٌ وَفِعْلٌ مُحَرَّمٌ. فَمَنْ تَرَكَ أَدَاءَ الْوَاجِبِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَهُوَ عَاصٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ^(٣).

٨. إجباره على بيع ماله: وهذا أيضاً مردّه إلى القضاء، قال ابن تيمية: **لِلْحَاكِمِ أَنْ يُعْزِرَهُ عَلَى امْتِنَاعِهِ عُقُوبَةً لِمَا مَضَى، وَلَهُ أَيْضًا أَنْ يُعَاقِبَهُ حَتَّى يَتَوَلَّى الْوَفَاءَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَتَوَلَّى هُوَ بَيْعَ مَالِهِ وَوَفَاءَ الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا لِلْحَاكِمِ؛ لَكِنْ مَتَى رَأَى أَنْ يُلْزِمَهُ هُوَ بِالْبَيْعِ وَالْوَفَاءِ زَجْرًا لَهُ وَلَا مَثَالَهُ عَنِ الْمَطْلِ أَوْ لِكَوْنِ الْحَاكِمِ مَشْغُولًا عَنْ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ أَوْ لِمُفْسَدَةِ تَخَافُ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ بِالضَّرْبِ حَتَّى يَتَوَلَّى ذَلِكَ^(٤).**

(١) يُنظر: الصنعاني: سبل السلام (٢/ ٧٩)، الشوكاني: نيل الأوطار (٥/ ٢٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٢٣: ٢٤).

٩. **تغريمه نفقات الشكاية:** تكون نفقات الدعوى على المماطل، وهذا رأي جمهور الفقهاء، فهو الصحيح عند الحنفية، وهو مذهب الشافعية والحنابلة^(١). فعند فقهاء الحنفية: أجره العون الذي يبعثه القاضي مع المدعي إلى خصمه، قال بعضهم على المتمرد^(٢). وعند الشافعية: وأجره السجن على المسجون؛ لأنها أجره المكان الذي شغله، وأجره السجن على صاحب الحق إذا لم يتهياً ذلك، أي أجره السجن، والسجان من بيت المال^(٣). وعند الحنابلة: (وما غرم رب دين بسببه)؛ أي: بسبب مظل مدين أحوج رب الدين إلى شكواه؛ (فعلى مماتل)^(٤). **الرأي الراجح:** هو رأي جمهور الفقهاء الذين قالوا: بأن نفقات الدعوى تكون على المماطل، عقوبة له، لتسببه فيها بغير حق، قال في المبدع: إذا مطله بحقه أحوجه إلى الشكاية، فما غرمه بسبب ذلك فعلى المماطل^(٥)، قال الزحيلي: لا مانع من الحكم على المدين المماطل بتحملة مصاريف الدعوى القضائية وغيرها من المصروفات التي غرمها الدائن لتحصيل أصل دينه^(٦).

(١) يُنظر: الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (١/ ٢٦١)، حاشية ابن عابدين (٦/ ٤٥)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (١٠/ ١٣٤)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٣/ ٣٦٩).

(٢) الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (١/ ٢٦١).

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (١٠/ ١٣٤).

(٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٣/ ٣٦٩)، وينظر المبدع (٤/ ٢٨٤).

(٥) المبدع لابن مفلح (٤/ ٢٨٤).

(٦) المعاملات المالية المعاصرة، د: وهبة الزحيلي (ص ١٨٠).



١٠. **منعه من السفر:** قال إمام الحرمين رحمته الله: من عليه دين حال، ولم يثبت إعساره، إذا همَّ بالسفر، استمكن مستحق الدين من منعه من المسافرة^(١). قال البهوتي رحمته الله: وإن أراد سفرًا طويلًا والدين المؤجل يحل قبل فراغ السفر أو بعده، وليس بالدين رهن يفي به، ولا كفيل مليء، فلغريم المدين منعه من السفر؛ لأنَّ عليه ضررًا في تأخير حقه عن محله، وقدومه عند المحل غير متيقن ولا ظاهر فملك منعه^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* اتفق الفقهاء على أن مَطْلَ الغني ظلم، بل عده بعضهم كبيرة من الكبائر^(٣).

* قال ابن عبد البر رحمته الله: إِنَّمَا يَكُونُ الْمَطْلُ مِنَ الْغَنِيِّ إِذَا كَانَ صَاحِبُ الدَّيْنِ طَالِبًا لِدَيْنِهِ رَاغِبًا فِي أَخْذِهِ، فَإِذَا كَانَ الْغَرِيمُ مَلِيًّا غَنِيًّا وَمَطْلُهُ وَسَوْفَ بِهِ؛ فَهُوَ ظَالِمٌ لَهُ، وَالظُّلْمُ مُحَرَّمٌ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، وَقَدْ آتَى الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي الظَّالِمِينَ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ فَقَّهَهُ عَنْ قَلِيلِ الظُّلْمِ وَكَثِيرِهِ مُنْتَهِيًا^(٤).

* وجاء في تبیین الحقائق: وَلَوْ مَالُهُ وَدَيْنُهُ دَرَاهِمَ قَضَى بِلَا أَمْرِهِ، وَكَذَا إِذَا كَانَ كِلَاهُمَا دَنَانِيرَ؛ لِأَنَّ لِلدَّائِنِ أَنْ يَأْخُذَهُ بِيَدِهِ إِذَا ظَفَرَ بِجَنْسِ حَقِّهِ بغيرِ رِضَا الْمَدِينِ فَكَانَ لِلْقَاضِي أَنْ يُعِينَهُ، قَالَ رحمته الله: وَلَوْ دَيْنُهُ دَرَاهِمٌ وَلَهُ دَنَانِيرٌ أَوْ بِالْعَكْسِ بِيَعٍ فِي دَيْنِهِ، وَهَذَا بِالْإِجْمَاعِ^(٥).

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب (٦/ ٤٢٨).

(٢) بتصرف من كشف القناع عن متن الإقناع (٣/ ٤١٨).

(٣) نقل هذا الاتفاق في المجموع شرح المذهب (١٣/ ٤٢٥).

(٤) ابن عبد البر: الاستذكار (٦/ ٤٩٢).

(٥) تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (٥/ ١٩٩).

* قال الموصلي رحمه الله: فَإِذَا امْتَنَعَ الْمَطْلُوبُ عَنِ الْأَدَاءِ فَعَلَى الْقَاضِي جَبْرُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يُجْبَرُ بِالضَّرْبِ إِجْمَاعًا فَتَعَيَّنَ الْحَبْسُ ^(١).

* قَالَ الشَّافِعِيُّ فِيْمَا نَقَلَهُ الْمَزْنِي: وَإِذَا ثَبَتَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ يَبِيعَ مَا ظَهَرَ لَهُ وَدَفَعَ، وَلَمْ يُحْبَسْ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ حُبْسٌ وَبِيعَ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ^(٢).

* قال الجويني رحمه الله: إِذَا ثَبَتَ الْحَقُّ، وَتَعَذَّرَ اسْتِيفَاؤُهُ بِسَبَبٍ امْتِنَاعٍ مِنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ مِنْ تَأْدِيتِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ، ثُمَّ الْقَاضِي إِنْ وَجَدَ لَهُ مَالًا، وَقَدْ تَحَقَّقَ امْتِنَاعُهُ؛ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ بَيْعَهُ وَصَرْفَهُ إِلَى دِينِهِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى ضَرْبِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ، بَلْ يَتَدَرَّ الْبَيْعُ؛ فَإِنَّ مَنْصِبَ الْوَلَايَةِ يَقْتَضِي طَلَبَ أَدَاءِ الْحَقُوقِ، وَإِيفَاءَهَا عَلَى مُسْتَحَقِّهَا، عَلَى مَا يَسَاعِدُ الْإِمْكَانَ ^(٣).

* **وختلصة الأمر:** الدَّيْنُ هُوَ الْمَالُ الثَّابِتُ فِي الذِّمَّةِ بِأَيِّ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ ثُبُوتِ الدَّيْنِ، وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمَنِ أَلَّا يَسْتَغْرِقَ فِي كَثْرَةِ الدَّيُونِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاءُ الدَّيْنِ الثَّابِتِ فِي الذِّمَّةِ، بَلْ وَلَوْ لَمْ يَثْبُتْ وَعِلْمُ الْمَدِينِ بِوُجُودِهِ دِيَانَةً؛ لَخَطُورَةُ الدَّيْنِ، وَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ تيسر قَضَاءُ الدَّيُونِ، وَتَسْهَلُ أَدَاءُهَا، بِخِلَافِ النِّيَّةِ السَّيِّئَةِ.

* **المماطلة:** تَأْخِيرُ الدَّفْعِ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِ الْحَقِّ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الدَّفْعِ، وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ مَطْلَ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَحَرَامٌ، بَلْ عَدَّهُ بَعْضُهُمْ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَمَطْلُ غَيْرِ الْغَنِيِّ لَيْسَ بِظُلْمٍ وَلَا حَرَامٌ.

* إِذَا كَانَ لِلْمَدِينِ مَالٌ ظَاهِرٌ يَبِيعُ عَلَيْهِ لِسَدَادِ دِيُونِهِ وَلَوْ جَبْرًا عَنْهُ مِرَاعَاةَ لِحَقِّ الدَّائِنِ.

(١) الاختيار لتعليل المختار (٢/٨٩).

(٢) مختصر المزني (٨/٢٠٣).

(٣) نهاية المطلب في دراية المذهب (٦/٤١٨).



* إذا لم يكن للمدين مال ظاهر^١ يباع عليه لسداد ديونه حبس عقوبة له حتى يظهر ماله، أو يتوصل إليه ولو بالضرب.

* **الراجع:** جواز الحجر على المماطل مراعاة لحق الدائنين؛ لأن الغرض منه الحمل على وفاء الدين.

* من حق الدائن منع المدين من السفر إذا كان الدين سيحل وهو على سفره، وكان موسراً قبل السفر ولم يوكل من يقضه ولم يتكفل بقضائه أحد عنه، منعاً لإضرار الدائن بسفر المدين.

* للدائن ملازمة المماطل، والتشهير به، وتغريمه تكاليف الدعاوى القضائية.

* **الراجع:** جواز فسخ المعاملة للدائن بسبب المماطلة ولا سيما عند تغير الأسعار دفعاً للضرر، ومعاقبة على المماطلة المحرمة، وإن نص بعض الفقهاء على جواز ذلك خصوصاً في زمنهم، فكيف بزمنا فهو أولى؛ حيث فسدت الكثير من الذمم وقلّ الوازع الديني في نفوس كثيرين، وتعمّرت الدعاوى القضائية.

* لا يجوز التعويض عن ضرر المماطلة في سداد الديون، سداً لذريعة الوقوع في الربا المحرم، ومع ذلك فلا مانع شرعاً في تطبيق مقترح بعض الفقهاء المعاصرين المتضمن فرض عقوبة مالية على المدين المماطل تصرف في وجوه الخير^(١).

(١) للفائدة يمكن مراجعة بحث قيم بعنوان: عقوبة المماطل في قضاء الدين - دراسة فقهية من خلال استقراء نصوص الفقهاء، د. ضيف الله بن عامر بن سعيد الشهري، أستاذ الفقه المشارك بجامعة الملك عبد العزيز، والمستشار بوزارة التعليم العالي سابقاً، جدة، السعودية.

٦٩. عقوبات أكل الحرام

١. أنه من علامات الساعة الصغرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ»^(١). ما سبق فيه معجزة لرسول الله ﷺ. فقد حث الإسلام على تحري طلب الحلال من الرزق في كل مكاسب الحياة، وبين ما يكون عليه من الأجر والثواب، كما حذر من أخذ الحرام بكل صورته وفي كافة مناحي الحياة. وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ أن الناس سوف تتغير بهم الأحوال، وتبدل بهم الأزمان، ويأتي عليهم زمان يضعف فيه الدين، وتفسد الضمائر والذمم، ويتكالب الناس فيه على جمع المال، ولا يبالي المرء من أين أصاب المال؛ من حلال أو حرام، فلا تهمه الوسيلة التي اكتسب بها المال، والطريق الذي أخذه منه، سواء كان من كسب حلال، كالبيع المبرور، وعمل اليد، أم من الحرام، كالاختلاس والربا، والقمار والرشوة، وغيرها، فهذهم وغايتهم جمع الأموال والتكسب دون تحري الحلال والحرام. وفي الحديث: التحذير الشديد من اكتساب المال من الطرق غير المشروعة. وفيه: إخبار النبي ﷺ عما يكون عليه الناس في آخر الزمان، وهو من باب الذم والتحذير، وهو من معجزاته ﷺ.

٢. دعاؤه لا يستجاب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾»^(٢).

(١) البخاري (٢٠٥٩).

(٢) [المؤمنون: ٥١].



وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(١)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟^(٢).
وروي: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا سَعْدُ أَطْبَاطُ مَطْعَمِكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»^(٣).

٣. سبب في دخول النار: عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).
جعل الله سبحانه المال قياماً للناس تقوُّم به مصالح دينهم ودنياهم، وبين أن كسبه وإنفاقه ينبغي أن يكون من الحلال وإلى الحلال المشروع. وفي هذا الحديث حذر النبي ﷺ بعض الرجال من العَمَالِ وغيرهم، أن يتصرفوا في مال الله بغير حقٍّ، وهذا معنى عام في كل ما يخص المال من حيث جمعه وكسبه من غير حِلِّه، وإنفاقه في غير مواضعه الصحيحة، وإضافة المال إلى الله تعالى يقصد بها أموال الغنائم ويوت أموال المسلمين العامة التي جعلها الله لمصالحهم، فيأخذها العمال والحكام بغير حقٍّ وبالباطل، فيأخذون منها أكثر مما يستحقون على أعمالهم.

(١) [البقرة: ١٧٢].

(٢) مسلم (١٠١٥).

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٩١ / ١٠) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم. وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٣١٠ / ٦)، رقم (٦٤٩٥).

(٤) البخاري (٣١١٨). (يتخوضون) من الخوض وهو المشي في الماء وتحريكه، والمراد هنا التخليط في المال وتحصيله من غير وجهه كيفما أمكن.

أَوْ يُعْطُونَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ بِحَقٍّ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، فَيَرُدُّوا الْمِظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا، وَقَوْلُهُ: «فَلَهُمْ» يَدُلُّ عَلَى سُرْعَةِ الْعَذَابِ وَقُرْبِهِ الشَّدِيدِ مِمَّنْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ الْأَمْوَالَ الْعَامَّةَ لَيْسَتْ مَرْتَعًا لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ سَيَحَاسِبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَفِيهِ: رَدْعٌ لِلْوَلَاةِ وَالْأَمْراءِ إِلَّا يَأْخُذُوا مِنْ مَالِ اللَّهِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَلَا يَمْنَعُوهُ مِنْ أَهْلِهِ.

٤. لَا تُقْبَلُ لَهُ صَدَقَةٌ: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ: أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»^(١). «وَلَا» يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى «صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ»، وَهُوَ مَا سُرِقَ وَأُخِذَ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَّمُ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْآخِذَ يَغْلُ الْمَالَ فِي مَتَاعِهِ، أَيْ: يُخْفِيهِ فِيهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْخِيَانَةِ مُطْلَقًا، وَالْمُرَادُ مِنْهُ هُنَا مُطْلَقُ الْمَالِ الْحَرَامِ، أُخِذَ خُفِيَةً أَوْ جَهْرَةً، وَيَشْمَلُ النَّهْيُ كُلَّ الْمَالِ الْعَامِّ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ فَضْلِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْمَالِ الطَّيِّبِ. وَفِيهِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ تَنَاوُلَ الْحَرَامِ مِمَّا يَمْنَعُ قَبُولَ الدُّعَاءِ.

٥. الْفُضِيحَةُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فِي الْآخِرَةِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثَغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ:

(١) مسلم (٢٢٤). (غلول) الغلول الخيانة وأصله السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة.



لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ» وَقَالَ أَيُّوبُ: عَنْ أَبِي حَيَّانَ: فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ^(١).

٦. **أَكَلَ الْحَرَامَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْعُرُ**: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْتَتِهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّخَصَاءُ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْعُرُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

(١) البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١). (فذكر الغلول) تعرض لذكره وبيان حكمه. (عظم أمره) شدد في الإنكار على فاعله. (لا ألفين) لا أجدن. (ثغاء) صوت الغنم. (حمحمة) صوت الفرس إذا طلب العلف. (لا أملك لك شيئاً) من المغفرة، لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى. (رغاء) صوت البعير. (صامت) الذهب والفضة ونحوهما. (رقاع) جمع رقعة وهي الخرقعة. (تخفق) تتحرك.

(٢) البخاري (١٤٦٥)، مسلم (١٠٥٢). (ينزل عليه) الوحي. (الرخضاء) العرق الكثير. (حمده) أثنى عليه. (الربيع) النهر الصغير. (يلم) يقرب من القتل. (أكلة الخضرَاء) التي تأكل الخضر

بَيْنَ ﷺ أَنَّ هَذَا الْمَالَ مَحْبُوبٌ مَرْغُوبٌ تَرَعَّبَهُ النَّفْسُ، وَتَحَرَّصَ عَلَيْهِ بِطَبِيعَتِهَا، كَمَا تُحِبُّ الْفَاكِهَةَ أَوْ النَّبَاتَاتِ الْخَضِرَاءَ النَّضِرَةَ، الشَّهِيَّةَ الْمَنْظَرِ، الْحُلُوهَ الْمَذَاقِ، وَمَنْ أُعْطِيَ فَأَخْرَجَ مِنْهُ زَكَاةَ مَالِهِ عَلَى الْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَابْنِ السَّبِيلِ، فَهُوَ نِعَمُ الصَّاحِبِ الَّذِي يَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا مَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِعُ مِنْهُ الْبَرَكَهَ، وَيَسْلُبُ صَاحِبَهُ الْقَنَاعَةَ، فَيُصْبِحُ فَقِيرَ النَّفْسِ دَائِمًا، وَلَوْ أُعْطِيَ كُنُوزَ الْأَرْضِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ؛ فَهُوَ كَالْمَلْهُوفِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ مَهْمَا أَكَلَ مِنْهُ، وَيَأْتِي شَاهِدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحِرْصِهِ، وَإِسْرَافِهِ، وَإِنْفَاقِهِ فِيمَا لَا يُرِضِي اللَّهَ ﷻ. وَفِي الْحَدِيثِ: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ لِتَقْرِيبِ الْمَعَانِي إِلَى الْأَفْهَامِ. وَفِيهِ: أَنَّ الْمَكْتَسِبَ لِلْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ غَيْرُ مُبَارَكٍ لَهُ فِيهِ. وَفِيهِ: أَنَّ لِلْعَالِمِ أَنْ يُحَذَّرَ مَنْ يُجَالِسُهُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَغَيْرِهِ، وَتَنْبِيهِهِمْ عَلَى مَوَاضِعِ الْخَوْفِ مِنَ الْإِفْتِتَانِ بِهِ. وَفِيهِ: الْحُضُّ عَلَى الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَالِ، وَالْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَتَرْكِ الْإِمْسَاكِ. وَفِيهِ: بَيَانُ أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ مِنَ الْوَحْيِ غَيْرُ الْمَتْلُوِّ.

٧. **الذي يجمع المال الحرام ثم يموت ويتركه وزره عليه:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَدَيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ فِيهِ، وَمَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ»^(١). وَثَبَتَ فِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ

وتقتصد في الأكل. (فثلطت) ألفت روثها رقيقًا مائعًا. (رتعت) توسعت في المرعى. (خضرة حلوة) مثل الفاكهة الخضرة الحلوة من حيث جمال المظهر وطيب المذاق المرغبان فيها فكذلك المال مرغوب فيه.

(١) صحيح ابن حبان (٣٢١٦). انظر صحيح الترغيب والترهيب: (٧٥٢)، (٨٨٠)، (١٧١٩).



وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ،
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ
جَارُهُ بِوَأَثْقُهُ، قَالُوا: وَمَا بِوَأَثْقُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ
مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيَبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقَ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ
ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ
يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ»^(١).

٨. إعراض الله تعالى عنه يوم القيامة: عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:
جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لِأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ
أَرْضِي فِي يَدَيَّ أَرْعَهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَيْكَ
بَيِّنَةٌ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَيْكَ يَمِينُهُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي
عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ»،
فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَذْبَرَ: «أَمَّا لئن حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لَيَأْكُلَهُ
ظُلْمًا، لَيُلْقِيَنَّ اللَّهُ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ»^(٢). أَي: لئن حَلَفَ الْكِنْدِيُّ عَلَى مَالِ
الْحَضْرَمِيِّ؛ «لَيَأْكُلَهُ ظُلْمًا» وَيَأْخُذْهُ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالُ أَخِيهِ وَلَيْسَ
مَالُ نَفْسِهِ، «لَيُلْقِيَنَّ اللَّهُ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ»، أَي: فَسَوْفَ يُقَابِلُ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، أَوْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَيُعْرِضُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَيَسْخَطُ عَلَيْهِ، وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «لَقِيَ اللَّهُ وَهُوَ
عَلَيْهِ غَضَبَانٌ».

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦٧٢)، وقال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف وأشار إلى أنه صحَّح من

قول ابن مسعود.

(٢) مسلم (١٣٩).

وهذا ترهيبٌ شديدٌ منه ﷺ؛ حتى لا يتجرأ أحدٌ على اغتصابِ حقوقِ الناسِ، ثم يُقاتِلَ عليها، ثم يطلب الحلفَ واليمينَ أنها له، ويستحلها بذلك؛ فإنه بذلك يكونُ قد أوقعَ نفسه في الحرامِ المؤدِّي إلى الطردِ من رحمةِ الله، وقد جاء في حديثِ الأشعثِ بنِ قيسٍ رضي الله عنه عند أبي داودَ أن الرجلَ الكنديَّ لما تهيأَ لليمينِ، وحذَّره النبي ﷺ بالوعيدِ المذكورِ، رجعَ وقال: «هي أرضه»، وإنما كبرت هذه المعصية؛ لأن هذه اليمينَ تكونُ غموساً، وهي من الكبائرِ التي شددَ فيها الشرعُ، لأن الأحكامَ تقومُ على الظاهرِ من البيِّناتِ والأيمانِ وإن كانَ المحكومُ له في نفس الأمرِ مُبطلاً. وفي الحديثِ: تحذيرٌ شديدٌ من الحلفِ بالله كذباً، خاصةً إذا كان الحلفُ على حقٍّ ليس له وقد اقتطعه من غيره. وفيه: أن القضاءَ يكونُ بما ظهرَ من الأدلةِ والبيِّناتِ، وليس بالادِّعاء. وفيه: وعظُ الحاكمِ الحالفِ، عساه أن يكونَ يحلفُ باطلاً، فيردَّه وعظه إلى الحقِّ. وفيه: دليلٌ على أن الخصمَ الصَّالحَ والطَّالِحَ في سيرةِ الحكمِ سواءٌ بمطالبةِ الطَّالِبِ بالبيِّنة، والمطلوبِ باليمينِ.

٩. المنع من دخول الجنة إلا أن يتوب: عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبْرِ، وَالْغُلُولِ، وَالَّذِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

١٠. الحصول على قطعة من النار: عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ

قال: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»^(٢). القاضي يحكمُ ويقضي بين الخصومِ بما يسمعُ منهم من إقرارٍ وإنكارٍ أو بيِّناتٍ، وعلى حسب ما يظهرُ له من الأدلة.

(١) سنن الترمذي ت شاكر (١٥٧٢)، انظر الصَّحِيحَة: (٢٧٨٥).

(٢) البخاري (٢٦٨٠). (ألحن بحجته) أفطن وأفصح ببيان حجته وإظهار أن الحق له.



وفي هذا الحديث قال ﷺ محدّراً لكلٍّ واحدٍ منهما من المخاصمة في الباطل: «**إنما أنا بشرٌ**»، أي: أنه لا يعلم الغيب وبواطن الأمور إلا ما أطلعه الله تعالى عليه، فيجري عليه أحكام البشر من الخطأ والسهو والنسيان بطبيعته البشرية، ومن ذلك أنه قد يأتيه المتخاصمون المدعي والمدعى عليه؛ ليحكم بينهم، فربما كان أحد المتخاصمين عند القاضي أحسن إيراداً للكلام، وأقدر على الحجة والبيّنة، وأدفع لدعوى خصمه، فأظن لفصاحته ببيان حجته أنه صادق، فأقضي له بما زعمه من الحجج، «**فمن قضيت له بحق**» الذي هو في الحقيقة حق أخيه المسلم، وسلمته له، فلا يستحله؛ فإنه إذا أخذ ذلك الحق وهو يعلم أنه باطل وظلم لغيره، فإنه يأخذ شيئاً يؤدي به إلى النار في الآخرة، فليتجرأ عليها وليأخذها، أو ليركها لصاحبها؛ خشية الله عز وجل وخوفاً من وعيد النار في الآخرة. وفي الحديث: أن البشر لا يعلمون ما غيب عنهم. وفيه: أن التحريّ جائز في أداء المظالم. وفيه: أن الحاكم له الاجتهاد فيما لم يكن فيه نص. وفيه: التحذير الشديد عن الدعوى الباطلة التي يراؤ منها أكل أموال الناس بالباطل؛ لما تؤدي إليه من النار، وبئس القرار! وفيه: أن إثم الخطأ موضوع عن القاضي، إذا كان قد وضع الاجتهاد موضعه.

من أقوال العلماء في الباب:

* قيل لسعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه: تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها، ومن أين خرجت^(١).

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرئوط (١/ ٢٧٥).

* وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهَ دَعْوَتَهُ، فَلْيُطَبِّطَعْمَتَهُ ^(١).

* وَعَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ^(٢).

* وَعَنْ يُونُسَ بْنِ أَصْبَاطٍ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ دُعَاءَ الْعَبْدِ يُحْبَسُ عَنِ السَّمَاوَاتِ بِسُوءِ الْمَطْعَمِ ^(٣).

* قَالَ سَهْلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ عَصَتْ جَوَارِحُهُ شَاءَ أَمْ أَبِي عِلْمٍ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَمَنْ كَانَتْ طَعْمَتُهُ حَلَالًا أَطَاعَتْهُ جَوَارِحُهُ وَوَفَّقَتْ لِلْخَيْرَاتِ ^(٤).

* خَرَجَ الْأَمِيرُ شُرَوَانَ لِلصَّيْدِ، فَأَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، فَرَأَى فِي الْبَرِيَّةِ بَسْتَانًا وَعِنْدَهُ صَبِيٌّ، فَطَلَبَ مِنْهُ مَاءً؟ فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ. قَالَ: ادْفَعْ لِي رِمَانَةً، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَحْسَنَهَا، فَتَوَى أَخَذَ الْبَسْتَانَ، ثُمَّ قَالَ: ادْفَعْ لِي أُخْرَى، فَدَفَعَ لَهُ أُخْرَى، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً، فَقَالَ: أَمَا هِيَ مِنَ الشَّجَرَةِ الْأُولَى؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ تَغَيَّرَ طَعْمُهَا؟ قَالَ: لَعَلَّ نِيَةَ الْأَمِيرِ تَغَيَّرَتْ؟ فَارْجِعْ عَنِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: ادْفَعْ لِي أُخْرَى، فَدَفَعَ لَهُ أُخْرَى، فَوَجَدَهَا أَحْسَنَ مِنَ الْأُولَى، فَقَالَ: كَيْفَ صِلَحَتْ؟ قَالَ: بِصَلَاحِ نِيَةِ الْأَمِيرِ ^(٥).

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرناؤوط (١/ ٢٧٥).

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرناؤوط (١/ ٢٧٥).

(٣) جامع العلوم والحكم ت الأرناؤوط (١/ ٢٧٥).

(٤) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٤٠٥).

(٥) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للصفوري (ص: ٧).



* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يَتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتْ لَحْمُهُ مِنْ السُّحْتِ وَالرَّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ^(١).

* وروى حديث ابن عمر يرفعه: من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام، لم تقبل له صلاة ما دام عليه^(٢).

* رُوِيَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ الشَّابَّ إِذَا تَعَبَّدَ قَالَ الشَّيْطَانُ لِأَعْوَانِهِ: انْظُرُوا مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ؟ فَإِنْ كَانَ مَطْعَمٌ سَوْءٌ؛ قَالَ: دَعُوهُ يَتَعَبَّ وَيَجْتَهِدُ فَقَدْ كَفَاكُمْ نَفْسَهُ، إِنْ أَجْهَدَهُ مَعَ أَكْلِ الْحَرَامِ لَا يَنْفَعُهُ^(٣).

* قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِأَنَّ أَرْدَ دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفٍ، حَتَّى بَلَغَ سِتْمِائَةِ أَلْفٍ^(٤).

* قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَنْفَقَ الْحَرَامَ فِي الطَّاعَةِ، فَهُوَ كَمَنْ طَهَّرَ الثَّوْبَ بِالْبَوْلِ، وَالثَّوْبَ لَا يَطْهَرُ إِلَّا بِالْمَاءِ، وَالذَّنْبُ لَا يَكْفُرُهُ إِلَّا الْحَلَالُ^(٥).

(١) المعجم الأوسط للطبراني برقم (٦٤٩٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٩٨/٢) (٥٧٣٢)، وعبد بن حميد في مسنده (المنتخب) رقم (٨٤٩). من طريق بقية بن الوليد عن عثمان بن زفر عن هاشم عن ابن عمر فذكره. وهذا سند ضعيف جدًا، بقية يدلّس تدليس التسوية، وعثمان وهاشم: مجهولان، وأيضًا: وقع في طريقه اختلاف عن بقية.

(٣) الكبائر للذهبي (ص: ١١٩).

(٤) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (١/ ٢٥٤).

(٥) الكبائر للذهبي (ص: ١٢٠).

* وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِأَبِيهِ: أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلَاءٌ، فَخَرَجُوا مَخْرَجًا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ أَخْبِرَهُمْ: إِنَّكُمْ تَخْرُجُونَ إِلَى الصَّعِيدِ بِأَبْدَانٍ نَجَسَةٍ، وَتَرْفَعُونَ إِلَيَّ أَكْفًا قَدْ سَفَكْتُمْ بِهَا الدَّمَاءَ، وَمَلَأْتُمْ بِهَا بُيُوتَكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، الْآنَ حِينَ اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَيْكُمْ؟ وَلَنْ تَزْدَادُوا مِنِّي إِلَّا بَعْدًا^(١).

* وَلَقَدْ ضَرَبَ السَّلَفُ أُرُوعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الْوَرَعِ مِنْ أَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ خَاصَّةً مَا يَخْصُ الْمُسْلِمِينَ، فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ بِبِلَادِ فَارَسٍ - تَسْمَى جُلُوءَ - ابْتَعَ ابْنُ عُمَرَ مِنَ الْمَغْنَمِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ قَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ عَرِضْتُ عَلَى النَّارِ فَقِيلَ لَكَ: افْتَدِهِ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قُلْتُ وَاللَّهِ مَا مِنْ شَيْءٍ يُؤْذِي بَكَ إِلَّا كُنْتُ مُفْتَدِيًا بِكَ مِنْهُ، قَالَ: كَأَنِّي شَاهِدُ النَّاسِ حِينَ تَبَايَعُوا فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ - وَأَنْتَ كَذَلِكَ - فَكَانَ أَنْ يُرَخِّصُوا عَلَيْكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُغْلُوا عَلَيْكَ، وَإِنِّي قَاسِمٌ مَسْئُولٌ، وَأَنَا مُعْطِيكَ أَكْثَرَ مَا رِبَحَ تَاجِرٌ مِنْ قَرِيشٍ، لَكَ رِبْحُ الدَّرْهِمِ دَرْهِمٌ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا التُّجَّارَ فَابْتَاعُوهُ مِنْهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دَرْهِمٍ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَبَعَثَ بِالْبَاقِي إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ لِيَقْسِمَهُ^(٢).

* وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحِبُّ أَنْ يَتَأَدَّمَ مِنَ الْعَسَلِ، فَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهِ يَوْمًا عَسَلًا فَلَمْ يَكُنْ عَنْدهُ، فَأَتَوْهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَسَلٍ فَأَكَلَ مِنْهُ فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: مَنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا؟ قَالَتِ امْرَأَتُهُ: بَعَثْتُ مَوْلَايَ بَدِينَارِينَ عَلَى بَغْلِ الْبَرِيدِ فَاشْتَرَاهُ لِي، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا أَتَيْتَنِي بِهِ، فَأَتَتْهُ بِعَكَّةٍ فِيهَا عَسَلٌ، فَبَاعَهَا بِثَمَنِ يَزِيدُ،

(١) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الدواء والدواء (ص: ١٠).

(٢) مناقب عمر (ص: ١٥٧).



وردَّ عليها رأس المال، وألقى بقيته في بيت مال المسلمين، وقال: نُصِبَتْ دوابُّ المسلمين في شهوةِ عمر^(١).

* جاء في بعض الأخبار: أنَّه مكتوبٌ في التوراة: من لم ييال من أين مطعمه، لم ييال الله من أي أبواب النيران أدخله^(٢).

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ وَفِيهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ^(٣).

* قال الإمام ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالْأَكْلُ مِنَ الْحَلَالِ سَبَبٌ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، كَمَا أَنَّ الْأَكْلَ مِنَ الْحَرَامِ يَمْنَعُ قَبُولَ الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ^(٤).

* قال العلامة ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به سببٌ موجبٌ لعدم إجابة الدعاء^(٥).

* قال سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، عَلِمَ أو لم يعلم، ويتبع ذلك حلول سخط الله وغضبه عليه^(٦).

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص: ١٨٨).

(٢) الغزالي: الإحياء (٢/ ٩١).

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٥٧٣٢) بسند ضعيف جداً، كما في (الضعيفة) ٨٤٤. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدراية في تخريج أحاديث الهداية: وأما حديث ابن عمر رفعه: من اشترى ثوباً بعشرة في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه. فهو ضعيف جداً، وليس فيه ذكر الأرض، أخرجه ابن حبان في الضعفاء من طريق عبد الله بن أبي علاج عن مالك عن نافع عنه وقال: لا أصل له من حديث مالك ولا نافع؛ وإنما رواه بقية بإسناد شامي. انتهى.

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٣٥٠).

(٥) ابن رجب: جامع العلوم والحكم - ط المعرفة (ص: ١٠٧).

(٦) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٤٠٥).

* أشهر مصادر المال الحرام: الربا - الغش والخداع في البيع - الرشوة - اغتصاب الأرض - أكل مال اليتيم - أكل مال الميراث - السرقة.

* قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنْ كَانَ الْمَقْبُوضُ قَدْ أُخِذَ بِغَيْرِ رِضَى صَاحِبِهِ، وَلَا اسْتَوْفَى عَوَضَهُ: رَدَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ رَدُّهُ عَلَيْهِ: قَضَى بِهِ دَيْنًا يَعْلَمُهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ: رَدَّهُ إِلَى وَرَثَتِهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ: تَصَدَّقَ بِهِ عَنْهُ. فَإِنْ اخْتَارَ صَاحِبُ الْحَقِّ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: كَانَ لَهُ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِ الْقَابِضِ: اسْتَوْفَى مِنْهُ نَظِيرَ مَالِهِ، وَكَانَ ثَوَابُ الصَّدَقَةِ لِلْمُتَصَدِّقِ بِهَا، كَمَا ثَبَتَ عَنْ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(١).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَمَا اكْتَسَبَهُ الرَّجُلُ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْمُعَامَلَاتِ الَّتِي اخْتَلَفَتْ فِيهَا الْأُمَّةُ، وَكَانَ مُتَأَوِّلًا فِي ذَلِكَ وَمُعْتَقِدًا جَوَازَهُ لِاجْتِهَادٍ، أَوْ تَقْلِيدٍ، أَوْ تَشَبُّهِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَوْ لِأَنَّهُ أَفْتَاهُ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذِهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي كَسَبُوهَا وَقَبَضُوهَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجُهَا، وَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي ذَلِكَ وَأَنَّ الَّذِي أَفْتَاهُمْ أَخْطَأَ فَالْمُسْلِمُ الْمُتَأَوِّلُ الَّذِي يَعْتَقِدُ جَوَازَ مَا فَعَلَهُ مِنَ الْمُبَايَعَاتِ وَالْمُؤَاجِرَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ الَّتِي يُفْتِي فِيهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِذَا أَقْبَضَ بِهَا أَمْوَالٌ وَتَبَيَّنَ لِأَصْحَابِهَا فِيمَا بَعْدَ أَنْ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ تَحْرِيمُ ذَلِكَ: لَمْ يَحْرَمْ عَلَيْهِمْ مَا قَبَضُوهُ بِالتَّأْوِيلِ^(٢).

وقال رحمه الله: وَمَنْ أَخَذَ عَوَضًا عَنْ عَيْنٍ مُحَرَّمَةٍ، أَوْ نَفْعٍ اسْتَوْفَاهُ، مِثْلَ: أُجْرَةِ حَمَالِ الْخَمْرِ، وَأُجْرَةِ صَانِعِ الصَّلِيبِ، وَأُجْرَةِ الْبَغِيِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ: فَلْيَتَصَدَّقْ بِهَا،

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٥/ ٦٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٤٤٣).



وَلْيَتَبَّ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ الْمُحَرَّمِ، وَتَكُونُ صَدَقَتُهُ بِالْعَوَضِ كَفَّارَةً لِمَا فَعَلَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْعَوَضَ لَا يَجُوزُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ عَوَضٌ خَبِيثٌ وَلَا يُعَادُ إِلَى صَاحِبِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَوْفَى الْعَوَضَ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مَنْ نَصَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مِثْلِ حَامِلِ الْخَمْرِ، وَنَصَّ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مَالِكٍ وَغَيْرُهُمْ^(١).



(١) مجموع الفتاوى (٢٢/١٤٢).

٧٠. عقوبات الذنوب والمعاصي

١. سبب في حرمان الرزق: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالدَّذْنِ الَّذِي يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا بِالْدُّعَاءِ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ»^(١). وَالْمَعْنَى: لَيَصِيرَ مَحْرُومًا مِنَ الرِّزْقِ (بِالدَّذْنِ) أَي: بِسَبَبِ ارْتِكَابِهِ (يُصِيبُهُ) أَي: حَالُ كَوْنِهِ يُصِيبُ الدَّذْنَ وَيَكْتَسِبُهُ. قَالَ الْمُظْهَرُ: لَهُ مَعْنَانِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يُرَادَ بِالرِّزْقِ ثَوَابُ الْآخِرَةِ. وَثَانِيَهُمَا: أَنْ يُرَادَ بِهِ الرِّزْقُ الدُّنْيَوِيُّ مِنَ الْمَالِ وَالصَّحَّةِ، وَالْعَافِيَةِ. وَعَلَى هَذَا إِشْكَالٌ فَإِنَّا نَرَى الْكُفَّارَ، وَالْفُسَّاقَ أَكْثَرَ مَا لَا، وَصِحَّةً مِنَ الصُّلَحَاءِ. وَالْجَوَابُ أَنَّ الْحَدِيثَ مَخْصُوصٌ بِالْمُسْلِمِ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَرْفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيُعَذِّبُهُ بِسَبَبِ ذَنْبِهِ الَّذِي يُصِيبُهُ فِي الدُّنْيَا. قُلْتُ: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ، لِأَنَّ الْأَجَالَ، وَالْأَمَالَ، وَالْأَخْلَاقَ، وَالْأَرْزَاقَ كُلَّهَا بِتَقْدِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ.

٢. سبب في زوال نعمة الأمن: قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢). وَقَالَ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٣). وَهَذِهِ الْقَرْيَةُ هِيَ مَكَّةُ الْمَشْرِفَةِ الَّتِي كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَا يُهَاجِرُ فِيهَا أَحَدٌ.

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢٣٨٦)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٥)،

(٨٦٩). [تعليق الشيخ الألباني]: حسن لغيره دون أوله: «إن الرجل... يصيبه». الصحيحة (١٥٤).

(٢) [الأنعام: ٨٢].

(٣) [النحل: ١١٢].



وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إنَّ أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنَّعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرِّزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسَّر الله لها الرِّزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسولٌ منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضدَّ ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرِّغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم^(١).

٣. سبب في هلاك الناس: عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحَمَّرًا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَعَقَدَ سَفِيَانٌ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً قِيلَ: أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»^(٢). قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي مَعْنَاهُ أَنَّهُ اسْمُ جَامِعٍ يَجْمَعُ الزُّنَا وَغَيْرَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفُسَادِ وَالْمُنْكَرِ فِي الدِّينِ^(٣). وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَرَّقَ أُمَّةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّهَا، وَفِيهِمُ الْأَطْفَالُ وَالبُهَائِمُ، بِذُنُوبِ الْبَالِغِينَ. وَأَهْلَكَ قَوْمَ عَادٍ بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ، وَثَمُودَ بِالصَّاعِقَةِ، وَقَوْمَ لُوطٍ بِالْحِجَارَةِ، وَمَسَخَ أَصْحَابَ السَّبْتِ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَعَذَّبَ بَعْدَابِهِمُ الْأَطْفَالَ^(٤).

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥١).

(٢) البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٠٧/٢٤).

(٤) ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٦٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: وَفَسَّرَهُ الْجُمْهُورُ بِالْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الزَّناَ خَاصَّةً، وَقِيلَ: أَوْلَادُ الزَّناَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ الْمَعَاصِي مُطْلَقًا ^(١).

٤. سَبَبٌ فِي حُلُولِ الْهَزَائِمِ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ: عَنِ الْبِرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَيْشًا مِنَ الرُّمَاءِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» ^(٢).

٥. سَبَبٌ فِي سَوَادِ الْقُلُوبِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ» ^(٣). الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ حَجَرٌ كَرِيمٌ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَبَّلَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَاتَّبَاعًا لَهُدْيِهِ نَقَبْلَهُ وَنَسْتَلِمُهُ وَنَشِيرُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حَجَرًا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: «نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ»، أَيْ: إِنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَزَلَ مِنْهَا، «وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ»، أَيْ: عِنْدَمَا نَزَلَ إِلَى الدُّنْيَا كَانَ أَكْثَرَ نِصَاعَةً فِي بَيَاضِهِ مِنَ اللَّبَنِ، «فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ»، أَيْ: الَّذِي تَسَبَّبَ فِيهِمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ وَجَعَلَهُ أَسْوَدَ هُوَ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، وَأَمَّا عَدَمُ بَيَاضِهِ بِالْحَسَنَاتِ بَعْدَ سَوَادِهِ، فَقِيلَ: السَّوَادُ يَصْبُغُ وَيَطْغَى عَلَى مَا تَجَعَّلَهُ عَلَيْهِ، بِعَكْسِ اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ، وَقِيلَ: ظَلَّ هَكَذَا لَجَعْلِهِ عِبْرَةً لِبَنِي آدَمَ يَتَذَكَّرُونَ بِهَا الذُّنُوبَ وَالْآثَامَ. وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَثَرِ خَطَايَا بَنِي آدَمَ.

(١) شرح النووي على مسلم (٣/١٨).

(٢) البخاري (٤٠٤٣).

(٣) (ت) (١٧٧)، (حم) (٣٥٣٧)، (خز) (٢٧٣٣)، صحيح الجامع: (٦٧٥٦)، الصحيح: (٢٦١٨).



٦. **سبب في الهلاك:** عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ**» ^(١) **فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَنَّ**» ^(٢).
والمعنى احذروا مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، وهي ما لا يُبالي المرءُ به مِنَ الذُّنُوبِ مُسْتَصْغِرًا لها؛ «**فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَنَّ**»، فَيَبِينُ أَنَّ التَّحْذِيرَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا أَسْبَابٌ تُؤَدِّي إِلَى ارْتِكَابِ الْكِبَائِرِ، فَصِغَارُ الذُّنُوبِ تَجْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى تُزِيلَ أَصْلَ السَّعَادَةِ بِهَدْمِ الْإِيمَانِ عِنْدَ الْخَاتِمَةِ، فَيَهْلِكُ الْمَرْءُ إِذَا لَمْ يَكْفُرْ عَنْهَا.
أَي: أَنَّ الصَّغَائِرَ إِذَا انْضَمَّتْ وَتَرَاكُمَتْ اسْتَعْظَمَ أَمْرُهَا، وَكَانَ وَبَالًا عَلَى صَاحِبِهَا.

٧. **سبب في عقاب الله تعالى:** عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزَّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ**» ^(٣). الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ أَهَمِّ الْمَهْمَاتِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ خَيْرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ، وَتَرْكُهُ وَالتَّخْلِي عَنْهُ مِنْ أَسْبَابِ الْعِقَابِ الْعَامِّ.

٨. **سبب في حلول العذاب:** عَنْ عَائِشَةَ، تَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الشُّؤْمُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ بَأْسَهُ**»، قَالَتْ: وَفِيهِمْ أَهْلُ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى**» ^(٤).

(١) أَي: مَا لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِهَا مِنَ الذُّنُوبِ.

(٢) (حم) (٣٨١٨)، صحيح الجامع: (٢٦٨٧)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٤٧٠).

(٣) سنن ابن ماجه (٤٠٠٩)، مسند أحمد ط الرسالة (١٩٢٥٣)، صحيح الجامع (٥٧٤٩)،

الصَّحِيحَةُ: (٣٣٥٣)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٣١٦).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٢٤١٣٣)، الصحيحة (٣١٥٦)، صحيح الجامع (٦٨٠).

وفي رواية: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي، عَمَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أَنْاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: «بَلَى». قَالَتْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أَوْلَئِكَ؟ قَالَ: «يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»^(١).

٩. سَبَبٌ لِلْإِصَابَةِ بِالْأَمْرَاضِ الْمَزْمِنَةِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»^(٢).

من أقوال العلماء في الباب:

* عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلَكَاتِ»^(٣).

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٦٥٩٦).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٤٠١٩)، الصحيحه (١٠٦)، صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٣) البخاري (٦٤٩٢).



* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ، لَا تَأْمَنْ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ، وَلَمَّا يَتَّبِعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَلِمْتَهُ، فَإِنْ قَلَّةَ حَيَاتِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشَّمَالِ، وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَمِلْتَهُ، وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرْحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرُّ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ، وَيَحْكُ هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاِبْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَلَاءِ فِي جَسَدِهِ وَذَهَابِ مَالِهِ؟ إِنَّمَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِهِ مَسْكِينٌ عَلَى ظُلْمٍ يَدْرُوهُ عَنْهُ، فَلَمْ يُعْنِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِمَعْرُوفٍ وَيَنْهَ الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِ هَذَا الْمَسْكِينِ، فَاِبْتَلَاهُ اللَّهُ ﷻ ^(١).

* عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ رحمته الله قَالَ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى صَغِيرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ ^(٢).

* قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عُمَرَ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ نَفِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا فَتَحَتْ قُبْرُصُ فُرْقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ، مَا أَهْوَنُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ﷻ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ. بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمْ

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرناؤوط (٢/٣٢٢)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٤/٢٦١)، (١٠٤٣٢).

(٢) البيهقي: شعب الإيمان (٢٨٢).

الْمَلِكُ، تَرْكُوا أَمْرَ اللَّهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى ^(١).

* عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا فَاجِرٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ رِزْقَهُ مِنَ الْحَلَالِ، فَإِنْ صَبَرَ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنْ جَزَعَ فَتَنَّاوَلَ شَيْئًا مِنَ الْحَرَامِ نَقَصَهُ اللَّهُ مِنْ رِزْقِهِ الْحَلَالِ ^(٢).

* وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنَّ لِلْسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضًا فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ ^(٣).

* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إِنِّي لَأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا ^(٤).

* وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو الصَّنَعَانِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ: إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ، وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ شَرَارِهِمْ، قَالَ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟ قَالَ: لَمْ يَغْضَبُوا لِعُصْبِي، وَكَانُوا يُؤَاكِلُونَهُمْ وَيَشَارِبُونَهُمْ. وَذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ ﷻ مَلَكَ إِلَى قَرْيَةٍ، أَنْ دَمَّرَهَا بِمَنْ فِيهَا، فَوَجَدَ رَجُلًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهَا عَبْدَكَ فَلَا نَأْيُصَلِّي، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: دَمَّرَهَا وَدَمَّرَاهُ مَعَهُمْ، فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهَهُ فِي قَطْعٍ ^(٥).

(١) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٤٤).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٣٢٦).

(٣) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٥٤).

(٤) الزهد والرفائق لابن المبارك، والزهد لنعيم بن حماد (١/٢٨)، الزهد لأحمد بن حنبل، ت

يحيى محمد سوس (١/٢٨٩)، جامع بيان العلم وفضله (١/٦٩١).

(٥) ابن القيم: الداء والدواء (ص: ٤٦).



* قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِقَدْرِ مَا يَصْغُرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ يَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ يَصْغُرُ عِنْدَ اللَّهِ (١).

* قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَادِينُ، إِنَّ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةَ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ (٢).

* قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَنْبَغِي لِكُلِّ ذِي لُبٍّ وَفِطْنَةٍ أَنْ يَحْذَرُ عَوَاقِبَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْآدَمِيِّ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى قَرَابَةٌ وَلَا رَحِمٌ، وَإِنَّمَا قَائِمٌ بِالْقِسْطِ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ، وَإِنْ كَانَ حَلْمُهُ يَسْعُ الذُّنُوبَ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا شَاءَ عَفَا، فَعَفَا كُلَّ كَثِيفٍ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِذَا شَاءَ أَخَذَ، وَأَخَذَ بِالْيَسِيرِ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ (٣).

* قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي قِصَّةِ كَعْبٍ مِنَ الْفَوَائِدِ: وَلِهَذَا عَاقَبَ مَنْ صَدَقَ بِالتَّأْدِيبِ الَّذِي ظَهَرَتْ فَائِدَتُهُ عَنْ قُرْبٍ، وَأَخَّرَ مَنْ كَذَبَ لِلْعِقَابِ الطَّوِيلِ (٤).

* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّاسِبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الِهْمُومُ عَقُوبَاتُ الذُّنُوبِ.

* قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَزِينُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ عَقُوبَةُ الذَّنْبِ.

* قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ الْحُكَمَاءُ: الْمَعْصِيَةُ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ عِقَابُ الْمَعْصِيَةِ (٥).

* قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَهْوَنُ الْعُقُوبَةِ مَا كَانَ وَاقِعًا بِالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا (٦).

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٥١).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٠٢).

(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ١٤٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٢٤).

(٥) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ٦٥).

(٦) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٤٠).

* كَانَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ: يَا رَبِّ، كَمْ أَعْصَيْكَ وَلَا تُعَاقِبْنِي، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قُلْ لَهُ: كَمْ أَعَاقَبْتُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي؟ أَلَمْ أَسْلُبْكَ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي؟^(١).

* قال العلامة العثيمين رحمته الله عن بني إسرائيل: ابتلوا في طعامهم بأربعة أنواع من العقوبات: **الأولى**: الطوفان للبذر، وهو الماء يفسد الزرع قبل أن يخرج ويغرقه. **الثانية**: الجراد للزرع النابت، أرسل عليه الجراد. **الثالثة**: القمل الذي هو السوس، أرسل على المدخر. **الرابعة**: الدم لما أكل؛ لأن الطعام يتحول في البدن إلى دم يتغذى به الجسم، فإذا ابتلوا بالنزيف ضاعت فائدة الطعام. وهذا ابتلاء بالتدرج في الطعام، أما الشراب، فابتلوا به في الضفادع، إذا جاؤوا يشربون، وإذا الإناء مملوء ضفادع، والعياذ بالله، وليست واحدة يبعدها، بل ربما تكون صغيرات جدا، لا يستطيع أن يتخلص منها، وعقوبة الله لا ينفع فيها محاولة؛ كما في قصة الرجل لما قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٢)، قال: تأتي به المعاول فأصبح وقد غار معينه، فلا ينفع فيه المعول، نسأل الله السلامة.

* كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مُسْلِمَةَ بِنْتِ مَخْلَدٍ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَإِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ حَبَبَهُ فِي خَلْقِهِ، وَإِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَبْغَضَهُ اللَّهُ، فَإِذَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ بَغْضَهُ إِلَى خَلْقِهِ^(٣).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/١٦٨).

(٢) [الملك: ٣٠].

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/٢٥٦).



* قال الإمام ابن الجوزي رحمته الله: لا ينال لذة المعاصي إلا سكران بالغفلة^(١).

* قيل لوهيب بن الورد رحمته الله: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا ولا من هم بمعصية^(٢).

* قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: قال العلماء وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة؛ منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرمة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه^(٣). وأن شؤم المعاصي يذهب بخير الدنيا والآخرة^(٤).

* قال أبو سليمان الداراني رحمته الله: إنما هانوا عليه فعصوه ولو كرموا عليه لمنعهم منها^(٥).

* قال المأمون رحمته الله لبعض أصحابه: لا تعصي الله بطاعتي فيسلطني عليك^(٦).

* قال أبو سليمان الداراني رحمته الله: من صفى صفى له، ومن كدر كدر عليه، ومن أحسن في ليله كوفى في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفى في ليله^(٧).

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ٤٢).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٤٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٤٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٣١١).

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٦١).

(٦) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ٢٦٧).

(٧) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٤١).

* قال الحافظ ابن الجوزي رحمته الله: ومتى رأيت تكديراً في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أو ذلة قد فعلت ^(١).

* قال الفضيل بن عياض رحمته الله: قَالَ اللهُ تعالى: إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي ^(٢).

* قال الفضيل بن عياض رحمته الله: إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَحْرُومٌ مَكْبَلٌ كَبَلَتْكَ خَطِيئَتُكَ ^(٣).

* قَالَ لِي أَبُو سُلَيْمَانَ الدَارَانِي رحمته الله: فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَلَا تَعْصِ اللهَ بِالنَّهَارِ ^(٤).

* قال الحسن رحمته الله: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ ^(٥).

* قال رجل للحسن رحمته الله: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنِّي أَبَيْتُ مَعَاذِي، وَأَحْبَبْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَأَعَدَّ طَهُورِي، فَمَا لِي لَا أَقُومُ؟ قَالَ: ذُنُوبُكَ قِيدَتْكَ ^(٦).

* قال الحافظ ابن الجوزي رحمته الله: الذنوب... تمنع من قيام الليل، وأخصها بالتأثير تناول الحرام. قال بعضهم: كم من أكلة منعت من قيام الليل. وقال رحمته الله: كما أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَكَذَلِكَ الْفَحْشَاءُ تَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْخَيْرَاتِ ^(٧).

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ٣٢).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩١).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٦).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٩١).

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ١٩٧).

(٦) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٢٠٠).

(٧) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٢٠٠).



* قال المحارب بن ديثار رحمته الله: إِنَّ الرجلَ لِيَذنبُ الذَّنْبَ فيجدُ له في قلبه وهناً^(١).

* قال الحافظ ابن الجوزي رحمته الله: الذَّنوبُ كلها تُورثُ قساوةَ القلبِ^(٢).

* قال العلامة السَّعدي رحمته الله: التَّحذِيرُ مِنَ الذَّنوبِ، فَإِنَّهَا تَرِينُ عَلَى القلبِ وتُغْطِيهِ، شَيْئاً فُشِيئاً، حَتَّى يَنْطَمِسَ نُورُهُ، وَتَمُوتَ بَصِيرَتُهُ، فَتَنْقَلِبَ عَلَيْهِ الْحَقَائِقُ، فَيَرَى الْبَاطِلَ حَقًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ عَقُوبَاتِ الذَّنْوِ^(٣).

* قَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَافِي رحمته الله: لَوْ تَفَكَّرَ النَّاسُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَمَّا عَصَوْهُ^(٤).

* رَوَى: ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ شَبْرَمَةَ، قَالَ: عَجِبْتُ لِلنَّاسِ يَحْتَمُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ الدَّاءِ، وَلَا يَحْتَمُونَ مِنَ الذَّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ^(٥).

* قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمته الله: مَنْ لَمْ يُعِدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ^(٦).

* قال الإمام النووي رحمته الله: الصَّحِيحُ أَنَّ حَدَّ الْكَبِيرَةِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ، بَلْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِوَصْفِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَعَاصِي بِأَنَّهَا كَبَائِرٌ، وَأَنْوَاعٍ بِأَنَّهَا صَغَائِرٌ، وَأَنْوَاعٌ لَمْ تُوصَفْ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى صَغَائِرٍ وَكَبَائِرٍ، وَالْحِكْمَةُ فِي عَدَمِ بَيَانِهَا أَنَّ يَكُونُ الْعَبْدُ مُمْتَنِعًا مِنْ جَمِيعِهَا مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ^(٧).

(١) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٤١).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٢/ ٢٠٠).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١٦).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٣٧).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ٣٤٨).

(٦) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٥٠٢).

(٧) شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٩).

* عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خَطَايَا - ذُنُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ ^(١).

* قَالَ ابْنُ وَاسِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رِيحٌ ، مَا جَلَسَ إِلَيَّ أَحَدٌ ^(٢).

* عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، قَالَ : انْظُرِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ فَقَدَّمَهُ الْيَوْمَ ، وَانْظُرِ الَّذِي تَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ ثُمَّ فَاتَرَكَهُ الْيَوْمَ ^(٣) . وَقَالَ : انْظُرْ كُلَّ عَمَلٍ كَرِهْتَ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ ، فَاتَرَكَهُ ، ثُمَّ لَا يَضُرُّكَ مَتَى مِتَّ ^(٤).

* قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ ^(٥) . أَي : كَثِيرًا ... سَمَّى اللَّهُ الْإِنْفَاقَ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي ، إِهْلَاكًا لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ الْمُنْفِقَ بِمَا أَنْفَقَ ، وَلَا يَعُودُ إِلَيْهِ مِنْ إِنْفَاقِهِ إِلَّا النَّدَمُ وَالْخَسَارَةُ ^(٦).

* عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا ، فَكَانُوا يَسُبُّونَهُ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلْبٍ ، أَلَمْ تَكُونُوا مُسْتَخْرِجِيهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَا تَسُبُّوا أَحَاكُمُ ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُمْ ، قَالُوا : أَفَلَا تُبْغِضُهُ ؟ ، قَالَ : إِنَّمَا أُبْغِضُ عَمَلَهُ ، فَإِذَا تَرَكَهُ فَهُوَ أَخِي ^(٧).

* قَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَرَكُ الْخَطِيئَةَ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ ^(٨).

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/ ٢٩٥).

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ١٢٠).

(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٣٨).

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ٩٨).

(٥) [البلد: ٦].

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٥).

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٢٥).

(٨) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٧٩).



* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى عُمَرُ بِشَابٍّ قَدْ سَرَقَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ قَبْلَهَا قَطُّ: فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسْلِمَ عَبْدًا عِنْدَ أَوَّلِ ذَنْبٍ^(١).

وَقَالَ رَجُلٌ لِحَاتِمٍ: عِظْنِي قَالَ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْصِيَ مَوْلَاكَ فَاعْصِهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَرَاكَ^(٢).

* قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَنِيُّ رحمته الله: التَّقْوَى أَنْ لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ وَلَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ^(٣).

* أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ، اشْتَكَى فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: مَا تَشْتَكِي يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ؟ قَالَ: أَشْتَكِي ذُنُوبِي، قَالُوا: فَمَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: أَشْتَهِي الْجَنَّةَ^(٤).

* قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمته الله: فَمَنْ قَصَدَ إِظْهَارَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُجَاهَرَةَ بِهَا أَغْضَبَ رَبَّهُ فَلَمْ يَسْتُرْهُ، وَمَنْ قَصَدَ التَّسْتُرَ بِهَا حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ وَمِنْ النَّاسِ؛ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ بَسْتُرُهُ إِيَّاهُ^(٥).

* قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رحمته الله: كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَخْفَى عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَاصِي، وَخُصُوصًا مَعَاصِي الْقَلْبِ، كَالْكِبْرِ، وَالْعَجَبِ وَالرِّيَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، حَتَّى أَنَّهُ يَكُونُ بِهِ كَثِيرٌ مِنْهَا، وَهُوَ لَا يَحْسُ بِهِ وَلَا يَشْعُرُ!^(٦).

(١) الزهد لأبي داود (ص: ٧٣).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٨٣).

(٣) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ١٤٤).

(٤) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ١٩٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٨).

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧١).

* قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: واعلم أنه من أعظم المحن؛ الاغترار بالسلامة بعد الذنب، فإن العقوبة تتأخر ^(١).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الْمُؤْمِنُ إِذَا فَعَلَ سَيِّئَةً فَإِنْ عُقِبَتْهَا تَدَفَّعَ عَنْهُ بِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ: أَنْ يَتُوبَ فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ. أَوْ يَسْتَغْفِرَ فَيَغْفِرَ لَهُ أَوْ يَعْمَلَ حَسَنَاتٍ تَمْحُوهَا فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبَنَّ السَّيِّئَاتِ. أَوْ يَدْعُوَ لَهُ إِخْوَانُهُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا. أَوْ يَهْدُونَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ مَا يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ أَوْ يَشْفَعُ فِيهِ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ. أَوْ يَبْتَليهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا بِمَصَائِبَ تَكْفُرُ عَنْهُ أَوْ يَبْتَليهِ فِي الْبَرْزَخِ بِالصَّعَقَةِ فَيَكْفُرُ بِهَا عَنْهُ. أَوْ يَبْتَليهِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْوَالِهَا بِمَا يُكْفِرُ عَنْهُ. أَوْ يَرْحِمُهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَمَنْ أَخْطَأَتْهُ هَذِهِ الْعَشْرَةُ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ^(٢).



(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر (ص: ١٨١).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٥)، التحفة العراقية (ص: ٥٧).

٧١. عقوبات الغيبة

١. الحرمان من مكارم الأخلاق: قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٣).

٢. انتهاك لحرمة المسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٤). وهو موضع المدح والذم من الإنسان.

٣. سبب في دخول النار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فَلَانَةَ يُذَكَّرُ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ:

(١) [المؤمنون: ١: ٣].

(٢) [القصص: ٥٥].

(٣) [الفرقان: ٧٢].

(٤) مسلم (٢٥٦٤).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ فَلَانَةٌ يُذَكَّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ^(١) مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»^(٢). قال ابن حبان: يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ تَرْكُ الْوَقِيعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانَ تَشْمِيرُهُ فِي الطَّاعَاتِ كَثِيرًا^(٣).

٤. الغيبة لها عذاب يخصصها: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمَشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ^(٤)، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٥). الإسلام دين الأخلاق الحسنة، وقد أمر بحفظ الأعراض من أن تنتهك بالقول أو الفعل؛ لأنه مما يورث العداوة والبغضاء بين المسلمين، وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي»، أي: لَمَّا صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، «مَرَرْتُ بِقَوْمٍ»، أي: وَهُمْ النَّارِ، «لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ»، أي: يَخْدَشُونَ وَيَمَزَّقُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ بِأَظْفَارِهِمْ، فَقُلْتُ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟»، أي: مَا الَّذِي فَعَلُوهُ لِيُجَازَوْا بِهَذَا الْعَذَابِ؟ فَقَالَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) الأَثْوَار: جمع ثور، وهو القطعة من الأَقِطِ، وهو الجبن المجفف الذي يُتخذ من مخيض لبن الغنم.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٩٦٧٥). (خد) (١١٩)، (حم) (٩٦٧٣)، الصَّحِيحَةُ: (١٩٠)، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ: (٢٥٦٠)، وقال شعيب الأرنؤوط في (حم): إسناده حسن.

(٣) صحيح ابن حبان (٧٦/١٣).

(٤) أَي: يَغْتَابُونَ الْمُسْلِمِينَ.

(٥) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٤٨٧٨)، (حم) (١٣٣٦٤)، صحيح الجامع: (٥٢١٣)، والصَّحِيحَةُ: (٥٣٣).



«هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»، أي: كأن الذي يغتاب غيره من المسلمين كمن يأكل لحمه، فيتناولون بالكلام في أعراضهم ولا يحفظونهم في غيبتهم، فكان جزاؤه من جنس عمله، فيمزقون لحم أنفسهم بأظفارهم.. وهذا يدل على أن الوقوع في أعراض الناس وغيبتهم من الكبائر العظام. وفي الحديث: الترهيب من الغيبة، والتحذير الشديد من الوقوع في أعراض الناس.

٥. سبب في عذاب القبر: عن ابن عباس، قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «يعذبان، وما يعذبان في كبير» ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة». ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا» أو: «إلى أن ييبسا»^(١). عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال: حدثنا أبو بكرة، قال: بينا أنا أمشي رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي، ورجل عن يساره، فإذا نحن بقبرين أماننا، فقال رسول الله ﷺ: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، وبلى، فأيكم يأتيني بجريدة؟» فاستبقنا، فسبقته، فأثبته بجريدة، فكسرها نصفين، فألقى على ذا القبر قطعة، وعلى ذا القبر قطعة، وقال: «إنه يهون عليهما ما كانتا رطبتين، وما يعذبان إلا في البول، والغيبة»^(٢). وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فأتى على قبرين يعذب صاحباهما، فقال:

(١) البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٠٣٧٣).

«إِنَّهُمَا لَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَبَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَتَأَذَى مِنَ الْبَوْلِ»^(١). وفيه: التحذير من النَمِيمَةِ وبيانُ سُوءِ عاقبتها.

٦. سبب في جلب الريح المُنْتَنَةِ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ جَيْفَةٌ مُنْتَنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢). سئل أحد الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها، كانت تتبين في عهد النبي ﷺ، ولا تتبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة كثرت في يومنا، فامتلاأت الأنوف منها؛ فلم تتبين نتن الرائحة، ويكون مثال هذا: كرجل دخل دار الدبّاعين لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام والشراب، ولا تتبين لهم الرائحة؛ لأنه قد امتلاأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا^(٣).

٧. الغيبة باب من أبواب الربا: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَا اسْتِطَالَةً فِي عَرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(٤). الإسلام دين الأخلاق الحسنة، وقد أمر بحفظ الأعراض من أن تنتهك بالقول أو الفعل؛ لأنه مما يورث العداوة والبغضاء بين المسلمين، وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَا»، أي:

(١) الأدب المفرد (٧٣٥).

(٢) (حم) (١٤٨٢٦)، (خد) (٧٣٢)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٨٤٠). غاية المرام (٤٢٩) للألباني والمنتخب، عبد بن حميد رقم (١٠٢٩).

(٣) بتصرف من تنبيه الغافلين (١/ ١٧٥).

(٤) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٤٨٧٦)، صحيح الجامع (٢٢٠٣)، صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٢).



أَفَحِشَهُ وَأَرَذَلَهُ وَأَكْثَرَهُ وَبَالَآ عَلَى صَاحِبِهِ، «الاستِطَالَةُ فِي عَرَضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ»، أَي: الْوُقُوعَ فِي عَرَضِ الْمُسْلِمِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ، أَوْ بِالْغِيْبَةِ وَسَيِّئِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ يُبِيحُ لَهُ اسْتِباحَةَ عَرَضِ أَخِيهِ، وَبَأْكَثَرٍ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ. قِيلَ: إِذَا كَانَ الرَّبَا فِي الْمَالِ مُحَرَّمًا وَمِنَ الْكِبَائِرِ؛ فَإِنْ تَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ الْوُقُوعَ فِي الْأَعْرَاضِ بِالْوُقُوعِ فِي الرَّبَا الْمَحْرَمِ هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَضَ أَعَزُّ وَأَعْلَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَالِ؛ فَيَكُونُ الْوُقُوعُ فِيهِ أَشَدَّ ضَرَرًا وَخَطُورَةً مِنَ الْوُقُوعِ فِي رَبَا الْمَالِ. وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ.

٨. الْغِيْبَةُ الْجِزَاءُ فِيهَا مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا، قُرْبَ لَهُ لَحْمُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: كُلُّهُ مِنِّيَا كَمَا أَكَلْتَهُ حَيًّا. قَالَ: فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ»^(١).

٩. الْغِيْبَةُ تُذْهِبُ بِحَسَنَاتِ الْمُسْلِمِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»^(٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّدُرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمْتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ.

(١) المعجم الأوسط (١٦٥٦)، وحسن سنده الحافظ بن حجر في الفتح (٤٨٥/١٠)، تحت

حديث رقم (٦٠٥٢).

(٢) البخاري (٦٥٣٤).

وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ»^(١).

١٠. نفى الإيمان عن قلبه: عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(٢). أي: لا تذكرهم في غيباتهم بما يسوءهم ويحزنهم، «ولا تتبعوا عوراتهم»، أي: ولا تتحرروا تتبع سقطاتهم وزلاتهم، وكشف ما يسترونه عن الناس من القبائح؛ «فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»، أي: يكون الجزاء من جنس العمل، فكما تتبعوا سقطات المسلمين وزلاتهم واغتابوهم لفضحهم، سخر الله تعالى له من يتبع عورته يفضحه حتى وهو في بيته. وفي الحديث: بيان أن الإيمان يكون بالقول والعمل والجوارح، وأن المغتاب لم يستقر الإيمان في قلبه. وفيه: النهي التحذير من الغيبة، والترهيب الشديد من تتبع عورات المسلمين.

١١. إبهام العقوبة لشناعتها: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ أَنَهَا - وَقَالَتْ بِيَدَهَا هَكَذَا - كَأَنَّهَا تَعْنِي: قَصِيرَةً، فَقَالَ ﷺ:

(١) مسلم (٢٥٨١). (إن المفلس من أمتي) معناه أن هذا حقيقة المفلس، أما من ليس له مال، ومن قلَّ ماله فالناس يسمونه مفلساً وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٩٧٧٦)، سنن أبي داود ت الأرناؤوط (٤٨٨٠)، صحيح الجامع (٧٩٨٤).



«لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجْتُهُ»^(١)». قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
هذا الحديث: وهذا من أبلغ الزَّوْاجِرِ عن الغيبة. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:
حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا^(٢) فَقَالَ: «مَا يَسْرُنِي أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا، وَأَنَّ لِي كَذَا
وَكَذَا»^(٣).

١٢. **أَكَلَ لَحْمَ الْمُسْلِمِ:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ
النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ رَجُلٌ، فَوَقَعَ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخَلَّلْ»^(٤)،
قَالَ: وَمَا أَتَخَلَّلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ لَحْمًا؟ قَالَ: «إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ»^(٥).
وَعَنْ قَيْسٍ قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسِيرُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَرَّ عَلَى
بَغْلٍ مَيِّتٍ قَدْ انْتَفَخَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْ يَأْكُلَ أَحَدُكُمْ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ بَطْنَهُ، خَيْرٌ مِنْ
أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ مُسْلِمٍ^(٦). وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(٧).

(١) الْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الْغَيْبَةَ لَوْ كَانَتْ مِمَّا يُمَزَّجُ بِالْبَحْرِ، لَغَيَّرْتُهُ عَنْ حَالِهِ مَعَ كَثْرَتِهِ وَغَزَارَتِهِ، فَكَيْفَ
بِأَعْمَالٍ نَزَرَةٍ خُلِطَتْ بِهَا؟ تحفة الأحمدي (٦/ ٢٩٤).

(٢) (د) (٤٨٧٥)، (ت) (٢٥٠٢)، (حم) (٢٥٦٠١)، صحيح الجامع: (٥١٤٠)، وصحيح
الترغيب والترهيب: (٢٨٣٤).

(٣) حَكَيْتُ فَلَانًا، وَحَاكَيْتُهُ: فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ. والمقصود: تقليده في كلامه أو مشيئه وما شابه،
بِقَصْدِ الاستهزاء والسخرية.

(٤) (ت) (٢٥٠٢)، (٢٥٠٣)، (د) (٤٨٧٥)، (حم) (٢٥٦٠١).

(٥) التخلل: استعمال الخلال لإخراج ما بين الأسنان من الطعام.

(٦) (طب) (١٠٠٩٢)، صحيح الترغيب والترهيب: (٢٨٣٧)، غاية المرام: (٤٢٨).

(٧) (خد) (٧٣٦)، انظر صحيح الأدب المفرد: (٥٦٩).

(٨) [الحجرات: ١٢].

قال الشوكاني رحمته الله: فهذا نهى قرآني عن الغيبة مع إيراد مثل لذلك يزيده شدة وتغليظاً، ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقادر قدره؛ فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعاً، ولو كان كافراً أو عدواً مكافحاً، فكيف إذا كان أخاً في النسب أو في الدين؟! فإن الكراهة تتضاعف بذلك، ويزداد الاستقذار، فكيف إذا كان ميتاً؟! فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت، لا يشتهيهِ الطبع، ولا تقبله النفس. وبهذا يُعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة، بعد النهي الصريح ^(١).

١٣. الويل للمغتتاب: قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ^(٢)، قال مقاتل بن سليمان رحمته الله: يعني الطعان المغتتاب الذي إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه ^(٣)، وقال قتادة رحمته الله: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم ^(٤).

من أقوال العلماء في الباب:

* قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ: لَا يُعْجَبَنَّكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنَطْنَتُهُ، وَلَكِنَّهُ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ الرَّجُلُ ^(٥).

* قِيلَ لِلشَّيْبِيِّ رحمته الله: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَوْصِنِي، قَالَ: كَلَامُكَ كِتَابُكَ إِلَى رَبِّكَ، فَانْظُرْ مَاذَا تُمْلِي فِيهِ ^(٦).

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١١/٥٥٦٧).

(٢) [الهمزة: ١].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان - العلمية (٣/٥١٧).

(٤) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٣/١٣١٩).

(٥) الزهد والرفائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/٢٤٣).

(٦) البيهقي: شعب الإيمان (٢/٤٧٠٢).



* قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكْرِيَّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَالَجْتُ الصَّمْتَ عَشْرِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ أَقْدِرَ مِنْهُ عَلَى مَا أُرِيدُ قَالَ: وَكَانَ لَا يَغْتَابُ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدٌ، وَيَقُولُ: إِنْ ذَكَرْتُمْ اللَّهَ أَغْنَاكُمْ، وَإِنْ ذَكَرْتُمْ النَّاسَ تَرَكَنَاكُمْ ^(١).

* شَتَمَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا هَذَا لَا تَغْرُقْ فِي شَتْمِنَا وَدَعْ لِلصُّلَحِ مَوْضِعًا، فَإِنَّا لَا نُكَافِي مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرِ مِنْ أَنْ نُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ ^(٢).
* قَالَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: احْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ الْمَدْحِ، كَمَا تَحْفَظُ لِسَانَكَ مِنَ الذَّمِّ ^(٣).

* قَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحْفُظُ وَالْإِحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ وَالزُّنَى وَالسَّرِيقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحْفُظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ، حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَنْزِلُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يَبَالِي مَا يَقُولُ ^(٤).

* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ؛ قَالَ: التَّقِيُّ عَنِ الْخَطَائِنِ مَشْغُولٌ، وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَطَايَا أَكْثَرَهُمْ ذِكْرًا لِخَطَايَا النَّاسِ ^(٥).

(١) البيهقي: شعب الإيمان (٤٧١٥).

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١١٣/٥).

(٣) البيهقي: شعب الإيمان (٤٧٠٨).

(٤) ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ١٥٩).

(٥) المجالسة وجواهر العلم (١٦٦/٥).

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: مَنْ اغْتَيْبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَنَصَرَهُ، جَزَاهُ اللَّهُ بِهَا خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ اغْتَيْبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، جَزَاهُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرًّا، وَمَا التَّقَمَّ أَحَدٌ لِقَمَةٍ شَرًّا مِنْ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ، إِنْ قَالَ فِيهِ مَا يَعْلَمُ فَقَدْ اغْتَابَهُ، وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَقَدْ بَهَتَهُ ^(١).

* عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَصِينِ عَنْ طَارِقٍ رضي الله عنه قَالَ: دَارُ بَيْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، وَبَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه كَلَامٌ، فَذَهَبَ رَجُلٌ لِيَقَعَ فِي خَالِدٍ عِنْدَ سَعْدٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَهْ، إِنْ مَا بَيْنَنَا لَمْ يَبْلُغْ دِينَنَا، أَيُّ عِدَاوَةٍ وَشَرٍّ ^(٢).

* قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ رضي الله عنه: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عز وجل بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا، وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ، وَبَصَّرَهُ عِيُوبَهُ. قَالَ: ثُمَّ التَفَتَ الْفُضَيْلُ إِلَيْنَا، فَقَالَ: رَبِّمَا قَالَ الرَّجُلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟! قَالَ: يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ، فَيَعْجِبُهُ، فَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهَا؛ إِنَّمَا هَذَا مَوْضِعٌ أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ، وَيَقُولَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ ^(٣).

* عَنْ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: يَا بُنَيَّ، أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ؛ فَاحْفَظْ مِنِّي خِصَالًا ثَلَاثًا: لَا تُفْشِينَ لَهُ سِرًّا، وَلَا يَسْمَعَنَّ مِنْكَ كَذِبًا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ^(٤).

(١) (خد) (٧٣٤)، انظر صحيح الأدب المفرد: (٥٦٧).

(٢) عيون الأخبار (٢٠ / ٢).

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٣ / ٥٤)، رقم (٦٦٣) وقال المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: [إسناده ضعيف].

(٤) مكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٣٣).



* قال ابن عباس رضي الله عنهما: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدع منك ^(١).

* أتى رجل عمرو بن مرثد، فسأله أن يكلم له أمير المؤمنين، فوعده أن يفعل، فلما قام، قال بعض من حضر: إنه ليس مستحقاً لما وعدته، فقال عمرو: إن كنت صدقت في وصفك إياه فقد كذبت في ادعائك مودتنا؛ لأنه إن كان مستحقاً كانت اليد موضعها، وإن لم يكن مستحقاً فما زدت على أن أعلمتنا أن لنا بمغيبنا عنك مثل الذي حضرت به من غاب من إخواننا ^(٢).

* قال بعض الحكماء: عاب رجل رجلاً رجلاً عند بعض أهل العلم، فقال له: قد استدلت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأن الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها ^(٣).

* واعتبر ابن حجر الهيتمي رحمته الله الغيبة من الكبائر حيث قال: فظهر أن الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة، لكنها تختلف عظمًا، وضده بحسب اختلاف مفسدتها، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عذيلة غضب المال، وقتل النفس، بقوله: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» ^(٤)، والغضب والقتل كبيرتان إجماعاً فكذا ثلم العرض ^(٥).

(١) ابن عبدربه: العقد الفريد (٢/ ١٨٤).

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٢/ ١٩).

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٥٦).

(٤) مسلم (٢٥٦٤).

(٥) الذهبي: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٢).

* قال ابن كثير رحمته الله: وَالْغَيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَلَا يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا رَجَحَتْ مَصْلَحَتُهُ، كَمَا فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَالنَّصِيحَةِ^(١).

* قال فضيل بن عياض رحمته الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عَيْوَبَهُ. قَالَ فَضِيلٌ: وَرَبِّمَا قَالَ الرَّجُلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ أَوْ سَبَّحَانَ اللَّهَ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَعْجَبُهُ ذَلِكَ فيقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ، إِنَّمَا مَوْضِعُ هَذَا أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ^(٢).

* اغتاب ابن جلا بعض إخوانه فأرسل إليه يستحله فأبى قائلاً: ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها، فكيف أمحوها؟!

* وقال الغزالي رحمته الله: الْغَيْبَةُ، هِيَ الصَّاعِقَةُ الْمَهْلِكَةُ لِلطَّاعَاتِ، وَمِثْلُ مَنْ يَغْتَابُ كَمَنْ يَنْصَبُ مَنْجَنِيْقًا، فَهُوَ يَرْمِي بِهِ حَسَنَاتِهِ شَرْقًا، وَغَرْبًا، وَيَمِينًا، وَشِمَالًا.

* وقد قيل للحسن رحمته الله: اغتابك فلان، فبعث إليه بطبق فيه رطب وقال: أهديت إليّ بعض حسناتك، فأحببت مكافأتك^(٣).

* وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: مَنْ مَاتَ تَائِبًا مِنَ الْغَيْبَةِ، فَهُوَ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهَا، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ^(٤).

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٨٠).

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار (٢/ ١٨).

(٣) المناوي: فيض القدير للمناوي (٣/ ١٦٦).

(٤) آفات اللسان لأبي حامد الغزالي (ص: ١٥١).



* عاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف فقال له: قد استدلت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيب الناس، لأنَّ الطَّالِبَ للعيوبِ إِنَّمَا يطلبها بقدر ما فيه منها^(١).

* للغيبة ثلاثة أقسام:

١. **الغيبة المُحرَّمة:** وهي ذكرك أخاك المسلم في غيبته بما يكره بعيب فيه مخفي، سواء كان هذا العيب خلقي أم خلقي، في دينه أو دنياه، ولا شك أنَّه محرمٌ في الكتاب، والسُّنة، والإجماع، للأدلة الواردة سلفاً في هذا الباب. قال ابن القيم رحمته الله - (وهو يتحدث عن الغيبة) -: **وَإِذَا وَقَعْتَ عَلَى وَجْهِ ذِمِّ أَخِيكَ وَتَمْزِيقَ عَرْضِهِ وَالتَّفَكُّهَ بِلَحْمِهِ وَالْغَضَّ مِنْهُ لَتَضَعَنَّ مَنَزِلَتَهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ؛ فَهِيَ الدَّاءُ الْعُضَالُ وَنَارُ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَأْكُلُهَا كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**^(٢).

٢. **الغيبة الواجبة:** هي الغيبة التي بها يحصل للفرد نجاة مما لا يُحمد عقباه، أو مصيبة كانت محتملة الوقوع به، مثل التي تطلب للنصيحة عند الإقبال على الزواج لمعرفة حال الزوج، أو كأن يقول شخصٌ لآخر مُحذراً له من شخصٍ شرير: **إِنَّ فُلَانًا يُرِيدُ قَتْلَكَ فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِي، أَوْ يُرِيدُ سَرَقَةَ مَالِكَ فِي السَّاعَةِ الْفُلَانِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ.**

٣. **الغيبة المباحة:** كما أنَّ الغيبة مُحرَّمةٌ لما فيها من أضرارٍ تمس الفرد، إلاَّ أنَّها مباحةٌ بضوابطها لغرضٍ شرعيٍّ صحيح، لا يمكن الوصول لهذا الغرض إلاَّ بهذه الغيبة، وبدون هذه الضوابط تصبح محرمة. قال النووي رحمته الله:

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار (١٨/٢).

(٢) ابن القيم: الروح (ص: ٢٤٠).

اعْلَمْ أَنَّ الْغِيْبَةَ تُبَاحٌ لِعَرَضٍ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ سِتَّةٌ أَسْبَابُ:

الْأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْقَاضِي وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ لَهُ وَلَايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلَانٌ بِكَذَا.

الثَّانِي: الاسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَرَدِّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ، فيقول لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ: فُلَانٌ يَعْمَلُ كَذَا، فَازْجُرْهُ عَنْهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَيَكُونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ، فيقول لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي، أَوْ أَخِي، أَوْ زَوْجِي، أَوْ فُلَانٌ بِكَذَا، فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقِي فِي الْخِلَاصِ مِنْهُ، وَتَحْصِيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فِهَذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، وَلَكِنَّ الْأَحْوَطَ وَالْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الْعَرَضُ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ وَمَعَ ذَلِكَ، فَالْتَّعْيِينُ جَائِزٌ.

الرَّابِعُ: تحذير المسلمين مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ: مِنْهَا: جَرْحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ. وَمِنْهَا: الْمَشَاوَرَةُ فِي مُصَاهَرَةِ إِنْسَانٍ، أَوْ مُشَارَكَتِهِ، أَوْ إِيدَاعِهِ، أَوْ معاملته، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمَشَاوَرِ أَنْ لَا يَخْفِي حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ الْمَسَاوِيَّاتِ الَّتِي فِيهِ بَنِيَّةَ النَّصِيحَةِ. وَمِنْهَا: إِذَا رَأَى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ الْعِلْمُ، وَخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ الْمُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بَيَانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذَا مِمَّا يَغْلُطُ فِيهِ. وَقَدْ يَحْمِلُ الْمُتَكَلِّمُ بِذَلِكَ الْحَسَدَ، وَيَلْبَسُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيَتَفَتَّنْ لَذَلِكَ.



ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويؤلي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس؛ وجباية الأموال ظلماً وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به؛ ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بقلب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفهم بغير ذلك كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة^(١).



(١) رياض الصالحين ط الرسالة (ص: ٤٣٢).

٧٢. عقوبات الغلول

١. دخول النار: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١). الغلول^(٢) هو: الكتمان من الغنيمة، [والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان] وهو مُحَرَّمٌ إجماعاً، بل هو من الكبائر، كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر الله تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبي أن يَغُلَّ، لأنَّ الغلول من أعظم الذنوب وأشر العيوب. وقد صان الله تعالى أنبياءه عن كل ما يندسهم ويقدح فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقاً، وأطهرهم نفوساً، وأزكاهم وأطيبهم، ونزَّههم عن كل عيب، وجعلهم محل رسالته، ومعدن حكمته. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي: يمتنع ذلك ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته. ثم ذكر الوعيد على من غل، فقال: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يأت به حامله على ظهره، حيواناً كان أو متاعاً، أو غير ذلك، لِيُعَذَّبَ به يوم القيامة، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ الغال وغيره، كلُّ يُوفَّى أجره ووزره على مقدار كسبه.

(١) [آل عمران: ١٦١].

(٢) قال أبو البقاء الكفوي صاحب كتاب الكليات: الغلول الخيانة في بيت مال أو زكاة أو غنيمة أو غيرها، وله أنواع عديدة؛ منها الغلول في الفيء أو الغنائم وهذا هو المشهور عند الإطلاق، والغلول في الزكاة، ومن الغلول هدايا العمال، ومنه الاختلاس من الأموال العامة، ومنه اغتصاب الأراضي أو العقارات، وأما عن حكمه: فهو من الكبائر كما نصَّ على ذلك النووي وابن حجر والذهبي، وأما عن حكم الغال في الدنيا فقد قال الإمام القرطبي: أَخَذَ مِنْهُ مَا غَلَّه وَأَدَّبَ وَعُوقِبَ بالتعزير، واختلف العلماء في حرق متاعه على قولين: الجمهور على المنع، وأجازاه الإمام أحمد وإسحاق والحسن. الكليات (ص: ٦٧١) بتصرف.



﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ أي: لا يُزاد في سيئاتهم، ولا يُهضمون شيئاً من حسناتهم، وتأمل حسن هذا الاحتراز في هذه الآية الكريمة. لما ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غلّه، ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه، وكان الاختصار على الغال يوهّم - بالمفهوم - أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون - أتى بلفظ عام جامع له ولغيره^(١).

٢. سبب في خزي صاحبه يوم القيامة: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، إِلَى جَنْبِ بَعِيرٍ مِنَ الْمَقَاسِمِ، ثُمَّ تَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْبَعِيرِ، فَأَخَذَ مِنْهُ قَرْدَةً، يَعْنِي وَبَرَةً، فَجَعَلَ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا مِنْ غَنَائِمِكُمْ، أَذُوا الْخَيْطِ، وَالْمَخِيطِ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَمَا دُونَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ، عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَنَارٌ وَنَارٌ»^(٢). حذر النبي ﷺ من الخيانة والسرقة عموماً، وخصّ بالتحذير الخيانة في مغانم الحروب؛ لأنّ فيها حقوقاً للمقاتلين، وأنصبةً لله ورسوله وأخرى للفقراء والمساكين. وفي هذا الحديث يقول عبادة بن الصّامت رضي الله عنه: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَحُنَيْنٌ: وادٍ بين مكة والطائف، وكانت هذه الغزوة في السنة الثامنة من الهجرة، بعد فتح مكة مباشرة، «إلى جنبٍ بَعِيرٍ»، أي: صلى بجوارِ جملٍ، «مِنَ الْمَقَاسِمِ»، أي: من إبل الغنيمة التي لم تُقسَم بعد، «ثُمَّ تَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْبَعِيرِ، فَأَخَذَ مِنْهُ قَرْدَةً، يَعْنِي: وَبَرَةً، فَجَعَلَ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ»، أي: أمسك بشعرة من شعرات البعير، «ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا مِنْ غَنَائِمِكُمْ»، أي: هذا القدر القليل من شعر الإبل يُعتبر من الغنائم التي ينبغي أن تؤدّى، «أَذُوا الْخَيْطِ»، أي:

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٥).

(٢) (جه) (٢٨٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٤٠٦)، رقم (٢٣١٧).

اجمعوا مثل هذا القدر وردوه في الغنيمه، ولا يغرنكم قلة قدرها، **«والمخيط»**، هو الإبرة والآلة التي تستعمل في الخياطة، **«فما فوق ذلك فما دون ذلك»**، وهذا كناية على أن قليل ما يغنم وكثيره مقسوم بين من شهد الوقعة ولمن حددهم الله، ليس لأحد أن يستبد منه بشيء وإن قل؛ **«فإن الغلول»**، أي: ما سرق وأخذ من الغنيمه قبل أن تقسم، **«فإنه عار على أهله يوم القيامة وشار»**، وهو أقبح العيب والعار، **«ونار»**، والمعنى: أن الخيانة والغلول عيب في الدنيا وفضيحة وتشويه على رؤوس الأشهاد في العقبى يوم القيامة، وجزاؤه العذاب في النار. وفي الحديث: أن الخيانة إثمها عظيم، وخطرهما أشد يوم القيامة.

٣. **عدم قبول صدقته**: عن مصعب بن سعد قال: دخل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على عبد الله بن عامر يعودوه وهو مريض، فقال: ألا تدعو الله لي يا ابن عمر؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»**^(١)، وكنت على البصرة^(٢).

٤. **ذنب لا يغفر**: عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إياك والذنوب التي لا تغفر: الغلول، فمن غل شيئاً أتى به يوم القيامة»**^(٣).

(١) معناه أنك لست بسالم من الغلول، فقد كنت والياً على البصرة، وتعلقت بك تبعات من حقوق الله تعالى وحقوق العباد، ولا يقبل الدعاء لمن هذه صفته، كما لا تقبل الصلاة والصدقة إلا من متصون، والظاهر - والله أعلم - أن ابن عمر قصد زجر ابن عامر وحثه على التوبة وتحريضه على الإقلاع عن المخالفات، ولم يرد القطع حقيقة بأن الدعاء للفساق لا ينفع، فلم يزل النبي ﷺ والسلف والخلف يدعو للكفار وأصحاب المعاصي بالهداية والتوبة. والله أعلم. شرح النووي على مسلم (١/٣٧٢).

(٢) (م) ٢٢٤، (ت) ١، (س) ١٣٩، (ج) ٢٧٣.

(٣) (طب) (١٨/٦٠) رقم (١١٠)، الصحيحة: (٣٣١٣)، صحيح الترغيب والترهيب: =



٥. الفضيحة على رؤوس الأشهاد في الآخرة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ»^(١).

٦. نفي الإيمان عنه: عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢). وَمَنْ يَنْتَهَبُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِالْإِيمَانِ، وَالنَّهْبُ وَالْإِنْتِهَابُ هُوَ: أَخْذُ الْمَالِ عَلَى وَجْهِ الْعِلَانِيَةِ

(١٨٦٢).

(١) البخاري (٣٠٧٣)، مسلم رقم (١٨٣١)، (فذكر الغلول) تعرض لذكره وبيان حكمه. (عظم أمره) شدد في الإنكار على فاعله. (لا ألفين) لا أجدن. (ثغاء) صوت الغنم. (حمحمة) صوت الفرس إذا طلب العلف. (لا أملك لك شيئاً) من المغفرة لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى. (رغاء) صوت البعير. (صامت) الذهب والفضة ونحوهما. (رقاع) جمع رقعة وهي الخرقعة. (تخفق) تتحرك.

(٢) البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، (حين يزني) يقدم على الزنا ويباشره. (وهو مؤمن) ونور الإيمان في قلبه بل يزرع منه فإذا استمر على الفعل أو استحله زال إيمانه وكفر. (يرفع الناس إليه فيها أبصارهم) أي ذات قيمة تستتبع أنظار الناس وتجعلهم يطلبونها.

والقهر والغلبة. وقوله: «يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ» إشارة إلى حالة المنهوبين؛ فَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَنْهَبُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهِ، وَلَوْ تَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنْ عَدَمِ التَّسْتُرِ بِذَلِكَ، فَيَكُونُ صِفَةً لَازِمَةً لِلنَّهْبِ، بِخِلَافِ السَّرِقَةِ وَالِاخْتِلَاسِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي خُفْيَةٍ، وَالِانْتِهَابِ أَشَدُّ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَزِيدِ الْجَرَاءَةِ، وَعَدَمِ الْمُبَالَاهِ. وقيل: النهبة اسم لما يُؤْخَذُ مِنَ الْمَالِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ وَالتَّقْدِيرِ، كَالسَّرِقَةِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا. وعليه يكون معنى: «يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ» أَنَّهَا كَبِيرَةُ الْمِقْدَارِ، بَحِثْ تَبَعُهَا أَنْظَارُ النَّاسِ، وَيَتَطَلَّعُونَ إِلَيْهَا، كَنَهَبِ الْفُسَّاقِ الْمَالَ الْعَظِيمَ فِي الْفِتَنِ. وفي الحديث: أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي. وفيه: تَعْظِيمُ أَمْرِ الزَّنا، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

٧. الغلول سبب في عذاب القبر: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فَلَانٌ شَهِيدٌ، فَلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فَلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»، قَالَ:

فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ^(١). في هذا الحديث يروي عمر بن الخطاب ﷺ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ - وَكَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ

(١) مسلم (١١٤)، والبخاري (٣٠٧٤)، (في بردة) البردة كساءٌ مُخَطَّطٌ وهي الشَّمْلَةُ وَالنَّمْرَةُ، وقال أبو عبيد: هو كساء أسود فيه صور، وجمعه: برد. وقوله (في بردة) أي من أجلها وبسببها، (غَلَّهَا) قال أبو عبيد: الغلول هو الخيانة في الغنيمة خاصة، وقال غيره: هي الخيانة في كل شيء، ويُقال منه غل يغل.



من الهجرة، بين المسلمين واليهود، وكانت قرية يسكنها اليهود على بُعد (١٥٣ كم) تقريباً من جهة الشام - أقبل جماعة من صحابة النبي ﷺ، فتذكروا من قتل منهم في الجهاد وفي تلك الغزوة، فكلما ذكروا رجلاً قالوا: إنه شهيد، فيما يعلمون، حتى مروا على اسم رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كَلَّا؛ إِنِّي رَأَيْتُهُ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ»، وعلمت أنه من أهل النار بطريق الوحي، وذلك بسبب بردة وهي ثوب أسود مربّع، أو عباءة سرقها أو أخفاها، وأخذها من الغنائم دون علم النبي ﷺ وموافقته، ولم يؤده ليقسم في الغنائم القسمة الشرعية. ثم أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يذهب فينادي في الناس ويعلمهم: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، فلا يدخلها دخولاً أولياً إلا من آمن بالله حق الإيمان ظاهراً وباطناً، وهذا تغليظ وتشديد وتحذير من النبي ﷺ لكل من خالف أمر الله ورسوله، وأن المعصية قد تؤدي بالمؤمن إلى النار ليجازي بما فعل، ثم أمره إلى الله بعد استيفاء جزائه. وقد صرح القرآن والسنة بأن الغال - وهو الآخذ من الغنيمة قبل أن تقسم - يأتي يوم القيامة والشيء الذي غله معه. وفي الحديث: مشروعية تركية الأموات وذكر مناقبهم. وفيه: التحذير من مخالفة الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن الغلول من المغنم أو الأموال العامة بغير حق. وفيه: أن الغلول يُجانب الإيمان؛ لأن الغال يكون خائناً خيانة لم يُجاهر فيها سوى الله تعالى، ولو كان مؤمناً به حقاً لم يكن ليخفي من الناس ما يُجاهره به سبحانه وتعالى. وفيه: أن صفة الإيمان قد تنزع بسبب الأعمال السيئة.

٨. الإصابة بالفتن أو العذب لمخالفة أمر النبي ﷺ: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهٍ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمُتُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...»^(١).

من أقوال العلماء في الباب:

* قال ابن حجر رحمه الله: الغُلُولُ هُوَ اخْتِصَاصُ أَحَدِ الْغَزَاةِ، سَوَاءً الْأَمِيرُ وَغَيْرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْضِرَهُ إِلَى أَمِيرِ الْجِيُوشِ لِيُخَمِّسَهُ، وَإِنْ قَلَّ الْمَأْخُوذُ^(٢).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هَذَا يَغْلُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَأَلْفِي دِرْهَمٍ يَأْتِي بِهَا، أَرَأَيْتَ مَنْ يَغْلُ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَمِائَتِي بَعِيرٍ كَيْفَ يَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ مَنْ كَانَ ضَرْسُهُ مِثْلَ أَحَدٍ، وَفَخَذَهُ مِثْلَ وَرْقَانٍ، وَسَاقَهُ مِثْلَ بَيْضَاءٍ، وَمَجْلَسَهُ مَا بَيْنَ الرَبْذَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ أَلَا يَحْمِلُ هَذَا؟!^(٣).

* رَوَى مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ فِي قَوْمٍ إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ...^(٤).

(١) مسلم (١٧٣١).

(٢) الذهبي: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٣) السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/ ٣٦٥).

(٤) الموطأ (٢/ ٤٦٠).



* عَنْ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: لَوْ كُنْتُ مُسْتَحِلًّا مِنَ الْغُلُولِ الْقَلِيلِ لَأَسْتَحِلَلْتُ مِنْهُ الْكَثِيرَ، مَا مِنْ أَحَدٍ يَغْلُ غُلُولًا إِلَّا كُفِّ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ مِنْ أَسْفَلِ دَرَكِ جَهَنَّمَ ^(١).

* رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ، فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّاعِرِ السَّكْسَكِيِّ الدَّمَشْقِيِّ - وَأَصْلُهُ حِمَصِيٌّ، وَكَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ، رَوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِ، وَحَكَى عَنْهُ حَوْشِبُ بْنُ سَيْفٍ السَّكْسَكِيُّ الْحِمَصِيُّ - قَالَ: غَزَا النَّاسُ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَعَلَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِائَةَ دِينَارٍ رُومِيَّةً. فَلَمَّا فَقَلَ الْجَيْشُ نَدَمَ وَأَتَى الْأَمِيرَ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُ، وَقَالَ: قَدْ تَفَرَّقَ النَّاسَ وَلَكِنْ أَقْبَلَهَا مِنْكَ، حَتَّى تَأْتِيَ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَسْتَقْرِئُ الصَّحَابَةَ، فَيَقُولُونَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَدِمَ دِمَشْقَ ذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِيَقْبَلَهَا مِنْهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَسْتَرْجِعُ، فَمَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّاعِرِ السَّكْسَكِيِّ، فَقَالَ لَهُ: مَا يَبْكِيكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ أَمْطِيعُنِي أَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقُلْ لَهُ: أَقْبَلْ مِنِّي خُمْسَكَ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ عَشْرِينَ دِينَارًا، وَانْظُرِ الثَّمَانِينَ الْبَاقِيَةَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْمَائِهِمْ وَمَكَانِهِمْ فَفَعَلَ الرَّجُلُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه: لَأَنْ أَكُونَ أَفْتِيَهُ بِهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَمْلِكُهُ، أَحْسَنَ الرَّجُلِ ^(٢).

* عَنْ خُمَيْرِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ بِالصَّحَافِ أَنْ تَغْيَرَ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مِنْ اسْتِطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَغْلَ مَصْحَفَهُ فليغله فَإِنَّهُ مِنْ غَلٍّ شَيْئًا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَعَمْ الْغَلُّ الْمُصْحَفُ يَأْتِي بِهِ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٣).

(١) الدر المشور في التفسير بالمأثور (٢/ ٣٦٥).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ١٣٨)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٢٠٨).

(٣) الدر المشور في التفسير بالمأثور (٣/ ٣٦٥).

* قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَصْلُ الْغُلُولِ الْخِيَانَةُ مُطْلَقًا^(١).

* قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْغَالُ لَا تَبْرَأُ ذِمَّتُهُ إِلَّا بِرَدِّ الْغُلُولِ إِلَى أَصْحَابِهِ
بِأَنْ يَتَصَدَّقَ بِهِ إِذَا جَهِلَهُمْ مَثَلًا، وَالسَّبَبُ فِيهِ؛ أَنَّهُ مِنْ حَقِّ الْغَانِمِينَ، فَلَوْ جُهِلَتْ
أَعْيَانُهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ^(٢).



(١) شرح النووي على مسلم (٢١٦/١٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٧٩/٣).



م	المَوْضُوع	الصَّفْحَة
	المُقَدِّمَة:	٥
	الباب الأول: الثمرات	٩
١	ثمرات وفضائل الصيام	١٠
٢	ثمرات وفضائل ليلة القدر	٢٠
٣	ثمرات وفضائل الزواج	٢٥
٤	ثمرات اختيار الزوجة الصالحة	٣٢
٥	ثمرات قضاء حوائج المسلمين	٤٠
٦	ثمرات العفو عن الناس	٥٠
٧	ثمرات كلمة التوحيد	٥٨
٨	ثمرات وفضائل سكنى المدينة	٦٦
٩	ثمرات وفضائل المسجد الأقصى	٧٣
١٠	ثمرات وفضائل ذِكْرُ الله تعالى	٨٢
١١	فضائل الأمة المحمدية	٩١
١٢	ثمرات وفضائل القناعة	١٠٢



١١٠	ثمرات وفضائل الإصلاح بين الناس	١٣
١١٦	ثمرات وفضائل حسن الخلق	١٤
١٢٤	ثمرات وفضائل محبة الله للعبد	١٥
١٣١	ثمرات وفضائل الخشوع	١٦
١٣٧	ثمرات وفضائل يوم الجمعة	١٧
١٤٥	ثمرات الخوف من الله	١٨
١٥٢	ثمرات وفضائل الصّلاح	١٩
١٦٠	ثمرات وفضائل الحياء	٢٠
١٦٥	ثمرات وفضائل طلب العلم ومدارسته	٢١
١٧٨	ثمرات وفضائل الصّلاة على النبي ﷺ	٢٢
١٨٤	ثمرات صلة الرحم	٢٣
١٨٩	ثمرات الحُب في الله	٢٤
١٩٥	ثمرات الوضوء (الطهارة)	٢٥
٢٠٤	ثمرات الإخلاص في الدنيا والاخرة	٢٦
٢١٣	ثمرات الحَقْ وقلة	٢٧
٢١٨	فضائل آية الكرسي	٢٨
٢٢٤	فضائل سورة الفاتحة	٢٩



٢٣٠	ثمرات وفـــــــــــــــــوائد الأذان	٣٠
٢٣٨	ثمرات وفضائل الصَّمت	٣١
٢٤٥	ثمرات وفضائل قضاء الدين	٣٢
٢٥٠	ثمرات القرض الحسن	٣٣
٢٥٣	ثمرات وفضائل الاستغفار	٣٤
٢٦٠	ثمرات التواضع في الدنيا والآخرة	٣٥
٢٦٧	ثمرات صلاة السنن بصفة عامة	٣٦
٢٧٤	ثمرات الحج والعمرة	٣٧
٢٨٣	ثمرات وفضائل يوم عرفة	٣٨
٢٨٨	ثمرات وفوائد الذهاب إلى المساجد	٣٩
٢٩٣	ثمرات ملازمة المساجد	٤٠
٣٠٢	ثمرات صلاة الجماعة	٤١
٣١١	ثمرات إمطة الأذي عن الطريق	٤٢
٣١٦	ثمرات وفضائل الإبتلاء بالأمراض	٤٣
٣٢٥	ثمرات وفضائل صلاة الفجر	٤٤
٣٣٥	ثمرات وفضائل تسوية الصفوف	٤٥
٣٤٦	ثمرات وفضائل كفالة اليتيم	٤٦



٣٥٣	الباب الثاني: العقوبات	
٣٥٤	عقوبات مانع الزكاة	٤٧
٣٦٧	عقوبات الناشئات	٤٨
٣٧٩	عقوبات التبـرج	٤٩
٣٨٩	عقوبات عدم العمل بالعلم	٥٠
٤٠٩	عقوبات شاربي الخمر والمسكرات	٥١
٤٣٢	عقوبات آكل الربـا	٥٢
٤٣٩	عقوبات الزنا	٥٣
٤٥١	عقوبات ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥٤
٤٦١	عقوبات البخل والشح	٥٥
٤٧١	عقوبات التسول والشحاذة	٥٦
٤٨١	عقوبات الكذب	٥٧
٤٩١	عقوبات الغفلة عن ذكر الله	٥٨
٤٩٨	عقوبات الإسراف في الشبـع	٥٩
٥١٠	عقوبات ترك الصلـاة على النبي ﷺ	٦٠
٥١٥	عقوبات قاطع الرحم	٦١
٤٢٢	عقوبات إتيان الكهان والسحرة والدجالين	٦٢

٥٢٨	عقوبات الهجر والخصام والقطيعة	٦٣
٥٣٦	عقوبات الرياء	٦٤
٥٤٧	عقوبات ترك الصلاة	٦٥
٥٥٥	عقوبات المن	٦٦
٥٦٠	عقوبات الاستدانة من الناس	٦٧
٥٦٦	عقوبات المدين المماطل	٦٨
٥٧٤	عقوبات أكل الحرام	٦٩
٥٨٨	عقوبات الذنوب والمعاصي	٧٠
٦٠٣	عقوبات الغيبة	٧١
٦١٨	عقوبات الغلول	٧٢
٦٢٧	المحتويات	

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ



للتواصل مع المؤلفين:

الدكتور/ نجيب الجيلاني ٠١٠٠٢٦٢٨٢٧٠

الشيخ/ ثروت أبو المجد ٠١٠٢٠٨٣٥٨٤٠